

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

الحرب والمجتمع بمملكة غرناطة خلال عهد بني الأحمر
(626-897هـ / 1232-1492م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د) في التاريخ الإسلامي الوسيط

إشراف الأستاذ الدكتور
بوشنافي محمد

إعداد الطالب:
بكاره حنان

أعضاء لجنة المناقشة

رئيساً	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ	أ.د. بلعربي خالد
مشرفاً ومقرراً	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ	أ.د. بوشنافي محمد
عضواً مناقشاً	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ	أ.د. شخوم سعدي
عضواً مناقشاً	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ محاضر-أ-	د. بلجة عبد القادر
عضواً مناقشاً	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر-أ-	د. قدور وهراني
عضواً مناقشاً	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر-أ-	د. ليبدري بلخير

السنة الجامعية: 1441-1442هـ / 2020-2021م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوانَ إلا على الظالمين،
وأشهد ألا إله إلا الله، إله الأولين والآخرين، وقبومُ السموات والأرضين،
ومالكُ يوم الدين، الذي لا فوزَ إلا في طاعته، ولا عزَّ إلا في التذللِّ لعظمته،
ولا غنىَ إلا في الافتقار إلى رحمته، ولا حياةَ إلا في رضاه، ولا نعيمَ إلا في قُربه،
إذا أُطيع شكر، وإذا عُصي تاب وغفر، وإذا دُعي أجاب، وإذا عُوْمل أثاب.

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، أرسله رحمةً للعالمين، وإمامًا للمتقين،
وحُجَّةً على الخلائق أجمعين، بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح للأمة،
وكشف الله به العُمة، فتح اللهُ به آذانًا صُمًّا وأعينًا غُميًّا،

وهدانا به إلى صراط مستقيم.



شكرو عرفان:

الحمد لله رب العالمين الذي أنعم علينا بالعلم وما أوتينا منه إلا قليلا، والشكر لله وفضله على ما أعاننا به لتقديم بحثنا المتواضع، الذي أرجو من الله أن أكون قد أسهمت في كشف النقاب عن فترة مهمة من تاريخ الأندلس، وإني لأشكر رئيس المشروع الأستاذ: بلعربي خالد، والأستاذ: بوشناني محمد السيد المشرف، على توجيهي حتى أنجزت أطروحتي. والشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة، كما أشكر الأستاذة: أم كلثوم أوسيف على تدقيق أطروحتي لغوياً ومعالجة بعض الأخطاء، كما لا أنسى تقديم شكري للأستاذة: **Carmen Trillo** من جامعة غرناطة باسبانيا على تقديمها لي رسالة استقبال من الجامعة. وعلى تزويدي بمواقع إسبانية ثرية بالمصادر القشتالية. وفي الأخير أشكر زميلي عقبة على تقديم العون لي في ترجمة بعض النصوص الإسبانية للغة العربية.

إهداء:

أهدي ثمرة جهدي إلى أمتي الغالية أطال الله في عمرها، التي شجعتني ودفعتنني للعمل كل يوم وكل ليلة، كما لا أنسى دعم عائلتي (أخوتي، أخواتي سندي)، براعم العائلة كبيراً وصغيراً.
كما أتقدم بالإهداء إلى زميلي محمد نصري وإلى كل عائلته الكريمة، وإلى زملائي في الدفعة: محمد سماحي، عباس رشيد، وصديقتي جلجلي سالمة. وفي الأخير أختتم الإهداء بالشكر والإمتنان إلى كل من دعمني في مشواري العلمي من قريب أو بعيد. وإلى أسرة التعليم بجامعة سيدي بلعباس - قسم التاريخ

المقدمة:

لا يمكننا الفصل في تحديد طبيعة الصِّراع بين المسلمين والنصارى في الأندلس إلا بتتبع الأحداث بدقة؛ حيث يمكننا الجزم بطغي الصبغة الدينية والنزعة القومية، فمسألة الصِّراع كانت بين الإسلام والمسيحية؛ فالكنيسة كانت تسعى لبت أفكارها الانتقامية من الإسلام تحت إيديولوجية استرجاع إرث القوط، أما الإسلام فكان مبدأه الجهاد وردّ أذى المسيحيين عن الإسلام والمسلمين.

بدأت بوادر الصِّراع تأخذ منحى جدياً بعد شنّ حملة الاسترداد Reconquista الواسعة التي بلغت ذروتها في منتصف القرن السابع/ الثالث عشر الميلادي، حيث مسّت الجهة الشرقية والوسطى، فلم يبق في الأندلس سوى مدنٌ متناثرة في الجزء الجنوبيّ، ظلّت تصارع من أجل البقاء. في خضمّ الأوضاع المتردّية ظهرت شخصياتٌ ثورية طبعت التاريخ، بمحاولتها إنقاذ ما تبقى من الأندلس، ومن هذه الشخصيات: "محمد ابن هود الجذامي"، و"أبي عبد محمد ابن يوسف بن الأحمر" اللذان تصارعا من أجل الظفر بـ"غرناطة" آخر حصن بالأندلس، لكنّ الغلبة كانت لـ"ابن الأحمر" الذي قدّم تنازلات وعانى الأمرين بسبب النصارى؛ فهو الخائن في نظر المسلمين بتحالفه مع النصارى للحصول على "إشبيلية"، وهو المسؤول عن حماية المسلمين بـ"غرناطة" وأعمالها، وعن التآحين من المدن الهاوية بيد النصارى، خصوصاً وأنّ غرناطة ستعرف تغيرات حضارية، باعتبارها دار حرب. وموضوع دراستنا سيعطي حقّه من تفسير ظاهرة الحرب وانعكاساتها على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية، في محاولة لإبراز تأثير الظاهرة، وعمق الصِّراع المتأسد بين المسلمين والنصارى. لتتخطى الجانب العسكريّ كدراسة محدودة، ومن ثمّ ربطه بالجانب السوسولوجي كحقل علمي جديد، في إطار زمنيّ مرتبط بفترة حكم سلالة بني الأحمر بـ"غرناطة" ما بين 626هـ-1232م إلى 897هـ-1492م.

إنّ مراحل سقوط الأندلس كانت وما زالت محطّ اهتمام الباحثين على اختلاف توجهاتهم ومشاربهم، فكانت البحوث تترى مُهتمةً بجانب، ومغفلةً لجوانب أخرى لا تقل عنها أهمية، وكان بعضها تغلب عليه النزعة العصبية والدينية، فكان منها ما يهتم بالجانب التاريخي، وآخر بالجانب الأدبي، وثالث بالجانب السياسي... الخ، ولم يتحقق التكامل في معظم هذه البحوث، وإن حدث نرى عدم الموضوعية في تناول الموضوع؛ مما جعل الأمر ناقصاً بل ومشوّهًا في أحيان أخرى!

وتأتي دراستنا هذه مُظهرةً لجانب مهمّ- ولكنّه لم يُحظَ بنصيبه العادل من البحث والتّدقيق- ألا وهو الجانب العسكريّ وعلاقته بجميع الجوانب الأخرى، والآثار الاقتصادية، الاجتماعية، والثقافية؛ ممّا سيعطينا في النهاية نظرةً شاملة وموضوعيّةً، تظهر فيها الصّورة الكاملة لهذه المرحلة من التاريخ الأندلسيّ والفاصلة من تاريخ المسلمين، وعلاقتهم بغيرهم على امتداد الزمان، والتي كان لها ما قبلها وما بعدها، وما زالت آثارها باقيةً ليومنا هذا، تشهد على هذه الحِقبة العظيمة التي سعدت بها الدنيا حينًا من الدهر... والتي لحّص حالها وحال غيرها من أمور الدّنيا- الشاعر الأندلسي "أبو البقاء الرندي" في نونته الشّهيرة الباكية المبكية:

لكلّ شيءٍ إذا ما تمّ نُقصانُ
فلا يُعزُّ بطيبِ العيشِ إنسانُ
هي الأمورُ كما شاهدتها دُول
من سرّه زمنٌ ساءتُه أزمانُ

اتّسمت معظم الدّراسات السّابقة بالبحث في جانب أو أكثر- بحسب تخصصّ الباحث- وإغفال الآثار المباشرة لبقيّة الجوانب الأخرى والتي لا تقل أهميةً في تناولها، فكان الباحثون يَمرون عليها مرورَ الكرام. ومن أكثر الجوانب إهمالاً كان الجانب العسكريّ وتقزيم دوره الضخم؛ وكانت النتيجة أن ضحّمت هذه الدراسات جانبًا، وكانت الجوانب الأخرى هزيلةً لم يُلقَ عليها الضّوء الكافي، ولم تُحظَ بنصيبها من البحث والتنقيب الكافيين؛ فكانت النتيجة أن جاءت معظم الدّراسات السّابقة غير مكتملة الأركان؛ وأفضى ذلك بدوره إلى نتائج بحثيّة قاصرة أو مُضلّلة! فمن الدراسات التي تعرضنا لها للحديث عن الجوانب الحضارية لمملكة بني الأحمر كتاب "غرناطة في ظلّ بني الأحمر" لشكري فرحات"، والدراسة التي أعدّها أحمد مُجد الطوخي بعنوان: "مظاهر الحضارة في مملكة غرناطة"، وكذا الدراسة التي قدمها الأستاذ مُجد عبد الله عنان بعنوان: "نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين"، وهي في مجملها مراجع هامة لكنها لم تكن شاملة من حيث المعلومات المرجو إدراجها في أطروحتنا.

تتمحور إشكالية الموضوع حول تتبع ظاهرة الحرب عبر شقّين مختلفين لهما قاسم مشترك، فالشقّ الأول يدور حول رصد وتتبع جبهات الصراع العسكري المحتدم بين مملكة بني نصر وخصومها؛ في حين يحاول الشقّ الثاني القيام بعملية تتبع لمختلف الانعكاسات الاجتماعية والاقتصادية والذهنية التي أرخت بسدولها على المجتمع الذي لم يكن بمنأى عن مخلفات الحرب. على أنّ هذه الإشكالية لا تتبلور إلّا بعد تفكيكها لمجموعة من التساؤلات الفرعية التالية:

- كيف كان واقع الحروب بمملكة غرناطة عهد بني الأحمر ؟

- ما مدى استعداد مملكة بني الأحمر لمواجهة الحرب؟

- هل استطاع بنو الأحمر تحقيق إكتفاء في تعبئة الجيش والإعداد للقتال؟ هل اتبّع الجيش خططاً وأساليب للحصار أثّرت بانتصارات على النصارى؟

- كيف أثّرت الأحداث العسكرية والوقائع الحربية على الأنشطة الإنتاجية؟

- هل أثّرت الحرب على الشريحة الاجتماعية؟

- إلى أي مدى انعكست الحرب على ذهنية الغرناطين؟

- كيف أثّرت الحرب على الإنتاج الثقافي؟ هل كان للشعراء دورٌ في رصد الصراعات العسكرية وواقع الحروب؟ وهل استطاعت هذه الفئة أن ترصد أوضاع المجتمع في فترات الحروب؟

فرضت علينا الدّراسة المقدّمة توظيف المنهج التاريخي الاستقرائي، في محاولة لاستقراء الأحداث من مصادرها التاريخية، سواءً الإسلامية أو المسيحية، ومن ثمّ تحليلها وتقييمها، ثمّ عرضها باستخدام المنهج المقارن لتقريب الحقائق، وجمع أكبر قدرٍ من المعلومات على أن يكون الطرح موضوعياً، لكن هذا لا ينفي التعقيب عن النتائج المتوصّل إليها.

ولمعالجة اشكالية البحث والإجابة عن التساؤلات المطروحة، تتبّعنا الموضوع من بداية تأسيس مملكة غرناطة وحتى سقوط آخر قلاعها متبعين خطةً جاء فيها:

➤ **الفصل الأوّل:** يتناول الفصل الأول الصراع العسكري في مملكة غرناطة؛ تطرقنا في هذا الفصل عن أوضاع الأندلس خلال فترة حركة الإسترداد التي شنتها مملكتي قشتالة والأراغون، والتي أدت بسقوط الكثير من المدن، وسيطرة النصارى على الثغور الشرقية والوسطى، تزامناً مع ضعف دولة الموحدين، وشقّ عصا الطاعة عليها من القبائل التي استقلّت بإدارة شؤونها، ومن الذين انتهزوا فرصة ضعف الموحدين؛ "مُحمّد ابن هود" من أعقاب بني هود ملوك الطوائف بالأندلس، الذي استطاع أن يكسب ودّ القبائل المدن الأندلسية فمُنحته طاعتها، واشتدّ ساعده فدخل في مواجهاتٍ مع النصارى، لكن سرعان ما عادت المواجهة مع "السيد أبا زيد عبد الرحمن بن محمّد بن يوسف بن عبد المؤمن" الأمير الموحي الذي انطوى تحت طاعة النصارى فشدّ عضده بهم وأصبحت مواجهتهم صعبةً على ابن هود ليلتجأ في الأخير إلى مهادنة النصارى وكسب صداقتهم، مقابل تنازله على ثلاثين حصناً دفاعاً عن مصالحه.

● خصصنا العنصر الأول من الفصل الأول للحديث عن شخصية " أبي عبد محمد ابن يوسف بن الأحمر " منافس ابن هود، اشتهر ظهوره في كل مكان، فأطاعته "جيان"، كما أطاعته "شريش"، وصفه "ابن الخطيب": "جندىً ثغريّ شهيم، جافي السلاح، شديد العزم، فظٌّ في طلب حقّه، مُباشِرٌ للحروب بنفسه، تتغالي الحُكَاة في سلاحه"

أمّا العنصر الثاني فخصصناه للتحدث عن تغلّب ابن الأحمر على غرناطة وبداية مرحلة التأسيس، فبعد مقتل صاحبها "ابن عتبة"، أنشأ له البيعة "أبو الحسن الرعيني" وبايعه "ابن أبي خالد" من "جيان"، وفد "ابن الأحمر" على "غرناطة" فبادر إليها في أواخر رمضان من عام 635هـ/أفريل 1238م، بعد أن بعث إليه الملاء من أهلها بيعتهم مع رجلين من مشيختهم: "أبو بكر الكاتب"، و"أبو جعفر التيزولي". باشر بعدها ابن الأحمر بتأسيس مملكته والإهتمام بشؤون رعيته، لكنّ الأخير أخذه الحماس فأراد أن يستحوذ على المدن الباقية من الأندلس، لكنه فشل في ذلك لأنّ مملكته لا تزال فتية وقوة جيشه لم ترقّ لقوة جيوش النصارى، فكان عليه أن يدفع ثمن وجودها أن يعقد هدنةً مع النصارى. وهذا ما تناولنا دراسته في العنصر الثالث، حيث أنّ عقد معاهدة الصلح كان من شأنها أن تُطيل من عُمر "غرناطة"، لكن بنودها كانت مُجحفةً في حقّه خاصة التي نصّت على تقديم جزء من جيوش غرناطة إلى جانب النصارى، شكّل هذا سُخطاً من أهالي "إشبيلية" على اعتبار أنّ سقوطها كان بسبب خيانة "ابن الأحمر"، لكن الأوضاع زادت سوءاً بعد إخضاع النصارى لمجموعة من الشروط المجحفة في حقّ المسلمين، فلم يجد "ابن الأحمر" من بُدّ سوى الإستنجاد بالمرينيين أصحاب المغرب لتخليصهم من طغيان النصارى.

خصصنا عنصراً للحديث عن الصّراع العسكريّ بين بني مرين والنّصارى، حيث أن نداء الإستغاثة أتى أكله بعد محاولاتٍ عديدةٍ، قرّر في الأخير سلطان بني مرين "يعقوب بن عبد الحق" تلبية الدعوة وقيادة الجيش باتجاه الأندلس، بعد أن عقد اتفاقاً مع السلطان "مُحمّد الفقيه" ينصّ بتنازل الأخير عن بعض القواعد بالأندلس كنقاط عبور لها، فأخذت جيوش المسلمين على اختلاف قبائلها تحتاح أراضي النصارى واستحوذت على غنيمّة كثيرة من ذحيرةٍ ومؤنّ. لكن العلاقات بين بني مرين وبني الأحمر لم تكن جيدةً في الأغلب الأحيان، وهذا ما تطرقنا له في عنصرٍ خاص، حيث أنّنا عقّبنا على أسباب الصراع وآثاره على المسلمين.

أما العنصر الأخير من الفصل الأول فقد تطرقنا فيه إلى احدى المراحل الحرجة في تاريخ مملكة بني الأحمر، وهي الفترة التي تنازع فيها أبناء السلطان يوسف الأول على الحكم، حيث أن أثر الصراع ستكون له أبعاد على مستقبل المملكة، وما زاد تازماً في الأوضاع؛ اتحاد مملكتي قشتالة والأراغون بعقد المصاهرة بين إيزابيلا

وفيراناندو، وبالتالي تظافر الجهود من أجل شنّ حملة عسكرية لاسترجاع ما تبقى من المدن الأندلسية بمباركةٍ من الكنيسة، وما زاد الأوضاع سوءاً الحرب الأهلية بين أفراد أسرة بني الأحمر والتي لعب أدوارها كلٌّ من السلطان مولاي حسن، والسلطان أبو عبد الله مُحمَّد الصغير، وعمه الزغل، للتربع على العرش، وما عَجَّل في سقوط غرناطة؛ وقوع أبو عبد الله مُحمَّد الثالث الصغير أسيراً عند النصارى فاعتبر ورقةً رابحةً لتنفيذ مخططات الملكيين الكاثوليكين، وتقدم في الأخير المدن الأندلسية المتبقية طاعتها للنصارى وتخرج لغرناطة آخر معقلٍ تحتمي به، لكن الأوضاع ساءت بعد استفحال المجاعة ونقص المؤن بالتالي تُسلّم مفاتيح غرناطة للملكيين الكاثوليكين.

➤ الفصل الثاني:

يتحدّث عن الجيش الغرناطيّ بين التّعبئة العسكريّة والتّكتيك الحربيّ، حيث تطرقنا إلى الحديث عن التركيبة البشرية المكونة للجيش النصري والتي ضمّت العنصر الأندلسي (بنو الأشقيولة والمولدين)، والبربري (شيوخ الغزاة)، بالإضافة إلى العناصر الأجنبية المنظوية تحت خدمة الجيش الغرناطي والتي ساهمت في الدفاع عن المملكة، وهم فئة الأغزاز والمماليك، وقد قُسم الجيش الغرناطي إلى فرق نظامية ضمت الجند الأندلسي وشيوخ الغزاة، الأغزاز، والمماليك، وإلى فرق غير نظامية؛ وهم المتطوعون من الشعراء والخطاب، والوعاظ، والأطباء والصناع، بالإضافة إلى الجواسيس والأدلاء والمرزقة، أما عن قيادة هذه الفرق، فقد أسندت غالباً لسلطين بني الأحمر، كما ناب عنهم أصهارهم من بني الأشقيولة في المرحلة الأولى من عمر المملكة، ثم برزت فرقة شيوخ الغزاة كأهم فرقةٍ في الجيش النصري امتازت بالتنظيم المحكم، والقيادة الناجحة للجيش. كما ناب عن السلطين الوزراء أثناء مواجهاتهم العسكرية، أو يقودهم أحد الحجاب بالنيابة مثلما حدث في عهد السلطان أبو الحجاج يوسف حينما أسند قيادة الجيش للحجاب أبو رضوان النصري.

- أمّا عن التنظيمات التعبوية في المملكة النصرية فلم تفدنا القرائن بمعطياتٍ رقمية عن عدد الجيوش النصرية، أو النصرانية إلاّ إشارات وظفناها على سبيل التقريب للعدد الحقيقي، في حين أنّ التضخيم كان ظاهراً في أغلب الدراسات سواءً المسيحية أو الإسلامية، خاصّةً ما تعلق بنسبة الوقيّات.
- أمّا عن التنظيمات الإدارية، فقد اهتم سلطين بني الأحمر بالجانب العسكري والجند الغرناطي، حيث حُصّص ديوان يهتم بمصالحهم ويحفظها من رواتب واستحقاقات كنصيبهم من الغنيمة والإتاوات، كما يُملي عليهم واجباتهم أمام قوادهم.

- وعن استراتيجية الجيش وخططه العسكرية، فقد انتهج الجيش الغرناطي خططاً وأساليب محكمة تنم عن درايته في الأمور العسكرية، فكان نظام الصف وأسلوب الصف وتنظيم الجيش من أهم أسباب نجاح الخطط النصرية، والتي اعترف بنجاحها النصارى أنفسهم.
- كما اهتم سلاطين بني الأحمر بالعدّة، اهتموا بالعتاد الحربي فوفّروا لجنودهم السّلاح اللازم بنوعيه: الخفيف والثقيل، كالسيوف والنبال والسّلام والعرادات والمناجيق، التي صاحبت الجيش الغرناطي في حملاته العسكرية.
- فرضت الأوضاع اللأمنية في المنطقة، إنشاء عمارة حربية من أربطة وأبراج وأسوار وقصباتٍ تحمي الشعب الغرناطي من هجمات النصارى، كما أقام النصريون أبواباً على داخل مدّتهم وأحكموا حمايتها؛ بوضع جُنْدٍ مرابطٍ على رأس كلِّ منشأة.
- اهتمّ النصريون بتفاصيل الحرب، فأعدوا لها العُدّة والعتاد، وأحاطوا أنفسهم بمظاهر الأبهة المتخذة من رايات وألوية مزخرفة ومنمّقة بكتابات تحمل شعارات بني الأحمر، "لا غالب إلاّ الله" وحملوا راياتهم يرهبون بما عدّوهم وقرعوا طبولهم لإثارة حماسة جُنْدِهِم.

➤ **الفصل الثالث:** تحدثنا في الفصل الثالث عن انعكاسات الحرب على الاقتصاد والمجتمع النصري، أما عن الجانب الإقتصادي ففي الحديث عن الزراعة تطرقنا إلى جملة الهجمات التي شنّها النصارى على أراضي الأندلس، حيث أن الدراسات تُفيد نيّة النصارى في تخريب البنية التحتية للإقتصاد النصري؛ عبر حرق الأراضي الزراعية وانتساف الغلّات والمحاصيل. كسياسة تجويعية للرعيّة قصد الخضوع للنصارى. كما أدت سياسة الإغارة على الحدود البريّة وسرقة الماشية شرخاً كبيراً بين المملكتين. أمّا عن الصناعة فقد كانت سياسة احتكار المواد الأولية، كما أدى تقلص المدن الإنتاجية إلى غياب العديد من الصناعات، في حين أن الصناعة الحربية كانت رائجة فاشتهرت صناعة السيوف والخناجر والدروع... كما أن حركة التجارة والمبادلات الداخلية والخارجية للسلع انتعشت في فترات الإستقرار عبر موانئ المملكة كميناء مالقة، ألمرية، ووادي آش، مع مملكة الأراغون وهو ما سيوثق العلاقات بين الطرفين عبر تبادل الرسائل والمعاهدات كان من أهم بنودها قطع العلاقات بين الأراغون وقشتالة؛ لدفع الأخيرة على الرضوخ لمطالب المسلمين وأهم هذه المطالب توقيع معاهدات السلام. كما خلقت انعكاسات الحرب على الاقتصاد النصريّ، أزّمت أهمها ظهور المجاعات بسبب عدم تحقيق الإكتفاء في الدخل العائد لتمويل النشاط الحربي، وبالتالي فرض ضرائب مستحدثة ومكوس ستكون لها آثار وخيمة على المملكة، وهذا ما يسبب ارتفاعاً في الأسعار

سواءً في المواد الغذائية، أم في العقارات وهو ما سيرهق الرعية، كنتيجةً للواقع المتأزم ستتراجع قيمة العملة النصرية التي تعرضت خاصة في الفترة الأخيرة في حكم سلاطين بني الأحمر إلى الزيف والتدليس.

● لم يكن المجتمع النصرى بمنأى عن الأحداث التي سببها واقع الحروب في المملكة، حيث أن ظاهرة الهجرة كانت من بين الأسباب التي فرضتها الأزمات الواقعة في المدن الأندلسية، فظاهرة النزوح نحو غرناطة وقرهاها كانت هروباً من تعسف النصارى نحو أماكن أكثر أمناً، لكن للهجرة آثار سلبية من حيث أحداث طفرة ديمغرافية في غرناطة حيث سيعجز النظام عن تلبية حاجات السكان خاصة في فترة ما قبل سقوط مملكة بني الأحمر، إلا أن الإحصائيات العددية لم تسعفنا في معرفة الكم الحقيقي لعدد سكان المملكة ككل.

● كما أنّ حالة الحرب الدائمة في المنطقة قلبت الموازين داخل الأسرة النصرية، باعتبار أن الجندي أو المتطوع في صفوف الجيش الغرناطي كان دائم الغياب عن المنزل، وفي حالات كثيرة كان في عداد المفقودين الذين تكلمت عنهم المسائل الفقهية بكثرة، حيث أن زوجات هؤلاء الجنود كانوا دائمى الإنشغال بفكّ تساؤلاتهم والإجابة عن حالات فقد أزواجهم، فمنهنّ من اختارت الطلاق، ومنهنّ من اختارت إعادة الزواج، ومنهن من طالبن بالنفقة والحق في الميراث، مع تطرق الفتاوى لحالة الطفل اليتيم من حضانية وتكفلٍ من أحد الأقارب.

● أما عن مسألة الأسير فقد تطرقنا إلى سبل فكّ أسرهِ إما عن طريق تكليف الفكاكين بالتوسط وإخلاء السبيل عن طريق مالٍ معلوم، أو تبادلٍ. أما عن عدد القتلى فتبقى مسألة الرقم تحول دون معرفتنا بالعدد الحقيقي لهم، على أننا عقدنا مقارنةً بين المصادر والدراسات لنخلص برقمٍ مرجحٍ للصحة والزيف، أمام نقص القرائن.

● شكلت ظاهرة الحرب انعكاساتٍ على ذهنيات وسلوكيات النصرين. فهاجس الخوف ظلّ يطارد الرعية وحتى السلاطين أنفسهم من الموت الذي أصبح حتمياً في مملكة بني الأحمر خاصة في الفترات التي تنقضي فيها معاهدات السلام المبرمة، لم يكن الخوف يمسّ فقط الشعب الغرناطي؛ بل وحتى الجند الغرناطي تأثرت نفسيته بفعل الحروب التي ظلّت تتعاقب بين المسلمين والنصارى.

➤ **الفصل الرابع:** تطرقنا في هذا الفصل تأثر شعراء الأندلس عامة وغرناطة خاصة بالأوضاع المزرية التي وقعت لمدنهم جراء عملية استرداد المدن الأندلسية، حزّ في خاطر هذه الفئة التي رفضت الأوضاع فهاجمت النصارى بلغة القلم، وراحت قصائدهم الطوال تروي الأوضاع المعاشة، فكانت تستصرخ تارةً هم المسلمين لمساعدة بني جلدتهم ونصرة الإسلام، وتارةً أخرى تقذف الحماسة لمواجهة الخطر الداهم من النصارى، أو

تمدح السلاطين المواجهين المجاهدين للخطر، وتذكر الجند الصامد المجاهد والمرابط في الثغور والحصون، كما عددت القصائد العُدّة العتاد الحربي الملازم للجيش في ساحة المعركة، وهذه القصائد أضفت صبغةً جديدةً في التعمق لدراسة الجانب العسكري والاجتماعي للملكة بني الأحمر بغرناطة. حيث أن القصائد الشعرية كانت بمثابة رسائل تعبّر عن المآسي التي خلّفتها الحروب على المجتمع، فتطرقنا إلى القصائد الشعرية التي تحدثت عن المدن الهاوية بيد النصارى، وعن القصائد الإستصراخية التي كتبها شعراء مملكة بني الأحمر لسلاطين بني مرين، كما تطرقنا لذكر القصائد الحماسية التي ألقاها الشعراء على مسامع السلاطين والجند الغرناطي لإذكاء حماسهم للجهاد وردّ أذى النصارى، كما ساعدتنا القصائد الشعرية في فهم طبيعة الصراع بين المسلمين والنصارى حيث تذكر الأبيات الشعرية المعارك الحربية، والعتاد الحربي، بالإضافة إلى وصف الأساطيل البحرية وكلّ ما تعلق بالجانب الحربي.

انطلق البحث متتبّعًا الجانب العسكري وعلاقته ببقية العوامل الأخرى، من اقتصادية واجتماعية وثقافية، وآثارها المتنوّعة على كافّة الأصعدة، والتي كانت مجتمعةً... من أسباب سقوط غرناطة وحصونها الواحد تلو الآخر على مرّ السنين، وأنّ هذه الآثار المدمّرة قد استفحل أمرها حتى استعصت على الحلّ، واتّسع الحرق على الراتق؛ فكان السقوط المريع. ومن بين أهمّ المراجع التي اعتمدنا عليها والتي أفادتنا إلى حدّ ما لكنها لم تكن شاملة للدراسة كتاب شكري فرحات "غرناطة في ظلّ بني الأحمر"، والذي ألمّ بالجانب الحضاري مبرزاً الدور السياسي والعسكري خاصة، دون الخوض في الحديث عن علاقة الحرب بالمجتمع، أو التطرق للذهنيات. كما أفادنا كتاب

ارتكزت دراستنا على مجموعة من المصادر التاريخية الهامة التي أرّخت لحقبة وجود سلالة بني الأحمر كسلاطين بغرناطة، وقد أسعفتنا بتقديم معلوماتٍ مهمّةٍ حصّتها الجانب العسكري، والصراع بين المسلمين والنصارى، خصوصًا ما تعلق بالفترة الأولى من التأسيس؛ حيث أنّ مرحلة الوجود المربّي بالأندلس والجهاد المشترك شكّلا ترابطًا وثيقًا بين المملكتين "المربنية" و"الأحمرية"، فكانت المعلومات متشعبةً من حيث إبراز تفاصيل الصراع العسكري، وإضفاء الإحصاءات بذكر عدد القتلى والأسرى، وجرد الغنائم، وذكر الحصون الواقعة بأيدي المسلمين والغارات المتتالية على بسائط و أحواز مناطق نفوذ النصارى. وأهمّ تلك المصادر:

1- تاريخ ابن خلدون المسمّى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن ابن خلدون (ت: 808هـ/ 1406م)

يعدّ هذا المصدر من أهمّ المصادر التاريخيّة التي أرّخت للتاريخ الإسلامي عامة، و التاريخ الأندلسي خاصة، فهو موسوعة تألّفت من سبع مجلّدت غنيّة بمادتها العلميّة، انفرد فيها "ابن خلدون" دون سواه بمعلومات مفصّلة في طابع سرديّ، أفادنا كثيراً في الفصل الأوّل الخاص بالصراع العسكريّ، حيث أنّ مؤرخ البلاط المرينيّ وضع لنا جوازات سلاطين بني مرين إلى الأندلس ودورهم في الجهاد، كما أنّه أفادنا بمعلومات تخصّ بداية تأسيس مملكة بني الأحمر، وكيف استطاع مؤسسها ابن الأحمر منافسة غريمه "ابن هود" للظفر بغرناطة، كما أنّ "ابن الخطيب" تحدّث عن علاقات "بني مرين" مع "بني الأحمر" في سلسلة من الأحداث، وإنّ كان ينقصها الترتيب الكرونولوجي، إلّا أنّ المجلدَيْن الرَّابِع والسَّابِع كانا عوناً لنا في الدراسة.

2- كتاب الذخيرة السنّية في تاريخ الدولة المرينيّة، لابن أبي الزرع (الفاسي)، (ت: 726-1326م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس:

من أهمّ المصادر التي استند إليها بحثنا في المرحلة الأولى من تأسيس المملكة الغرناطيّة، ذكر فيهما ابن أبي الزرع الفاسي تواريخ خاصّة، وأحداثاً مرتبة كرونولوجياً، بجوازات السلاطين المرينيين لبلاد الأندلس، وما كان فيها من صراعاتٍ عسكريّة مع النصارى، بالإضافة إلى العلاقات مع بني الأحمر، وما يضيفه "ابن أبي الزرع" تفصيل أكثر عن هذه الأحداث بالمقارنة مع ما جاء به "ابن خلدون" فيمكننا القول فعلاً أنّ المصدر ساعدنا كثيراً في دراستنا.

-موسوعة نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لمؤلفه: أحمد بن محمد المقرئ التلمساني(ت:1041هـ/1631م):

تميّزت هذه الموسوعة التاريخيّة الأدبيّة بإفراد مجموعة من المعلومات عن سلاطين بني الأحمر، منذ التأسيس وحتى السقوط، وإن كانت الأحداث غير مفصّلة في فترات، إلّا أنّ "المقرئ" ألمّ بموضوعنا في مختلف المجالات، السياسيّة، العسكريّة، الاجتماعيّة والاقتصاديّة، وعلاقات بني الأحمر مع الممالك المجاورة، خاصّة سلطنة "بني مرين".

كما أنّ الموسوعة ضمّت تراجم كثيرة لشخصياتٍ غرناطيّة لعبت دوراً هاماً في البلاط الغرناطيّ، خاصّة شخص "ابن الخطيب"، فقد أفرد لنا "المقرئ" رسائل ابن الخطيب السياسيّة والاجتماعيّة، ورحلاته رفقة سلطانه "الغنيّ بالله"، كما أنّه سلّط الضوء على الفترة الأخيرة من وجود سلالة بني الأحمر بغرناطة، وعلى العموم كانت معلومات الجزء الأوّل والرَّابِع مُساعِدةً في تقديم معلومات تخصّ البحث.

3- مصادر خاصة ببلاط بني الأحمر بغرناطة:

- الإحاطة في أخبار غرناطة لذي الوزارتين "لسان الدين ابن الخطيب السلماني: (ت: 776هـ/1374م)

يعدّ هذا المصدر من أهمّ المصادر التاريخيّة التي حُصّت بتاريخ لفترة حكم بني الأحمر إطلاقاً، لم يترك معلومةً تخصّ مملكة غرناطة إلا وأشار إليها؛ فقد تطرّق للوصف الجغرافي للمدن الغرناطيّة، وتسميات أحوازها وما اتّصل بها من أنهار وبحار وجنّات، وذكر الأنساب، وعوائد السكان، ثمّ أفرد تراجم مفيدة حُصّت بسلاطين بني الأحمر، وفصّل في أخبارهم، علاقتهم مع باقي الممالك المعاصرة لكل سلطان، جهادهم، حتّى وفاتهم، وإن كانت المعلومات عبارة عن شذرات أو بالأحرى إشارات دون التفصيل إلى إحصاء عدد الجيش، أو عدد القتلى؛ وهذا ما شكّل لنا عقبة أمام البحث، ثمّ إنّ "ابن الخطيب" لم يقدّم بترتيب الأحداث تاريخياً.

- اللّمة البدرية في الدّولة النّصريّة:

جاءت المعلومات في كتاب "اللّمة" مطابقة لما جاء من أحداثٍ وتواريخٍ خاصّة بسلاطين بني الأحمر، وهو ما ساعدنا في اختصار الجهد وانفراد المصدر بمعلومات خاصّة بالسلاطين فقط.

- جنة الرضا في التسليم لما قدّر الله وقضى، لأبي يحيى محمد بن عاصم الغرناطيّ قاضي القضاة بغرناطة في عهد السلطان: محمد الأيسر:

لم يبق في الأندلس الكثير من المصادر التي تزيح لنا الغطاء عن الأحداث المعاشة آنذاك، بعد قرار الملك الكاثوليكيان "فرديناند FERDINAND وإيزابيلا ESABELLA" حرق كتب غرناطة، ليُفقد بذلك المسلمون جزءاً كبيراً من الحقيقة، التي من شأنها أن تعيّر الكثير من الآراء، فلا يكفي الاستناد على المصادر الإسبانية؛ لعدم الالتزام بالموضوعية إن غابت المعلومات من جانب المسلمين، ولحسن الحظّ أنّ هذا الكتاب وصل لنا، والذي يتألف من ثلاثة أجزاء ألفها قاضي غرناطة "ابن عاصم"، وإن كانت المعلومات فيه عن السلطان النّصريّ "محمد الأيسر" تكاد تُعدّ بورقات قليلة إلا أنّها أضفت معلوماتٍ مهمّة يمكن الاعتماد عليها في بحثنا، خاصّة الجزأين الأوّل والثاني.

- نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر (تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب)، لمجهول ممن عاصروا الفترة الأخيرة من سقوط "غرناطة":

نكاد نجزم بأنّ المعلومات التي قدمها هذا المؤرّخ لم يأت أيّ مصدرٍ على ذكرها، فهذا المصدر فائق الأهمية أُرّخَ للفترة الأخيرة قبل سقوط غرناطة، أيّ منذ عهد السلطان النّصريّ "مولاي أبي الحسن" حتّى سقوط المملكة في عهد السلطان "أبو عبد الله الصغير"، وهذا المصدر عبارة عن معلومات خاصّة بالصّراع العسكريّ بين المسلمين والنّصارى، استفدنا من معلوماته بشكل كبير باعتباره مصدرًا هامًا.

4- كتب الجغرافيا والرحلات:

استندنا في دراستنا على مصادر جغرافية أهمّها:

• كتاب الروض المِعطار في خبر الأقطار لصاحبه، محمّد عبد المنعم الحميري، (ت: 900هـ/1495م) من أهمّ المصادر الجغرافية المرتبة أبجديًا، والتي استند عليها بحثنا في التعريف الجغرافيّ بمدن الأندلس، من حيث الموقع والخصائص.

• كتاب معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي، (ت: 626هـ/1229م) يتألّف هذا المصدر من خمسة أجزاء، مرتبًا ترتيبًا أبجديًا، اعتمدنا فيه على ضبط أسماء المدن الأندلسيّة، ثمّ تحديد موقعها الجغرافيّ مع ذكر ما تميّز به، أو ما يميّزها كذكر أحد الأعلام المشهورين فيها.

5- كتب الرحلات:

• كتاب خطرة الطّيف (رحلات في المغرب والأندلس)، لابن الخطيب السّلمانيّ (ت: 776هـ/1374م) وهو عبارة عن مشاهدات دوّنها ذو الوزارتين "ابن الخطيب"، أثناء رحلته التّفقديّة للتّغور الشّرقية رفقة سلطانه "أبي الحجاج"، وقد قسّم مشاهداته إلى ثلاثة أجزاء، جزء سماه "خطرة الطّيف في رحلة الشّتاء والصّيف"، والجزء الثّاني "مفاخرات مالقة" وسلا، أما الجزء الأخير فسماه "معيان الاختبار في ذكر المعاهد والآثار"، تميّزت هذه المشاهدات بوصف المدن الشّرقية التابعة لإقليم "غرناطة"، وصفًا جغرافيًا، أتبعه بذكر الاحتفالات وترتيب الجيوش، ثمّ وصف خيرات المدن من ثمارٍ وأشجارٍ ومعادنٍ، كما راح ابن الخطيب يصف ذهنيات أهل البدو، بين مدحٍ ونقدٍ، وقد استفدنا كثيرًا من هذا المصدر في البحث.

المراجع المعتمد عليها في البحث:

أ / العربية:

1. نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين لمحمد عبد الله عنان، وهو العصر الرابع من كتاب "دولة الإسلام في الأندلس".

يعتبر هذا المرجع من أهمّ المراجع العربيّة التي تحدثت عن مملكة غرناطة في ظلّ بني الأحمر، وقد أفادنا "عبد الله عنان" بمعلومات إضافية لم نجدّها في المصادر، ذلك لاطّلاعه على الوثائق والمصادر الإسبانيّة في مجال وضع مقارنة بين الروايات بشقيها العربيّ والإسبانيّ، والخلوص إلى وقائع قريبة للحقيقة.

2. غرناطة في ظلّ بني الأحمر، لشكري فرحات:

لا يمكننا المرور على هذا المرجع بدون ذكره، فقد استفدنا من معلوماته، وأدرجنا، فساعدتنا في إكمال الرّصيد المعلوماتيّ، خاصّة في الجانب الاقتصاديّ.

ب/ المراجع الإسبانيّة:

مثلما أشرنا إلى المنهج المتّبع في كتابة بحثنا، فقد استندنا إلى "المقارن" ذلك في محاولة فهم الحقائق، واستنتاج الوقائع في قالب موضوعيّ، فكان لزامًا علينا بالنظر إلى نقص المعلوماتيّة، ومحاولة إزالة اللبس لفهم الأحداث أن نرجع للمصادر والدراسات الإسبانيّة، وأهمها:

1- José Antonio Conde, Historia de la Dominación De los Arabes En España, Tomo III

2-M. Lafuente Alcántara, Historia de Granada, Comprendiendo la De Sus cuatro Provincias, Almería, Jean, Granada y Málaga, Tomo III

3-Luis Suarez Fernández, Las Guerras de Granada (1246-1492) Transformación de el-Ándalus

4- Rachel Ariè, L'Espagne Musulmane au Temps Des Nasrides (1232-1492), Editions Brill, Paris, 1990

بالإضافة إلى عدّة مصادر ومراجع ودراسات إسبانيّة تضمنها ثبت المصادر والمراجع، والتي ساهمت كثيرًا في تزويدنا بمعلومات لم نجدّها في المصادر الإسلاميّة.

كان هناك العديد من التّحدّيات أمام البحث منها:

- طول الفترة الزّمنية التي يستغرقها موضوع البحث والتي تمتدّ لعدّة قرون.

- تشعب الموضوع والذي احتاج بدوره للتركيز مُتناولاً الأمر من جميع جوانبه، غير مهملٍ لجانب.
- كان الحصول على المصادر البحثية شاقاً؛ لأنها تتنوع ما بين عربية وأجنبية، مترجمة أو بلغاتها المتعددة. ثم أنّ ندرة المصادر العربية ألزمتنا البحث في المصادر الإسبانية محاولين ترجمتها بالإعتماد على التطبيقات الخاصة بالترجمة من الإسبانية إلى العربية، أو باللجوء في بعض الأحيان إلى مساعدة بعض الزملاء المختصين في المجال على ترجمتها.
- وكذلك الترجيح بين الآراء، فكانت هناك العديد من المصادر التي كانت لا تخلو من التعصب المذهبي أو الديني. ثم كانت الصعوبة في ترجمة المصادر والمراجع الإسبانية، خاصة المصادر القشتالية القديمة.
- وكذلك ندرة المصادر والمراجع - خاصة المتعلقة بالجانب العسكري- والذي لم يحظَ بنفس الاهتمام مثل بقية الجوانب خلال هذه الحقبة التاريخية.
- تمّ دمج هذه المصادر وتحصيل أكبر كم من المعلومات؛ مما كان له أكبر الأثر في اتّسام هذه الدراسة بما يطلق عليه: "الأصالة والمعاصرة"، والتي لا غنى عنها في الدراسات البحثية الحديثة.

الفصل الأول: الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

أولاً: الصّراع العسكريّ للظّفر بغرناطة

- التّنافس بين ابن هودّ وابن الأحمر على غرناطة

- تغلب ابن الأحمر على غرناطة وبداية مرحلة التأسيس

- عقد الهدنة بين ابن الأحمر والنّصارى وأداء الجزية

ثانياً: الصّراع العسكريّ بين بني مرين والنّصارى

- استنجد بنو الأحمر بالمرينيين

- الحروب بين المرينيين والنّصارى

- احتدام الصّراع بين بني الأحمر والمرينيين

ثالثاً: الصّراع العسكريّ بين بني الأحمر والنّصارى

- حروب بني الأحمر وقشتالة الأراغون

- الانقلابات العسكريّة داخل أسرة بني الأحمر وبداية النهاية

- أثر الصّراع في سقوط مملكة غرناطة

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

عاشت "الأندلس" حالة من الاضطراب بعد ضعف "الموحدين" ^[1] وشنّ "النصارى" حملة استردادٍ للحصون الإسلامية؛ في ظلّ هذه الأوضاع قرّر بعض من رجال الأندلس إعلانهم شقّ عصا طاعة "الموحدين" والتّسابق نحو الظّفر بالحصون الباقية من الأندلس، وكان من بين هؤلاء الثّوار الأمير "أبو عبد الله محمّد بن يوسف بن هود" ^[2] من أعقاب "بني هود" ملوك الطوائف، الذي استقلّ بولاية "مرسية" ^[3] "Murcie" سنة 625هـ/1228م، وقام "ابن الرّيمي" بدعوته لما علا شأنه، ثمّ طاعت له "أغرناطة" ^[4] "Granada"، "مالقة" ^[5] "Malaga"؛ وضعف "المأمون أبو العلاء" الذي كانت له وقائع معه؛ ذلك أنّ "ابن هود" خلع طاعة الموحدين وانتزى بنفسه، فطاعته أكثر بلاد من الأندلس، وكانت له في سنة سبعٍ وعشرين وستمئة وقائع مع النّصارى ^[6]، وكان ابن "هود" يخطب للخليفة العباسي (المستنصر بالله) صاحب بغداد ^[7] حتّى تقوى إمارته ويشتدّ عضده، كما خرج عن طاعة الموحدين "بنو

[1] عن أخبار سقوط مملكة الموحدين بعد واقعة "العقاب" سنة 609هـ/1212م، راجع: ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، تحقيق: محمّد إبراهيم الكتاني، محمّد بن تاويت، محمّد زبير، عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1985م، بيروت-لبنان، ص 118 وما يليها.

[2] محمّد بن يوسف بن هود، أبو عبد الله، من أعقاب بني هود الجذاميين من ملوك الطوائف، آخر ملوك هذه الدولة الكبار نجم ابن هود في سنة خمس وعشرين وست مائة بشرق الأندلس فقام الناس كلهم بدعوته، وتعصّبوا معه، مقيماً في سرقسطة، ولما ظهر الخلل في دولة الموحدين ثار عليهم بالصخيرات، وتلقب بالمتوكل على الله، للمزيد ينظر: شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، الجزء الثالث والعشرون، حققه: بشار عوّاد معروف، يحي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، ط1، 1985، بيروت، ص.ص 20-24. للمزيد ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثاني، حققه ووضع مقدمته وحواشيه: محمّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1974م، ص 128 وما يليها.

[3] "مرسية": بضم أوله، والسكون، وكسر السين المهملة، وباء مفتوحة خفيفة، وهاء، وهو من الذي قبله: مدينة بالأندلس من أعمال تدمير اختطها عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان وسماها تدمير بتدمر الشام، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت، 1977م، ص 107

[4] "غرناطة": بفتح أوله، وسكون ثانيه ثمّ نون، وبعد الألف طاء مهله، قال أبو بكر بن طرخان بن يجمك: قال لي أبو محمّد عقّان الصحيح أغرناطة بالألف في أوله أسقطها العامة... ومعنى غرناطة ثمانية بلسان عجم الأندلس سميّ البلد لحسنه بذلك، قال الأنصاري: وهي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها بشقّها النهر المعروف بنهر قلزم في القديم ويعرف الآن بنهر حدّارة، يُنظر: ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الرابع، ص 195.

[5] "مالقة": بالأندلس مدينة على شاطئ البحر، عليها سور صخر والبحر في قبليتها، وهي حسنة عامرة أهلة كثيرة الديار، محمّد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1، 1975م، بيروت، ص 517

[6] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، المصدر السابق، ص 288-289

[7] أحمد بن محمّد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الأول، حققه، إحسان عباس، دار صادر، 1988، بيروت، ص 447 يذكر لنا ابن عذاري المراكشي في البيان، كتاب صادر من الخليفة العباسي لابن هود في أمور الجهاد والاجتهاد سماه "مجاهد الدين سيف أمير المؤمنين"، راجع: ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، ص 294.

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

مردنيش" الذين استقروا في "بلنسية"^[1] "Valencia"، وأعلنوا طاعتهم لابن هود، وتبعهم أهل "جيان"^[2] "Jean" وأهل "قرطبة"^[3] "Córdoba" و"قرمونة"^[4] "Carmona" وأهل إشبيلية^[5] "Sevilla" أواسط 629هـ/1231م، لكن سرعان ما اضطرت الأوضاع في الأندلس؛ حيث أنّ "السيد أبا زيد عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن" كان حاكمًا على التّغور الشّرقية الأندلسيّة، ولما استولى ابن هود على "مرسية" خرج إليه يحاربه، لكنّه أهُزم، فخرج أهل "بلنسية" رافضين الطّاعة للموحدين، هذا ما حرّز في نفس "أبي السّيد"، فخرج مع أهله بماله، متوجّهًا إلى "خايمي الأوّل" ملك الأراغون ليعقد معه معاهدة⁶؛ جاء فيها تقديم جزءٍ من الأراضي الإسلاميّة التي يستردها أو يفتتحها، معتنقًا بالإضافة إلى ذلك الدّيانة المسيحيّة^[7].

[1] بلنسية: قاعدة من قواعد الأندلس وهي في مستوٍ من الأرض، عامرة القطر كبيرة التجارة والعمار وبها أسواقٌ وتجارات وحط وإقلاع وبينها وبين البحر 3 أميال مع النهر، وهي على نهرٍ جارٍ ينتفع به ويسقى المزارع بها، ينظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثاني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص 556، مدينة عظيمة قد أغلقتها الثمار والأشجار وشجرات السّترول وفيها أنواع التّين ما ليس له نظير في بلاد الأندلس كلها، وهي من طيب الحياة بالأندلس حتّى أنّ الرجل يشتري من التّين الأخضر بربع درهم، أي عبد الله محمد بن أبي بكر بن زهر، كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.س، ص 102

[2] "جيان": مدينة حسنة كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل ولها زائد على ثلاثة آلاف قرية كلها يرى فيها دود الحرير وهي مدينة كثيرة العيون الجارية تحت سورها ولها قصبه من أمنع القصاب وأجصنها، الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المصدر السابق، ص 569

[3] "قُرطبة": كانت دار ملك بني أميّة في الأندلس كلها، وهي مدينة عظيمة... وهي على ضفة النهر المسمى بالوادي الكبير، ينظر: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن زهر، كتاب الجغرافية، المصدر السابق، ص 86.

[4] "قرمونة": مدينة بالأندلس في الشرق من إشبيلية، وبينها وبين "إستجة" خمسة وأربعون ميلاً، وهي مدينة كبيرة قديمة، وهي باللسان اللاتيني "كارب مويه"... وهي بسفح جبل عليها سور حجارة من بنيان الأوّل. ينظر: عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 461.

[5] "إشبيلية": بالكسر ثمّ السكون، وكسر الباء الموحدة، وباء ساكنة، ولام وباء خفيفة، مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس اليوم أعظم منها، تسمى "حمص" أيضاً وبها قاعدة ملك الأندلس وسريه، وبها كان بنو عباد، ولقاهم بها خربت قرطبة، وعملها متصل بعمل "بلبة" وهي غربي قرطبة بينهما ثلاثون فرسخاً وكانت قديماً فيما يزعم بعضهم قاعدة ملك الروم، وبها كان كرسيمهم الأعظم، للمزيد راجع: ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الأوّل، المصدر السابق، ص 193.

[6] لم تُشر المصادر إلى تاريخ إبرام المعاهدة، كما لم تذكر اسم المعاهدة.

[7] عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأعظم، المجلد الرابع، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، 2000م، بيروت-لبنان، ص 217-216، راجع أيضاً: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط3، 1966م، القاهرة، ص 35-36

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

أخذ الأمير المرتدّ بالإغارة على الحصون الأماميّة لـ "بلنسية" مع ملك الأراغون؛ حيث استطاع أن يهزم "البلنسيين" في موقعة "أنيشة"^[1] (ذو الحجّة 634هـ/1237م) حتّى وصل إلى "بلنسية" نفسها أين فرض حصاراً على الأهالي ومنع إمدادات السلطان الحفصيّ "أبي زكريا" من الوصول، لتسقط في الأخير بيد النّصارى في (27 صفر 636هـ/ 9 أكتوبر 1238م)^[2]. أخذت بقية المدن الأندلسيّة تسقط تيّاعاً بيد النّصارى؛ ففي سنة 639هـ/1241م سقطت جزيرة "شقر"^[3] صلحاً، شاطبة ومدن شرق الأندلس "دانية"^[4] "Denia"، "لقنت"^[5] "Alicante"، "أوريولة"^[6] "Orihuela"، "قرطاجنة"^[7] "Cartagena" في شهر رمضان 645هـ/1247م، كما لا ننسى "قرطبة" التي جرت عليها وقائع الدّهر وحُوصرت لأشهرٍ من النّصارى؛ لكنّ "ابن هود" عند وصول صُراخ الأهالي المحاصرين له، جمع قوّاته لمساعدتهم، وعند وصوله إلى "إستجة"^[8] "Écija" رأى أنّه لا طاقة له في الدفاع، وأنّ جموع النّصارى قد

[1] عن معركة "أنيشة" راجع: أحمد بن محمّد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الرابع، حققه، إحسان عباس، دار صادر، 1988، بيروت، ص 473-474

[2] للمزيد من الأخبار عن حصار "بلنسية" ولجوء أهلها للاستصراخ بأبي زكريا الحفصيّ راجع: لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويق قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط2، 1956م، بيروت-لبنان، ص 272-273

[3] "شقر": مدينة حسنة البقاع كثيرة الأشجار والثمار والأثمار وبها ناس وجلة وهي على قارعة الطريق الشارع إلى مرسية، ومن بلنسية إلى جزيرة شقر ثمانية عشر ميلاً، ومن جزيرة شقر إلى شاطبة اثنا عشر ميلاً، الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 556.

[4] "دانية": مدينة بالأندلس، عامرة حسنة لها ريف عامر وعليها سور حصين وسورها من ناحية المشرق في داخل البحر قد بني بمهندسة وحكمة، ولها قصبة منيعة جداً وهي على عمارة متصلة وشجرات تين كثيرة وكروم، وهي مدينة تسافر إليها السفن وبها دار إنشاء السفن ومنها يخرج الأسطول للغزو، الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 557.

[5] "لقنت": بفتح أوله وثانيه، وسكون النون، وتاء مثناة، حصان من أعمال لاردة بالأندلس، لقنت الكبرى، ولقنت الصغرى وكل واحدة تنظر إلى صاحبتهما، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الخامس، ص 21، ولقنت مدينة صغيرة عامرة وبها سوق ومسجد جامع ومنبر ويتجهز منها بالهلفاء إلى جميع بلاد البحر ونقل كثير، وتين وأعناب ولها قصبة منيعة عالية جداً في أعلى جبل يُصعد إليه بمشقة وتعب وهي أيضاً مع صغرها تنشأ بها المراكب السفرية والحراريق، للمزيد ينظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 558

[6] "أوريولة": حصن بالأندلس وهو من كور تدمير... ومدينة أوريولة قديمة أزلية كانت قاعدة العجم وموضع مملكتهم، وتفسيرها اللاتيني، الذهبية، ولها قصبة في غاية الامتناع على قمة جبل، ولها بساتين وجنات كثيرة، عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 67.

[7] "قرطاجنة": هي فرضة مدينة مرسية، وهي مدينة أزلية قديمة لها ميناء ترسى به المراكب الكبار والصغار، وهي كثيرة الخصب والرخاء المتتابع ولها إقليم يسمى "الفندون" وقليل ما يوجد مثاله في طيب الأرض وجوده نحو الزرع، ينظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 558-559

[8] "إستجة": بالكسر ثمّ السكون، وكسر التاء فوقها نقطتان، وجيم، وهاء، اسم لكوره بالأندلس متصلة بأعمال "رية" بين القبلة والمغرب من قرطبة، وهي كورة قديمة واسعة الرساتيق والأراضي على سنجل، وهو نهر "غرناطة"، بينها وبين قرطبة عشرة فراسخ، وأعمالها متصلة بأعمال قرطبة، ينظر: ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 174.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

تكاثر فأيقن استحالة المواجهة، لكن الروايات بقيت تتخبط بين صحّة ما جاء، وبين رواية انقلاب "ابن هود"، وإدباره وقت زحفه لتخليص "قرطبة" لما جاءته استغاثة "أبي جميل زيان" صاحب "إشبيلية"، أمّا في رواية "ابن خلدون" فأثّه لما صالح "ابن الأحمر" ملك قشتالة "ألفونسو الحكيم" خاف "ابن هود" على نفسه وعلى مصالحه من هذا العهد فقرّر أن يعطي ملك النصارى ثلاثين حصناً، على أن يقطع علائقه بـ"ابن الأحمر" وأن يعينه على ملك "قرطبة" فكان ذلك^[1].

ما يهم هو أن "قرطبة" في الأخير سقطت بيد خايمي ملك الأراغون (690-727هـ/1291-1327م)، يوم الأحد 23 شوال من سنة 636هـ/1238م^[2]، ليستولي بعدها "خايمي" على "شاطبة"^[3] "Jativa"، سنة 645هـ/1243م، وتتبعهما في الأخير "مُرسية" الذي قام أهلها بتقديم الطاعة للملك الأراغوني "خايمي"^[4]. وبعد منزلة "إشبيلية" عاماً كاملاً ونحو خمسة أشهر من سنة 646هـ/1244م من قبل صاحب "قشتالة"^[5] "Castilla" تنازل أهلها صلحاً عنها ليتم إجلاء المسلمين من الثغور الشرقية من الأندلس. في خضم الأوضاع العاصفة بالأندلس وبعد ضعف مملكة الموحدين وتنازع الثوار أعقاب ملوك الطوائف على مناطق نفوذ، هل ستستطيع الأندلس الوقوف من جديد بعد أن لاح خطر النصارى الطامعين في استرجاع إرث القوط من جديد في الأفق؟

أولاً-الصراع العسكري للظفر بغرناطة

1-التنافس بين ابن هود وابن الأحمر على غرناطة:

في خضم الأوضاع الجديدة التي طبعها فترة ما بعد "الموحدين" ظهرت إلى جانب شخصية "ابن هود" شخصيات مهمّة استطاعت أن تبرز نفسها على الصعيد السياسي، فبرزت شخصية "أبي عبد محمد

[1] عبد الرحمن بن خلدون، العبر الجزء 4، المصدر السابق، ص 219

[2] محمد عبد الله عنان، تحاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 33-34،

[3] "شاطبة" مدينة بالأندلس عظيمة كثيرة الأشجار والفواكه، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن زهر، كتاب الجغرافية، ص 103، وهي مدينة جبلية متقنة حصينة، لها قصبتان ممتعتان، وهي كريمة البقعة كثيرة الثمار عظيمة الفائدة والهواء، وهي قريبة من جزيرة شقر، عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 337

[4] أحمد بن محمد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الرابع، ص 472

[5] "قشتالة" إقليم عظيم بالأندلس، قصبته اليوم طليطلة، وجميعه اليوم بيد الإفرنج، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الرابع، ص 351، تقع في ما خلف الجبل المسمى "الشارت"، في جهة الجنوب يسمى "إسبانيا"، وما خلفه من جهة الشمال سمي قشتالة، عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 483، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن زهر، كتاب الجغرافية، ص 104-105

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

ابن يوسف بن الأحمر^[1] (635-671هـ/1238-1273م) أقلّ نجمه في الظهور على ساحة الأحداث منذ سنة 629هـ/1232م، وتعود أصوله إلى "أرجونة"^[2] "Arjona" من حصون "قرطبة"، ولهم فيها سلف في أبناء الجند ويُعرفون بـ"بني نصر"، ويُنسبون إلى "سعد بن عبادة" سيّد الخزرج^[3]، وكان كبيرهم لآخر دولة الموحّدين "محمد بن يوسف بن نصر"، ويُعرف بالشيخ، وأخوه إسماعيل، وكانت لهم وجهة في ناحيتهم^[4].
في سنة 630هـ/1233م، أطاعته "جيان"، واشتهر ظهوره في كلّ مكان^[5]، كما أطاعته "شريش"^[6] "Jarez"، وعُرف بـ"الشيخ" ويُلقّب "أبا دبوس" دعا للخليفة "أبي زكريا" صاحب إفريقيّة لأول الأمر^[7] على أنّه حذا حذو "ابن هود"، وقد كان هذا الولاء يخدم الطّامحين في قيام دعوتهم، فـ"محمد بن يوسف بن نصر" ابن الأحمر كما وصفه "ابن الخطيب": "جندِيّ ثغريّ شهيمٌ، جافي السّلاح، شديد العزم، فظٌّ في طلب حقّه، مُباشِرٌ للحروب بنفسه، تتغالى الحُكَاة في سلاحه"^[8]. كما أطاعته "قرطبة" في نفس السّنة في الوقت الذي عقد فيه "ابن هود" السّلم مع التّصاري على أن يدفع لـ"ألفونسو التّاسع" ألف دينارٍ كلّ يوم^[9]، لكنّ

[1] "أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن حميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري"، سلطان الأندلس، ودائلها، وجذم الأمراء التّصريّين بها، يُلقب بالغالب بالله، نشأ بأرجونة من كنبانية قرطبة، أطيب البلاد مدرّة وأوفرها غلّة في ظلّ نعمة وعلاج فلاحه، وبين يدي نجدة وشهرة، بحيث اقتضى ذلك أن نبض له شريان طلب الملك، وانطوت أفكاره على تأميل أمر الرياسة، وآه مرتادو أكفاء الدول أهلاً، فقدحوا رغبته، وأثاروا طمعه، ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، اللمحة البدوية في الدولة التّصريّة، دراسة وتحقيق: محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، ط1، 2000 م، بيروت-لبنان. ص 67.

[2] "أرجونة": مدينة أو قلعة بالأندلس، إليها يُنسب محمد بن يوسف بن الأحمر الأرجوني من متأخري سلاطين الأندلس، عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 26.

[3] سعد بن عبادة، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ابن سليمان ابن حارثة بن خليفة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة ابن عمر بن يعزب بن يشجب بن قحطان بن هُميسع بن مُن بن نبت بن إسماعيل ابن إبراهيم، لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثّاني، المصدر السابق، ص 92

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر الجزء 4، المصدر السابق، ص 218

[5] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحّدين)، المصدر السابق، ص 296

[6] "شريش": أوله مثل آخره، بفتح أوله، وكسر ثانيه، ثمّ ياء مشناة من تحت، مدينة كبيرة من كورة شدونة، وهي قاعدة هذه الكور، واليوم يسمونها شرش، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الثّالث، ص 340.

[7] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر الجزء 4، المصدر السابق، ص 218

[8] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثّاني، المصدر السابق، ص 94، لسان الدين ابن الخطيب، اللمحة البدوية في الدولة التّصريّة، المصدر السابق، ص 67-68

[9] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحّدين)، المصدر السابق، ص 303

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

أهالي "قرطبة" خرجوا عن طاعة "ابن الأحمر" مُقدّمين ولاءهم لـ"ابن هود"، ذلك في سنة 631هـ/1234م، ف وقعت المقابلة بين "ابن الأحمر" و "ابن هود"^[1].

استند "ابن الأحمر" على عصبية "بني الأشقيلولة" أصهاره الذين ذاع صيتهم، فقد كان الدّاعي من المصاهرة هو تثبيت وإحكام سيطرته، ثمّ أنّ "ابن الأحمر" صاهر "أبا مروان الباجي" الثائر بـ"إشبيلية" على "ابن هود"، فداخله "ابن الأحمر" في الصّلح. وفعلاً استطاع الأخير بحنكته أن يدخل "إشبيلية"^[2] ويقتل صهره "ابن الباجي"، وكان من تولّى مهمّة قتله كما جاء في حديث ابن خلدون: صهرُ ابن الأحمر "أشقيلولة"^[3] والغرض من قتله واضحٌ في إحكام سيطرته على الثّغور الأندلسيّة الباقية دون منافس، ليتفرّغ لمنافسه "ابن هود"، لكنّ "ابن الأحمر" ما لبث في البقاء بـ"إشبيلية" مدة شهر متحصّناً على قصبتهما حتّى أخرجه أهلها منها وطرده، ثمّ جدّدوا لأبي عبد الله محمّد بن يوسف بن هود بيعةً أخرى^[4].

جرت وقائع شهيرة بعدها بين "ابن هود" و"ابن الأحمر"، ألحق فيها "أبو عبد الله ابن نصر" الهزيمة بـ"ابن هود" آخر سنة 633 أو 634هـ/1239-1240م^[5]، وفي سنة 635هـ/1237م، قُتل "ابن هود" على يد "عبد الله أبي محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عبد الملك الأمويّ الرميّمي" والملقب بـ"ذي الوزارتين"، والذي ولّاه "المريّة"^[6] "Almeria". من عمله^[7] يذكر "ابن عذاري" سبب فتك "ابن الرميّمي" بـابن هود؛ أنّ الأخير عاهد زوجته ألاّ يتخذ عليها امرأةً، لكنّه أثناء ملكه لبلاد الأندلس جاءت في جملة السببايا رومية من أجمل نسائهم، فأودعها عند "ابن الرميّمي" صاحب "المريّة" لكن الأخير أعجب بها وأخذها لنفسه، فدبّر الحيلة لقتل سيّده، ولما سمع "ابن هود" بالخبر تحرك إلى "المريّة" بعد أن كان متوجّهاً نحو "أغرناطة" بعد شيوع خبر "ابن الأحمر" فيها^[8]... نعود لأخبار "ابن الأحمر"، حيث أنّه قبل وفاة "ابن هود" كان قد ولى

[1] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، المصدر السابق، ص 309

[2] يذكر "ابن عذاري" في روايته أنّ "ابن الأحمر" استطاع أن يدخل "إشبيلية" سنة اثنين وثلاثين وستمائة بعمل حيلة مدبرة فقتل شيخها "ابن الباجي" غدراً ومكراً، ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، المصدر السابق، ص 330

[3] عبد الرحمن بن خلدون، العبر الجزء 4، المصدر السابق، ص 218

[4] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، المصدر السابق، ص 330

[5] لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، المصدر السابق، ص 279

[6] "المريّة": بالفتح ثمّ الكسر، وتشديد الياء بنقطتين من تحتها، مدينة كبيرة من كورة البيرة، من أعمال الأندلس، وكانت هي و بجانة بابي الشرق منها يركب التجار وفيها تحلّ مراكب التجار، وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب، يضرب ماء البحر سورها، ويعمل بها الوشي والديباج فيجداد عمله، ينظر: ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الخامس، ص 119.

[7] عبد الرحمن بن خلدون، العبر الجزء 4، المصدر السابق، ص 218

[8] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، المصدر السابق، ص 341

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

على "غرناطة" "عتبة بن يحيى المغيلي" الذي كان يخطب في الناس بمساوى "ابن الأحمر"، فحدثت بينهما العداوة، لكن "عتبة" هذا جرى في عهده ظلم الرعية، وأغاظ أمره أهل غرناطة، فاجتمع من الأعيان: "محمد" و "أبو محمد" ابنا "خلف ولجو" مع أربعين رجل، وفي الضحى أشهروا سيوفهم وقتلوا "ابن عتبة"^[1] لينتهي بذلك عهد "بني هود".

2- تغلب ابن الأحمر على غرناطة وبداية مرحلة التأسيس:

لما وفد "ابن الأحمر" على "غرناطة" بعد مقتل صاحبها "ابن عتبة"، أنشأ له البيعة "أبو الحسن الرعيني"^[2] وبإيعه "ابن أبي خالد" من "جيان"، فبادر إلى "غرناطة" في أواخر رمضان من عام 635هـ/أفريل 1238م، بعد أن بعث إليه الملاء من أهلها بيعتهم مع رجلين من مشيختهم: "أبو بكر الكاتب"، و "أبو جعفر التيزولي".

أقبل "ابن الأحمر" على غرناطة في زيّ التقشّف، يخرّف الثعل ويلبس الخشن، دخل غرناطة عند غروب الشمس، يذكر ابن الخطيب على لسان "أبي محمد البسطي" قوله: "عاينته يوم دخوله وعليه شاشية ملّفة مضلعة أكتافها مخرّقة، وعندما نزل بباب جامع القصبه، كان مؤذن المغرب في الحيلة، وإمامه يومئذ أبو المجد المرادي قد غاب؛ فدفع الشيخ السلطان إلى المحراب، وصلّى بهم على هيئته تلك، بفتحة الكتاب و "إذا جاء نصر الله والفتح"، والثانية ب "قل هو الله أحد" ثم وصل قصر باديس والشمع بيديه^[3]؛ فهو آية من آيات السذاجة، رافضاً الدعة والراحة، مؤثراً التقشّف والاجترأ بالقليل، بعيداً عن التصنع^[4]. أمّا عن التقشّف فهو مظهر من مظاهر الحفاظ على الملك، يقول "ابن الأزرق": "حالة الاقتصاد في النفقة والتعفف عن الأموال، وذلك في أول الدولة حين تكون أخلاقها البدوية مقتضية لذلك، ومُتجافية عن خُلق الكيس في جمع الأموال"^[5].

[1] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، ص 342

[2] نفسه، 342

[3] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 98، ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار

الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، المصدر السابق، ص 343

[4] لسان الدين بن الخطيب، الملحمة البدرية في الدولة التصرّية، المصدر السابق، ص 68

[5] أبو عبد الله ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، الجزء الثاني، تحقيق وتعليق: علي سامي النشار، دار السلام، ط1، 2008م،

الإسكندرية، ص 653

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

بأشّر "ابن الأحمر" أمور مملكته فشرع في الحصول على العمّال، يباشّر للحسابات بنفسه، فتوقّر ماله، وغيّصت خزائنه، وشرع في تقديم الصدقة الجارية للفقراء^[1]، وعقد السلم الكبير، فعاش الرعيّة في كنفه في نعمة الرّخاء بعد أن ملأ الجبل المتصل بالقلعة حبوبًا وسلاحًا، مستعدًّا للقادم؛ حيث أنّ مملكته الفنيّة كانت في بداية أمرها^[2]، وما يُثبت صبره وتحمّله للصّعاب ما وصفه به "ابن الخطيب" بقوله: "جنديّ، ثغريّ، شهيم، أيّد، عظيم التجلّد، مرهوب الإقدام، عظيم التشمّر، مُحمي لقربانه وأقرانه وجيرائه^[3]"، في سنة 636هـ/1238م، "ركب" ابن الأحمر "إلى موضع الحمراء، وأجال فيها نظره وخطّ أساس الحصن، وجعل فيه من حفره، وما تمّت السنة إلا والحصن مشيّد البناء حصينه، وقد جاءه من ماء الوادي برفع سدّ وحفر ساقية معينة^[4]". هذه المرحلة تعبّر عن الطور الأوّل من (الدولة)، وهو كما صنّفه علماء الاجتماع والسياسة "طور الظفر بالبُغية والاستيلاء على الملك"، يقول ابن الأزرقي: "يكون فيه صاحبُ الملك أسوة قومه في اكتساب المجد وجباية المال، والمدافعة عن الحوزة، لا ينفرد دوتهم بشيء، ولأنّ ذلك مقتضى العصبية التي وقع بها الغلب، وهي لم تزل بعد بحالها^[5]"، عقد للناس مجلسًا عامًا، يومين في كل أسبوع، فترفع إليه المظلمات، ويُشافه طالب الحاجات^[6].

ما ثبت في شخص "ابن الأحمر" ينم عن حسن معاملته للرعية، وهذا ما يثبت قول "ابن الخطيب" بعيدًا عن التصنع"، يقول الطرطوشي: "إصلاح الرعيّة خير من كثرة الجنود^[7]". ولما اتسعت رقعة "ابن الأحمر" وانضوت تحت سلطته الكثير من المدن، كان على السّلطان أن يكتفّ جهوده في الحفاظ على مملكته، خصوصًا أنّ التّصاري كانوا متربّصين جاهزين للهجوم في أي لحظة، ثمّ الحاصل أنّ السّلاطين في بداية حكمهم كانوا يقدّمون ولاءهم للسّلاطين ذوي النفوذ والقوّة، بحيث أنّ هذا الولاء والطاعة أوقات الأزمات سيكون له دور كبير، وعليه فإنّ سلطان "غرناطة" الجديد سيكون عليه أمام الأوضاع الجديدة تقديم ولاءه وبيعة أهل غرناطة و"مالقة" و"جيان" وسائر البلاد للأمير "الرّشيد الموحديّ"؛ فوصلته المخاطبات الرّشيدية بالشّكر على مبادرته، وقوي أمره، وفي سنة 639هـ-640هـ/1239-1240م لما توفي "الرّشيد" ونابه "السّعيد"

[1] أبو عبد الله ابن الأزرقي، بدائع السلك في طبائع الملك، الجزء الثاني، ص 68

[2] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 95

[3] نفسه، ص 94

[4] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، المصدر السابق، ص 349

[5] أبو عبد الله ابن الأزرقي، بدائع السلك في طبائع الملك، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص 687

[6] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 95

[7] أبو بكر محمّد بن الوليد الفهري الطرطوشي، سراج الملوك، المجلد الأوّل، حققه وضبطه وعلّق عليه ووضع فهرسه: محمّد فتحي أبو بكر،

تقديم: شوقي ضيف، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1994م، القاهرة، ص 459

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

على رأس الحكم، قاطع "ابن الأحمر دعوته، وتوجّه لمبايعة "أبي زكريا بن أبي حفص" بتونس، وتوجه بهذه البيعة "أبو بكر ابن عيَّاش شيخ "مالقة" و"أبو جعفر التنزولي"، وبعث إليه الأمير "أبو زكريا" أموالاً كثيرةً برسم أن يستعينَ بها المسلمون على الجهاد^[1]؛ فلا تنمّ هذه السياسة والمصانعة إلا عن فطنته وذكائه في توطيد علاقات تخدم بلده ورعيته.

لما ذاع صيت "ابن الأحمر" في الأندلس في الوقت الذي عانى الرعية الأمرين من حكم بقايا ملوك الطوائف، أو خوفاً من التصاري المتسابقين لانتزاع بقية المدن الأندلسية. قدم وفد على سلطان بني نصر من وجوه "مالقة" يبايعونه، وكانت البيعة من إنشاء "ابن عسكر"^[2]، كما تغلب على "المرية" التي كانت بيد عامل "ابن هود"، "ابن الرمي" سنة 643هـ/ 1245م، وبايعه أهل "الورقة" سنة 663هـ/ 1265م^[3]، وحدث في فترة حكمه وقائع مع التصاري سنفصلها بين مهادنة ومقارعة، فهل ستسغفه الأوضاع في إكمال مشروعه التأسيسي؟

3- عقد الهدنة بين ابن الأحمر والنصاري "والخضوع لفريضة الجزية":

بعد تملك "ألفونسو التاسع" أحوال مدينة "قرطبة"، "إشبيلية"، من أيدي "ابن هود"، وزحف ملك الأراغون "خايمي الأول" وإخضاعه للتغور الشرقية "شاطبة"، "دانية"، "بلنسية"، "سرقسطة"^[4] "Zaragoza/Saragosa"، أصبحت ولايات الأندلس الشرقية والوسطى كلها بيد التصاري؛ ذلك في منتصف القرن السابع/ الثالث عشر الميلادي، كما ذكرنا ليتفرد "أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر" بغرب الأندلس وتَنطوي تحت إمرته العديد من الحصون، في هذه الفترة المتأزمة في الأندلس، كانت الحروب الصليبية قد بلغت ذروتها بمباركة الكنيسة التي دعمت ملك "قشتالة" و"ليون" مادياً وروحياً؛ لتجنيد القوى البشرية^[5].

[1] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، المصدر السابق، ص 357-358

[2] نفسه، ص 349

[3] أحمد بن محمد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 448

[4] "سرقسطة": من مدائن الأندلس، وهي مدينة عظيمة قديمة البناء، يُقال أنّها من بُنيان القُسطنطين الذي كان على عهد محمد صلى الله عليه وسلم، ومن عجائب هذه المدينة أنّها مردومة، وسورها من الكدّان المنجور.. ارتفاعه في خارجها أربعون ذراعاً وأقل.. وديارها كلها بارزة على أسوارها، وتسمى بالمدينة البيضاء، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن زهر، كتاب الجغرافية، ص 81.

[5] Luis Suarez Fernández, Las guerras de Granada (1246-1492) Transformación e incorporación de al-Ándalus, Editorial Ariel, 1ª edición, Barcelona, 2017, P. 14

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

لما علم "أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر" بما أحدثته الجيوش النصرانية في أحواز "جيان" وبعد أن اشتدَّ عودُه، قرَّر تجهيزَ جيشٍ لمحاربتهم، فحاصر قلعةً "مرتش" "Martos" عام 636هـ/1238م وضيق عليها الخناق، لكنَّ النَّصارى هرعوا لنجدتها بسرعةٍ واضطرَّ السلطان النَّصريُّ لرفع الحصار؛ حيث اشتبك مع حاميةٍ للنَّصارى يقودهم "رديغو أونسو" وهو الأخ الغير شرعي لـ "فرناندو الثالث" فهزمهم "ابن الأحمر" هزيمةً شديدة، وقُتل فيها قائد "مرتش" وعدَّة من أكابر الفرسان وأحبار "قلعة رباح" "Calatrava"^[1] وكان من الطَّبيعي كردَّة فعلٍ من النَّصارى الانتقام لما حدث وردَّ الضربة، إذ لما خلاص الملك "فرناندو الثالث" من انتزاع "مرسية" من بين أيدي المسلمين، قرَّر الاتجاه نحو "غرناطة" وحاصرها، لكنَّه ارتد عنها ذلك عام 642هـ/1244م^[2]، وفي سنة 643هـ/1246م لما لحق الضَّرر بـ"غرناطة" وخاف "ابن الأحمر" من إعادة الكرَّة خاصَّة وأنَّ مملكته الفتية لم تتمكن بعد من استجماع قوتها، وجيشها لم يكن ليصل قوَّة النَّصارى، فقرَّر مصانعتهم بعقد السِّلْم معهم^[3] ليستمرَّ سريان المعاهدة المنصوص عليها مدَّة عشرين سنة، لكنَّ هذا الصُّلح لم يشمل أهل "إشبيلية" الذين أبوا الدخول فيه، لكنَّهم صالحوهم على مالٍ معلوم في العام إلى أن أعطوهم القصبه وأشركوا المدينة معهم ثمَّ أخرجوهم منها^[4].

ومن أهم قرارات الصُّلح المنعقدة بين الطَّرفين، تَبعية غرناطة لملك "قشتالة"، على أن يحترم الطرفان خصوصية كلِّ منهما، وإمكانية الشَّرَاكة الاقتصادية وحرية التَّبادل التجاري للأسواق العالمية كترويج "الذهب"، "الحرير"، "الأدوية"، وأن يقدم جزيةً سنوية قدرها مائة وخمسون ألف قطعة ذهبية (دوبلاس)، وأن يشهد اجتماع مجلس قشتالة التَّيَّابي (الكورتيس)^[5]، كما يتنازل عن مدينة "جيان" و"أرجونة"، و"بركونة" "Porcuna" و"بيغ" "Preigo" و"الحجار" "Higuera" و"قلعة جابر" و"صالحة"^[6] وذلك سنة 644هـ/1246م^[7]، وهكذا بدأت القواعد المتبقية من الأندلس تحوي الواحدة تلو الأخرى بيد ملك قشتالة، ففي سنة 645هـ/1247م استطاع الأخير أن يأخذ المدن الواقعة في شرق "إشبيلية" بعد الحصار، وأرغم

[1] محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 42

[2] محمد كمال شبانة، يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004م، القاهرة، ص 23

[3] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 99

[4] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، المصدر السابق، ص 367

[5] Luis Suarez Fernández, Op.Cit, p. :20

[6] "صالحة": حصن به مياه صالحه، من أعمال مدينة المنكب، يُنظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 565.

[7] ابن أبي الزرع الفاسي، الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972، ص 68

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

أهلها بتسليمها بالسيف، فوقعت "قطيانية"^[1]، "حرمي"، "غليانة"^[2] "Guillena"، "الرسين"، "شعتس"، "القلعة"^[3]، "القليعة"^[4]، "حصن القصر"، كما قدم له "ابن محفوظ" مدينة "طلبيرة"^[5] "Talavera"، "العلي"، "شلب"^[6] "Silves"، "الجز"، "الخرانة"، "مرشوشة"، "بطرنة"^[7]، "الحرّة"^[8].

نصّت بنود الاتفاقية المبرمة بين النصارى والمسلمين؛ على إمداد النصارى بقوة عسكرية غرناطية متى احتاجت لذلك، وفعلاً تحقق ذلك حيث أن النصارى استفادوا من الغرناطيين أثناء غزوهم لاشبيلية الذي استمر لسنتين (644هـ-646هـ/1246-1248م) فقد أمدّ "ابن الأحمر" عددًا من الجند الغرناطيين فُدّروا حسب أحد الباحثين الإسبان بمخمسمائة فارس، لتقع "إشبيلية" في الأخير بيد "فرناندو الثالث"^[9]. وصف المسلمون هذا التواطؤ بالخيانة والغدر ذلك أنّ صاحب غرناطة باع نفسه للنصارى، في المقابل يعتبره "ابن الأحمر" تضحيةً في سبيل تخليص "غرناطة" من السقوط بيدهم، ومن الممكن أن يكون طموح "ابن الأحمر" في تهدئة الأوضاع مؤقتًا حتى تقوى مملكته الفتية، ليسترجع ما ظفر به النصارى.

وفي سنة 649هـ/1251م، أعطى الوزير "أبو خالد" صاحب "شريش"^[10] "Jerez" ألفونسو مدينة "أركوش"^[11] "Arcos"، وحصن "فريس"، وحصن "تنكر"، و"الأقواس"، وفي نفس السنة تمكّن

[1] "قطيانية": من أحواز إشبيلية يُنظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 573

[2] "غليانة": مدينة بجزيرة صقلية، كان نزل عليها المسلمون سنة خمس عشرة ومائتان، زمن زيادة الله بن الأغلب ملك القيروان، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الثالث، ص 429.

[3] "القلعة": مدينة في أحواز وادي الحجارة، في شرق مدينة طليطلة، يُنظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 553.

[4] "حصن القليعة": من أحواز إشبيلية، وهو على ضفة النهر الكبير يجاز إليه بالركب، الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 573.

[5] "طلبيرة": أقصى ثغور المسلمين، وباب من الأبواب التي يدخل منها إلى أرض المشركين، وهي قديمة أزيلت على نهر "تاجة"، وهي في الجزء الثالث من قسمة قسطنطين، وهي مبنية على جبل عظيم، يخرج من تحت عين خراة، يطحن على جريها عشرون رحى، عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 395.

[6][6] "شَلْب": بكسر أوله، وسكون ثانيه، وآخره باء موحدة، وهي مدينة بغربي الأندلس بينها وبين باجة ثلاثة أيام، وهي غربي قرطبة، وهي قاعدة ولاية أشكونية، وبينها وبين قرطبة عشرة أيام للفراس، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الثالث، ص 357.

[7] "بطرنة": من أعمال ألمرية، تبعد عن مدينة عذرة بستة أميال، وبها معدن التوتيا، التي فاقت جميع معادن التوتيا طيباً، الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 564.

[8] ابن أبي الزرع الفاسي، الذخيرة السنينة في تاريخ الدولة المرينية، المصدر نفسه، ص 70

[9] Luis Suarez Fernández, Op.Cit, p.p : 20-21

[10] "شريش": مدينة متوسطة حصينة مسورة الجنبات، حسنة الجهات وقد أطافت بها الكروم الكثيرة وشجر الزيتون والتين والحنطة بما يمكنه وأسعارها موافقة، تبعد عن إشبيلية بمرحلتان كبيرتان جداً، الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 572.

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

"قرمونة"، "القلعة"، "القلعة"، "شلوقة"^[2] "San lucar"، "غليانة"، و"روطة"^[3] "Ruia"، وجميع حصون الوادي، وحصن "الفرج"، كما وقعت مدينة "أريولة" وأحواؤها بيد النّصارى^[4] وكلّ ذلك بمساعدة من "ابن الأحمر".

أمام ضغوطات قوى المسيحيين المتحدّة تحت راية الصّليب، لم يبق للمسلمين غير منفذ وحيد وهو الاستنجاد ببني جلدتهم للدفاع عن آخر معقل في الأندلس، وأيقن "ابن الأحمر" أنّ المعاهدة مع النّصارى (أنظر الملحق رقم: 01) غير آمنة وخاف من كيدهم فاهتدى إلى فكرة الاستنجاد بقوة بني مرين للخلاص من تبعيّة النّصارى^[5]. ربما صحا ضميره في الأخير عن التعاقد مع العدو كما نرى، من جهةٍ أخرى لقد ساعدت هذه الاتفاقية كثيراً النّصارى؛ حيث من المعلوم أنّ منطقة الأندلس اشتهرت منذ القدم بروج اقتصادها عبر منافذ تجارية في مدنها السّاحلية، وشهرة مناطقها كـ"جبل الفتح"، "الجزيرة الخضراء"، "وادي آش"، "مالقة"، "المريّة"، والكثير من المدن التي ستعرف صراعاتٍ عسكريّة كثيرة، باعتبارها مناطق حيويّة، كما أنّ عائدات الجزيرة ستدر الكثير على ميزانية القشتاليين وتكون عوناً لهم في دعم اقتصادهم، وتكثيف النشاط الحربيّ. وهذا تُثبتته الأحداث مستقبلاً.

ثانياً: الصّراع العسكريّ بين بني مرين والنّصارى.

بعد انقراض أمر الموحدين بالمغرب، تربع على عرش "المغرب" قبيلة "بني مرين"⁶ بقيادة عصبية "بنو عبد الحق" الزناتيين بقيادة "يعقوب بن عبد الحق"¹ (656-685هـ/1258-1286م) الذين قويت شوكتهم.

[1] "أركش": حصن تابع لإقليم البحيرة، الذي يضم: جزيرة طريف، الجزيرة الخضراء، جزيرة قادس، بكة، شريش، وطشانة، مدينة ابن سليم، والعديد من الحصون، الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 536.

[2] "شلوقة": حصن بقرب سرقسطة من الأندلس، ينسب إليه علي ابن إسماعيل بن سعيد بن أحمد بن لب بن حزم الخزرجي، ينظر إلى: ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الثالث، ص 359.

[3] "روطة": بضم أوله، وسكون ثانيه، وطاء مهملة، حصن من أعمال سرقسطة بالأندلس، وهو حصن جداً على وادي شلون، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الثالث، ص 96.

[4] ابن أبي الزرع الفاسي، الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينيّة، المصدر السابق، ص 79

[5] Luis Suarez Fernández, Op.cit, p.p :27-28

⁶ تنتسب دولة بني مرين إلى فخذ قوي من قبيلة زناتة التي تسكن الصحراء، وينتقلون ما بين ملوية وسجلماسة، أي من القبائل الرحل، كانت لهم اتصالات قوية حيناً آخر بالدول التي تحكم المغرب، وكانت أول مشاركتهم الفعلية في موقعة الأرك عام (561هـ/1195م)، كان دخولهم للمغرب منذ عام 610هـ-1212م، من جهة أكرسيف، كانت لهم وقائع مع جيوش الموحدنين دامت لثمانية وخمسين سنة، انتهت بدخول أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق رسمياً إلى مراكش ذلك سنة 668هـ/1269م، معلناً قيام دولة بني مرين، ينظر: ابن أبي الزرع الفاسي، الذخيرة السننية في

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

من صنع القدر أنّ ما حدث في الأندلس أيام حروب الاسترداد قد تزامن مع قوّة المرينيين في العصرين الأول والثاني، ثمّ أنّ "الزناطين" جُبلوا على تلبية نداء الجهاد منذ عهد "المرابطين" و"الموحّدين" فأجازوا بحر "الزقاق" لاستنصار الدّين وحققوا انتصاراتٍ شهدت لها "وقعة العقاب"، و"الأرك".

1- أوضاع غرناطة قبيل جواز بني مرين:

بدأت بوادر الاستغاثة منذ عهد المؤسس "أبي عبد الله محمد ابن يوسف بن الأحمر"، لما استفحل أمر النّصاري وغصّت شروط الملك "ألفونسو" حلق "ابن الأحمر"، لجأ بالصّريخ إلى ما راء البحار.

ينفرد "ابن عذاري المراكشي" برواية يمكن أن نستنتج منها السّبب المباشر في الاستصراخ بـ"بني مرين"؛ ذلك أنّ "ابن الأحمر" لما عقد مع النّصاري الصّلح منذ سنة 643هـ/1246م، وبعد انقضاء المدّة المتفق عليها أثر تجديده بما تقتضيه الظروف لضمان أمن رعيّته، فكان أن توجه سلطان "غرناطة" لـ"إشبيلية" قبل تمام عقده معهم، ولعلّ السّبب في ذلك أنّه توجس خيفةً منهم أن يتحركوا ضده، خصوصاً وأنّ النّصاري قد نشطت غزواتهم اتجاه الحصون الإسلاميّة فأصبحت تهوي تبعاً، وعندما صمّم "ابن الأحمر" إعادة ربط علاقة السّلم مع النّصاري ثانيةً بعد انقضاء عشرين سنةً إلّا سنة تقريباً، أي في سنة 662هـ/1264م، فانصرف عن غرناطة متوجّهاً لبيت النّصاري بـ"إشبيلية" يجزّ خلفه جيشاً قدر بخمسمائة فارس رفقة قوّاده والرؤساء من "بني الأشقيلولة" أصهاره، نزل خارجها بالصّهرج الأحمر فخرج له "ألفونسو" وحلف عليه بالدّخول فنزل بـ"العبادية"، منها رفقة صهره "أبو محمد" و"أبو إسحاق" يصحبهم مجموعةً من الفرسان ورجال غرناطة، وحين دخولهما عمل النّصاري على الزقاق الذي نزل فيه حُشِباً مُسمّراً على الدروب لمنع الخيل من المرور، فاتّصل الخبر بـ"ابن الأحمر" فخاف على نفسه، ودبّر حيلةً للخروج هرباً بجيائه مع رؤسائه وأنجاده، وأمر رجاله بكسر تلك الأخشاب، فخرج من الزقاق متأهباً للرحيل، فتبعه ملك النّصاري حالفاً بأنّ ما حدث

تاريخ الدولة المرينية، المصدر السابق، ص 14 وما يليها، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، الجزء الثالث، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري، مجلّد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ص 3 وما يليها. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر الجزء 7، المصدر السابق، ص 166.

¹ هو "يعقوب بن عبد الحق بن محيو من أم حرة اسمها ذاكية مباركة بنت محلي البطوي الزناتي، ولد في 607هـ/1210م، كان معتدل القامة جميل الصورة محباً للعلماء والقراء متواضعاً، وكان شديد التدين كثير الصوم، بويع له بالخلافة بفاس عام 656هـ/1258م، استولى على الحصون التي كانت تابعة للموحّدين، إلى أن استولى على عاصمتهم، ينظر: ابن أبي الزرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، المصدر السابق، ص 30 وما يليها.

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

كان شرّاً للشرّاق، لكن "ابن الأحمر" رجع مغاضباً بدون عقدٍ ولا اتّفاق، فأيقن في الأخير خطورة الوضع، فأمر بتحسين مملكته مُجهّزاً نفسه لأيّ ظرفٍ طارئٍ سيحلّ عليه بعدما حدث^[1].

واصل ملك النّصارى "ألفونسو" غزواته نحو أهل شرق الأندلس، ووجّهوا أنظارهم نحو "مرسية"، فقد حدث أنّ أهلها كانوا قد نزلوا للنّصارى على قصبتهم وصالحوهم على مالٍ معلومٍ مقابل أمانهم، لكنّ النّصارى أذاقوا أهلها التنكيل والاضطهاد، فلم يروا بُدّاً من الخلاص غير مبايعة "ابن الأحمر" واستنجداهم به لتخليصهم من ظلم النّصارى، فعَيّن سلطان "غرناطة" الرئيس "أبا محمّد ابن أشقيلولة" والياً عليها، لكنّ النّصارى سرعان ما سمعوا بما حدث فزحفوا إليها وحاصروا "ابن أشقيلولة"، واستصعب عليه أمرهم فقرّر منها، فلم يجد الأهالي من ولى ولا نصير، وطال حصارهم وقُتل حُماتها وأنجأدها، حتّى أذعنوا للسّلم وطلب الأمان، بعد أن سكنوها نيف عشرين سنة^[2].

كانت الأوضاع مضطربةً في المغرب في تلك الفترة؛ حيث انشغل "يعقوب بن عبد الحق" المرينيّ بحروبه مع سلطان تلمسان "يغمراسن بن زيان" وضبط أمر قبائله داخليّاً؛ لكن بقي حال الأندلس يشغل تفكيره، وعزم على تقديم جيشه للجهاد فيها، لكنّه اشترط قبل الجواز على سلطان "غرناطة" أن يتنازل له عن بعض الحصون بقصد استغلالها كمراكزٍ عبوريّة، وكان الاتّفاق على ذلك، وأمر "السّلطان المرينيّ" بإجازة المجاهدين وبني مرين والمتطوعين للجهاد من أهل المغرب، وقدم عليهم "محمّد بن إدريس بن عبد الحق" وأخاه "عامر بن إدريس" وقد رافقهم "الحاج المجاهد التاهرتي" مستنفرين برجال وإنجاد من المغرب يزيدون عن "ثلاثة آلاف" بين فارسٍ وراجلٍ، فأكرم السّلطان "أبو عبد محمّد ابن يوسف بن الأحمر" نُزُهم وحفاهم بالاستقبال، وذلك سنة 662هـ/1263م، عاقداً لهم السّلطان المرينيّ رايته المنصورة، وجّههم بالحيل والعدّة، ثمّ كتب إلى الفقيه "أبي القاسم العزفي" لتجويزهم من "سبتة"، وهو أول جيشٍ جاز للأندلس برسم رُدع النّصارى عن إلحاق الأذى بالمسلمين بالغارات والسّي^[3]، وفي نفس السنّة أغار النّصارى على "غرناطة" وأراد انتزاعها، لكنهم ولّوا أديبارهم خائبين، وأول نشاطٍ دأب فيه الغزاة المغاربة على أرض الأندلس، أن استعادوا مدينة "شريش" بالسّيف في ريضها وهذا بقيادة "محمّد بن إدريس بن عبد الحق" ليقوم بإخراج النّصارى عن قصبتهما في الثّالث عشر من

[1] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، المصدر السابق، ص 430-431.

[2] نفسه، ص 432.

[3] ابن أبي الزرع الفاسي، الذخيرة السنينة، المصدر السابق، ص 98

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

شهر شوال لنفس السنة^[1]، وحدث في هذه السنّة أن أغار النّصارى بقيادة "دون جيل" على "إستجة" وانتزعوها من صاحبها "ابن يونس" وأحموا فيها القتال وسبوا النّساء وقادوا خلقاً كثيراً للأسر، فخرج أهلها منها^[2]، وفي السنّة الموالية أي سنة 663هـ / 1264م، عاد الملك "ألفونسو القشتالي" إلى سياسته القاضية بإجلاء المسلمين من الأندلس عبر شنّ هجوماتٍ على الحصون، فوقع الصّريح وخاف النّاس على أرواحهم وتضرّعوا للبارئ الواحد الأحد.

ومع تصاعدٍ وتيرة الخوف، قرّر الفقيه "أبو القاسم العزبي" أن يبعث برسائلٍ لأهل العدوّة لاستنصار أهل الأندلس^[3]، فلم تتوقّف تحرّشات النّصارى على الحصون والأقاليم التّابعة لغرناطة، إلى أن عزم "ابن الأحمر" ردّ الضربات بمواجهةٍ عسكريّةٍ مع النّصارى، لكنّه وليّ بخفيّ حُنين، حيث حقّق "دون نونيو" قائد جيوش النّصارى انتصاراتٍ عديدةٍ أمام جيوش "غرناطة" ليُشيع بصره بعدها على "مالقة". وبحلول سنة 664هـ / 1266م تحركت جيوش النّصارى باتجاه غرناطة لتعيد تضييق الحصار عليها^[4]، أمام هذا الواقع المرير وضُعب حامية المسلمين أمام الضّربات المتتالية للنّصارى؛ لم يبق للمسلمين بدّ سوى الرضوخ لمطلب الصّلح ومصالحة ملك "قشتالة" وذلك سنة 665هـ / 1267م، ولا يُخفي مكزّ النّصارى وحيلهم بالضغط على المسلمين واستنزافٍ أملاكهم، فقد اشترط القشتاليون بمقابل الصّلح التنازل على الحصون الواقعة تحت حُكم غرناطة، وهو ما كان، فتنازل "ابن الأحمر" على أربعين مسوراً من بلاد المسلمين جُلّها يقع في المنطقة الغربية، منها: "شريش" و"المدينة" و"القلعة" و"بجير" وغيرها، على أنّ الفقيه "أبا القاسم العزبي" جعلها مائة حصن مسور^[5]، ويُرجع الباحثون الإسبان أسباب هذا الصّلح إلى نفاذ خزينة "ابن الأحمر"، ويُرجّح ذلك إلى الرّواتب الضّخمة التي بذها "ابن الأحمر" من أجل بقاء "الغزاة المرينيين" في الأندلس^[6] كما نصّت المعاهدة على دفع المسلمين جزية قدرها 200.000 دينار مرابطي سنويّاً، وذلك لتغطية العجز المالي من وراء حروبهم الصّليبية، والتنكيل بالمسلمين^[7].

[1] ابن أبي الزرع الفاسي، الذخيرة السنية، ص 100

[2] نفسه، ص 101

[3] نص الرسالة موجود في كتاب الذخيرة السنية، ص 103 وما يليها.

[4] نفسه، ص 109-110.

[5] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، المصدر السابق، ص 462-463.

[6] Luis Suarez Fernández, Op. Cit, p.30- 33

[7] Ibid, p 34

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

والواقع أنّ النصارى وعلى عادتهم في نقض عقود الصلح، لم يستقروا على السلم وعاودوا غزو الحصون الأندلسية، لكن هذه المرة كانت أنظارهم موجهة إلى المناطق الحيوية كالجزيرة الخضراء "Algeciras"^[1] وجبل "الفتح"^[2] "Gibraltar"، مضيق جبل طارق، فقد جاء في عقد الصلح ربط البلدين تجارياً عبر هاتين المدينتين، وهنا تتضح لنا الرؤية في سياسة قشتالة لعلق مناطق عبور الغزاة المرينيين، لأنهم بلا شك سيصبحون نقطة خطرٍ أمام توجّهات القشتاليين، وتخريب خططهم القاضية بإجلاء المسلمين من الأندلس، وهذا ما تفضّل له "ابن الأحمر"^[3] وفعلاً استطاع القشتاليون الوصول إلى "الجزيرة الخضراء" وأقلعوا عنها بعد حصار دام سبعة أيّام وذلك سنة 669هـ/1271م^[4].

ما كان على "ابن الأحمر" مع تفاقم خطر النصارى، إلّا أن بعث برسائله لسلاطين بني مرين في الوقت الذي كان فيه الصراع العسكريّ يحدّم بين "بني يعقوب"، و"بني زيان" ملوك تلمسان، وهو المانع في الاستجابة الفورية لواجب الجهاد بالأندلس، كما أنّ "بني الأحمر" لم ييأسوا من الصّرخات، وما زاد رغبة "بني مرين" في الجهاد صدى العبارات التي تأججت في نفوس المسلمين، يقول فيها ابن الأحمر: "يا أمير المسلمين أنت ملك الزّمان، والمنظور إليه في هذا الأوان، قد وجب عليك نصر المسلمين، وإعانة المستضعفين، فان لم تنصر الإسلام فمن ناصره؟"^[5].

لم يكتب لابن الأحمر العمر الطويل في حضور وقائع الجهاد في الأندلس، ذلك أنّه في الوقت الذي سبق جواز السلطان المرينيّ، حدث الشّقاق بينه وبين أصهاره "بنو الأشقيلولة" حول الرّعامه، ذلك أنّ "ابن الأحمر" أصبغ لأعقابه حكم الوراثة (الملحق رقم: 03)، ببيعة ابنه الفقيه "محمد الثاني" (671-701هـ/1272-1301م) وذلك في حدود اثنين وستين وستمائة، فرأى أصهاره الأمر مجحفاً في حقهم

[1] "الجزيرة الخضراء": بالأندلس، ويقال لها أم حكيم... وهي على ربة مشرفة على البحر، سورها متصل بما وبشرقيها خندق، وغربيه أشجار تين وأثمار عذبة، وقصبة المدينة موفية على الخندق، وهي منيعة حصينة سورها حجارة، وهي في شرقي المدينة ومتصلة بما، للمزيد ينظر: عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 223.

[2] "جبل الفتح": هو جبل طارق بن زياد، ومنه افتتح الأندلس، وهو عند الجزيرة الخضراء وبجبل طارق مرسى يكن من كلّ ربح... وكان أحد خلفاء بن عبد المؤمن أمر ببناء مدينة على جبل طارق، فندب إليها البناة والتجارين وقطاع الحجر للبناء والجيار من كل بلدة خطت فيه المدينة، وقدم إليها من المال ما يعجز كثرة... لا يدخل إليها إلّا من موضع واحد قد حصن بسورٍ منيع من البنيان الرفيع، وسميت بمدينة "الفتح"، للمزيد ينظر عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 382.

[3] Luis Suarez Fernández, Op.Cit. p. p30 - 31

[4] ابن أبي الزرع الفاسي، الذخيرة السنية، المصدر السابق، ص 125.

[5] ابن أبي الزرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: الهاشمي الفيلاي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 313.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

خصوصاً أنهم كانوا السند لابن الأحمر في مرحلة التأسيس، ومن أخبارهم سنفضّل الحديث بموضعه. ثمّ إنّ "ابن الأحمر" قبل دُنُوّ أجله أوصى صِنُوهُ "محمد الفقيه" بضرورة الاستنجاد بالمريّين على النّصارى؛ يقيناً منه بقوَّتِهِم، وبمآثرهم في الجهاد، وكتب له الأجل في سنة 671هـ/1273م، بعد عودته كما قلنا من مواجهة كانت بينه وبين أصهاره، وإذا به يسقط من فوق خيله بظاهر الحضرة، وكانت وفاته في منتصف جمادى الثانية من عام واحد وسبعين وتسعمائة^[1]. 2

- الحروب بين المريّين والنّصارى:

بعد استقرار أوضاع المريّين في المغرب، وبعد توافد الرّسل للاستصراخ للجهاد، قرّر السلطان المريّ "يعقوب بن عبد الحق" تلبيةً نداء المسلمين بعد أن قرأ رسالة كتبها "ابن الأحمر" كآخر نداء قبل موته كوصية، وأمر ابنه "الفقيه" أن يبذل للسلطان المريّ من الحصون والبلدان ما يريد، وهذا ما نصّت عليه شروط "أبي يعقوب"، وأوصاه بإعطاء البراءة المكتوبة بعد وفاته^[2]، وكان ردّ السلطان المريّ: "...فلتطب نفوسكم برحمة الله وعونه، ولتفرحوا بفضل الله وصونه، ونحن قادمون عليكم في أثر هذا، ووعدنا بوفاء يعين الله على أعدائه، ونفد عليكم بأنصار الدّين وأودائه"^[3]. حشد المريّيون جيشاً قدرّ بخمسة آلاف من أنجاد بني مرين وفرسان العرب، ذلك في أوّل يوم من شوّال من سنة ثلاث وسبعين الهجرية، وبذل للغزاة في الأعطيات، وعقد عليهم ابنه "أبو زيان" وأعطاه الرّاية، وأمر في الغد صاحب سبّنة "أبا القاسم العزفي" بإجازتهم فجهّز الأخير أساطيله، وأصلح أجفانه، وقد بلغوا من العدد عشرين أسطولاً⁴، فنزل الجيش في "طريف" "Tariva" ذلك في السّادس عشر من ذي القعدة من نفس السنّة، فاستراح الجنود والحيل مُدّة ثلاثة أيّام^[5]، وبعد انقضاء وقت الرّاحة انطلقت الجيوش إلى "البحيرة" فغنمها المسلمون وبعثوا بها إلى "الجزيرة" ثمّ تابعوا سيرهم في الحصون التّابعة للنّصارى؛ يخربونها، يحرقون ويقطعون الثّمار، يقتلون ويَسْبُون، ويغنمون، حتّى وصلوا "شريس". حققوا نصراً كبيراً^[6]، ولم يكتفِ الجيش المريّ بهذا النصر الأوّل فقط، بل زادهم الفوز إيماناً في تخليص الأندلس من براثن حقد

[1] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثّاني، المصدر السابق، ص 73-74

[2] نص الرسالة موجود في كتاب "الذخيرة السنّية" لابن أبي الزرع الفاسي، ص 142-143

[3] نفسه، ص 142

4 يذكر الباحث مُجْد رَزُوق أنّ عدد الجند داخل السفن المريّية قد بلغ 5000 جندي، راجع: مُجْد رَزُوق، التدخّل المريّني بالأندلس ملاحظات أولية، مجلة دراسات أندلسية - عدد 17 - طبع بمطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، 1997، ص 38

[5] عبد الرحمن بن خلدون، العبر الجزء 7، المصدر السابق، ص 253. ابن أبي الزرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، المصدر السابق، ص 313-314، مُجْد رَزُوق، التدخّل المريّني بالأندلس ملاحظات أولية، المرجع السابق، ص 38.

[6] ابن أبي الزرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، المصدر السابق، ص 314.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

التّصاري، وإيماناً منه بذلك قرّر السلطان "يعقوب بن عبد الحق" عقد صلح مع الزيانيين ليتفرّغ للجهاد في الأندلس، فوافق "يعمراسن" على الصّلح، فكتب السلطان المرينيّ لأشياخ القبائل يستنفرهم لتلبية الجهاد، فكثرت الحشود وجاءوا صفّاً صفّاً من "أشياخ بني مرين" و "قبائل العرب"، "المصامدة"، "صنهاجة"، "غمارة"، "أورية"، "مكناسة" وجميع قبائل العرب، فجازوا البحر وانتشرت محلاتهم من "طريف"، إلى "الجزيرة الخضراء"، ثمّ جاز بعدها السلطان المرينيّ إلى "طريف"^[1] في صحوة يوم الخميس الحادي والعشرين لصفّر من سنة أربع وسبعين وستمائة (15 أوت 1275م)^[2]، والتقى في الجزيرة الخضراء بالسلطان التّصريّ "محمد الفقيه"، والرئيس "أبو محمّد بن أشقيلولة" صهره، وكان هذا الصّهر أوّل من قابل السلطان المرينيّ وحدث شقاق بينهما في مجلس سلطان بني "مرين"، فغادر "الفقيه" مغاضباً، لكنّ السلطان المرينيّ واصل سعيه في الجهاد، وملأت جيوشه السّاحة ما بين "طريف" و"الجزيرة الخضراء"، في الوقت الذي جهّز "ألفونسو العاشر" جيوشه، فقدم السلطان المرينيّ على رأس ولده "الأمير يوسف" خمسة آلاف من معسكره، ثمّ تبعه وسرح جيوشه في البسائط والمعقل ينسفون الزرع، يخرّبون العمران، يفسدون الغروس، يتهبون الأموال، يسيّبون النّساء والدّراري، يقتلون التّصاري حتّى وصل إلى "حصن المدور"^[3] "Almodovar del Rio" و"بياسة"^[4] "Baeza" وأبّدة"^[5] "Ubeda" واقتحم حصن "بلمة" عنوةً وطمس جميع معالم الحصون في طريقه فلمّا وصل السلطان إلى "إستجة" وصله الخبر باستنفار التّصاري رفقة قائدهم "دي نونيو"^[6]، فقدم السلطان المرينيّ ألفاً من الفرسان، وسار خلفهم حتّى إذا طلّت رايات التّصاري كان الرّحف، حتّى تقابل الجيشان واحتدمت المعركة، فقتل الرّعيم "دي نونيو"، واستمرّ القتل، وقد أحصي عددهم بستة آلاف، ومن المسلمين ثلاثين فقط، وغنموا غنيمةً كبيرة؛ حيث غنموا من البقر ألفاً، ومن الأسرى سبعة آلاف وثمانمائة وثلاثين، ومن الكراع أربعة

[1] "طريف": جزيرة طريف فهي على البحر الشامي في آخر الحجاز المسمى بالزقاق ويتصل غربها ببحر الظلمة، زهي مدينة صغيرة عليها سور تراب يشقها نهر صغير وبها أسواق وفنادق وحمّامات وأمامها جزيرتان صغيرتان تسمى إحداهما "الفتنير" وهما على مقربة من البر، ومن جزيرة طريف إلى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلاً، يُنظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثّاني، المصدر السابق، ص 539.

[2] ابن أبي الزرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، المصدر السابق، ص 314-315.

[3] "حصن المدور": حصن حصين مشهور بالأندلس بالقرب من قرطبة، لهم فيه عدّة وقائع مشهورة، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الثّالث، ص 77.

[4] "بياسة": بالأندلس، بينها وبين جيّان عشرون ميلاً وكلّ واحدة منهما تظهر من الأخرى، وبياسة على كدّية من تراب مطلة على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة، وهي مدينة ذات أسوار وأسواق ومتاجر، وحولها زراعات ومستغلات الزعفران كبيرة، عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 121-122.

[5] "أبّدة": مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة سبعة أميال، وهي مدينة صغيرة وعلى مقربة من النهر الكبير، ولها مزارع وغلّات قمح وشعير كثيرة جداً، عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 6.

[6] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينيّة، الجزء الثّالث، المصدر السابق، ص 40

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

عشر ألفاً، أما الغنم فكانت كثيرة لدرجة أنه بيعت الشاة في الجزيرة بدرهم، وكذا السلاح^[1]. واصل السلطان المرينيّ زحفه باتجاه "إشبيلية" بعد أن أراح جيوشه في الجزيرة وذلك في أول يوم من جمادى الأولى من نفس السنة، الأربعاء 23 أكتوبر من نفس العام الميلادي. نزل في موضع يُقال له "الماء المفروش" فشنّ فيه الغارات وحاز على ما بها من غنيمته، ولم يكن بها زعيمٌ، فدخلها في اليوم الثاني وقتل وسي وغنم، وخرّب ما فيها من زرع، ثمّ غادر لـ "شريش" فأقام فيها ثلاثة أيام يقتل ويسّي ويغنم. إلى أن جاء الصيف فقرّر الجواز للعدوة للنظر في شؤون رعيته^[2].

بعد توالي الانتصارات المرينيّة في الأندلس، قرّر السلطان "يعقوب" الاستمرار في الجهاد حتّى لا يثبط عزيمّة الجنود على الجهاد، فقرّر الجواز للمرّة الثانية، وكان ذلك في أول يوم من محرّم عام سبعين وسبعمئة وستمئة، ولما وصل إلى قصر "المجاز" تجمع حوله الدبّي من الجيوش المجاهدة من كلّ القبائل، ونزل بهم في "طريف" وذلك في الثامن والعشرين من محرّم، الخميس أول جويلية، وأقام بالجزيرة مدّة ثلاثة أيام، واصل سيره باتجاه "رندة"^[3] "Ronda" أين وفد إليه "ابنا الأشقيلولة" أبو إسحاق، وأبو محمّد، فساروا معه قصد غزو "إشبيلية"، فوجدوا "ألفونسو العاشر" الحكيم، قد جهّز جيوشه للقاء، فتقدّم الأمير "يوسف" برايته في "ألف فارس" من الأنجاد، فتلاحمت السيوف وتطايرت الرؤوس، وفروا خائفين بحياتهم باتجاه "الوادي"، فتأهوا وقتل الكثير منهم، أوفت كثيرة حتّى أصبح الوادي على حسب قولهم أحمرًا بدماء النصارى، وسبي من تبقى، وعات المرينيّون في تلك النواحي، فخرّبوا وأحرقوا، فارتحل السلطان إلى "جبل الشرف"، ليستأنف بعد راحته الجهاد، فدخل "حصن قطيانية"، و"حصن جليانة"^[4] "Guillena"، فقتل وأحرق وسبي وعات فيها في جميع القرى، ثمّ عاد بغنيمته وسباياه إلى "الجزيرة الخضراء"، فقسّم الغنائم بين جنده واستأثر بالخمّس لبيت مال المسلمين على عادة ما نصّه الشرع.^[5] ثمّ غزا للمرّة الرابعة بعد جوازه الثاني للأندلس مدينة "شريش"، وذلك في منتصف ربيع الثاني، فنازلها ونكّل بها فقطع الزيتون، والأعناب، وسائر الأشجار، وأحرق البيوت، وأثنخ في السبي والقتل،

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر الجزء 7، المصدر السابق، ص 255-256

[2] ابن أبي الزرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، المصدر السابق، ص 321.

[3] "رندة": بضمّ أوله، وسكون ثانيه: معقل حصين بالأندلس من أعمال تاركنا، وهي مدينة قديمة على نهر جار، وبها زرع واسع وضرع سابغ، تقع بين إشبيلية و "مالقة"، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الثالث، ص 73.

[4] "جليانة": بالكسر ثمّ السكون، وياء وألف ونون، حصن بالأندلس من أعمال وادي آش حصن كثير الفواكه، ويقال لها جليانة التفاح لجلالة تفاحها وطيبه وريحه، قيل إذا أكل وجد فيه طعم السكر والمسك، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الثاني، ص 157.

[5] ابن أبي الزرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، المصدر السابق، ص 324-325.

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

وسرّح "يوسف" ابنه في سرّية للإغارة على "إشبيلية" وحصون الوادي الكبير، واكتسح "حصن روطة"^[1]، "شلوقة"، "غليانة"، و"القناطر"، واكتسح "إشبيلية" فسبى وقتل وغنم، ثمّ قفلوا إلى "الجزيرة الخضراء"^[2].

تأهب بعدها "ابن يعقوب" لغزوته الخامسة خلال الجواز الثّاني وكانت الوجهة نحو "قرطبة" وفي هذه الغزوة اجتمع بالسلطان النّصريّ "الفيقيه"^[3] ناحية "أرشدونة"^[4] "Archidona" ونازل المسلمون "حصن" بني بشير" فسبوا وقتلوا وغنموا، وحُرب الحصن، وبنت السّرايا والغارات على البسائط فكثرت الغنائم وذاع الخراب، حتّى وصلوا إلى ساحة "قرطبة"، فاحتمت حامية النّصارى وراء الأسوار، وانبعثت سرايا المسلمين على البسائط تحرب وتقدم على طول القرى والضّيع، إلى أن وصل جيش المسلمين إلى "حصن بركونة" "Porcuna" ثمّ "أرجونة" وخسفوا "جيان"، وفي هذا يتجرع ملك النّصارى مرارة الخسارة؛ فلم يكن له حل سوى الخنوع للتّسلم مع السلطان المربنيّ الذي أحال الأمر للسلطان "الفيقيه" إكراماً له، وتنازل له عن الغنائم كلها، فكان التّسلم وعمّ الخير^[5].

في الثامن عشر من ذي الحجة من السنّة نفسها ربّ "يعقوب المربنيّ" في "مالقة" حامية من "ألف فارس" وذلك لحمايتها من غارات النّصارى، مُقدّمًا على قصبتهما "عمر بن علي" ليجوز للعدوة، ولما تحقّق جوازه انتهب "ألفونسو العاشر" الفرصة ليكرّر نكته لميثاق الصّلح فحاصر "الجزيرة الخضراء" في الوقت الذي كان الصّراع يحتدم حول تملك "مالقة"، ولما علم سلطان بني مرين بما حدث تأهب للجواز إلى الأندلس، وذلك في ثالث من شوال من سنة سبع وسبعين وستمائة الجمعة 17 فبراير 1279م، لكنه سرعان ما عدل عن ذلك لقضيّة تخصّ بلاده، فبقي لجلّها والأهالي بالجزيرة الخضراء يستصرخونه، فعاث القتل فيها والسّبي، وقدمت من أجفان النّصارى أربعمائة جفناً، ونزل بها "ثلاثون ألف فارس" وثلاثمائة راجل" فدارت محلاتهم بها، ونصبوا عليها المجانيق والعرادات، وفني أكثر أهلها بالجوع والأسر وسهر الليالي لحماية الأسوار، وبينما الأحوال في تدهور قرّر السلطان المربنيّ أن يجوّز ابنه "يوسف" من "طنجة"، ذلك في شهر محرّم من سنة ثمانية وسبعين

[1] "روطة": حصن روطة، بضمّ أوله، وسكون ثانيه، وطاء مهملة، حصن من أعمال سرقسطة بالأندلس، وهو حصين جدّاً على واد شلون، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الثّالث، ص 96-97.

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينيّة، الجزء الثّالث، المرجع السابق، ص 46

[3] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثّاني، المصدر السابق، ص 565

[4] "أرشدونة": بالأندلس وهي قاعدة كورة "رّية" ومنزل الولاية والأعمال، وهي بقبلي قرطبة تسقي أرضها وتطرّد في نواحيها عيون غزار وأتّار كبار وهي برّية بحرية، سهلها واسع، وجبلها مانع... ولها حصن فوق المدينة وبها مدن كثيرة وبها آثار قديمة، ومدنّها "مالقة" بينهما ثمانية وعشرون ميلاً. عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 25.

[5] عبد الرحمن بن خلدون، العبر الجزء 7، المصدر السابق، ص 60

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

وستمائة، فقام الأمير المريني بإفاضة العطاء وعمار الأجناف وضَمَّ سَفْنَه مع سَفْنِ صاحب "سبتة" وأعدوا 45 جفنًا غزويًا وفجوا للجهاد من كل الفئات؛ حتى لم يبق في "سبتة" سوى النساء والشيخ والأطفال، وانظّم إليهم "محمد الفقيه" سلطان "غرناطة" باثني عشر جفنًا من "المنكب"^[1] "Almunècar" و "المرية" و "مالقة" وانظّم إليهم "يوسف" بخمسة عشر جفنًا، في صباح يوم الأربعاء العاشر من ربيع الأول من نفس العام اتجهت الأجناف إلى تخلص "الجزيرة الخضراء"، وطوّقوها من كل جانب، ولما رأى التّصاري ذلك أيقنوا الهلاك وعزموا الهروب، لكنّ المسلمين حاصروهم والتحمت الحرب وألقى المسلمون سهامهم وقتلوا من التّصاري ما يأوي ثلاثة أجناف، ففرّ الكثير وسقط منهم في البحر الكثير فأضحت أجفانهم خاوية، ودخلوا الجزيرة الخضراء فقتلوا من بقي فيها من التّصاري، وأسر قائدهم "الملند" و"ولد أخت ألفونسو العالم" وكبار القادة، واستولى المسلمون على كل أملاكهم، ولما سمع من كان بالأحواز من التّصاري المحاصرين للجزيرة الخضراء ذلك فرّوا^[2]، وغنم المسلمون ما تركوا من أموال وأسلاب وفواكه ودقيق، حتى قيل إنّه بيع في الجزيرة الخضراء الدقيق القرطبي بـ"ربع درهم"، وقتلوا من التّصاري الخلق الكثير^[3].

لما رفع الأمير "يوسف" الحصار عن الجزيرة الخضراء لم يتقدّم لغزو مدن التّصاري بسبب أنّ "الفقيه" كان على وفاقٍ مع التّصاري، ليمنع جواز المرينيين للجزيرة، فقرّر "يوسف" عقد صلحٍ مع التّصاري، وطبعًا ذلك سيكون مقبولًا بما أنّ قوّة المرينيين بلغت أوجها، ثمّ ما يعبر عن رضوخ التّصاري لمطلب الصلح خوفًا على مصالحهم. وقد قساوسة ورهبان على السلطان "يعقوب بن عبد الحق" بحضرته "مراكش"، لكنّ الأخير استنكر توجّه ابنه وانصرف مغاضبًا، ولما أيقن السلطان يعقوب خطورة الأوضاع بعد انشقاق "ابن الأحمر" عن الجهاد وتحالفه مع

[1] "المنكب": بالضمّ ثمّ الفتح ثمّ تشديد الكاف وفتحها، وباء موحدة، من نكب الشيء فهو منكّب، كأنك تعطيه منككب: وهو بلد على ساحل جزيرة الأندلس من أعمال البيرة، بينه وبين غرناطة أربعون ميلًا، يُنظر: ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الخامس، ص 216، مدينة حسنة متوسطة كثيرة مصايد السمك وبها فواكه جمّة وفي وسطها بناء مربع قائم كالصنم أسفله واسع وأعلاه ضيق وبه حفيران من جانبه متصلان من أسفله إلى أعلاه وبإزائه من الناحية الواحدة في الأرض حوض كبير يأتي إليه الماء من نحو ميل على ظهر قناطر كثيرة معقودة من الحجر الصلد فيصب ماؤها في ذلك الحوض، ينظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 564.

[2] ترجع المراجع الإسبانية سبب ضعف جيش التّصاري إلى ضعف بيت المال، ذلك أنّ قشتالة عانت ضائقةً في المال، فلم تقدر على تسديد رواتب الجيش، أو حتى توفير المؤن بدار الحرب، ناهيك عن ظفر المسلمين بالغانم واكتساح الأموال، كلها أسباب تعود بالسلب على التّصاري، ينظر:

Manuel González Jiménez, Algeciras en la Encrucijada de la Battala Del Estrecho (Siglos XIII y XIV), Boltin de la Real Academia Sevillana de Buenas Letras: Mineravae Baeticae, Vol: 40, Sevilla, p: 457.

[3] ابن أبي الزرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، المصدر السابق، ص.ص 330-334

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

النّصارى، قرّر تهدئة الأوضاع بجوازه في غرة رجب سنة ثمانية وسبعين وستمائة، فقام بمصالحة "ابن الأحمر" والتجاني له عن "مالقة" محلّ النزاع لكن، ابن الأحمر رفض، وتحالف مع "يغمراسن بن زيان"، ولولا تدارك الله وانشغال النّصارى بالفتن الداخليّة بين "ألفونسو العاشر" وابنه "سانشو" لوقعت الأندلس بيد النّصارى، وكان من صنيع القدر أن "ألفونسو العاشر" طلب العون من السلطان "يعقوب" لتخليصه من ابنه مقابل رهنه لتناج المملكة المتعاقب عليه، في الوقت الذي صاحب "الفييه" ابن ألفونسو "سانشو"، ثمّ كان جواز "يعقوب" إلى الجزيرة سنة اثنين وثمانين وستمائة، فغلب على الحصون الغربية، ثمّ اتجه إلى "مالقة" وأقام فيها عسكره حتّى ضاق الأمر على "ابن الأحمر" فأذعن للصّح، ثمّ تحرك السلطان "يعقوب" إلى "قرطبة" فأثخن فيها سبيًا وقتلًا وغنمًا، ثمّ توجه إلى حصن "ألبرت" تاركًا محلّته بـ"بياسة"^[1] "Baeza" فترك فيها غنائمه و"خمسة آلاف من جيشه" حتّى انتهى إلى "ألبرت" من أعمال "طليطلة"^[2] "Toledo" فصرحت الخيل في البسائط، وأثخن في القتل والسبي والتّخريب، ثمّ تحوّل بجيشه إلى "أبدة" وقتلها ساعة، ثمّ عاد لمحلّته بـ"بياسة" أين أخذ في إهلاك زرعها وتخريب معالمها، ثمّ ولّى أدباره للجزيرة الخضراء في جملة ما غنمه مؤلّيًا عليها حفيده "عيسى بن عبد الواحد"^[3]، وفي يوم الخميس خامس يوم صفر، سنة أربع وثمانين وستمائة جاز سلطان المغرب جوازه الرّابع والأخير قبل وفاته غازيًا بلاد النّصارى، فعاث في زرائع "وادي لك" ثمّ ارتحل إلى مدينة "شريش" فخرّبها وبعث سراياه على بسائطها، وبعث المسالح التي كانت بالتّغور، ثمّ وفد عليه حالف "عمر بن عبد الملك" بجمع من المجاهدين، ومن الناشبة ما عدّ بخمسمائة من الرّجال كحصّة من صاحب "سبتة"، فعقد لبيته "أبي يعقوب" و"منصور بن عبد الواحد" على "ألف فارس" من العزّاة، وأعطاه الرّاية، فتقدمت الجموع لغزو "إشبيلية" آخر صفر، فغنموا، ثمّ استباحوا وأثخنوا بالقتل والأسر والغنم في "فرمونة"، وبعثوا بالعيون لتفقد حصني "القناطر" و"روطة"، فكانت من ضعف الحامية، فعقد لها "منصور بن عبد الواحد" وخرّبوها، وقتلوا من فيها، وأحرقوا زروعها وطمسوا عمراتها، ثمّ اكتسحوا حصن "أركش" فنهبوا أمواله، واتجه "أبو معروف" صينو

[1] "بياسة": بالأندلس، بينها وبين جيّان عشرون ميلًا، وكلّ واحدة منهما تظهر من الأخرى، وبياسة على كديّة من تراب مطلة على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة، وهي مدينة ذات أسوار ومتاجر، وحوّلها زراعات، ومستغلات الزعفران كبيرة، عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 121-122.

[2] "طليطلة": من أعظم بلاد الأندلس، وهي مدينة قد أحرق بها النهر المسمى "تاجة"، يقال إنّ هذه المدينة من بنيان الخزر، ويقال أنّها من بنيان القوطيين وكانت دار ملكهم، وملك الروم من بعدهم، وأصحّ الروايات أنّها من بنيان الخزر الذين كانوا في عهد إبراهيم عليه السلام... ومن عجائبها أن القمح يبقى فيها ما بين سبعين، وثمانين ومائة سنة، وأكثر لا يتسوس، وهي كثيرة الزرع والضرع، أبي عبد الله محمّد بن أبي بكر بن زهر، كتاب الجغرافية، ص.ص 83-85.

[3] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينيّة، الجزء الثالث، المرجع السابق، ص 56-57.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

السلطان "يعقوب" إلى "إشبيلية" على رأس "ألف فارس" فخرّب عمرانها، وحرّق وقطع أشجارها، ورجع إلى معسكر السلطان محملاً بالغنائم، وكان الغزو الثالث بقيادة "عمر بن عبد الملك" لحصن بالقرب من معسكر السلطان، وسرّح الناشبة ونصّب الآلة (آلات القتال الثقيلة)، وأمدّه بالرجال من المصامدة. وشاركهم "غزة سبتة" فكان القتل والسبي، ثمّ تحرك بعدها الجيش في السّابع من الشّهر، إلى "حصن سقوط" بالقرب من المعسكر فعاثوا فيه حرقاً وقتلاً وسبيّاً وخرّبوه، وفي العشرين، اجتمعت العساكر مكوّنةً من "ثلاثة عشر ألفاً" من المصامدة، "ثمانية آلاف" من البرابرة، "خمسة آلاف" من المرتزقة و "ألفين" من المتطوّعة و "ثلاثة عشر ألفاً" من الرجال، "ألفين من الناشبة"، لغزو "إشبيلية" وبنّت فيها الغارات، فأثخنوا وقتلوا وسبوا¹، وأخذوا ما فيها من أموال، ونسفوا بسائطها وفُراها، واقتحموا حصونها^[2]، ووقف الجيش في "شريس" فأفسدوا زروعها وقطّعوها كرومها وزياتينها، تحرّكوا باتجاه "جبل ابرير" وساروا نحو "القنطرة"، ثمّ اتفقوا على الإغارة على "إشبيلية" في "خمسائة فارس"، وبقي "خمسائة" مع الأمير "أبي علي" إلى أن كان اللقاء ففرّ النّصارى من هول قوّة الجيش، فتبعوهم يقتلون ويأسرون ويسبّون، ويخرّبون، فكان عدد القتلى نحو "الألف"، وجمّعت الغنائم، وفي اليوم الموالي تقدّم الجيش نحو "قرمونة" فأمر الأميران "أبو علي" و "أبو سليم" بحرق زرعها وقتل من فيها، وغنموا ما فيها، واستمرّ الحرق وقطع الثّمار ونهب أموال النّصارى، ثمّ أمر السلطان "يعقوب" بالإغارة على "شريس" وقتل من فرّ من النّصارى واحتمى فيها، ثمّ أغار المسلمون على "حصن شلوقة" فغنموا ما فيه من البقر والغنم والبعال، وأسروا "أربعة عشر رجلاً"، وفي الثّاني من ربيع الأوّل أغار الجيش على "إستجة" وأحوازها على رأس "خمسائة فارس"، وفي يوم الخميس من شهر ربيع الأوّل، قام "يعقوب" بعقد رايته لحفيده "عمر بن عبد الواحد" للإغارة على مُدن النّصارى، فقسّم الأخيرُ الجيشَ إلى فرقة معه، فرقة تُغير على "قرمونة" وفرقة تُغير على "مرشانة"^[3] "Maracaña" فقاتلوا النّصارى وسبوا النّساء، وساقوا الأسرى، وغنموا الكثير، كما أغار "رماة سبتة" البالغين "خمسائة رامٍ" على إحدى حصون النّصارى فسبوا ثمانين نفساً، وفي يوم الجمعة من ربيع الأوّل واصل المسلمون سياسةً تخريب المحاصيل وقطع الثّمار، وهذا ليقع النّصارى في الجوع ويهلكوا، وكان في اليوم الموالي الإغارة على "شريس"، فحرقها المسلمون وقتلوا من أهلها نحو "سبعائة"^[4] ونحّض الجيش يريد

¹ مُجّد رزّوق، التدخل المريني بالأندلس ملاحظات أولية، المرجع السابق، ص 38.

^[2] عبد الرحمن بن خلدون، العبر الجزء 7، المصدر السابق، ص 273-274.

^[3] "مرشانة": حصن بالأندلس: وهو على مجتمع النهرين، وهو من أمنع الحصون مكاناً وأوثقها بنياناً، وأكثرها عمارةً، ينظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثّاني، المصدر السابق، ص 567.

^[4] ابن أبي الزرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، المصدر السابق، ص. 344-348

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

الإغارة على "إشبيلية"، فدخل النّصارى المدينة وأغلقوا أبوابها وتمنّعوا بالأسوار، فأمر الأمير "يوسف" بحرق بسائطها ونسف زروعها وتخریب قراها، فوقع في الأسر ثلاثة آلاف نصرانيّاً وثلاثمائة سببياً من النساء والذّراري، وألف رأس وخمسائة من البغال والحمير والرّمك، وفي يوم الثلاثاء الخامس عشر من ربيع الأوّل قاد "أبو علي منصور بن عبد الواحد" حفيد سلطان "بني مرين" جيشاً من "مائة رامٍ من سبتة"^[1] "Ceuta"، "ألف رجل من متطوّعة المصامدة"، للقضاء على محلّة للنّصارى كانت تقطع الطريق أمام المسلمين، فقتلوا ثمانين نصرانيّاً، وأسروا الكثير، كما تلاقت جيوش النّصارى مع جيوش المسلمين أمام برج "مشقريط"، فقتل المسلمون نحو ستين رجلاً، وأسروا "مائة وتسعين رجلاً" وسبوا "أربعاً وتسعين امرأة نصرانية" وهدّموا البرج وقطعوا الأشجار^[2].

جاز الأمير المربنيّ في يوم الجمعة الخامس والعشرين من الشهر الموفى من "العدوة" بجيشٍ قوامه "ثلاثة عشر ألفاً" من المصامدة، "ثمانية آلاف من البرابرة"، ومن جيش السلطان "خمسة آلاف" من المرتزقة، و"ألفان" من المتطوّعة، "ثلاثة عشر ألفاً" من الرّجل، "ألفان" من الناشبة، برسم غزو "إشبيلية" فبثّ الغارات فقتلوا وسبوا وأثخنوا وأخذوا الأموال فأهلكوا البسائط، وحرّقوا القرى التابعة لها، وفي ربيع الثّاني جاز صينو السلطان "يعقوب" "أبو زيان منديل" في جيشٍ قُدّر بـ "خمسائة فارس" من عرب بني جابر أهل "تادلة"، مع كبيرهم "يوسف ابن قيطون" ومن الناشبة والمتطوّعة خلقٌ كثير، فأمدّه السلطان بعسكرٍ غزا به "قرمونة" و"الوادي الكبير" فقاتلوا حاميتها ودخلوا البرج عنوةً وخرّبوا المنازل والعمائر حتّى وصلوا لساحة "إشبيلية" فأضرموا فيها النار، وغنموا ثمّ قفلوا إلى معسكر السلطان بـ "شريش"، ثمّ نازل "الأمير يوسف" "جزيرة كنور" وافتتحها، ذلك في الثّالث عشر من ربيع الثّاني، وفي الثّاني من جمادى الأولى عقد السلطان للحاج "أبي الزبير طلحة بن يحيى بن محلى" على مائتين من فرسانه وقصد "إشبيلية" وبعث عيونَه من النّصارى واليهود تتقصى أخبار "سانشو" في حين أنّ السلطان بدأ يروخ ويأتي مغيراً على "شريش" بالقتل والسّي والتّخریب، فلا يخلو

[1] "سبتة": مدينة عظيمة على الخليج الرومي المعروف بالزقاق، وهو أول البحر الشامي المنتمي إلى مدينة صور من أرض الشام، عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 303، ومدينة سبتة تقابل الجزيرة الخضراء، وهي سبعة جبال صغار متصلة بعضها ببعض، معمورة طولها من المغرب إلى المشرق نحو ميل ويتصل بها من جهة المغرب وعلى ميلين منها جبل موسى وهذا الجبل منسوب لموسى بن نُصير، ينظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثّاني، المصدر السابق، ص 528.

[2] ابن أبي الزرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، المصدر السابق، ص 248-249.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

يوم من تجهيز عسكرٍ أو إغزاء جيشٍ أو عقد رايةٍ، أو بعثٍ سرّيةٍ، حتى خرب بسائط "إشبيلية" و"لبلة"^[1] و"قرمونة" و"إستجة" و"جبال الشرف" جميع بسائط "الفرنثيرة"^[2].

على هذا الحال جهّز النصارى أساطيلٍ لشنّ حربٍ ضدّ المسلمين، لكنّ السلطان المرينيّ استدعى أساطيلَه البالغة من العدد ستّةٍ وثلاثين أسطولاً، فأيقن النصارى صعوبة قتالهم فولّوا ديارهم فارّين، فلم يكن لهم ملجأ بعد معاينة ما حدث في بسائطهم، وتخريب عمرانهم وانتساف زروعهم؛ حتى أدفعهم الجوع، فتفاضوا مع ملكهم "سانشو" بتقديم عقد الصلح، وتقدّم القساوسة والبطاركة من كبار النصارية بغرض المهادنة، لكنّ سلطان بني مرين ردّهم عن طلب الصلح بالرفض، وبعد العديد من المحاولات تقرّر القبول على شروطٍ، وقد حضر هذا الاجتماع رسلُ السلطان النصريّ "محمد الفقيه" لكنّ السلطان توجس خيفةً منهم لشيوعهم بنكث الصلح. نَعِم بعدها الأندلس بنوعٍ من الاستقرار إلى أن توفّي السلطان "يعقوب بن عبد الحق" يوم الثلاثاء الثّاني والعشرين لمُحرم من سنة خمسٍ وثمانين وستمائة (19 مارس 1286م) بعدما أخذ البيعة لابنه "يوسف"^[3].

واصل السلطان الجديد "يوسف بن يعقوب" مسيرة أبيه في الجواز للأندلس لنصرة المسلمين، وأوّل ما قام به أن تجافى لسلطان غرناطة "محمد الفقيه" عن جميع الثّعور الأندلسية التي كانت تابعةً للملكة، عدا "طريف" و"الجزيرة الخضراء"، وعقد على الثّعور الغربية والإمارة عليها للأمير "أبي عطية العباس"، وعقد لـ"عليّ بن يوسف بن يزكاسن" على مسالحها، وأمّده بثلاثة آلاف من عساكره^[4].

في سنة تسعين وستمائة، وعلى عادة النصارى في نقض عهود الصلح والعودة للتضييق على المسلمين، قام السلطان "يوسف بن يعقوب" بإعطاء الإشارة لصاحب المسالح "عليّ بن يوسف بن يزكاسن" أن ينازل "شريس" لشنّ الغارات في الشرق والغرب فقام بالأمر، في حين استنفر السلطان المرينيّ الجيوشَ قصد الجواز للأندلس، لكنّ "سانشو" علم بالأمر وهياً أجنفانه لقطع مجاز السلطان، ولما علم الأخيرُ بخطّته صرف نظره عن المجاز وأمر بتعمير الأجنفان إلى أن جاء شهر شعبان، فنزل بطريف، ومنه خرج غازياً "حصن يحيا" وحاصره

[1] "لبلة": بالأندلس، مدينة لبلة حسنة أزلية متوسطة القدر ولها سور منيع وبشرقيها نحر يأتيها من ناحية الجبل ويمجاز عليه في قنطرة إلى مدينة لبلة وبها أسواق وتجارات ومنافع جمّة وشرب أهلها من عيون في مرج من ناحية غربيها وبين لبلة والمحيط ستة أميال، ينظر إلى: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثّاني، المصدر السابق، ص 541.

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، الجزء الثّالث، المرجع السابق، ص 60-61.

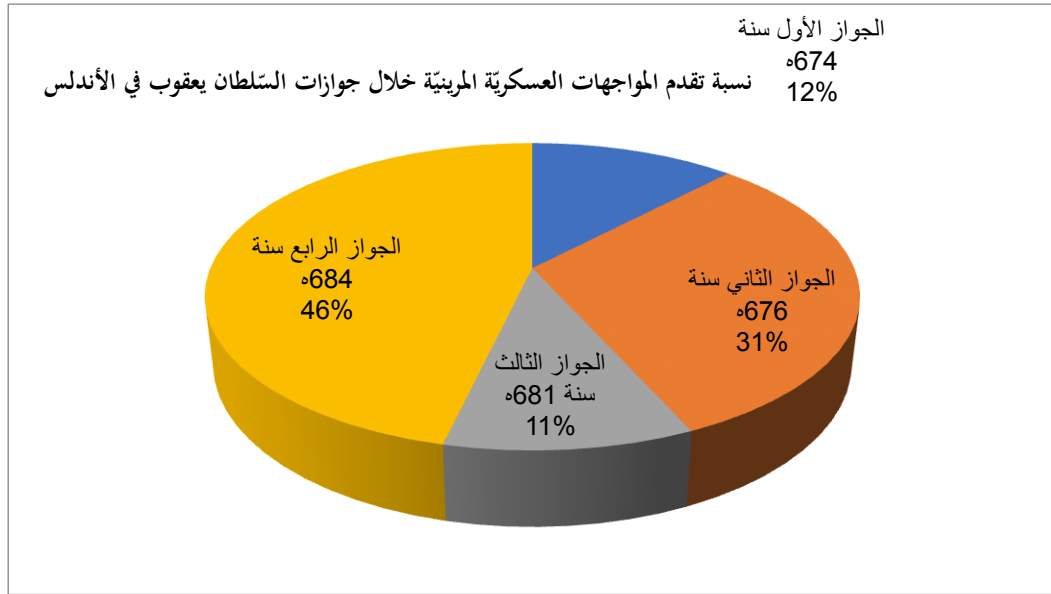
[3] عبد الرحمن بن خلدون، العبر الجزء 7، المصدر السابق، ص 276-277.

[4] نفسه، ص 279.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

ثلاثة أشهر، أصبح يغير كل يوم على "شريش" وأحوازها، وعلى "الوادي" حتى أهلكتها ثم قفل بعدها للعدوة^[1].

بعد موت ملك قشتالة "سانشو ابن ألفونسو" تولى من بعده الحكم ابنه "فرناندو ابن سانشو" وكان في أمره أنه ضيق الحصار على المسلمين في "جبل الفتح"، ثم راسل صاحب "برشلونة"^[2] في مساعدته بإشغال أمر المسلمين عن "جبل الفتح" بأن يحاصر مدينة "المرية" ذلك سنة 709هـ/1307م، وكانت من حيل النصارى أن حفروا تحت الأرض، فتفطن المسلمون لهم أين حفروا هم أيضًا، فتلاقى الجمعان واقتتلوا تحت الأرض! فجاز "عثمان بن أبي العلاء" للأندلس في حملته زهاء مائتين أو أكثر^[3]. وعرفوا باسم "شيوخ الغزاة" واستقروا يجاهدون إلى جانب جيوش غرناطة، وبهذا ضمن بنو مرين حامية مستقرة في الأندلس منذ عهد السلطان النصري "أبي الوليد إسماعيل بن فرج".



[1] ابن أبي الزرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، المصدر السابق، ص 380

[2] "برشلونة": مدينة لها رضى وعليها سور منيع، والدخول إليها والخروج عنها إلى الأندلس على باب في الجبل المسمى هيكل الزهرة وبالرومية، البرينيو، وبرشلونة يسكنها ملك إفرنجة وهي دار ملكهم وله مراكب تسافر وتغزو...وبلاذ برشلونة كثيرة الحنطة والحبوب والعسل، ينظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 734.

[3] عبد الرحمن بن خلدون، العبر الجزء 7، المصدر السابق، ص 331.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

تعقيب: عرفت الأندلس خلال فترة حكم "بني مرين" تدخلات عسكرية استطاعت من خلالها تضيق الخناق على النصارى، وضرب اقتصادهم بتخريب المزروعات، وحرق الأراضي، واكتساح الأموال، والحصول على غنائم لا طائل لها، ثم طمس المعالم. تميز عدد الغزوات، وفي كل جواز ولعل هذا راجع لعدة أسباب؛ أهمها الصراعات المرينية الزياتية، والتي كانت عائقاً أمام الإغارة على بلاد النصارى، وكثيراً ما كان السلطان "يعقوب" يتوخى تلك المعاهدات بعقد صلح، وكذا صراعه مع القبائل الخوارج عن نفوذه، وأيضاً نجد انقطاع السلطان عن الغزو في فترات دخول فصل الشتاء، لهذا السبب ولأن السلطان "يعقوب" كانت حيلته في الانتظار والغزو قبل أن يُقبل موسم الحصاد وتكثر الغلات في أراضي النصارى ليهلكها أو يستأثر بها، ويتضح تكثيف النشاط العسكري في الجواز الرابع، وهي فترة الذروة أين قام السلطان "يعقوب" بشن هجمات متتالية على مدينة "شريش" وبسائطها، ثم أمكنه غزو "إشبيلية" وأحوازها كلها كمركزين استراتيجيين للنصارى بمساعدة "أبي القاسم العزفي".

- بعد جواز "يوسف بن يعقوب" الأخير للأندلس انقطعت الجوازات بسبب انشغال بني مرين بحروبهم مع الزياتيين تارةً، ومع القبائل الخارجين عن طاعتهم تارةً أخرى، إلى عهد السلطان المريني "أبي سعيد"^[1] الذي حدث في عهده الشقاق بينه وبين ابنه الخارج عنه، في الوقت الذي هلك فيه ملك قشتالة "فرناندو الثالث"، وخلفه "هراندة بن شانجه" (فرناندو الثالث ابن سانشو) الذي كفله عمه "دون بيدرو" وزعيم النصرانيين "جوان" نظراً لصغر سنّه، وذلك في سنة اثني عشر وسبعمائة، قام الوصيّان في سنة ثمانية عشر وسبعمائة بالخروج بجيوشهم نحو "غرناطة" فاستنجدوا ببني "مرين" لكن المرينيين اشترطوا بمقابل جوازهم تسليم "عثمان بن أبي العلاء" من أعياص البيت المريني الذين كانت لهم معه تصفية حسابات بعد نزاعات طالت معهم، لكن "بني الأحمر" رفضوا تسليمه، الأمر الذي أدى إلى رفض المرينيين الجواز^[2]، استندت المملكة النصرية بعد سنين طويلة على شيوخ غزاتها الأعياص الذين سجلوا في التاريخ انتصارات لا طائل لها، إلى فترة حكم "محمد بن إسماعيل بن فرج" الذي استطاع بسياسته المحنكة أن يعيد ربط علاقاته من جديد مع السلطان المريني "أبي

[1] السلطان "أبي سعيد المريني" 784-823هـ/1382-1420م، هو عثمان بن أحمد بن إبراهيم بن علي، من بني عبد الحق، سلطان بني مرين الثالث، ثالث الإخوة الأشقاء من أبناء أحمد بن إبراهيم الذين تولوا الحكم من بعده، بويغ بفاس بعد وفاة أخيه "عبد الله"، كان التصرف في دولته للوزراء والحجاب، وفي أيامه استولى البرتغال على سبتة ذلك سنة 818هـ، في الوقت الذي بدأ فيه الضعف يدبّ مملكة بني مرين، انتهت فترة حكمه باغتياله من طرف وزيره عبد العزيز اللباني، ينظر إلى: أحمد بن قاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص 457.

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، الجزء الثالث، المرجع السابق، ص 108-109.

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

الحسن" وما زاد في توطيد العلاقات، جواز "ابن الأحمر" إلى "فاس" بعدوة "المغرب" ذلك سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، فأحسن السلطان المرينيّ وفادته وتشاور الطرفان في موضوع الجهاد، وما يحدث للمسلمين من مضايقات من النّصارى، خصوصاً أنّ في تلك الفترة كان قد بسط النّصارى نفوذهم على "جبل الفتح" وضيقوا الخناق على أهاليه، كما أنّ السلطان النّصريّ تحدّث عن تناول "شيوخ الغزاة" في الأندلس، فخلصت الزيارة بمساعدة المرينيّين للأندلس، وتلبية واجب الجهاد، فعقد السلطان "أبي الحسن المريني" لابنه "أبي مالك" على خمسة آلاف من أنجاد المرينيّين¹، واعتذر هو في جوازه لانشغاله بفتنة أخيه الخارج عليه، جاز "أبو مالك" للأندلس ونزل بالجزيرة الخضراء التي استرجعها المرينيّون سنة تسع وعشرين وسبعمائة، وواليتها هو "بن مهلهل" من أحوال سلطان المغرب. وبعد استقرار الأمير المرينيّ بالجزيرة توافدت إليه مدد من الأساطيل، وبعث السلطان "محمد بن إسماعيل" الجند الغرناطيّ، فزحف الفريقان نحو جبل الفتح، فأبلى المسلمون في منازلته البلاء الحسن، إلى أن تمّ فتحه سنة ثلاثٍ وثلاثين وسبعمائة (1333م) فأسروا من به من النّصارى²، ويرجع الفضل في تخليص "جبل الفتح" من حصار النّصارى إلى الحاجب "أبي رضوان النّصريّ"، وبعد استعادته، شرع المسلمون ينقلون إليه الأقوات ويعمّرونه، وتركوا على ولايته "يحيى بن طلحة بن محلي" ثمّ إنّ الأمير المرينيّ شرع في تحصينه مخافة معاودة النّصارى إعادة استرجاعه، فبنى الأبراج المنيعّة وأحاطه بالأسوار، وأقام دوره محاربيه، فأنفق أموالاً جليلة في ذلك³. بعد وفاة السلطان النّصريّ "محمد بن إسماعيل"، أعقبه على حكم المملكة أخوه "أبو الحجاج يوسف بن أبي الوليد إسماعيل"، الذي اشتدّت في زمانه وطأة النّصارى، تزامناً وحكم الملك القشتاليّ "ألفونسو الحادي عشر"، فما كان على السلطان النّصريّ سوى الاستنجاد بالسلطان "أبي الحسن علي بن عثمان المرينيّ"، أين أجاز ابنه "أبا مالك" للأندلس للمرة الثّانية، وكعادتهم تأهب النّصارى لمقارعة الجيوش المسلمة بعد أن اتحدت أساطيل قشتالة، وآراغون، والبرتغال، في الوقت الذي زحف فيه "أبو مالك" إلى سهل "بجانة" "Pechina" وحصل على غنائم لا تُحصى⁴ لكنّ النّصارى باغثوا جيش "أبي مالك" ووقعت بين الأطراف حرب دامية في موقعة تُسمّى "La Battala del Estrecho" بالإسبانية "استريتشو"، التي جرت فيها الهزيمة في البداية على جيش النّصارى بقيادة القائد النّصريّ "Don Jofre"

[1] مُجَدِّ رَزُوق، التدخّل المرينيّ بالأندلس ملاحظات أولية، المرجع السابق، ص 39.

[2] عبد الرحمن بن خلدون، العبر الجزء 7، المصدر السابق، ص 337-338، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ص 121-122.

[3] عبد الرحمن بن خلدون، العبر الجزء 7، المصدر السابق، ص 338، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ص 121.

[4] أبو عبد الله محمد عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 127

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

Tenorio" الدون جوفري تينوريو" سنة 740هـ/1340م^[1]، لكنّ النصر لم يدم طويلاً، إذ انقلبت موازين القوى لتخلص المواجهة بإرداء الأمير "أبي مالك" قتيلاً، ذلك أنّ بصيرته لخدع الحرب لم تكن ثابتة، وصغر سنّه كان يقوده للجرأة دون التفكير في العواقب، حيث أنّه لم يأخذ بنصيحة القواد المسلمين، بالرجوع إلى الأراضي الأندلسية، وصمّم الدخول لأماكن التّصاري أين باغثوه وهو يريد ركوب خيله وتوقّاه الله في حينه^[2]، ذلك بالقرب من منطقة تُسمّى بالإسبانية "Alcalá de los Gazules".

أثار خبر هزيمة "الأمير أبي مالك" غضبَ السّلطان المرينيّ "أبي سعيد" الذي أغدّ السّير بأسطولٍ إلى الأندلس، بعد أن بثّ العطاء واستنفر كافة القبائل من المغرب، وبعث السّلطان المرينيّ بدعوة لاستنفار الأساطيل الحفصية للجهاد، فكان ذلك، وعقد السّلطان الحفصيّ صهر السّلطان المرينيّ على رأس أساطيل إفريقية قائد بجاية" زيد بن فرحون"، وصاحبته أساطيل "طرابلس"، "قابس"، "جربة"، "تونس"، "بونة"، "بجاية"، والتي ناهزت المائة أسطول على العموم، وأُسندت قيادة الأساطيل المغربية لصاحب سبتة" محمّد بن علي العزبي"، في ذات الوقت كان التّصاري قد تأهّبوا لمقارعة الأساطيل المجاهدة وقطع الطريق نحو عبورها لأرض الأندلس، وكانت المواجهة ببحر الرّقاق أين حقّق المسلمون نصراً على التّصاري، انتهى بقتل زعيمهم "الملند"، وعظّم القتل والسّبي، وكان هذا في يوم السبت سادس شوال سنة أربعين وسبعمائة^[3]، بعد تحقيق هذا التّصر قرّر السّلطان المرينيّ إكمال غزواته نحو بلاد التّصاري لاستئصال شأفتهم، جهّز لذلك جيشاً يجرّ الشوك والشجر؛ ذلك في أواخر سنة أربعين وسبعمائة، في حين وفاه السّلطان التّصريّ "أبو الحجاج ابن السّلطان أبي الوليد" بعسكرٍ من غزاة زناته وحامية الثّعور، بالإضافة إلى رجال البدو^[4]. قبل أن نخوض في الحديث عن تفاصيل الحرب الدائرة في مدينة طريف، نتحدّث عن أوضاع جيش التّصاري الذي سيحالفه الحظّ في الظّفّر بهذه المعركة، وتحقيق نصرٍ ساحقٍ قسم ظهر المسلمين، والذي ستكون له أبعادٌ واضحة في ضعف الجيش، بعد أن كان يحقق الانتصارات، ليحكم التّصاري في الأخير قبضتهم على أهمّ النقاط الإستراتيجية بالأندلس، لأسباب اقتصادية، وسياسية لمنع المرينيين من الجواز للجهاد بالأندلس؛ وبالتالي سيطرتها على باقي الحصون التابعة لمملكة غرناطة. نعود لحديثنا عن الأوضاع المحيطة بالتّصاري قبل "معركة طريف" "La batalla del Salado"، حتّى نفهم أسباب الهزّام المسلمين فيها.

[1] محمّد كمال شبانة، يوسف الأوّل ابن الأحمر سلطان غرناطة، المرجع السابق، ص 126.

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، الجزء الثالث، المرجع السابق، ص 135.

[3] نفسه، ص 135-136.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر الجزء 7، المصدر السابق، ص 346

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

عندما أغار الأمير "أبو مالك" على الحصون التابعة لملك الأراغون "بيدرو الرابع" خاصة في منطقة "بلنسية" "Valencia"، قرّر الأخير القيام بإجراءات من أجل الدفاع عن ثغوره وحمايتها من حملات المسلمين، وبدأ في بناء أسطول بحريّ لحماية السواحل، كما قرّر في ظرف الأوضاع الرّاهنة ربط علاقات دبلوماسية من شأنها توحيد راية النصارى للدّفاع عن الديانة المسيحيّة كإيديولوجية أتت أكلها، حيث أنّ الكنيسة وخدمات البابا ستلعب دور الوسيط ككلّ مرّة في لمّ الشمل، في البداية آثر الملك الأراغوني مصالحة ملك "ميورقة" لكنّ المحاولة باءت بالفشل، ذلك أنّ الميورقيين كانوا قد عقدوا الصلح مع السلطان المرينيّ "أبي الحسن"، فما كان على "بيدرو الرابع" سوى الاستصراخ بالبابا "بنديكطوس الحادي عشر"، الذي قام بدوره بتطبيب العلاقات وجمع الشمل، فكانت النتيجة إبرام عقد دفاع مشترك مع القشتاليين، ذلك في مدريد في سنة 1339م، وهنا بدأت عمليات التجهيز والتأهب لشنّ حربٍ على المسلمين، تُفيدنا الدّراسات الإسبانيّة بمعلوماتٍ عن تجهيز الأسطول البحريّ، حيث أنّه ذُكر عددٌ أساطيل القشتاليين بعشرين أسطولاً مسلّحاً خاصّاً بالمواجهات العسكريّة في فصل الصّيف، وسبعة أساطيل مخصّصة لفصل الشّتاء، بينما في الأراغون، فقد بلغ عددها أربعة عشر أسطولاً، بعد مُضيّ سنة من التحام القوى النّصرانيّة، قرّر البابا "بنديكطوس الحادي عشر" "Papa Benedicto XII" إعادة بثّ روح الجهاد الصّليبيّ في نفوس المسيحيين، عبر إلقاء حُطْب التحفيز والتّعاون من أجل التّصدي لجيش المسلمين^[1]، ثمّ كما قدمنا في أوّل الحديث عن ذكر تلاحم الجيوش الإسلاميّة ومحاصرتها لطريف ذلك في 23 أكتوبر 1340م، حسب المصادر الإسبانيّة.

بلغ عدد الجيوش المسلمة حسب صاحب "نفع الطيب" نحو ستين ألفاً من المرينيّين^[2]، سنعرض روايتين قشتاليتين من خلال رسائل رئيس أساقفة طليطلة "جيل دي ألبورنوز" Gil de Albornoz، ثمّ رسائل الملك "ألفونسو الحادي عشر"، ومن جهة الروايات التاريخيّة للمسلمين ما جاء به مؤرّخ المملكة الغرناطيّة "ابن الخطيب"، ومؤرّخ البلاط المرينيّ "عبد الرحمن ابن خلدون" عن أحداث الصراع العسكريّ؛ أمّا الروايات الإسلاميّة لم تروِ إلاّ التّزّر من الأحداث الكائنة، أمّا رواية "ابن الخطيب" فيذكر جواز السلطان المرينيّ "أبي سعيد" على رأس مائة وأربعين جفنّاً غزويّاً، وبادر إلى لقائه السلطان النّصريّ بظاهر الجزيرة الخضراء، ملفوفاً بأنجاده وجنود الرّناتيين، وذلك في العشرين من شهر صفر من عام واحدٍ وأربعين وسبعمائة، كان

[1] Wenceslao Segura González, La batalla del Salado (ano 1340), Al Qantir, Monografías y Documentos sobre la Historia de Tarifa, Numero: 3, Ano: 2005, pp., 4-13.

[2] أحمد بن محمّد المقرئ، نفع الطيب من غضن الأندلس الرطيب، المجلد الأوّل، المصدر السابق، ص 14.

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

المسلمون على أتم استعداد، فنصبوا آلات الحرب من المجانيق، واستقروا بظاهر طريف، في حين أنّ النّصارى تقدّموا في جيوش "تجرّ الشجر والمدر" لمناجزة المسلمين، وكان اللقاء في يوم الإثنين السابع جمادى الأولى؛ فكانت الهزيمة على جيوش المسلمين، وهلك منهم الكثير، أغلبهم من العلماء وأعيان المملكة، ثمّ اغتنم النّصارى الكثير من أموال المسلمين، واستولوا على جميع أسلحتهم^[1]، أمّا عن رواية ابن خلدون فيذكر توافد جيش النّصارى القشتاليّ، الأراغويّ، وبصاحبهم الجيش البرتغاليّ، ومن غير سابق إنذار انقضت جيوش النّصارى على معسكر جنود المسلمين في الليلة التي سبقت الصّراع العسكريّ بين الطائفتين، وتمكّن النّصارى من الفتك بالكثير من المسلمين العسّس على حدود طريف، وما إن حلّ صبح الغد حتّى أقبل ملوك النّصارى بجيوشهم، لكنّ النّصارى خاطوا خطة محكمة، فخالفوا المسلمين ودخلوا معسكرهم، فقتلوا ناشبتهم المعدّين للحراسة، واقتحموا فسطاط السلطان، فقتلوا النساء والأطفال، وسبق من السّبايا (حظية) سلطان بني مرين "عائشة بنت أبي يحيى يعقوب"، و"فاطمة بن سلطان بني حفص أبي يحيى"، ثمّ نصب النّصارى ما كان في المعسكر، وأضرموا فيه النار، في الوقت الذي علم فيه المسلمون فوجعوا بالخبر، وانقلبو راجعين إلى معسكرهم، فاختلّت بهم المصاف، وفقدوا توازّهم فانتهاز النّصارى الفرصة فخالطوهم، ووقع الحدث على المسلمين بالخسارة، وقُتل الخلق الكثير، فلم يكن من المسلمين إلّا أن فروا بحياتهم من بقي منهم، ومن لم يسلم أكلته السيوف، أو سبق للأسر^[2]، وهكذا كانت نهاية المعركة الصّارية، بين المسلمين والنّصارى.

أمّا عن الروايات الإسبانية فقد فصلت نوعاً ما في الحديث عن المعركة، حيث ترجّح سبب خسارة المسلمين لسوء تسيير وتنظيم الجيش، بالرغم من أنّ المسلمين اختاروا موقعاً جيّداً على تلال مرتفعة لمباشرة الحرب، وبالرغم من التّفوق العددي للمسلمين بالنسبة للنّصارى إلّا أنّ الحظّ كان حليف النّصارى، وتقسّم الكتابات الإسبانية مواجهة الطّرفين في "طريف" إلى ثلاث مراحل: المرحلة الأولى كانت عبارة عن مواجهة بحريّة في المضيق، حيث بلغ فيها عدد الأساطيل المائة أسطول، يمكن أن يحمل أربعمئة نفس، ويمكن الإشارة هنا إلى التّهيئة التي سبق وأن أشرنا لها في بناء أكبر عددٍ من السّفن؛ حيث أنّ الأسطول النّصارى كان يعاني من الضّعف في الإنجاز والتّهيئة، ثمّ إنّ النّصارى بذلوا في ذلك أموالاً طائلة، دعمتهم في ذلك الكنيسة ممّا كانت تجنيه من عوائد "صكوك الغفران"، فقامت بدعم النشاط الحربيّ، وكانت ضربات الطّرفين تقوم سجلاً لمدة تزيد عن شهر، لتُجبر في الأخير المسلمين على الدخول في مواجهة عسكريّة في معركة ميدانية، فكانت

[1] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الرابع، المصدر السابق، 322.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر الجزء 7، المصدر السابق، ص 347.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

المرحلة الثانية من اللقاء، أين اتخذ المسلمون موقفَ المدافعِ أمام هجمات النصارى، ليدخل الجيشان في المرحلة الثالثة من اللقاء، أين أدرك فيها المسلمون استحالة المضى في القتال، فولوا أذبارهم فازين بحياتهم، ليقوم النصارى في تتبعهم وقتل من زاحمهم، وكان الهجوم على المسلمين من الخلف، هو ما أخل بتوازنهم، في المرحلة الأخيرة من عمر اللقاء. في الأخير تحكي الروايات وتفند قوة جيش المسلمين ودرايته بفنون الحرب والقتال، من تكتيكات وترتيبات داخل صفوفه^[1].

بعد جواز سلطان بني مرين إلى فاس منتكسًا من هزيمته أمام النصارى في "معركة طريف"، وانصراف "أبي الحجاج" السلطان النصري إلى غرناطة، خلا الجو للنصارى وزاد حماسهم في منازلة بقية ثغور الأندلس، وكانت "الجزيرة الخضراء" الموقع الإستراتيجي الذي طالما حلموا به محلّ أظفارهم، فعلى مرحلة منه قام النصارى بالتحرك ونزلوا بقلعة "بني سعيد" أحد الثغور التابعة لغرناطة، فحاصروها بعد أن نصبوا آلات حربهم عليها، فنال الجوع والعطش أهلها فطلبوا الأمان، ذلك سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، وما إن وصلت الأخبار لسلطان "بني مرين"، عقد العزم على الجهاد وتخليص "الجزيرة الخضراء" من قبضة النصارى، فحشد جموع المجاهدين وهباً أساطيله للجواز، وتقدّم على رأس عساكره مع وزيره "عسكر بن تاحضريت"، وعقد للجزيرة الخضراء عساكر يقودهم "محمد بن العباس بن تاحضريت"، ورافقه "موسى بن إبراهيم اليرباني" فأقبل عليهم أسطول النصارى، وكانت الغلبة للنصارى، فحاصروها واتخذ النصارى فيها بيوتًا من الخشب، واتخذوا صناعات وأصحاب الحرف لذلك، في الوقت الذي تحركت فيه جيوش "أبي الحجاج" من غرناطة، وأقام بظاهر جبل الفتح، وكانت تصله إمدادات السلطان المريني من "سبتة" نحو أهالي "الجزيرة الخضراء" كالأقوات والسلاح للمدافعة وقت غفلة النصارى.

ولما أيقن سلطان بني الأحمر بعجزه عن المدافعة، استأذن من ملك النصارى في الجواز لسلطان "بني مرين" قصد التفاوض بعقد صلح بين الأطراف، لكنّ النصارى حاكوا خطة وأذنوا له بالجواز، وما إن تأهب السلطان النصري للمغادرة نحو "سبتة" مكان تواجد سلطان "بني مرين"، حتى باغتته أساطيل النصارى وقطعوا عليه الطريق، فجرت الحادثة على المسلمين فدافعوا عن أنفسهم، في الوقت الذي ذاق الحال على أهالي الجزيرة، أين خرجوا لملك النصارى طالبين الأمان، وسلّموا مدينتهم له، وأجازوا البحر نحو "الغدوة" واستقروا بها، وتمّ إنزال

[1] Wenceslao Segura González, La batalla del Salado (ano 1340), Op.Cit. : pp. : 19-23.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

العقوبة على "عسكر بن تاحضريت" لتقصيره في الدفاع عن الجزيرة^[1]، وهكذا تحققت أماني النصارى في إحكام قبضتهم على مناطق النفوذ المريني كسياسة لقطع دابهم من الأندلس، كأكبر عقبة لهم نحو تنفيذ خطتهم الرامية إلى استرداد ما تبقى من الأندلس.

3- احتدام الصراع بين بني الأحمر والمرينيين:

تعود حيثيات الصراع بين "بني مرين" و"بني الأحمر" إلى زمن جواز السلطان المريني "يعقوب بن عبد الحق" للجهاد، حيث أنّ أصحاب "بني الأحمر" "بنو أشقيلولة" نعموا على "الغالب بالله" مؤسس مملكة "غرناطة" بعد إصباح المملكة بطابع الوراثة؛ ليعقد بيعته لمحمد الفقيه من بعده، شكّل هذا صراعاً حول السلطة، فانفرد "أبو إسحاق" بولاية "وادي آش" بينما أخوه "أبو محمد" فانفرد بحكم مدينة "مالقة". بدأ الصراع يأخذ طابعاً عسكرياً منذ فترة حكم "ابن الأحمر"؛ حيث أنّه خرج عليهم لما سمع أنّهم مقبلون في جيش خشن إليه، فالتقى بهم بظاهر حضرته^[2]، لكنّ المصادر التاريخية لم تسعفا بواقع ما حدث في ذلك اللقاء.

لما جاز السلطان "يعقوب بن عبد الحق" جوازه الأول كما ذكرنا، حدثت الشحنة بين الطرفين بسبب حضور "بني الأشقيلولة" على السلطان قبل وصول "محمد الفقيه"، ثمّ أنّ هؤلاء القادة حضروا مع السلطان وقائع الصراع مع النصارى، فخاف "الفقيه" من شرّ التحالف، ولما توفّي "أبو محمد" صاحب "مالقة" عام 676هـ/1278م، عرض بنو "أشقيلولة" خلال جواز السلطان للمرة الثانية للأندلس، أن يأخذ "مالقة" بعد أن طالب السلطان "محمد الفقيه" بضمّها إليه باعثاً وزيره "أبا السلطان الداني" فأعرض "ابن الأشقيلولة" عن طلبه^[3]، وقال لسلطان المغرب: "...إني عجزت عن ضبطها فإن لم تصل إليها وتقبضها من يدي أعطيتها الروم" ولا يملكها "ابن الأحمر" أبداً، فبعث إليه يعقوب ولده الأمير "أبا زيان" فقبضها منه وحلّ في قبضتها^[4]، ورتّب معسكره بخارجها وأنفذ عليها "محمد بن عمران بن عيلة" في جملة من رجال بني مرين، ثمّ عقد عليها لعمّر بن يحيى بن محلى، و"زيان بن أبي عياد بن عبد الحق" من أبطال بني مرين، الأمر الذي دفع بابن الأحمر أن يتوجّس خيفةً من ترئع المرينيين على عرش الأندلس، فأثر مصاحبة ملك قشتالة للاتفاق على

[1] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، الجزء الثالث، المرجع السابق، ص 137-138

[2] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 73

[3] عبد الرحمن بن خلدون، العبر الجزء 7، المصدر السابق، ص 262.

[4] ابن أبي الزرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، المصدر السابق، ص 328.

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

محاصرة "الجزيرة الخضراء" التابعة للمرينيين، بقصد منع جواز السلطان المرينيّ للأندلس^[1]، لما رأى ذلك القائم على "مالقة" عمر بن عليّ خاف على نفسه من "ابن الأحمر" فراسله في شأن بيعها له، فباعها بخمسين ألف دينار، وعوّضه عنها ابن الأحمر بـ"شلوبانية"^[2] "Salobrena" في النصف من رمضان سنة سبع وسبعين وستمائة، ولما استقام أمر "مالقة" للسلطان "محمد الفقيه" جهّز جيشًا ودخل به إليها، فوجد ما تركه المرينيّون من مسالح ومال، فسمع السلطان المرينيّ بما حدث، فتأهب على الفور من "مراكش" قاصدًا "مالقة" في الثالث من شهر شوال من سنة سبع وسبعين وستمائة، الجمعة 17 فبراير من سنة 1279م. لكنّ الظروف لم تكن مهيئةً للوصول، فعندما لحق بـ"تامسنا"، أدركته الأمطار فتعدّر عليه الجواز في الوقت الذي حاصر فيه "ألفونسو العاشر" "الجزيرة الخضراء" وأذاق أهلها العذاب والتّجوع؛ فهلك خلقٌ منهم كثير، وكلّ ذلك بسبب خلاف "محمد الفقيه" على "مالقة"، وكما سبق وأشرنا إلى الاتّفاق المبرم بين القساوسة والأمير "يوسف بن يعقوب" حول نبذ العلاقات بين التّصاري وسلطان "غرناطة"، بعد الظّفر بالجزيرة الخضراء من يد "ألفونسو العاشر"، وتجويزهم للأندلس على حضرة السلطان "يعقوب" الذي رفض صلحهم، وأبدى غضبه من وليّ عهده، لكنّ السلطان "يعقوب" أبدى نيّته في الصّلح مع سلطان غرناطة لما غاضه أمر المسلمين وتعثّف الطّاغية، لكنّ الأخير رفض وصالح صاحب تلمسان "يغمراسن بن زيان" وبعث له بأموال كثيرة ليشغل أمر السلطان "يعقوب" عن الجواز للأندلس^[3]،

بهذا استطاع "ابن الأحمر" إشعال نار الفتنة بين "بني مرين" و"بني زيان" رغم محاولات السلطان المرينيّ العديدة في العدول عن الفتنة وفتح باب الصّلح، لثردّ رسله على أعقابها بجواب الرّفص، فاشتعل فتيل الحرب في شهر ذي الحجّة سنة تسع وسبعين وستمائة ليفوز بها سلطان بني مرين على الزيانيين، ولما قفل السلطان "يعقوب" عائداً إلى "مراكش" فإذا بـ"ألفونسو العاشر" يفدّ عليه مستنجدًا به على ولده "سانشو" كما ذكرنا، وبعد خضوع التّصاري لبني مرين خشي "محمد الفقيه" من تصالح المرينيّين مع ألفونسو العاشر، فقّرر مصالحة "سانشو" هو الآخر، لكن "سانشو" نقض الصّلح ورمى بعينيه في تملك الثّعور الغربية من الأندلس والظّفر بـ"مالقة" ذلك في سنة اثنين وثمانين وستمائة، فلم يبق لابن الأحمر منفذٌ من الأمر سوى إعادة ربط

[1] عبد الرحمن بن خلدون، العبر الجزء 7، المصدر السابق، ص 262.

[2] "شلوبانية": بفتح أوله، وبعد الواو الساكنة باء موحدة مكسورة، ثم ياء مثناة من تحت ونون مكسورة وياء أخرى خفيفة مثناة من تحت، حصن بالأندلس من أعمال كورة "البيرة" على شاطئ البحر، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الثالث، ص 360، بينها وبين المنكب عشرة أميال، يوجد فيها الموز وقصب السكر، ينظر: عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 343.

[3] ابن أبي الزرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، المصدر السابق، ص 334-335.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

العلائق مع بني مرين، فبعث برسالة استغاثة للأمير "يوسف بن يعقوب" فاستجاب لدعوة "الفيقيه" وتوسط له عند أبيه السلطان؛ ليغفر له بشأن "مالقة" ويتجاني له عنها، فانعقد السلم^[1]. بقيت العلاقات السلمية تربط "بني مرين" و"بني الأحمر" حتى بعد وفاة السلطان "يعقوب بن عبد الحق"، حيث أنّ السلطان "يوسف بن يعقوب" تخلّى عن الثغور التي انتزى عليها المرينيون من أيدي النصارى، عدا "طريف" و"الجزيرة"، وما وطّد العلاقات السلمية أكثر تغلب "ابن الأحمر" على "قمارش" بعد مهلك "أبي إسحاق بن أشقيلولة" سنة اثنتين وثمانين وستمائة ليخلفه ابنه "أبو الحسن" على "وادي آش" وحصونها، فوقع الخصام على ذلك مع السلطان "محمد الفيقيه"، فقام "بنو الأشقيلولة" بربط العلاقات مع النصارى ضدّ "ابن الأحمر"، لكنّ الأخير لما صالح النصارى، خشي "أبا محمد بن أشقيلولة"، الذي قدّم طاعته لسلطان "بني مرين" لكنّ "ابن الأحمر" لم يكرّر فعلته بمعادة سلطان بني مرين، فبعث برسله، للتوسط مع بني أشقيلولة على التنازل عن "وادي آش"، وكان له ذلك حيث أقنع السلطان "يوسف بن يعقوب" أصحاب "ابن الأحمر" بالتجاني عنها والجواز إلى "العدوة" بشكل نهائي، حيث أسكنهم السلطان بقصر كُتامة، وهكذا انتهى زمن وجودهم في الأندلس^[2].

لم تدم علاقة السلم طويلاً بين "المرينيين" و"بني الأحمر" هذه المرّة لم يكن طرف الفتنة أصهاره، بل النصارى أنفسهم إذ وسوسوا "لابن الأحمر" لبسط السلطان "يوسف بن يعقوب" نفوذه في الأندلس، فجالت أفكارهم في التخطيط لمنع جواز سلطان المغرب للأندلس، واهتدوا إلى فكرة محاصرة "طريف" التي لطالما كانت ثغراً استراتيجياً في عبور بني مرين ومستقرّ نزولهم، فاتفق "محمد الفيقيه" مع "سانشو" على مساعدته بالمال والمدد لحصار "طريف" على أن يتنازل له ملك "قشتالة" عنها، وبعد انقضاء أربعة أشهر من الحصار بعث أهلها لملك "قشتالة" بطلب الأمان وتسليمها له، وذلك في سنة إحدى وتسعين وستمائة، في الوقت الذي كان فيه سلطان بني مرين "يوسف بن يعقوب"، مُحاصراً "تازوطا" في المدة التي خرج عليه أولاد الأمير "أبي بكر بن عبد الحق".

لما ضمّن النصارى مدينة "طريف" في جملة المدن المغتصبة من الأندلس، طالب "ابن الأحمر" بها على سبيل الاتفاق، لكنّ النصارى أخلفوا الوعد فندم على ما فعله ورأى ضرورة العودة إلى مصالحة بني مرين، فأوفد على سلطان المغرب ابن عمّه "الرئيس أبو سعيد فرج بن إسماعيل" ووزيره "أبو سلطان عزيز الداني" ففقدوا الصلح وعادت المودة، ذلك في سنة اثنتين وتسعين وستمائة، وحتى يوطدّ "ابن الأحمر" علاقته أكثر بالسلطان

[1] عبد الرحمن بن خلدون، العبر الجزء 7، المصدر السابق، ص 271-272.

[2] نفسه، ص 280-281.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

"يوسف" قرّر الجواز إليه "للعدوة" فكان اللقاء بـ"طنجة" فأكرم وفادته، وفي المقابل قدّم "ابن الأحمر" (محمد الفقيه) مصحف سيّدنا عثمان رضي الله عنه والمتوارث منذ عهد بني أمية بقرطبة، لتعود المياه لمجاريها ويتقرّر الصلح^[1]، وقدّم له بالمقابل سلطان بني مرين "الجزيرة" و"زدة" والعديد من الحصون كحصن "يامنت"، "أبدونة" "زنش" "الصخيرات"، "بيغ"، "القار"، "نشيط"، "قردلة"، "مشغور"، "طيط"، "حصن المدور"، "الشيظيل"، "الطشاش"، "ابن الدليل"، "أسطبونة"، "مجلوش"، "شمينة"، "النجور"، "تنبول"، "وادير"، "قمارش".

لما توفّي السلطان "محمد الفقيه" وخلفه على حكم المملكة "محمد الثالث بن نصر" الذي اختلعه أخوه "أبو الجيوش"، حيث كان سلطاناً فظاً قاسياً، استقلّ برئاسته كاتبه "أبو عبد الله بن الحكيم" في ذي القعدة من عام ثلاثة وسبعمائة، فتغلّب على أمره وتقلّد جميع شؤونه^[2]، وفي سنة ثلاث وسبعمائة صالح "محمد المخلوع" ملك قشتالة "فرناندو الثالث" في الوقت الذي بعث فيه سلطان بني الأحمر ثلاثمائة جندياً من رجل الأندلس وناشبتهم المرابطين في الثغور للعدوة، لكنّ "يوسف بن يعقوب" غضب من هذا التحالف وأعاد جيوش بني الأحمر للأندلس.

لم تلبث الأوضاع أن تهدأ بين الطرفين حتى قرّر السلطان التصريّ الإغارة على "سبتة" وضّمّها لحصونه، وقد أوكل المهمة إلى ابن عمّه "الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن محمد بن نصر" وصهره لأخته، وكان حينئذٍ والياً على "مالقة" فأمره المخلوع بمداخلة أهل "سبتة" من أجل خلع طاعتهم لسلطان المغرب، كما أمره بالقبض على "ابن العزبي" وأعلم أهلها بأخبار زائفة أنّ النصارى عازمون غزو "مالقة"، فأنشأ الأساطيل البحرية وشحنها بالفرسان والرّجل والناشبة والأقوات، بقصد المضىّ للجهاد، وذلك في 27 شوال من سنة خمس وسبعمائة، والهدف من هذا تجنب تدخّل الجيش السبتيّ في الدفاع عن بلاده، ليتهيأ الأمر لجيوش "أبي سعيد" التي سرعان ما تفرقت في البلاد وتقبضوا على "بني العزبي" وسرقوا أموالهم؛ فأخذوا والدهم وحاشيتهم، وجازوا إلى غرناطة، أين استقبلهم سلطانها بجفاوة وأسكنهم القصور، لكنّهم لم يلبثوا أن خرجوا عنها للمغرب^[3].

[1] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، الجزء الثالث، المرجع السابق، ص. 71-75.

[2] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 549-550.

[3] عبد الرحمن بن خلدون، العبر الجزء 7، المصدر السابق، ص 301-303.

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

لما علم السّلطان يوسف بن يعقوب " بخبر تملك "سبتة" من قبل " أبي سعيد فرج بن إسماعيل " بدعوى من السّلطان المخلوع، أمر ابنه "أبا سالم بن يوسف" وهو مُحاصر لتلمسان أن يهيئ جيشًا لحصار "سبتة" فاستنفر جميع قبائل الرّيف وبلاد "تازا"، لكنّه أقلع عنها مهزومًا فهجره لذلك والدّه "يوسف بن يعقوب"^[1].
لما توفّي السّلطان محمد بن نصر المخلوع" تربّع على عرش "غرناطة" السّلطان "محمد الرّابع أبو الجيوش" (708-713هـ/1309-1314م) الذي تزامنت فترة حكمه مع السّلطان "أبي الرّبيع بن يوسف" بالمغرب، سُمّ أهل "سبتة" من تبعيّتهم لأهل الأندلس خاصّة بعد جواز عثمان بن أبي العلاء للجهاد، في هذه الظّروف تأهّب الجيش المرينيّ بقيادة "تاشفين بن يعقوب الوطاسي"، للسير نحو "سبتة"، وأثناء وصولهم لساحتها خرج رجالها على حامية "ابن الأحمر" محمد الرّابع أبي الجيوش" فأخرجوهم، واقتحمها "تاشفين بن يعقوب" في عاشر صفر سنة تسع وسبعمئة وألقى القبض على قائد القصة "أبي زكريا يحيى بن مليلة"، وقائد البحر "أبي الحسن بن كماشة"، وعلى قائد الحرب "عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق"، فاختر "أبو الجيوش" بعد هذه الأحداث عقد السّلم مع سلطان المغرب "أبي الرّبيع بن يوسف" وأوفد رُسُلَه "للعدوة"، كما أنّه تجافى للسّلطان المرينيّ عن "الجزيرة" و"رندة" وجميع حصونها، فقبل السّلطان الصّالح، وما زاد في ربط أساور الصّدّاقة إصهار "أبي الجيوش" أخته للسّلطان "أبي الرّبيع"^[2].

ثالثًا: الصّراع العسكريّ بين بني الأحمر والنّصارى ونهاية الوجود الإسلاميّ بالأندلس.

لم يقتصر الصّراع العسكريّ في الأندلس على الوجود المرينيّ فقط، بل خاض سلاطين بني الأحمر مواجهاتٍ قادوا فيها جيوشهم ضدّ النّصارى، بغضّ النّظر عن فترات الصّالح التي كانت تضمن شيوع الأمن في "غرناطة" وبالتالي انصراف السّلاطين للاهتمامهم بأمور المملكة خاصّة ما تعلّق بالجانب العسكريّ، وتحصين الحصون والتّغور، بإحاطة الأسوار وبناء الأبراج وإقامة رباطاتٍ وحامياتٍ على التّغور المعرّضة للهجمات النّصرانيّة. اتّضحت هذه الميزات في مملكة بني نصر منذ تويّ "أبي عبد محمد ابن يوسف بن الأحمر" أمور مملكته وحذا حذوه ابنه "الفقيه"، يقول عنه ابن الخطيب: "... مهّد الألقاب، ووضع ألقاب خدمتها، وقرّر مراتبها، واستنجد أبطالها، وأقام رسوم الملك فيها، واستدرّ جبايتها..."^[3].

[1] ابن أبي الزرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، المصدر السابق، ص 388

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينيّة، الجزء الثالث، المرجع السابق، ص 100-101.

[3] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأوّل، المصدر السابق، ص 557.

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

على أنّ انتهاكات السّلم كانت تتخلّل فترات الصّلح، فكان النّصارى وبطريقة مفاجئة يُغيرون على المدن الإسلاميّة فيكون الصّراع سجّالاً بين الظّفّر والخسارة من كلا الطرفين، وهذا ما سنقوم بدراسته.

1- حروب بني الأحمر وقشتالة والآراغون.

كما سبق وأن أشرنا إلى أهميّة الوجود المرينيّ في الأندلس كدرع احتمت خلفه المملكة النّصرية الفتيّة أيّام بداية تأسيسها، إلّا أنّ السّلاطين النّصريّين قاموا بمواجهات عسكريّة مع النّصارى بدون اللّجوء إلى المرينيّين، ذلك بسبب الفتن القائمة آنذاك بين الطرفين، ففي شهر محرم من عام خمسة وتسعين وستمائة (1295م) استغلّ "محمد الفقيه" الظّروف التي كانت تحيط النّصارى بعد مهلك ملكهم "سانشو بن ألفونسو العاشر"، حشد جيشاً كبيراً من المسلمين بالأندلس، وتقدّم نحو مدينة "قيجاطة"^[1] "Quesada" ففتحها وتمكّن حصونها، ووضع فيها حاميةً من الجنود، وبعد مُضيّ خمس سنوات بالضبط في عام تسعة وتسعين وستمائة (1299م) نازل السّلطان "محمد الفقيه" مدينة "القبذاق" "Alcaudete"، فدخل جفنها وتقبّض أهلها بالقصبة وكانت المدينة شهيرةً بالمنعة والحصانة وهي من أعمال قرطبة التابعة لقشتالة، فاستطاع المسلمون تحقيق نصرٍ عظيم، وقدم الفقيه عليها حاميةً من المسلمين المرابطين، ثمّ باشر العمل في حفر خندق ليكفي شرّ النّصارى في إعادة تملكها^[2]،

لما توفّي الله "محمد الفقيه" في شعبان سنة (701هـ/ماي 1302م) عيّنه على حكم المملكة "محمد بن نصر أبي عبد الله" ثالث سلاطين بني الأحمر يُلقب بالملخوع، ويعرفه النّصارى "بالضّير" ذلك أنّه على عهده حدث انقلابٌ داخليّ قاده ضده أخوه "أبو الجيوش" وكبارٌ من أعيان المملكة رافضين حكمه الطّاغي الذي قاسمه إياه وزيره "ابن الحكيم" فأرغموه على التنازل على العرش ونفوه إلى "المنكب" ليتّم في الأخير بحسب الروايات إغراقه في بركة القصر سنة 713هـ/1313م، وأهمّ صراعٍ خاضه ضدّ النّصارى بأن غزا الجيش مدينة "المنظر" فتملكها وسبى صاحبها العلجة^[3]، وبعد وفاة "محمد بن نصر" الملخوع خلفه على المملكة "أبو الجيوش نصر بن محمد" عرفت أيامه أزماً كثيرةً حتّى وصفها "ابن الخطيب" بأيّام التّحس

[1] "قيجاطة": "قيشاطة"، بالفتح ثمّ السكون، وشين معجمة، مدينة بالأندلس من أعمال "جيان"، عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 488، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الرابع، ص 422، وهو حصن كالمدينة له أسواق ورياض عامر وحمام وفنادق وعليه جبل يقطع به من الخشب الذي تحرط منه القصاع والمخايبي، والأطباق وغير ذلك ما يعمّ بلاد الأندلس وأكثر بلاد المغرب، ينظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 569.

[2] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 561.

[3] لسان الدين بن الخطيب، اللحمة البدرية في الدولة النّصرية، المصدر السابق، ص 89-92.

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

المستمر"، من جهةٍ نَقَم عليه الرعيّة لسوء تدبير الحضرة، وتوالت عليه الأزمات، ذلك أنّ الصّراع كان قائماً بين النّصارى والمسلمين؛ حيث أنّ القشتاليين انتهزوا فرصة الخلافات الداخليّة، والخارجيّة مع المرينيين بعد حوادث "سبتة"، فقرّروا غزو "الجزيرة الخضراء" و"جبل الفتح"؛ في تلك الفترة بعث "أبو الجيوش" بصريخه للمرينيين، لكنّ السّلطان المرينيّ اعتذر عن تلبية النّداء لانشغاله بفتنته مع ابنه، كما أشرنا سابقاً، فقام "فرناندو الرابع" في 709هـ/1309م، بغزو "الجزيرة الخضراء" وبعث أسطوله محاصراً لجبل الفتح (جبل طارق)، كما اتّفق ملك "قشتالة" وملك الأراغون "دون خايمي" على محاصرة "المرية"^[1] وحتى تتضح لنا أكثر قوّة العلاقة بين القشتاليين والأرغونيين لا بأس أن نرجع إلى الوراء للحديث عن زمن الفتن الداخليّة داخل البيت القشتالي، حدث ذلك في عهد السّلطان النّصريّ "محمد الفقيه" بعد موت "ألفونسو العاشر" ملك قشتالة، وكان الخلاف حول العرش، لكنّ هذا الشّقاق اختفى بعد عقد مصاهرة بين "سانشو" و"ماريا دي مولينا" ابنة ملك ليون^[2]؛ فسيكون لهذه المصاهرة بين المملكتين أحداثٌ في المستقبل.

عقد السّلطان "أبو الجيوش" لـ"عثمان بن أبي العلاء" شيخ الغزاة رئاسة مددٍ من الجيش بعثه لـ"المرية"، فالتقى هذا الجيش بجيش النّصارى في "مرشانة" الذي كان محاصراً لها، فحدثت معركة استطاع أن يحقّق فيها "عثمان بن أبي العلاء" النّصر، وعلى مقربةٍ من "جبل الفتح" المحاصر من قبل الملك القشتاليّ، استطاع "أبو العلاء" أن يهزم النّصارى، شدّد النّصارى حصارهم على "سمانة" و"أسطبونة" فزحف "العبّاس بن رحو بن عبد الله" رفقة "عثمان بن أبي العلاء" بعساكره لنجدة الحصنين المحاصرين، فاستطاع "عثمان بن أبي العلاء" رفقة جيوشه البالغ عددها "ثلاثة آلاف فارس"، أن يُوقع بعسكر "ألفونسو بيرش" قائد النّصارى، ولما سمع "ملك قشتالة" بما حدث لجيشه بعث بجيشٍ من النّصارى، فلقبهم "أبو العلاء" في طريقه فقتل قادتهم، فلمّا علم ملك قشتالة بما حدث لقادته عزم الخروج للقاء شيخ الغزاة، وفور خروجه أعقب المسلمون على محلّته، فراحوا ينهبون ما توفرت من آلةٍ وغنموا ما احتوت، فكانت الهزيمة على "فرناندو الثالث" إلى أن هلك في سنة 712هـ/1313م^[3].

[1] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثالث، ص 335، عبد الرحمن ابن خلدون، العبر الجزء 7، المصدر السابق، ص

330-329

[2] Luis Suarez Fernández, Op.Cit., p39 - 40

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر الجزء 7، المصدر السابق، ص 330

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

في الوقت الذي كانت فيه أوضاع المملكة توجع بخطر النصارى الطامعين في ضمّ بقية المدن الأندلسية لحكمهم، ظهرت الفتنة داخل البيت النصري بين السلطان "أبي الجيوش" والرئيس "أبي سعيد فرج بن إسماعيل" صاحب "مالقة" وابن عم السلطان الذي ذكرناه سابقاً، فخرج الأخير إلى الثغور الجنوبية فاستطاع ضمّ "المريّة" و"بلش"^[1] و"Valez" و"مربله"^[2] و"Marbella" و"أنتقىرة"^[3] Antequera تحت إمرته بعد أن ناصبها القتال، وكون جيشاً قاده سنة 712/1313م، وتوجّه به لغرناطة ونزل بقرية "العطشا" من مرجها لمواجهة "أبي الجيوش" الذي برز له في جيشٍ مُستجاذٍ العُدّة وافر الرّجل فكانت الهزيمة عليه، فلمّا رأى السلطان نصر غلبة ابن عمّه وعظمة احتياجه للمال، تنازل عن العرش وتوجّه مع عائلته نحو "وادي آش"^[4] "Guadix" أين مكث فيها لحين وفاته في سنة 722/1322م^[5]، وبذلك خلا الجو لابن عمّه الذي رشّح "أبا الوليد إسماعيل بن فرج" (713-751/1314-1325م)، ليتربّع على عرش المملكة سنة 713/1314م، حسنت سيرته وسياسته تجاه رعيته؛ فساد الأمنُ وبدأ في صرف نظره لأُمور مملكته، يقول عنه ابن الخطيب: "...فبذل العدل في رعيته واقتصد في جبايته، واجتهد في مدافعة عدوّ الله وعدوّه وسدّ ثلم ثغره، فكان غرّة في قومه، ودرّة في بيته، وحسنه من حسنات دهره"^[6]، لم يُسعفه الحظُّ في سنوات حكمه الأول؛ حيث أنّه في صفر من سنة سبعمائة وستّة عشر، هُزم أمام الجيوش القشتالية في "وادي فرتونة" ليظفر القشتاليون بعدها بعدّة حصون كحصن "قنبيل"، حصن "متمانس"، وحصن "يجيح" وحصن "طشكر" و"روط"، وهي بسائط بغرناطة^[7]،

[1] "بلش": بالفتح وتشديد اللّام، وشين معجمة، بلد بالأندلس ينسب إليها يوسف بن جبارة البلشي، ينظر: ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الأوّل، ص 484.

[2] "مربله": بالفتح ثمّ السكون، وباء موحدة، ولام مشدّدة مضمومة، وهاء ساكنة، هي ناحية من أعمال قبرة بالأندلس، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الخامس، ص 99

[3] "أنتقىرة": بفتح التاء فوقها نقطتان، والقاف، وباء ساكنة، وراء حصن بين "مالقة" وغرناطة، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الأوّل، ص 259.

[4] "وادي آش": مدينة متوسطة المقدار لها أسوار محدقة، ومكاسب مؤنقة، ومياه متدفقة، ولها نحر صغير دائم الجري، ومنها قرية دشمة وبها المنزل ثمّ إلى الرتبة ثمّ إلى قرية "افر افريده" ثمّ إلى قرية "ود" وهي قرى متصلة، ومنها إلى أغرناطة ثمانية أميال، ينظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثّاني، المصدر السابق، ص 567.

[5] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأوّل، المصدر السابق، ص 385-387.

[6] لسان الدين بن الخطيب، للمحة البدرية في الدولة النصرية، المصدر السابق، ص 104

[7] نفسه، ص 110

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

لما توالى انتصارات "القشتاليين" على الجيوش "التصريّة" طمعوا في الاستيلاء على "غرناطة" نفسها، فجهّز "دون بيدرو" جيشًا لا يُحصى من التصارى يتأسّم خمسة وعشرون ملكًا، سنة ثمان عشر وسبعمائة^[1]، جاء عند المقرّي من أخبار هذه الوقعة قوله: "وكان من خبر هذه الوقعة أنّ الإفرنج حشروا وجمعوا، وذهب سلطائهم دون بطرّه إلى "طليطلة"، ودخل على مرجعهم الذي يُقال له البابا، وسجد له، وتضرّع، وطلب منه استئصال ما بقي من المسلمين بالأندلس، وأكد عزمه"^[2] على ضوء ما جاء في الفقرة، تتضح جليًا الصبغة الدّينية في حروب التصارى؛ ذلك أنّ ملوكهم كانوا يأخذون مباركة الكنيسة، بيد أنّ المسلمين ينطوون تحت مبدأ الجهاد في سبيل الله وتحت راية الإسلام، وكانت تلبية المرينيين لواجب الجهاد على مرّ السنين يعبر عن إعلاء راية الإسلام، وإنّ شغلّتهم أمور مملكتهم في فترات عديدة عن تلبية نداء الجهاد، لكنهم هذه المرّة تخلّفوا عن مساعدة المسلمين بسبب امتناع السلطان التصريّ "أبي الوليد إسماعيل" عن تسليم شيخ الغزاة للمرينيين؛ حيث أنّه كان بينهما تصفية حسابات، لكنّ "بني نصر" قادوا جيوشهم بقيادة "أبي العلاء".

في الوقت الذي تأهب فيه "الدون بيدرو" للحرب؛ حيث أنّه رمى بآلته من مجانيق، وآلات حصار، وزوّد جيوشه بالأقوات، ثمّ تقدّم باتجاه أحواز "غرناطة" واستقرّ في مُرجها على بعد بريدٍ منها، وكان جيشهم يشتمل على "خمسة وثلاثين ألفًا" من الفرسان، ونحو مائة ألفٍ من الرّجل المقاتلة، وبعد مُضيّ سنة من الحصار تجهّز "ابن العلاء" رفقة جملةٍ من أنجاد بني مرين وجيشٍ غرناطة فيما يفوق المائتين من المقاتلة تأهبوا لمقارعة التصارى، ذلك في الخامس من جمادى الأولى من سنة تسع عشرة وسبعمائة (1319م)، وخرجوا إلى موضع التصارى الذين ظنّوا أنّ المسلمين خرجوا لأمر المفاوضة أو إبلاغ رسالة، لكنّ المسلمين انهالوا عليهم يقتلون من كلّ حدبٍ حتّى انتصروا، فغنموا كلّ ما كانت محلّتهم تحويه من أموال وآلات، واستولوا على ذهبهم، فيما قيل ثلاثة وأربعون قنطارًا، ومن الفضة مائة وأربعون قنطارًا، ومن السّبايا سبعة آلاف نفس، في جملتهم "زوجة ملك قشتالة" وأولاده التي افتدت نفسها مقابل مدينة "طريف" و"جبل الفتح" وسبعة عشر حصنًا، لكنّ المسلمين رفضوا، وقُتل من التصارى "خمسين ألفًا"، على أنّ عدد المسلمين الذين قُتلوا قُدّر بثلاثة عشر روحًا! وتُضيف الروايات التاريخيّة موت التصارى الهالكين بالوادي بنفس العدد، بالإضافة للذين هلكوا في الجبال والأوعار، كما هلك في هذه الحرب الملوك المرافقين لملك قشتالة، واستمرّ بيع السّبايا والأسرى مدّة

[1] عبد الرحمن بن خلدون، العبر الجزء 7، المصدر السابق، ص 330، أحمد بن محمّد المقرّي، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 449، لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 389

[2] أحمد بن محمّد المقرّي، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 449.

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

سنة أشهر، وهذا وإن دلّ على كثرتهم. وشلخ رأس "دون بيدرو" وحشيّ جلده فُطناً وعُلّق على باب غرناطة، نكالاً وعبرةً للنصارى^[1].

شكل الانتصار على النّصارى بمُرج "غرناطة" حافزاً أمام السّلطان "أبي الوليد إسماعيل" في التحرك بجيوشه ضدّ النّصارى رُفقة "شيوخ الغزاة"، فتحرّك "ابن الأحمر" متوجّهاً نحو بلاد النّصارى، ففي شهر رجب عام أربعة وعشرين وسبعمائة نازل المسلمون حصن "أشكر" "Huescar"، على مقربةٍ من مدينة "بسطة"^[2] "Baza" فحاصرها وبسط آلة التّفط، فألقى على برجها المنيع كراتها فصُعق منها النّصارى ونزلوا من البرج طالبين الأمان على أرواحهم، فتملّكها وأقام بها خندقاً شارك السّلطان في حفره^[3]. واصل السّلطان النّصريّ "أبو الوليد" غزواته على أراضي النّصارى، ففي عام خمسة وعشرين وسبعمائة العاشر من رجب، قصد مدينة "مرتش" بعد أن استكثر من المطوّعة، فضرب حولها محلّته، فبرز حاميتها واستلحم القتال، فاحتفى الناس داخل الأسوار، فبادرهم الجيش النّصريّ واقتحموا رُضّه، فدخل المدينة، واعتصم النّصارى بالقصبة فقتل منهم خلقٌ، وُفّعت الجثث من الغد، وقفل السّلطان مع جيشه بعد تحقيق نصرٍ عظيم. وبعد قفول السّلطان إلى قصره حدث خصام بينه وبين ابن عمّه "محمد بن إسماعيل" صاحب الجزيرة، جعل السّلطان يعاتبه ويؤتبه، أثار ذلك أحقادَه فُدس له من يفتك به وهو قاعد مع جملة ناسه على مجلسٍ، بتواطئٍ مع جملةٍ من قرابته وخدمه، فأصابه بطعناتٍ خنجرٍ أردته قتيلاً، ففرّ وزيره لكنّ بقية الشّرذمة أحاطوا بالوزير مُستلّين سيوفهم، وفتكوا به، وفرّوا وإذا بالأبواب موصدة أمامهم، فقتلوا ونهبت الغوغاء دورهم، وكان تاريخ وفاته في عام خمسة وعشرين وسبعمائة^[4]، بعد وفاته خلفه على المملكة "أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن فرج" (725-733هـ/1324-1333م)، أخذت له البيعة بعد مهلك أبيه وعُرف بهمته وشجاعته حدّ التّهور. أغار

[1] عبد الرحمن بن خلدون، العبر الجزء 7، المصدر السابق، ص 330-331، أحمد بن محمد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الأوّل، المصدر السابق، ص 450-449، لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأوّل، المصدر السابق، ص 389، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينيّة، الجزء الثالث، المرجع السابق، ص 109-110

[2] "بسطة": مدينة بالأندلس بالقرب من وادي آش، وهي متوسطة المقدار لنسبة الوضع، عامرة أهلة، حصينة ذات أسوار وبها تجارات وفعلة بضروب الصناعات، بينها وبين جيان ثلاثة مراحل، وهي من كور "جيان"، وشجر التوت فيها كثير وعلى قدر ذلك غلة الحرير و الزيتون وسائر الثمار بما على مثل ذلك من الكثرة، وأرضها عذاة كثير الربيع، و بما كانت طرز الوعاء البسطي من الديداج الذي لا يعمل قطر. ينظر: عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 113.

[3] لسان الدين بن الخطيب، للمحة البدرية في الدولة النّصريّة، المصدر السابق، ص 109-110.

[4] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأوّل، المصدر السابق، ص 392

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

على باب مدينة " بيانة"^[1] "Baena" فهجم عليها وألجأ الحامية إلى المدينة، وكانت مدينةً منيعَةً، وافرَةً الفرسان وكثيرةً الحامية، كما نازل حصن "قشرة"، فهدّد سوره وحاول اقتحامه، لكنّه على منعة ووفرةٍ في الحامية، فانصرف عنه بعد أن دوّخ الصّقع، ونازل حصن "قبرة"^[2] "Cavra" فافتتحه وهزم جيشَ النّصارى، واستخدم الجانيق في هدم أسواره، فلمّا رأى النّصارى ذلك، دبّ الخوف أوصالهم فتأخفوه بالهدايا، إلى أن ألقع عنها بفوزٍ عظيم، يقول ابن الخطيب: "بادرنا نُهتته بما تسوّى له، فزوى عنّا وجهه قائلاً: وماذا تهنّوني به كأنكم رأيتمهم ملك الخزقة كذا- يعني العلم الكبير- في منار إشبيلية"^[3]. لم تسعفه الأيّام على تحقيق طموحه إذ انقلب عليه شيخ غزاته "عثمان بن أبي العلاء" بعد أن حدثت فتنة مع وزيره "ابن المحروق"، وذلك في شهر محرّم من عام سبعة وعشرين وسبعمائة، فانصرف "عثمان بن أبي العلاء" من "غرناطة" واستقرّ بساحل "المريّة" أين دخل في طاعته سكانُ "أندرش"^[4] "Andrax" وما يجاورها، وزاد فتيل الفتنة أكثر بعد جواز ابن عمّ السّلطان "محمّد بن فرج بن إسماعيل" من تلمسان، الذي قدّم طاعته لشيخ الغزاة، ليكونوا حلفاً ويكونوا جيشاً يقودونه نحو حضرة "غرناطة"، فجرت وقائع انعكست سلْباً على المسلمين، فاستغل النّصارى الفتنة وتقدّموا بجيوشهم طمعاً في الحصول على المدن الإسلاميّة فنازلوا ثغر "وبرة"، وأخذوا جميع الحصون المجاورة له، لتُعقد الهدنة في الأخير بين "ابن العلاء" والسّلطان، لكنّ لسان السّلطان السّليط وتهديده لشيوخ الغزاة "جنده المغاربة"، أحدث الجفاء فحقدوا عليه، وبينما هو عازمٌ الرّحيل إلى "جبل الفتح" بعدما غادره النّصارى بعد حصاره كما ذكرنا، نصب له "شيوخ الغزاة" كميناً بوادي "السّقائين" وهو راكبٌ بغلاً فعاتبوه في الكلام، ثمّ قتلوا وكيله، وترامى عليه أحد المعلوجين اسمه "ريان" ليطنه بخنجر، فنُقل إلى "مالقة" ودُفن فيها في يوم الأربعاء الثّالث عشر من ذي الحجّة عام ثلاث وثلاثين وسبعمائة (1374م).^[5] بُويع بعده أخوه "يوسف الأوّل بن إسماعيل بن فرج" الملقب بـ"أبي الحجاج" (733-755هـ/1333-1354م).

[1] "بيانة": بزيادة الهاء، وهي قصبه كورة "قبرة" وهي كبيرة حصينة، على ربوة تكتنفها الأشجار والأهّار، بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلاً، ينظر: عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 518.

[2] "قبرة": مدينة بالأندلس، بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلاً، ذات مياه سائحة من عيون تسقى منها العين التي عليها النهر الذي هناك مخرجه من ناحية جبل "شيتة" عليه أرحاء كثيرة، وهذا الجبل الشامخ يُنبث ضروب النواوير وأصناف الأزامير، وأجناس الأفايوه والعقاير، ينظر: عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 453.

[3] لسان الدين بن الخطيب، اللّحة البدرية في الدولة التّصريّة، المصدر السابق، ص 117-118.

[4] "أندرش": في آخره جين معجمة، وباقيه نحو الذي قبله، بلدة بالأندلس من كورة "البيرة" ينسب إليها الكتان الفائق، عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 260.

[5] لسان الدين بن الخطيب، اللّحة البدرية في الدولة التّصريّة، المصدر السابق، ص 119-122.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

عُرف عصرُ هذا السلطان بالدّهبيّ، ذلك أنّ السلطان النّصريّ استطاع أن ينتهز فرصة الصّراع الداخليّ للممالك النّصراييّة وفترات السّلم المعقودة مع النّصارى؛ ليتفرّغ إلى النّظر لأمر الرّعية، وسنّ قوانينَ جديدةً للمملكة، على أنّ هذا لم يمنع حدوث صراعاتٍ عسكريّة في فترة حكمه، ففي محرم من عام ثلاثٍ وثلاثين وسبعمائة أغزا الجيوش الغرناطيّة بقيادة "أبي رضوان الحاجب" مدينة "باغة"، الشّهيرة، فبنى حولها خندقاً وشدّ حصارها، إلى أن تملّكها، فعمّرها بالحماة، ورّتب عليها جنود المرابطين، ولما حلّ عام اثنين وثلاثين وسبعمائة، غزا بالجيش المناطق الشّرقية بالاتجاه نحو المدن القشتالية من "لورقة"، "مُرسية"، فأمعن فيها ثمّ اتجه نحو حصن "المدور" المكان الذي يضع فيه القشتاليون آلات القتال الضّخمة، فوقع القتال واستولى عليها المسلمون في منتصف محرم من العام المذكور، فعظّم السّي والغنم^[1] بعد الانتكاسة القويّة التي ألّمت بالجيوش الإسلاميّة بوقوع "طريف" و"الجزيرة الخضراء" بيد النّصارى، فأصبح من السّهل على النّصارى مواصلة مضايقاتها وتضييق الخناق على المسلمين، فبعد مرور فترة من الاستقرار في المملكة، اتّجهت أنظار النّصارى نحو احتلال "جبل الفتح" "جبل طارق"، ففي عام 750هـ/1349م، قرّر جيش قشتالة القيام بحملات حربيّة في جنوب الأندلس، تمهيداً للإغارة على جبل طارق؛ المعقل الحيويّ وهمة الوصل بين المغرب والأندلس، في محاولة قطع الإمدادات والجوازات نحو الأندلس، وكان يومئذٍ قد تزامن وقت منازلته ملك قشتالة "ألفونسو الحادي عشر" للجبل، ووقع وباء الطّاعون الذي مسّ العالم أجمع، وانتقل للأندلس في الفترة التي كان فيها الحصار على الجبل، فأدرك الملك المحاصر الطّاعون فأرداه قتيلاً، ودفع الله عن المسلمين شرّ الحصار الذي دام عامًا كاملاً، فتنفّس المسلمون الصّعداء ليلة عاشوراء 751هـ/26 مارس 1350م.

ولّى القشتاليون أديبارهم يحملون نعش مليكهم، لكن في أواخر سنة 756هـ/1355م، ثار "عيسى بن الحسن بن أبي منديل" المريّبيّ الذي وُلّي الحكم على جبل الفتح "جبل طارق"، وكاد أن يحدث شقاقٌ داخل الجبل، لكنّ المسلمين تداركوا خطورة الأمر، وما يؤول عنه لانتهاز النّصارى الفرصة للتّحرك ضدّهم، فحاصروا الجبل وألقوا القبض على الحاكم المريّبيّ وعلى ابنه، ليُساقا لحكم الإعدام بَعْدُوة المغرب، الأمر الذي دفع السلطان المريّبيّ "أبا عنان" ليقوم بتحصين الجبل، وبذل الجهود لبناء أسواره مزوّداً إيّاه بالمعدّات الحربيّة وأنشأ به داراً للصّناعة، ووضع فيه الذخائر والأقوات^[2].

[1] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 509.

[2] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الرابع، المصدر السابق، ص 331، محمّد كمال شبانة، يوسف الأوّل ابن الأحمر سلطان غرناطة، المرجع السابق، ص 145.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

لم يُكتب للسلطان "أبي الحجاج" يوسف الأول عمرٌ طويل في حكم مملكته، فقد وافته المنية على يد رجل ممرور (مجنون)، فطعنه بخنجر، ذلك يوم عيد الفطر من عام خمسة وخمسين وسبعمائة، لتُعقد البيعة لابنه "إسماعيل" لولاية العهد، لكنّ الرعيّة اختاروا "محمدًا الخامس"، الغني بالله (755-793هـ/1354-1391م)، الأمر الذي زرع الضغينة مع شقيقه، وزوجة أبيه التي ستعمل جاهدة للإطاحة بالسلطان المرشح. هذا "الغني بالله" حدّو أبيه في تعمير المملكة وتوطيد العلاقات الحسنة، لكنّه لم يلبث في تحقيق مرامه حتّى فاجأه القدر بانقلاب أسرته عليه، ذلك في السادس من ذي القعدة من عام ستّة وخمسين وسبعمائة، حيث أنّ السلطان "أبا الحجاج" ترك مالاً جماً في خزانة المملكة، استحوذت عليه أمّ "إسماعيل" لتقوم رفقة صهرها وابن عمّ ولدها "الرئيس أبو عبد الله ابن الرئيس أبي سعيد" الملقّب بـ "البرميخو" بإعداد خطة قادها الغوغائيون الذين بلغوا زهاء مائة، فنزلوا القلعة الكائن بها السلطان المخلوع، في سحور الليلة الثامنة والعشرين من رمضان عام ستين وسبعمائة، وأوّل ما قام به المنقلبون قتل الحاجب "أبي رضوان النّصريّ" ثمّ التوجّه نحو مكان تواجد السلطان "الغني بالله"، لكنّ الأخير تفضّن للحيلة وتأهّب للرحيل نحو "وادي آش"، ليجوز بعد مدّة للمغرب في السادس من شهر محرم فاتح عام إحدى وستين وسبعمائة، أين استقبله السلطان المريّنيّ "أبو سالم" بفاس، فأكرم وفادته وأسكنه أحد قصوره^[1].

بقيت غرناطة بعد خلع "الغني بالله" تعيش أوضاعاً صعبةً، فالمنتزي بالحكم "إسماعيل" كان صغير السنّ، سيء السيرة بين رعيّته، انغمس في اللذات وحياة الترف، تجافى عن أمور المملكة إلى نظر ابن عمّه "الرئيس أبي سعيد البرميخو"، فانفرد في الحلّ والعقد، لكنّ المتوثّب على الملك "إسماعيل النّصريّ" لم يلبث فترةً في ترثّعه على كرسيّ العرش؛ حتّى بادر إليه في ليلة 27 شعبان عام 761هـ/1359م عمّه الطّامع بالعرش مع ثلّة من الفرسان، فقصّدا موقع وجوده ودخلوا قصره فطرحوا رأسه وقتلوا أخاه الأصغر، وتمكّن الأمر لعمّه المغتصب المشهور بـ "البرميخو" من أخذ البيعة، فجدد بطانة القصر، وأسند الوزارة والقضاء لشخصيات غير كفوءة، لوقوع القحط في رجال الدّولة، فانتشرت في عهده الموبقات وعاث الرعيّة فساداً^[2]، لكنّه استطاع أن يحقّق نصرًا خلال مواجهاته العسكريّة مع النّصارى، إذ تذكر المصادر التاريخيّة أنّ "البرميخو" قاد جيشًا يوم السبت 19 ربيع الأوّل 763هـ/1361م، ليواجه القشتاليين بظاهر "وادي آش"، أين استطاع أن يحقق فوزًا كبيرًا

[1] لسان الدين بن الخطيب، اللّحة البدرية في الدولة النّصريّة، المصدر السابق، ص 146-147.

[2] لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في غلالة الاغتراب، الجزء الثّاني، مراجعة وتعليق: أحمد مختار العبادي، مراجعة: عبد العزيز الأهواني، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د.س، ص 105 وما يليها.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

على القشتاليين، تمكّن خلال هذه المواجهة من أسر ما يزيد عن ألفٍ ومائتي فارس من النصارى، وسلب الكثير من الغنائم^[1]، بعد هذه المواجهة أضمر ملك قشتالة "بيدرو الأول" القاسي، الضغينة على "البرميخو" وقرّر مساعدة السلطان المخلوع "الغني بالله"، في محاولة استرجاع مملكته؛ فربط العلاقات مع السلطان المريبي لمحاولة إجازته نحو "قشتالة" ليشدّ أزره، فما كان على ملك "قشتالة" سوى أن جهّز أسطولاً لإجازة "الغني بالله" ذلك يوم السبت 17 من شهر شوال 762هـ/1360م^[2] لما جاوز السلطان "الغني بالله" للأندلس، استقرّ بادئ أمره بجبل الفتح، مدّة من الزمن تبادل فيها مع ملك الروم الرسائل، فكانت العلاقات وديّة بينهما؛ حيث أنّ ملك قشتالة أقرض "الغني بالله" مبلغاً قدره ثلاثين ألف ديناراً من الذهب عين لنفقاته، شرطاً ألاّ يبتزّ السلطان النصريّ حصناً من الحصون التابعة للنصارى طوال مدّة إقامته، ثمّ ما لبث "الغني بالله" مدّة من الزمن حتّى ارتحل مع من كان معه من جيوش بني مرين وبقية قومه إلى مدينة "رُنْدَة" التي كانت تابعة آنذاك للمرينيين، أين طاعت له أحوارٌ "أنتقيرة" وحصن "أنكيرة" من أعمال "مالقة"، وبينما كان السلطان النصريّ المخلوع يحاول ضمّ أكبر عدد من الحصون تحت طاعته في محاولة استرجاع عرشه، بلغه خبر مقتل السلطان المريبيّ "أبي سالم"^[3]. وذلك بعد صراعٍ بينه وبين وزيره "عمر بن عبد الله"، الذي طالب بعودة الجيوش المرافقة للسلطان النصريّ، في الوقت الذي خشي فيه "البرميخو" من الاتفاق المبرم بين الأطراف، وبعد علمه بقدم الغني بالله إلى غرناطة، قرّر النجاة بنفسه، فحمل كلّ ما تحويه خزانة النصريّين من أموال وذخائر ومجوهرات نفيسة، وقصد أرض قشتالة ذلك في 2 رجب 763هـ/1361م، لكنّ الملك القشتالي "بيدرو الأول" ألقى القبض عليه رفقة جماعته، فأمر بقطع رؤوسهم وتقديمهم للسلطان المخلوع، الذي دخل لمملكته مستأنفاً حكمه للمرة الثانية.

عاشت مملكة غرناطة في كنف حكم السلطان الغني بالله أياماً سادها الهدوء والعمار، حيث أنّ السلطان ما فتى أن تسلّم مقاليد الحكم راح يعمل على تحصين قلاعها، وتوفير العيش الحسن للرعيّة، أمّا من الجانب العسكري فقد عرفت فترة حكمه فتوحاتٍ مشهورة.

[1] لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بوع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت-لبنان، 1956م، ص 309.

[2] لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في غلالة الاغتراب، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص 183-184.

[3] نفسه، ص 285-286.

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

استغلّ ظرف الفتن الدّاخلية بين "بيدرو القاسي" ووليّ عرشه، فكان أمره أن غزا بجيشه غزوات جمّة، استطاع من خلالها ضمّ اثنين وعشرين ثغرًا من البلاد المجاورة للنّصارى والمشاركة الحدود معها فضمّها لأراضي المسلمين، وأول غزوة قام بها سنة 1365/767م، كانت باتجاه ثغر "برغة" "Burgo"، أحد الحصون المتواجدة بشرق "رندة" فاستنفر "الغنيّ بالله" منازلته أهل الجهات الغربية من "مالقة" و"رندة" وما بينهما، وبعد قتالٍ شديد تيسّر على المسلمين فتحه، وغنموا ما به من سلاحٍ وعدّة، ورّتب السّلطان عليه الحماة والرّماة من الفرسان، ثمّ واصل زحفه باتجاه حصن "أشر" على مقربة من "أطرية" شرق إشبيلية، فحاصره المسلمون وأحاطوا به كإحاطة "القلادة بالجيد" فنُصبت عليه المراقبي والمناكب، واستُخلصت قصبته بعد قتالٍ شديد، ثمّ واصل الجيش زحفه باتجاه حصن "أطرية" "Urtera"، ذلك في شهر شعبان من عام 1366/768م، "بنت حاضرة إشبيلية"، فنازلتها جيوش المسلمين واستباححت المدينة، فأخذ القتال، فجنى المسلمون نصرهم وسبوا منهم خمسمائة نفسٍ، واغتنموا وقسموا ما كتب الله بينهم^[1]، وواصل المسلمون غاراتهم على بسائط "حمص" (إشبيلية)، واستبحروا فيها إلى أن وصلوا إلى قاعدة "جيان" كرسيّ الإمارة، ذلك في آخر محرّم من عام 1367/769م، فكانت الحركة الكبرى، فعُصّت بجيوش المسلمين فافتتحوها بعد قتالٍ وغنموا ما بها من أقواتٍ ومالٍ وأنعامٍ ودوابٍ وسلاح، وسبّوا أهلها، ثمّ انتسفوا غلّاتها وقطعوا أشجارها وخرّبوا عمراها^[2]. تواصلت غزوات الجيش الواحدة تلو الأخرى حتّى فيها المسلمون انتصاراتٍ كثيرة، وما ساعدتهم أكثر احتدام الفتن الدّاخلية داخل البيت القشتالي، وكانت الأهبة بعد "جيان" إلى مدينة "أبّدة"^[3] "Ubeda"، التي عظم فيها القتال والتّخريب. ومن الأحداث المهمّة التي جرت على ذلك العهد، الحرب الدائرة بين ملك قشتالة "بيدرو القاسي" الذي ربطته مع السّلطان "الغنيّ بالله" علائق حسنة ولا نجد في تاريخ بني "نصر" مثلاً أقوى من هذه العلاقة، وهذا سبب سخط النّصارى عليه، فحدث أن انقلب عليه أخوه غير الشرعيّ "الدوق هنري دي تراستمارا" المتآمر مع صاحب (برجلونة) ملك الأراغون بّطرس الرّابع، لينتزي بالحكم، فدارت بين النّصارى مواجهةً عسكريّة لعب فيها الفرسان المسلمين المنضويين تحت قيادة جيش "بيدرو القاسي" دوراً، فكانت الخسارة بظاهر "حصن منتيل"، وحاصرت جيوش "الدوق هنري" الحصن فقرّت

[1] لسان الدين بن الخطيب، ربحانة الكُتاب ومُجعة المتتاب، حققه ووضع مقدمته وشواهد، محمّد عبد الله عنان، المجلد الأوّل، مكتبة الخانجي، ط1، 1980م، القاهرة، ص.ص 71-74، لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثّاني، المصدر السابق، ص.ص 78-83.

[2] لتفاصيل أكثر عن هذه الغزوة راجع: لسان الدين ابن الخطيب، ربحانة الكُتاب ومُجعة المتتاب، المصدر السابق، ص.ص 84-86.

[3] "أبّدة": مدينة بالأندلس بينها وبين "بياسة" سبعة أميال وهي مدينة صغيرة على مقربة من النهر الكبير، ولها مزارع وغلّات قمح وشعير كثيرة جداً، عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 6

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

الجيوش من الحصن نحو "البرتغال"، ثمّ عادت قوّات النّصارى المتحاربة من جديد للمواجهة بأحوال "أبدة" وبعث "بيدرو القاسي" بصريحه للمسلمين؛ فكان الاستنفار وحدثت المواجهة، لكنّ الحصار اشتدّ ولم يبقَ لملك قشتالة من حلّ سوى أن سقط في فحّ أخيه المتآمر مع نصارى (فرنسا)، بدعوى مساعدته؛ ليقدّمه في الأخير لأخيه الذي أمر بقتله وقطع رأسه والتّنكيل بجثته^[1].

أضمر الملك القشتاليّ الجديد "هنري الثّاني" الضّغينة لسلطان بني الأحمر بعد سلسلة الفتوحات التي خاضها بأحوال إشبيلية، ومساندته لأخيه ضدّه أثناء حربهما، وعزم على استئصال شأفة المسلمين من على جزيرة الأندلس، فأخذ في احتشاد الأمم الكثيرة من النّصارى، ولم يتخلّف عن موعد الصّراع سوى من كان بمدينة "قرمونة"، فاجتمعت كلمة النّصارى واتّحدت على مواجهة المسلمين، وانطوى لهذا الحلف ملك "الآراغون"، و"أشبونة"، و"فرنسا"، لكنّ السّلطان "الغنيّ بالله" تريث دون أن يدخل في مواجهة النّصارى بدعوى من وزيره "ابن الخطيب"، فتدارك الله على المسلمين حربًا ضروسًا كادت تعصف بهم، ذلك أنّ الفتنة دبّت داخل بيت النّصارى، في تلك الأوقات عاجل السّلطان النّصريّ بتحسين مدينة "قرمونة" المحاذية لأراضي المسلمين من أحوال "إشبيلية" فملاً خزائنها بالطّعام، والسّلاح، والآلات، ونقل إليها المال والذخيرة، وسجن بها الأسرى من أكابر إشبيلية، وأودع بها ولده وأهلّه.

لكنّ الحاقدين عليه من خدامه أرادوا انتزاع هذا الحصن منه، ونشبت الفتنة بين المسلمين، فأراد ملك قشتالة انتهاز الفرصة بعقد الصّلح مع بقية ملوك النّصارى لمواجهة المسلمين، لكن ما فتئت نار الفتنة تقع داخل أراضي النّصارى فانشغلوا بإطفائها، وانتهز السّلطان النّصريّ الفرصة مواصلاً حركته لفتح الحصون، ففي رمضان من عام سبعين وسبعمائة فتح المسلمون حصن "مُنْتيل"، وحصن "الحويز"، ثمّ حصن "روطة"، وحصن "زمره" من أحوال "زُندة"، وحصن "برج الحكيم" و"القشتور" بجبل الفتح، ثمّ اتجهت أنظار "الغنيّ بالله" في ظلّ الطّروف الرّاهنة وانشغال النّصارى بردّ الخوارج عن مملكتهم، بمحاولة استرجاع "الجزيرة الخضراء"^[2] التي سقطت بيد النّصارى منذ سنة 1342/743م بمساعدة من السّلطان المرينيّ "عبد العزيز بن أبي الحسن" الذي أمده بالأموال الطّائلة وبأساطيلٍ لمحاصرتها، ثمّ توجه إليها "الغنيّ بالله" بجيوشه في يوم السبت 23 ذي الحجة من عام 1368/770م، فناشب النّصارى القتال وضيّق عليهم بالحصار، إلى أن طلبوا الأمان وخرجوا عنها، وغنم المسلمون ما كان فيها، وذلك في يوم الإثنين الخامس والعشرون من نفس الشّهر والسّنة.

[1] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثّاني، المصدر السابق، ص 85.

[2] نفسه، ص 90-91.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

وفي وسط ربيع الأول من عام 771هـ/1369م، كانت الحركة باتجاه أحواز "إشبيلية" دار ملك القشتاليين، فنازل المسلمون "أشونة"^[1] "Osona"، لكن استعصى على المسلمين فتحها لعدم وجود ماء، ونقص المونة، ثم واصل النصارى سيرهم نحو مدينة "مرشانة"^[2] "Marchena"، ففتحتها المسلمون دون قصبته التي استعصى عليهم فتحها، ثم واصل المسلمون إغارتهم على أحواز إشبيلية يقتلون ويسبون، ويغنمون الدواب والآلات والأموال، والكثير من الطعام، ولم يغادروها إلا وقد أحرقوا وخربوا بطائحتها، فكانت هذه الفتوحات سبب رخاء الأسعار بدار المسلمين، وسبب ارتفاعها عند النصارى^[3]. ثم إن سنة 787هـ/1389م شهدت فترة سلام في الأرض الغرناطية، وفترة فتن داخل البيت القشتالي؛ حيث أن اجتماع النصارى للبحث في أوضاع "غرناطة" كان من شأنه تغيير المعطيات السياسية، لكن موت البابا الأول سنة 1390م، خلق شرخاً في الكنيسة، وأجبر الأطراف على تأخير الاجتماع، وأدى إلى انقسام الغرب حول تعيين البابا التالي، وعليه قرّر القشتاليون تمديد الهدنة لكسب مزيد من الوقت^[4].

وبهذا تكون مرحلة حكم "الغني بالله" من أزهى العصور في تاريخ بني الأحمر، إلى أن توفّي سنة 793هـ/1391م، لتدخل المملكة النصرانية في مرحلة الضعف والفتن؛ ستنتهي بسقوط آخر قلعة في الإسلام.

أعقب على حكم "غرناطة" السلطان النصراني "أبو الحجاج يوسف الثاني" (793-797هـ/1391-1394م)، اتّسمت بداية حكمه بالقيام بأمره خالد مولى أبيه، الذي تقبض على إخوته: سعد ومحمد ونصر، وفتك بهم ليخلو الجو له بعد ذلك للتخطيط من أجل قتل السلطان "يوسف الثاني"، وكان له ذلك؛ حيث دبر مكيده رُفقة طبيب دارهم "الصائغ اليهودي" الذي أعد له سماً لقتله، لكن السلطان تطفّن إلى الحيلة فأمر بقتله، وحُبس الطبيب وقتل بعدها بحبس^[5].

[1] "أشونة": بالنون مكان القاف، حصن بالأندلس من نواحي إستجة، وعن السلفي: أشونة حصن من نظر قرطبة. ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الأول، ص 202.

[2] "مرشانة": بالفتح ثم السكون، وشين معجمة، وبعد الألف نون، مدينة من أعمال قرمونة، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الخامس، ص 107.

[3] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 90-91.

[4] Luis Suarez Fernández, Op.Cit. p103.

[5] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، القسم الثاني، الجزء الرابع، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م، ص 81، عبد الرحمن ابن خلدون، العبر الجزء 4، المصدر السابق، ص 228.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

لما هدأت الأوضاع وتقررت الهدنة مع النصارى، تمّ قرّر بعدها القيامَ بعمليات عسكرية أثار فيها الجيشُ على أراضي النصارى في أحواز "مرسية"، و"الورقة"، من جانبٍ آخر عاث النصارى في فحوص غرناطة (المرج) "La Vega" فأوقع عليهم المسلمون الهزيمة، ثمّ تقرّر عقد معاهدة السلام بين الأطراف، ولم يلبث السلطانُ "يوسف الثاني" على الحكم سوى ثلاث سنوات وبضعة أشهر، ليقتل كما تُذكر المصادر إثر مكيدةٍ دبرها له السلطانُ المرينيّ "أبو العباس" حيث أنّه بعث بهدايا من بينها معطفٌ منقوع بالسم فلبسه السلطانُ وهو عرقان فسرى في دمه ذلك السم ليودي بحياته، ثمّ خلفه ابنه "محمد السادس بن يوسف الثاني المستعين بالله" (797-811هـ/1394-1408م)، عُرف هذا السلطان بطموحه وجرأته وشجاعته^[1]، اتخذ هذا السلطان "ابن زمرك" حاجبًا له بعد أن استدعاه من منفاه الذي وضعه فيه أبوه "الغني بالله"، وكان "ابن زمرك" رجلًا عُرف بدسائسه وسوء سيرته، حتّى أنّه كان سببًا في نشر الفتن في بلاط النصارى؛ الأمر الذي ألزم السلطان "محمد السادس" بقتله وسط عياله وأهله^[2]، فسعى في بداية حكمه لربط علاقات ودّية مع ملوك النصارى، لكنّ فترة السلام لم تدم، حيث أنّه في عام 802هـ/1404م، كتب "هنريك الثالث" إلى أقرابه "كارلوس الثاني" ملك نافارا "Navarra"، وملك الأراغون "مارتن" يحدّثهم من خطر تحالف المسلمين، وتكرار عهد "بني مرين"، واستنجد بهم بضرورة تجهيز حملة صليبية^[3]، فأتت النجدة الصليبية، وتجمّعت الأساطيل المسيحية مع أساطيل المسلمين التي انضمت إليها أساطيل مسلمي شمال إفريقيا من "تونس" و"تلمسان" في معركةٍ بحريّةٍ حامية الوطيس، دارت رحاها إزاء جبل "الفتح"، في سنة 799هـ/1396م، انتهت بهزيمة المسلمين وتدمير سفنهم^[4].

لما توفّي الملك القشتالي "هنري الثالث" خلفه على العرش "خوان الثاني" الواقع تحت وصاية أمّه وعمّه "فرديناند" "Fernando de el Antequera"، الذي قام بغزو أراضي المسلمين، فاستولى على "حصن الصخرة" بالقرب من "زُندة" واقتحم حصن "باغة"^[5]، بعدها جرت بين المسلمين والنصارى وقائعٌ؛ حيث أغار القشتاليون على سهول غرناطة، الأمر الذي دعى بسلطان "غرناطة" للتأهب وردّ الضربة؛ فحشد

[1] محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 150

[2] شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ، أزهار الرياض في أخبار عياض، الجزء الثاني، ضبطه وحققه وعلّق عليه: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة فضالة، د.س، المحمدية-المغرب- ص 18-19.

[3] Luis Suarez Fernández, Op.Cit .p105- 106.

[4] محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 151.

[5] ضيا باشا، الأندلس الذاهبة، الجزء الثالث، تعريب: عبد الرحمن أرشيدات، 1989، عمان، ص 218. محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 151.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

قوّته وأغار هو الآخر على أراضي النصارى أين تمكن من شنّ ثلاث هجمات، وتفرد لنا المراجع الإسبانيّة سبب هذه الهجمات بانتهاز السلطان محمد السادس المستعين بالله "فرصة مرض الملك القشتالي "هنري الثالث"، فكان الهجوم الأول على حدود "مرسية"، أين عاث المسلمون فيها، ثمّ انتقل المسلمون للهجوم الثاني باتجاه "أيامونتي" فخرّبوا بسائطها وسبّوا وغنموا الكثير، ثمّ كان الهجوم الثالث على حصن نايجي "Nameji" وبيدمار "Bedmar"، في أحواز مدينة "جيان"، بعدما أيقن القشتاليون بقوة ضربات المسلمين آثروا عقد هدنة سلام، ذلك في 809هـ/ 6 أكتوبر 1406م^[1].

لم يلبث السلطان النصريّ "محمد السادس بن يوسف المستعين بالله" أن يبقى على الحكم بعد المعاهدة كثيراً إذ أصابه المرض ومات على إثره في سنة 811هـ/ 1408م، ليخلفه على حكم غرناطة أخوه "يوسف الثالث" (811-820هـ/ 1408-1417م)، هذا السلطان الذي حدث عليه الانقلاب من طرف أخيه "أبي الحجاج يوسف الأول" حيث أنّه كان أحقّ بالحكم من أخيه، فنفاه إلى إحدى قلاع "شلوبانية"، إلى أن مات أخوه فعاد هو إلى الحكم، أبرم في بداية حكمه هدنة مع النصارى، لكنّ الأوضاع بعد مُضيّ سنتين تغيّرت، وأصبح القشتاليون يستفزون المسلمين من أجل الرّضوخ لمطالبهم.

لم يقف النصارى عند هذا الحدّ فقط، بل عقدوا اجتماعاً في مدينة "طليطلة" Toledo" صوّت فيه الكورتيس بالموافقة على شنّ الحرب ضدّ المسلمين، وقدّموا مساعدات مالية أحصتها الدّراسات الإسبانيّة بـ 45.000.000 ديناراً مُرابطياً Maravedis، بالإضافة إلى تجهيز جيش من 10000 رامح، و4000 فارس، و50000 راجل من المشاة^[2].

تأهّب بعد مدّة النصارى إلى الرّحف نحو أراضي غرناطة، وحاصروا "أنتقيرة"^[3] "Antequera"، حاولت حامية المسلمين فكّ الحصار دون جدوى لتسقط بيد فرديناند "Fernando de el Antequera" الملقب بالرشيد، بعد خمسة أشهر من تضيق الخناق عليها، وأهزم الأميران "علي" و"أحمد" في هذه المعركة بعد أن أدرك المسلمين الجوع، واقتيدوا للأسر، تقرّر بعد ذلك السلم بين النصارى والمسلمين من بني الأحمر وبني مرين، فعاشت غرناطة في سلام في كنف السلطان "يوسف

[1] Luis Suarez Fernández, Op.Cit., p: 105.

[2] Ibid, p : 108 -109.

[3] "أنتقيرة": بفتح الناء فوقها نقطتان، والقاف، وباء ساكنة، وراء؛ حصن بين "مالقة" وغرناطة، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الأول، ص 259.

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

الثالث" إلى أن توفيّ بجلطة دماغية في 29 رمضان 820هـ/1417م^[1] ليخلفه ابنه الأكبر "أبو عبد الله محمد السابع" (820-831هـ/1417-1428م)، حكم للمرّة الأولى، يُلقّب "الأيسر" (EI) Izquierdo ويُعرف بـ"الغالب بالله"، سيسجل تاريخ بني الأحمر بعد اعتلاء هذا السلطان العرش الضعف، ذلك أنّ الفتن الداخليّة والصّراعات حول السلطنة ستشكل منحىً خطيراً في سير الأحداث المستقبلية، تميّزت فترة حكم الأيسر بسخط شعبه وسوء سيرته؛ وهذا ما يفسّر تنحيته من الحكم وعودته لأكثر من مرّة، وكان هذا السلطان بعيد الاتّصال بشعبه، لولا تدخل أسرة بني سراج من أعرق الأسر الأندلسية التي خففت من وطأة الصّراع، استغلّ النصارى الفجوة بين السلطان والرعية، وأثاروا القلاقل من أجل إشعال فتيل الفتن، وهذا الدور ستكون آثاره وخيمته على المسلمين؛ وهذا ما سيحدث في أخبار آخر سلاطين بني الأحمر، لم تشفع محاولات أسرة بني سراج في إخماد غضب الرعية التي قامت بثورة عارمة؛ واستطاعت في الأخير خلع السلطان الأيسر، وحدث أن زحف النصارى على بسائط "وادي آش" وذلك في سنة (831هـ/1428م)، وبعد خلع الأيسر (في ماي 1428) قرّر الرعية تنصيب ابن أخيه (وقيل ابنه، وقيل ابن أخيه) "محمد التاسع" الملقّب بالزغير "الصغير"، في حين أنّ الأيسر اختار الفرار مع أهله وخاصته إلى تونس التي كان سلطانها آنذاك السلطان "أبو فارس الحفصي"^[2]. ويؤكد "لويس سيكو دي لوينا" بمعلومة عن تاريخ فرار السلطان الأيسر وأثبتته في شهر رمضان 832هـ/ يونيو 1429م.

ترجع "محمد التاسع الزغير" (El Pequeno) على عرش غرناطة، بالرغم من أنّ المملكة عرفت في فترة حكمه نوعاً من الاستقرار؛ ذلك أنّه عمل جاهداً على كسب محبة الشعب، لكنّ أسرة "بني سراج" كان لها شأن في إثارة القلاقل داخل المملكة، وكرّد فعل من "الزغير" قرّر الانتقام من "بني سراج" خاصة من قائدهم "يوسف"، الذي فرّ باتجاه "إشبيلية" لاجئاً عند الملك القشتاليّ "خوان الثاني" رُفقة عدد من القواد غدّدوا بأربعين فارس (وقيل ثلاثين)، وقد تمكن "ابن سراج" من إقناع الملك القشتاليّ بمساعدة السلطان اللاجئ "محمد الأيسر" وقد رافقهم صاحب "الورقة" "ألفونسو" في نوفمبر 1428م لقشتالة، أين رحّب بهم

^[1]Lafuente Alcantara, Inscriptions Arabes De Granada, Imprenta National, Madrid, 1859, p: 42, Manuel Gomez Moreno, Guia de Granada, Imprenta de Indalecio Ventura, Granada, 1892, p: 17.

^[2] محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 155، يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضارية)، دار الجيل، ط1، 1993م، بيروت، ص 44.

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

الملك القشتاليّ، وبعد موافقة من ملك قشتالة بُعث "ألفونسو" هذا كسفير للعلاقات بين الأطراف بدعوى من "يوحنا الثاني" بتقديم دعمٍ من السلطان الحفصيّ في مساعدة عودة الأيسر للحكم، في عام 1429م^[1].

تفيد الوثائق الأراغونية، أن "ألفونسو" رسول قشتالة كان قد توجه رفقة "محمد بن سراج" و خمسة وأربعين مرافقٍ إلى إفريقية في منتصف ماي 1429م، وسُرح الأيسر مع حوالي ثلاثمائة فارس، ومائتيّ راجل من إفريقية(تونس)، قاصداً العودة إلى مملكته، أين استغرق مدة ستين يوماً على أرضها، ومن ثمّ توجه نحو (وهران)، ثمّ دخل إلى "فيرا" "Vera". تكشف لنا مذكرات "Luca di Maso" لوكا دي ماسو أنّ الأيسر هبط إلى مدينة "فيرا" قبل 18 أكتوبر 1429، وأصدر "ألفونسو العظيم" " El magnanimo" أمراً بتأمين مرور "الأيسر" مع بقية مرافقيه لمدة 14 شهراً، والنزول في الأراضي الأراغونية على متن أيّ سفينة، ولم يكتفِ بذلك فقط، بل قام بتأجير سفينة بمبلغ (250 فلورين ذهبي) نقل السلطان مع قومه سواءً من الأندلس، أم إفريقية، وقدم له مبلغاً مالياً كإعانةٍ قدر بمائة فلورين ذهبيّ من أراجون "Florines de Oro" ولما وصل الأيسر إلى "غرناطة" اشتبك مع القائم على الحكم "الزغير"، فحاصره في "قصر الحمراء" ذلك في سنة 833هـ/12 مارس 1430^[2] وقتله، وهكذا عاد السلطان "الأيسر" للحكم للمرة الثانية بعد خلعه ما بين(833-839هـ/1430-1436م).

لما استقرت الأوضاع ودانت له الرعية قرّر عقد صلحٍ مع "قشتالة"، فكان الردّ بوجود ذلك ما إن يرضخ الأيسر لمطالب البلاط القشتاليّ، التي اشترطت عليه الخضوع والولاء و دفعَ جزية سنوية، ثمّ تسديد ديون السلطان التي أنفقها عليه التّصاري أثناء محنته، والتي أشرنا إليها سابقاً بلغة الأرقام. لكنّ "الأيسر" رفض ذلك، فما كان على "خوان الثاني" سوى التحرك ضدّ الأيسر، فبعث برسائل وهدايا إلى البلاطين "المرينيّ" والحفصيّ يدعوها إلى موقف الحياد اتّجاه ما يحدث في "غرناطة"، والرّاجح أنّ هذا الطّلب سيكون بمثابة دقّ ناقوس الخطر على غرناطة، خصوصاً وأنّ الأطراف المسلمة تقبلت القرار وانحاشت دون تدخلٍ منها^[3]

[1] Roser salicruILLuch, La corona de Aragón y los nazaritas en El segundo Reinado de Muhamad El Pequeño (1427-1429), Institución Milá i fontanals.csc.Bareclona, p.205

[2] Roser salicruILLuch, Op. Cit., p.p. 205-207

[3] محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 158.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

فحدث أن قاد القشتاليون جيشًا باتجاه "أوريولة"^[1] "Higueruela"، أين أحرزوا انتصارًا على جيش "الأيسر" ذلك في (834هـ/ جوان 1431م) واستولوا على الحصن^[2].

توالى الانتكاسات داخل غرناطة، من جهة ترصد النصارى لأوضاع "غرناطة" الداخلية، ومن جهة أخرى الفتن الداخلية التي ما بادت تشتعل بين الفينة والأخرى داخل الأسرة النصرية، وكانت أعظم فتنة حدثت قادها أحد رجال الدين يُدعى "ابن المدجن" بدعوى إصلاح أوضاع الرعية التي كانت ناقمة على السلطان "الأيسر"، وكان "ابن المدجن" هذا صانع سفن تصدى لإنشائها في دور الصنعة بغرناطة، وكان السلطان النصري يُخلص النية له ويخلص له، ثم أن دعوة "ابن المدجن" أتت أكلها في استقطاب التاقمين والغوغائيين من الشعب الغرناطي الهاتفين بالخلعان، ذلك في سنة 835هـ/1431م، فأركب إليه السلطان جملة من القواد، ففُطع دابره وانتهت فتنته وهلك^[3]، وما فتئت الفتنة تنتهي حتى تقوم من جديد، وهذه المرة كان صاحبها قريبه "أبو الحجاج يوسف بن المول"، استغله النصارى في تحقيق انتقامهم من "الأيسر" حيث وقّع "ابن المول" اتفاقية مع الملك القشتالي "خوان الثاني" الذي أغار على أحواز "غرناطة" وضمّ مدن بني موريل "Benamaurel"، "Jimena"، "Huèscar"، بني زلة "Benzalema"، وقد أزم "المجلس القشتالي" الكورتيس "ابن المول" مقابل دعمه على ترثع العرش بأربعة شروط هي:

- 1- تقديم الولاء الكلي بأداء اليمين والالتزام بالدعم العسكري والاقتصادي.
 - 2- تحديد جزية سنوية قدرها 20000 دينار دونه من الذهب ويسلمها على الفور للمجلس.
 - 3- إمداد النصارى بقوات مساعدة من الجيش الغرناطي عند الحاجة.
 - 4- الالتزام بالعلاقات التجارية بين المسلمين والنصارى^[4].
- بعد توقيع المعاهدة أرسل ملك قشتالة جنده لغزو مرج غرناطة، في الوقت الذي تحرك فيه الأيسر

[1] "أوريولة": بالضم ثم السكون، وكسر الراء، وياء مضمومة، ولام، وهاء، مدينة قديمة من أعمال الأندلس من ناحية ثدمير، بساتينها متصلة بيساتين مرسية، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، المجلد الأول، ص 280

[2] Luis Suarez Fernández, Op.Cit., p124.

Lafuente Alcántara, Historia de Granada, Comprendiendo la De Sus cuatro Provincias, Almería, Jean, Granada y Málaga, Tomo III, Imprenta y Librería De SANE, 1845, p.p: 232-233.

[3] ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، المجلد الأول، تحقيق: صلاح جرار، دار البشير، 1989م، عمان، ص 186-187.

[4] Luis Suarez Fernández, Ibid.p.p.126-125

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

بقواته، فالتقى بالتصاري في بسائط "البيرة" ونشبت موقعة أدت إلى هزيمة "الأيسر"، فتحرك "ابن المول" إلى قواعد "رنده"، "لوشة"^[1] "Loja"، "حصن اللوز" وغيرها، وبعدها تحرك "ابن المول" بقواته وبدعم من التصاري باتجاه غرناطة، في الوقت الذي جهّز فيه القائد "ابن سراج" الجند الغرناطيين، فحدث اللقاء وأسفر عن هزيمة "ابن سراج" وقتلته، ثم اتجه "ابن المول" لغرناطة فدانت له الرعية بالطاعة بعد ضعف "الأيسر"، فاحتمل "الأيسر" نفسه وأهله وماله، واتّجه إلى "مالقة"^[2]، فترجع "ابن المول" على عرش "غرناطة" سنة 1432م.^[2]

لم يقف "الأيسر" موقف المهزوم بعد ترُبع "ابن المول" على العرش، بل تحرك يربط علاقاته مع البلاط الحفصيّ فراسل السلطان "أبا فارس"، كما اختار "ألفونسو الخامس" ملك الأراغون وقطلونية (1396-1458م)، الذي كان بينه وبين "ملك قشتالة" شقاق، وكثيراً ما كان السلاطين التصريين ينتهزون فرصة الفتن داخل التصاري للضغط على الطرف المعادي، بعدها حاول "ابن المول" شنّ هجوم على السلطان "الأيسر" فتحرك بجيش يُريد "مالقة"^[3]، فجهّز "الأيسر" حملة قادها الجند الموالي له من "بلش" نحو "غرناطة" أين تمت هزيمة القشتاليين عند "البيرة"^[3]، بعد هذا الفوز المحفّز قرّر "الأيسر" الزحف بجيشه نحو غرناطة، فدخلها وفتح باب الحمراء والتفّ أنصار السلطان "الأيسر"، فقام السلطان باعتقال الخارجين عن طاعته ونكّل ببعض، ثم أمر السلطان بالبحث عن "ابن المول" في منازل الحمراء، وفُتشت مكاناً مكاناً، حتى اقتفي أثره في مخدع صغير، أو خزانة متخذة في عرض الحائط، فقتبض عليه، ففضى نجه^[4].

لما عاد "الأيسر" إلى الحكم للمرة الثالثة (839-844هـ/1436-1441م)، قرّر الأخير إعادة ربط العلاقات مع البلاط القشتاليّ قصد إعادة الاستقرار للمملكة، لكنّ السّلم بين المسلمين والتصاري لم يدم سوى سنة واحدة، ثم عاد التصاري لسياسة الصراع العسكري، واندلعت الثورات بين الطرفين، حيث تمكّن القائدان الغرناطيّان الوزير "ابن البر"، والقائد "أبو سراج" في سنة 838هـ/1434م من هزيمة جيوش قشتالة

[1] "لوشة": بالأندلس من أقاليم "البيرة"، بينهما ثلاثون ميلاً وفيها جبل به غاز يُصعد إليه، عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 513

[2] محمّد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 160.

[3] يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضارية)، المرجع السابق، ص 45.

[4] ابن عاصم الغرناطيّ، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 303، لكن المراجع تفيد أن "ابن المول" مات بعد ستة أشهر من حكمه غرناطة بسبب كبر سنه وهذا ما سجلته المصادر الإسبانية، راجع: محمّد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 160، يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضارية)، المرجع السابق، ص 45.

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

بقيادة 1500 فارس، و600 راجل، وحرقوا القرى، ونهبوا الماشية، حسب الرواية المسيحيّة، وكان هذا اللقاء في "أرشدونة" و"وادي آش"، و"مرج غرناطة"، وقد فصل هذه المعارك "الفوينتي الكانتارا"^[1].

عاد الصّراع من جديد في سنة 840هـ/1436م، حيث جهّز "الأيسر" حملة عسكريّة بعد إغارة النّصارى على مدينتي "بسطة" و"وادي آش"، وأسند مهمّة قيادة الجيش إلى الوزير "ابن عبد البر" الذي استطاع هزم النّصارى وقتل أحد قادتهم المشهورين، ردّ النّصارى ضرباتهم واستولوا على عدّة حصون كحصن "غاليرا" Galera ثمّ توجهوا إلى "جبل طارق"، بقيادة صاحب "لبلة" "Niebla"، فأدّت المواجهة إلى غرق الكثير في نهر "بالمونس"، وهلك صاحب "لبلة"، وهرب الكثير من النّصارى^[2]، لكنّ هذا الفوز لم يدم، إذ شنّ النّصارى هجماتٍ عسكريّة على المسلمين في سنة 841هـ/1438م، بعد أن تعززت جبهاتهم وطلبوا المساعدة من باقي رؤساء المدن النّصرانيّة فكانت الاستجابة، وكانت قيادة جيوش المسلمين مسندةً للقائد "يوسف ابن سراج" أمّا الجيوش المسيحيّة فكانت بقيادة "أديلانتادو دي كازورلا" "Adelantado de Cazarola"، فدام القتال يومًا كاملًا وأصيب "بن يوسف ابن سراج" بجروحٍ فنفذ حتّى الموت، فحزن أهل غرناطة حزناً كبيراً لفقدانهم هذا الفارس، ولم ينبج من المسلمين سوى قليل^[3]، حيث قُتل منهم حوالي 400 روح، من بينهم "بن يوسف ابن سراج"... ومن الجرحى الكثير الذين قرّوا نحو "وادي آش" و"غرناطة"، وسقطت عدّة مدن بيد النّصارى: "بلش"، "غليرة"، "قسطيلية"، "جبل طارق"، "أولبة"، "بشيش"، عقب هذه المواجهات رأى السّلطان النّصريّ ضرورة اللّجوء إلى السّلم والمهادنة من جديد، وما كان على "خوان الثّاني" هذه المرّة سوى القبول تزامناً والاضطرابات التي حلّت بممالك النّصارى^[4].

عادت الفوضى من جديد تضرب مملكة بني نصر، فلم تكن سياسة "الأيسر" القاسية لتلقى استحسان الرّعية، وما زاد الأوضاع تأججاً سياسته اتجاه قوّاده التي أدّت إلى فرارهم نحو البلاط القشتاليّ، وترأس هذا الانقلاب ابن عمّه "يوسف بن أحمد" المعروف بابن إسماعيل الذي رفض الأيسر مصاهرته، كما ظهر على ساحة الخلاف ابن أخ السّلطان الأيسر المدعو "محمد بن نصر" المعروف بالأحنف (844-858هـ/1354-1441م)، وعند النّصارى بـ "AbenOzmin" الذي كان بـ "المريّة"؛ حيث دخل

[1] Lafuente Alcántara, Historia de Granada, Op.Cit., P.R: 244-263.

[2] José Antonio Conde, Historia de la Dominación De los Arabes En España, Tomo III, Hueva Edición, Imprenta de D. Juan Oliveres, 1844, Barcelona, p: 306.

[3] Loc. Cit.

[4] Lafuente Alcántara, Ibid., p: 264.

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

غرناطة سرّاً رُفقة أنصاره في سنة 844هـ/1441م، واستطاع "الأحنف" أن يثير سخط الرّعية على "الأيسر" وأن يكسب وُدّهم، فاستولى على "الحمراء" وعلى جميع حصون المدينة، وقام بأسر عمّه "الأيسر" ليخلع للمرة الثالثة بعد أن دام حكمه ثلاث عشرة سنة، ثمّ قعد "الأحنف" على كرسيّ الحكم، لكنّ البعض من الرّعية لم تكن راضيةً عن حكمه، من بينهم وزير "الأيسر" "ابن عبد البر" الذي غادر غرناطة مع جمعٍ من أقرابه وأصدقائه، متوجّهاً إلى "مونتي فيريو" "Mon-tefrio"، وأعلن ثورته ضدّ الملك الجديد في سنة 849هـ/1445م، في محاولة إعادة "الأيسر" للحكم، فكتب الوزير إلى الأمير "أبي الوليد إسماعيل" (849هـ-1454م)، الذي كان مقيماً في قشتالة، فعرض عليه العرش مقابل ثورته ضدّ "الأحنف"^[1]، فلبّى الأمير "إسماعيل" النداء وطلب الإذن من ملك "قشتالة" الذي سرّحه رفقة جنديّ من النّصارى، ولما علم "الأحنف" بما يجيكه "ابن إسماعيل" قرّر مواجهته، فأغار على النّصارى في بني موريل "Benamaurel" وحاصرهم وقتل الكثير، وأغار على الأحواز المجاورة لها، فغنم الكثير من الماشية والأسلحة والأسرى وعاد منتصراً إلى "غرناطة"^[2]، ثمّ استغل بعدها "الأحنف" فرصة الخلاف بين الأراغون ونافارا وملكها "الإفنت دون إنريك" "El infante D. Enrique" وملك قشتالة "خوان الثّاني" "D. Juan"، شكّلت هذه

[1] يبدو أن المصادر الإسلاميّة والقشتالية اختلفت في تحديد الأمير الذي وقع عليه الاختيار من طرف الوزير "ابن عبد البر" لاسترجاع الحكم للسلطان الأيسر ثانية ففي رواية ابن عاصم الغرناطيّ ذكر الرواية الآتية: "وفي نفس السنة ظهرت فتنة جديدة داخل البيت النّصريّ كان بطلها، " أبو الحجاج يوسف بن أحمد بن نصر" وحتّى نحيط بأخباره نستشهد بما رواه "ابن عاصم الغرناطيّ" حيث كانت علاقة "الأيسر" مع ابن أخته هذا (أبو الحجاج يوسف بن أحمد بن نصر) وديّة لولا تدخل أرباب الدولة، وكثرة السعيات، فانترى الأحنف بسكنى قرية "واد" عملت "الحرة" والدة "الأيسر" جاهدة لحلّ هذا النزاع لكن دون جدوى، وما زاد في إذكاء الفتنة أكثر وسوسة "ابن العلاق" التي نجحت بتجهيز "الأحنف" جيشاً بقيادة "محمّد بن إبراهيم القبصاني" لمقابلة "محمّد بن يحيى بن مسلمة" قائد "مُرشانة"، فحشد أهل النجدة من "وادي آش" وشرقيها، فضعفت مقاومته، إلى أن جاءه المدد بطلب من قبل "محمّد بن مسلمة" قائد "وادي آش"، وساندهم صاحب "أندرش" "أحمد القرشي" فساندوا "ابن إسماعيل"، فقرّر السلطان بعد تشاور مع قواده على خوض المعركة ضد ابن أخته الخارج عن طاعته، المنتزى بقصبة "المريّة" مدة شهرٍ داعياً لنفسه، وطالباً للملك، فأخرج "الأيسر" من "المريّة" سرية زهاء مائة فارس وما ينيف، بالإضافة إلى سرية كانت قد سبقتها مدة عشرة أيام، وتوجهت لمنطقة حصار السلطان مزودةً بالأقوات والعلوفات والأدم والأدهان، ورغم محاولات السلطان في كسب تأييد العامة، لكن الدسائس وإغراءات أرباب الدولة ضد السلطان سمح لأهالي "مالقة" بالانقلاب على السلطان وتقديم تأييدهم إلى الثائر عليه، الأمر الذي دعى بالأيسر بالخروج إلى ثغر "إلره" فأيده أهلها، ثمّ زحف نحو قصر "بنيرة" الذي سانده أيضاً، لكن الفتنة بقيت متقدّمة فرأى السلطان "الأيسر" في الأخير أن تقديم تنازله عن الحكم مستقراً بالحمراء، وتفرد بحكم مدينتي "شلوبانية" و "مُترايل" وصاحبه قومه وحاشيته وأهله فأنزلهم في حصن "المتلين"، وهنا قام الوزير "ابن عبد البر" بتوجيه الاستغاثة، فهذه الرواية تأكد أنّ الوزير كان يقصد "أبو الحجاج" ابن أخت السلطان "الأيسر" بينما المصادر القشتالية ويذهب معهم في الرأي الأستاذ "أبو عنان" في كتابه: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ص 163-164، فترجع أن الوزير استغاث "أبي الوليد إسماعيل" ضدّ الأحنف "محمّد بن نصر". ينظر: ابن عاصم الغرناطيّ، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، المجلد الأوّل، المصدر السابق، ص 304-311.

[2] José Antonio Conde, Op.Cit., p :307. Lafuente Alcántara, Op.Cit., P.R : 267-270

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

الأحداث عائقاً أمام "إسماعيل" للتحرك نحو غرناطة، فقام "الأحنف" بمحالفة ملك "الآراغون" ضدّ قشتالة، بشنّ هجمات على الأراضي القشتالية وتمكن من قتل الكثير منهم^[1]، فأغار على أراضي "مرسية" فأحرق الحقول ونهبها، وخرج عليه "دون تالز" "Don Tellez" أحد القوّاد القشتاليين رُفقة جُنده، والتقى الطرفان بالقرب من "جنجاله" "Chinchilla"، فانتصر "الأحنف" وأسر الكثير من المسيحيين، ذلك في سنة (849هـ-1450م)^[2]، كما قام المسلمون في السنة نفسها بحسب رواية "أبي عاصم الغرناطي" من استعادة الكثير من الحصون كحصن "النجش"، "وادي المنصورة"، "حصن بريج" وكلها من أعمال "غرناطة"، كما قاد القائدان ابن الوزير "أبو إسحاق إبراهيم بن عبد البر" من وادي آش، و"أبو الحجاج يوسف بن كماشة" من "بسطة" و"الشيخ الأحسن الشّريف" حملةً باتجاه "بطلس" من أعمال "سرقسطة" ففتحوها، ثمّ قاد القوّاد "بن عبد البر" و"أبو القاسم بن سراج" و"أبو سرور مفرج بن فتوح" حملةً من الفتوحات، فتّم فتح "حصن السّكة" و"معلبي" و"غليرة" و"قسطة" من أعمال "البيرة".

كما أغار "قائد" "مالقة" من بني عبد البرّ على حصون "قوج"، "شبر"، "حصن الطورون"، "غار أبي زيد"، "أبرونة"، و"حصن" "بقاروخير" وقام بدمهم. كما قام القائدان "أبو القاسم ابن سراج" و"أبو السرور مفرج بن فتوح" بالإغارة على حصن "أليسانة" "Lucena" و"أغيلار" "Agujlar" فغنموا وأسروا الكثير، ثمّ توجهوا إلى "أرض أنتفيرة" فقتلوا وأسروا الكثير، ثمّ إنّ النّصارى لما علموا بهذه الغارات جهزوا مدداً من جيوش النّصارى ترأسها كلٌّ من قائد "أشونة" "Dsuna"، وقائد "قنيط" "Canete"، وقائد "أطبية" "Teba"، فحاك لهم القادة المسلمون كميناً منحهم النصر، فأسروا وقتلوا ستمائة شخص، ثمّ توجه بعدها القائد "أبو إسحاق إبراهيم بن عبد البر" إلى "مالقة" فقتل الكثير من النّصارى وغنم وأسّر، وكان من الأسرى "خوان شي بدره" "Juan Saavedra"^[3].

الملاحظ في هذه الفترة من تاريخ مملكة بني نصر ما ساد من هرج ومرج، وانقسام جبهات القتال لعبت فيها الكثير من الأطراف دوراً عسكرياً في الدفاع عن مصالحها، وهذه الفترة تعدّ الأحلّك في تاريخ المملكة.

في عام 850هـ/1451م، أغار "الأحنف" على مدينة "أركوس" "Arcos" إحدى مقاطعات مدينة "قابس" فأثنخ فيها قتلاً وسبيًا وغنم ماشيتها، ثمّ بعث في العام الموالي "محمد بن عبد البر" للإغارة من

[1] José Antonio Conde, Op.Cit., P.272

[2] Loc.Cit.

[3] أبي يحيى بن محمد ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، المجلد الثاني، تحقيق وتعليق: بشار عواد معروف، صلاح محمد جزار، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2010، تونس، ص.ص 110-118.

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

جديد على أراضي "مُرسية"، فتوجّه إلى "لورقة" "Lorca" وتواجه مع النّصارى، فقتل الكثير من الفرسان، وأُسر العديد^[1]. من جانبه تحرّك المسلمون المؤيّدون للسلطان "الأيسر" في سنة 852هـ/ 1453م، بقيادة الوزيرين "أبي إسحاق إبراهيم بن عبد البر" و"أبي القاسم ابن سراج" للإغارة على الجهة الشّرقية من الأندلس، فالتقى القائدان بجيش النّصارى في موضع يُعرف بـ"الخزائن" وهو بظاهر "مربله"، وكان عدد النّصارى يقارب ستمائة فارس، فوقع عليهم النّصر، وأُسر منهم حوالي مائة وأربعون شخصاً،^[2] والظاهر أنّ العمليات العسكريّة ستوقّف في هذه السنّة، فبعد رجوع "الأيسر" للحكم للمرّة الأخيرة حسب رواية "ابن عاصم الغرناطي" قام باغتيال القادة الأكفاء الذين لعبوا دوراً هاماً على السّاحة، وبهذا سينتهي عصر "الأيسر"، بعدما نغم عليه الرّعيّة لسوء تدبيره، وسيكون أجله مكتوباً على يد "سعد بن إسماعيل" (858-868هـ/ 1454-1464م)، هو ووزيره "ابن عاصم الغرناطي"^[3].

أمّا عن الروايات القشتالية التي تحكي عن "الأحنف" مُضلّلة لوجود السلطان "الأيسر" على السّاحة السياسيّة، فتتحدث عن "الأحنف" وعلاقته داخل البيت النّصريّ التي لم تدم بينه وبين شعبه كما كانت ذي قبل، فقد سخط عليه رؤساء بلاطه وقوّاده، الأمر الذي استغلته النّصارى بعد عودة العلاقات بين "قشتالة" و "الآراغون" لسابق عهدهما، وكانت مهمّة القضاء على "الأحنف" تلوح في الأفق؛ وما من عدوّ تُسند له مهمّة القضاء عليه سوى الأمير "إسماعيل"، حيث أعد النّصارى له جيشاً لمواجهة "الأحنف"، ووقعت حربٌ دامية أدّت في الأخير إلى هزيمته ولاذ بالفرار إلى "غرناطة" في الوقت الذي انقلب فيه الشعب الغرناطيّ عليه، فأخذ يقتل كلّ من عاداه من خاصّته وفرسان المملكة.

في عمّر تلك الأحداث ظهر "سعد بن إسماعيل" الذي توجّه إلى "غرناطة" قصد القضاء على "الأحنف"؛ أين قرّر الأخير الفرار لما سمع بخر مقدمه، ذلك في سنة 859هـ/ 1460م، فاحتفى الشعب بمقدمه وترّبّع على كرسيّ العرش، وبعث بالهدايا الثمينة من ذهبٍ وحريرٍ وخبولٍ لملك قشتالة "خوان الثاني" لكنّ العلاقات بين "ابن إسماعيل" والمسيحيين ستتغير بعد موت الملك القشتالي "خوان الثاني"؛ حيث أنّه باعته ابنه "هنري الرابع" "Don Enrique"، "ابن إسماعيل" لم يقدم ولاءه للملك الجديد، الشيء الذي أثار استياءه، فتحرّك بجيشٍ قوامه أربعة عشر ألف فارس وراجلٍ باتجاه "غرناطة" فأخذ في القتل والحرق، وقطع الأشجار

[1] José Antonio Conde, Op.Cit, p :308

[2] أبي يحيى بن محمّد ابن عاصم الغرناطيّ، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 220-221.

[3] يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضارية)، المرجع السابق، ص 45.

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

وتدمير الأسوار^[1]، ومن جانبهم غزا المسلمون في العام الموالي منطقة "جيان" وظفروا بـفوزٍ مؤقتٍ إلى أن جاءت الضربة القاضية على المسلمين بتواصل حملة الغزوات على الأراضي الغرناطية، فاستولى النصارى على حصن "القلعة"، وحصن "أرشدونة"، وتمكنوا من الاستيلاء على "جبل طارق" "Gibraltar" سنة 862هـ/1462م، في الوقت الذي كانت فيه الدولة المرينية تعيش أيامها الأخيرة قبل تولّي "الوطّاسيين" على حكم "العدوة"، لتصبح "غرناطة" لوحدها تصارع ضربات النصارى، وأجبرت الأوضاع في الأخير "ابن إسماعيل" على مناشدة ملك "قشتالة" "هنري الرابع" "Don Enrique"، بطلب هُدنة، وما إن حلّت سنة 863هـ/1463م، حتّى أعلن "ابن إسماعيل" طاعته لملك قشتالة، وقدم له هدايا ثمينة.

لكن "غرناطة" لم تستقرّ أوضاعها الداخلية فقد نغم السلطان "سعد ابن إسماعيل" على القادة المعروفين من أسرة "بني سراج" كـنكايّة لهم بعد تواطئهم مع السلطان "الأيسر" فقتل البعض منهم وأهمهم "الوزير مفرج" والذي كان له دورٌ مهم في فتح الكثير من الحصون، أمّا "علي" و"محمد" ابنا "سراج" فقد فرّوا إلى "مالقة" وربطوا علاقتهم بالأمير "يوسف النصري" لكنّ هذا الأمير توفّي فاتصل "أبناء سراج" بأبي الحسن "Muley Hacèn" (868-887هـ/1464-1482م) الذي ثار على والده "سعد بن إسماعيل" بمساعدة من هؤلاء القادة من بني سراج^[2]، وهكذا استدخل "غرناطة" في فترة النهاية، وهي أصعب فترة ستعيشها منذ تأسيسها؛ حيث سيحدث الصّراع العسكريّ الأسريّ بين أبناء "أبي الحسن" والذي سينتهزه النصارى بعد توحيد مملكتي "قشتالة" و"الأراغون" بعقد قران بين "إيزابيلا القشتالية" و"فرناندو الأراغوني"، وبمباركة الكنيسة وجهود البابا والقساوسة بتكثيف حملاتٍ عسكريّة أدّت في الأخير إلى سقوط "غرناطة".

2- الانقلابات العسكريّة في أسرة بني الأحمر:

بداية النهاية: لم يُكتب لمملكة "غرناطة" من العمر الكثير بعد توالي سلاطين كانت تتحكّم بهم نزواتهم، متناسيين مبدأ الجهاد في الكثير من الأوقات، هدفهم الوحيد الترتّب على عرش المملكة، وهذا الأمر الذي أوقع المسلمين في هوة السقوط والانهيار، ضيف على ذلك دور الحريم في الوسط السياسيّ الذي خلق القلاقل بين الأب وابنه، والابن وشقيقه، وسنحاول إلقاء الضوء على الأوضاع الداخليّة والخارجيّة لمملكة بني الأحمر قبل سقوطها بيد النصارى.

[1] José Antonio Conde, Op.Cit, p 308

[2] Ibid, p : 308- 309

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

- بعد خلع السلطان النّصريّ "سعد بن إسماعيل" خلفه على عرش مملكة "غرناطة" السلطان أبو الحسن عليّ بن سعد" (868-887هـ/1464-1482م) الملقّب بمولاي حسن "Muley Hacèn" تولىّ عرشَ غرناطة وعمره لم يتجاوز الثلاثين، كان حسب الرواية القشتاليّة، عاشقًا للحرب وأخطارها، رحيماً ومجتهداً، تزوّج بابنة عمّه "محمد الأيسر" المدعوة بـ"عائشة الحرة" والتي أنجبت ولدين: "أبو عبد الله محمد الصغير" الملقّب في الرواية المسيحيّة "بوعبدل" ، و"أبو الحجّاج يوسف" ، وبجارية إسبانيّة تُدعى "إيزابيلا سوليس" ابنة قائد "مرتش" سانكوكمنيس دي سوليس "Alcaide de Martos" وقد أنجبت الأميرين "سعد" و"نصر"^[1]، وأسماها أبو الحسن "ثريا" فهام بها السلطان النّصريّ واصطفها على زوجه "عائشة الحرة"، لكنّ السلطانة النّصريّة استطاعت بحنكتها ودهائها أن تستأثر بالسلطان؛ حيث أذكت نارَ الفتنة، وأغرته بكلّ ما أوتيت لتضمن العرش لأحد أبنائها، علماً أنّها كانت على درايةٍ بأحقّيّة الأمير "أبي عبد الله" ابن "عائشة الحرة" بولاية العهد، وفعلاً وصلت لمبتغاها حيث أنّ السلطان النّصريّ "أبا الحسن" اعتقل زوجته وأولادها في أحد أبراج الحمراء وضيّق عليهم، وعاملهم بقسوةٍ، الأمر الذي استنكره كبارُ الزعماء والقادة، ذلك أنّهم رأوا أنّ السلطانة "عائشة" وأولادها أحقُّ من الرّومية وأبنائها، وهنا بدأت الانقسامات داخل البيت النّصريّ بين مؤيّد للرّومية، ومؤيّد للحرة وأبنائها^[2] ليبدأ مشهد الصّراعات العسكريّة الداخليّة تارة، والخارجيّة تارةً أخرى، والذي ستلعب دوره الحملة الصليبيّة منتهزةً فرصةً هذه الخلافات.

نعود بالأحداث إلى فترة تولىّ "أبي الحسن" المملكة، حيث أنّ السلطان كان له أخوان "يوسف أبو الحجّاج" و"أبو عبد الله محمد" المعروف بـ"الزغل" أمّا "أبو الحجّاج" فقد توفّي في وقتٍ مبكّر، وأمّا "الزغل" فقد كان والياً على "مالقة" بعد أن جاء به القوّاد من عند النّصارى، لكنّ الأخير جال في نفسه السّموم بتربع عرش المملكة، فأعلن ثورته على عمّه "أبي الحسن" وطلب من الملك القشتاليّ "هنري الثالث" إعانتته في حربه، فوافق على ذلك^[3]، في الوقت الذي علم فيه "أبو الحسن" بخطّة "الزغل" فبعث بجيوشٍ خلفه، لكنّه فرّ باتجاه "ملك قشتالة هنري الرابع" الذي خرج باتجاه "أرشدونة" سنة 874هـ/1469م، أين التقى بـ"الزغل" حسب الرواية القشتاليّة، فأهداه الأخير هدايا ثميّة من الخيول والأسلحة^[4]. قرّر "أبو الحسن" الإغارة على الأراضي القشتاليّة سنة 875هـ/1470م، فعاث فيها لسنتين متتاليتين استطاع فيهما أن ينتزع عدّة

[1] José Antonio Conde, Op. Cit, P :309.

[2] محمد عبد الله عنان، أبو عبد الله آخر ملوك الأندلس، مجلة أدب ونقد، العدد 83، مصر، 1992م، ص 51.

[3] محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 202.

[4] José Antonio Conde, Loc.cit.

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

حصون من النّصارى^[1]، وخرّب الكثير من البطاح فغنم الكثير من الماشية وأسر، وتصادمت جيوش المسلمين مع صاحب ليون "دون روي بونس" "Don Ruy Ponce de leon" لكنّه منعهم من التّوغل بأراضيه^[2]، بعد مُضيّ الصّراع بين النّصارى والمسلمين، تفاقمت الفتنة بين "أبي الحسن" وأخيه "الزغل" وظلّ يحاربه لمدة ثلاث سنوات، وكان النّضال سجّالاً بينهما، فشُغل عن صراعه مع النّصارى الذين شُغلوا بدورهم بفتنهم الدّاخلية حتّى وفاة "هنري الرابع" سنة 1474م، في تلك الأثناء خرجت "مالقة" عن طاعة السّلطان "أبي الحسن" حيث ثار فيها القائد "محمد الفرسوطي" وانظمّ إليه كثيرٌ من الأجناد والقوّاد، فسار أبو الحسن إلى "مالقة" وحاصرها، لكنّه فشل في إخمد الثورة، ومن ثمّ جاء قرار تعيين أخيه "الزغل"^[3]

كما أشرنا وحدثت الفتنة بين الأخوين، واحتدم الصّراع العسكريّ بين الأطراف، لكن في الأخير أيقن الطّرفان بخطورة الوضع فقرّرا الجنوح للسّلم، وبقيت "مالقة" بعد خروج "الزغل" تموج بالاضطرابات بين القوّاد والرؤساء، إلى أن قامت بدعوة السّلطان "أبي الحسن"^[4]، وقتل السّلطان قوّاد الفتنة، وخمدت نازها فدانت له جميع بلاد الأندلس، وهو بذلك على غزوٍ دائمٍ لأمصار النّصارى مرّةً بعد مرّة، وأظهر الأحكام ونظر في مصالح الحصون، ونما الجيشُ فهابته النّصارى وصالحته برّاً وبحراً، وكثر الخير فانبسطت الأرزاق^[5]، والواضح أنّ "أبا الحسن" كان مرهوب الجانب من النّصارى، فحسب الروايات القشتاليّة تحكي أنّ النّصارى كانوا يخافونه لشدة حزمه وقوة جيوشه^[6]، لكنّ مظاهر التّرف كانت باديّة على المملكة، فقد اتخذ السّلطان "أبو الحسن" الجوّاريّ وأحاط نفسه بالملدّات، فكانت تُعقد في القصور ليالي السّهر والسّم، وكان السّلطان يستعرض جيوشه في محاولة إرهاب النّصارى، أو الرّاجح أنّ تلك الاستعراضات كانت لزيادة المغارم بدعوى تمويل القطاع الحربيّ، لكنّ الواضح أنّ مصاريف المملكة كانت تُصرف لمظاهر الدّعة، وهذا ما أدّى إلى هرم المملكة، حدث في يوم الثلاثاء التّاسع من شهر ذي الحجة عام 882هـ/1478م، أين ميّز السّلطان النّصريّ "أبو الحسن" جيوشه بمدينة الحمراء بالموضع المعروف بالطّيلة عند "باب الغدر"^[7].

[1] شكيب أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس، المرجع السابق، ص 237.

[2] José Antonio Conde, Op.Cit, p:309

[3] محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 193.

[4] أحمد بن محمد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الرابع، المصدر السابق، 511. مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني

نصر (تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب)، ضبطه وعلّق عليه: ألفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2002م، مصر، ص 2

[5] مجهول، المصدر نفسه، ص 2.

[6] José Antonio Conde, loc.cit.

[7] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 3.

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

بعد وفاة الملك "هنري الرابع" تفاقمت الفتنة داخل بيت النصارى للظفر بمنصب الملك بين أبناء هنري "ألفونسو" و "إيزابيلا" لتعتلي في الأخير "إيزابيلا" العرش على رأس مملكة "قشتالة" و "ليون"، وارتبطت هذه الملكة بآبى الملك الأراغوني "خوان الثاني" "فرناندو الخامس" الذي اعتلى العرش بعد وفاة أبيه، وهكذا أحدث هذا الزواج بين "إيزابيلا" و "فرناندو" توحيد النصارى والالتفات من جديد لمحاربة المسلمين بالأندلس^[1]، كان على السلطان النصارى بعد إحكام زمام الأمور بمملكته وطاعة الرعية له قرّر في سنة 883هـ/1479م، أن يهادن الملكين الكاثوليكين كعادة أجداده، فكان الردّ بموافقة الملكان بشروط أهمها: دفع الجزية السنوية كالعادة، تقديم الأسرى النصارى، وأهمُّ بند الاعتراف بالتبعية للنصارى وتقديم الطاعة، وبعثوا برسلاً من قشتالة لأجل إمضاء العقد، لكنّ السلطان "أبا الحسن" رفض الأمر وطرد رُسُل النصارى بعد أن ألقى عليهم جملةً يقول فيها: "اذهبوا وأخبروا ملوككم أنّ ملوك غرناطة الذين دفعوا الجزية للمسيحيين قد ماتوا، وأنّ قلم غرناطة ليس منحوتاً ولكنّه محفور ضدّ أعدائنا"^[2].

لاشكّ أنّ النصارى لن يصمدوا أمام هذه الإهانة، فكانت ردّة فعلهم طبيعية؛ هي إعلان الحرب، حيث أغارت قوات قشتالة على أحواز "رندة" فردّ السلطان الهجوم بالإغارة على حصن "الصخرة" "Zahara" في سنة 886هـ/1482م، الواقع بين "رندة" "Ronda" و "شذونة" "Sidonia" فحسب الرواية القشتالية كانت العواصف والأعاصير الممطرة سبباً في هزيمة الجيش النصارى، لكنّ الاعتراف بقوة "أبي الحسن" وخوف جيش النصارى واضح في رواياتهم، وقد غنم السلطان الكثير وساق الكثير للأسر^[3].

لكنّ الرعية ذاقوا ذرعا من سياسة السلطان، ووزيره الذي أرقهم بالمغارم كلّ ذلك والجيش في نقص؛ في خصم هذه الأوضاع قرّر "فرناندو الخامس" توجيه جيش باتجاه "الحامة" الواقعة في الجنوب الغربي من غرناطة، ففي جنح الليل أغار جيش النصارى وتمكك قصبته، ثم هبطوا للبلد بالسيف يقتلون ويسبّون، واستولى النصارى على البلد ومن فيه، كان ذلك في التاسع عشر من شهر محرم فاتح سبعة وثمانين وثمانمائة (1482م)، لما تسامع الرعية بما حدث لإخوانهم جاشت حمية الجهاد في خواطهم، وشدوا العزم لنصرة أهلهم، فارتحلوا إلى "الحامة" وأقبلوا عليها بجيش عدد بثلاثة آلاف فارس، وألف راجل، وإذا بالنصارى على أهبة التحيل بما حملوه من الأسرى والغنائم، ولما رأوا المسلمين احتموا وراء أسوار المدينة، وأحكموا غلق

[1] محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص.ص 180-185.

[2] José Antonio Conde, Op.Cit, p:310

[3] loc.cit.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

الأبواب، لكنَّ المسلمين هجموا بكلِّ قوَّتهم فتقاتلوا، لكنَّ الأوامر بالرجوع عن دخول المدينة أُصدرت من السلطان ووزيره، فاستغلَّ النَّصارى الفرصة لإصلاح أسوارها وتحصين أبوابها، فضُرب في الغد الحصارُ عليها من المسلمين بمحلاتهم، لكنَّهم استعصى عليهم تخليصُها، وذلك راجعٌ لتعنّت السلطان ووزيره، فرحل عنها المسلمون متحسرين^[1]، ثمَّ أن السلطان عاد إليها بعد أشهر قلائل، لكنَّه وجدها على منعة وحصانة، فاستصعب عليه فتحها فظهر للنَّصارى ضعف المسلمين، وطمَعوا باسترجاع بقيَّة الحصون الأندلسيَّة^[2]

توجَّهت الأنظار إلى مدينة "لوشة" "Loja"، أخذ النَّصارى في التَّعبئة لهذه الحرب وتوفير التَّدابير المالية اللازمة لإنجاحها، وخطَّط النَّصارى لعزل مملكة غرناطة عن بلاد الإسلام عبر تجهيز أسطولٍ من النَّصارى على المضيق، ثمَّ اتَّجهت الجيوش المسيحيَّة نحو "لوشة" في 3 جويلية من عام 1482م، حيث انطلقوا من "إستجة" "Ecija" صوب "إسطبة" "Estepa"، عبر "جبال العشايق" "La pena de los Enamorados" ودخلوا "لوشة" التي دافع عنها القائد "عليّ العطار" "Ali Atar" بثلاثة آلاف فارس، فتلاحم الجيشان وكانت الغلبة للمسلمين، وفرت الكثير من وحدات النَّصارى بعد وصول تعزيزات من المسلمين، فاستولى "عليّ العطار" على المدفعية الخاصَّة بالقشتاليين وعلى الذخائر، والطَّعام والقمح، وذلك في 27 جمادى الأولى 887هـ/ 14 جويلية 1482م^[3]، في الوقت الذي كانت فيه "غرناطة" تضطرم بحروبٍ مع النَّصارى.

فرت عائشة الحرَّة رفقةً أبنائها بعد تعسّف السلطان "أبي الحسن" الذي قضى على أسرة "بني سراج" المتعاونين معها، حيث استقرَّت رفقة ابنها "عبد الله" و"أبي الحجاج يوسف" في "وادي آش"^[4] فقامت بدعوة "أبي عبد الله محمد بن علي" (887-888هـ/ 1482-1483م) "وادي آش"، "المريّة"، "بسطة" و"غرناطة"، في حين هرب أبوهما السلطان إلى "مالقة".

[1] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص. 6-8،

José Antonio Conde.Op. Cit, p:310

[2] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 9.

[3] Rachel Ariè, L'Espagne Musulmane au Temps Des Nasrides (1232-1492), Editions Brill, Paris, 1990, p: 167-168.

[4] محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 201

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

في صفر من عام 888هـ/1483م اجتمع رؤساء النصارى وكانوا ثلاث فرق^[1]، وقصدوا قري "مالقة"³، "بلش" في نحو الثمانية آلاف وفيهم صاحب "شريش" و"إشبيلية" و"إستجة" و"أنتقىرة" وغيرهم^[2]، فقاموا بحرق الأراضي وتخریب أشجار الكروم والزيتون، فارتفعت أعمدة الدخان أين رآها أهالي "مالقة" من الأبراج فأراد "أبو الحسن" الخروج لمقابلتهم لكن القائد "رضوان بنيغاس" وأخاه "الزغل" رفضا بحكم أنّ القواعد حينذاك كانت تابعةً للأمير "أبي عبد الله"، فخافا من سوء العاقبة خاصة إذا ظفر السلطان "أبو الحسن" بالغنيمية، فأسندت قيادة الجيش للقائد "رضوان بنيغاس" و"أبي عبد الله الزغل"^[3] فخرج المسلمون أهل "بلش" و"مالقة"⁴، وراحوا يعترضونهم في المضايق والأوعار والمخانع، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ففرع النصارى من روع القتال، فألحقت بهم الهزيمة وفرّوا باتجاه "مالقة"⁵ أين لقيهم الأمير "محمد بن سعد الزغل" فقتل منهم الكثير وفرّ زعيمهم فعدّد قتلى هذه الكائنة بنحو ثلاثة آلاف وأسر ألفين. فمن القتلى خال السلطان "أبي الحسن" وصاحب "إشبيلية"، و"شريش" و"أنتقىرة" ونحو ثلاثين من كبار القواد، وهرب البقية فتركوا خيلهم ودوابهم ورحالهم وأمتعّتهم، فاحتواها المسلمون^[4]،

في شهر ربيع الثاني من عام 888هـ/1483م، لما استقر السلطان "أبو عبد الله محمد بن علي" "بوعبديل Boabdil بغرناطة وطاعت له البلاد غير "مالقة" والغربية، تحرّك السلطان "أبو الحسن" على المنكب ونواحيها، والتقى بابنه الخارج عن طاعته يقود جنده غرناطة والجهة الشرقية، والتقى الطرفان بموضع "الدّب" فكسر السلطان "أبو عبد الله محمد بن علي"، وما زاد الطين بلّة والعداوة تتقد بين الأب وابنه شيوعاً خبير استحوذ "أبي عبد الله الزغل" على غنيمية معركة "مالقة"⁵ "فأعمل الغزو بأهل بلاده من غرناطة والشرقية"^[5]، وقاد الجيوش رُفقة قائده "عليّ العطار" حاكم قلعة "لوشة" الذي عبر بجيوش المسلمين نهر "شنييل" "Rio Genil" واكتسح "اجيلار" "Aguilar"، "قبره" "Cobra"، "منتيل" "Montilla" إلى أن وصلوا إلى حصن "اليسانة" "Lucena" التي عزز حاميتها صاحبها اللورد "دونسييلي" "Donceles" بعد طلب المساعدة من قادة "قرطبة"، فحاصرها المسلمون، لكن استيسر أمر الإغارة عليها، في الوقت الذي جهّز فيه النصارى جيشاً من "اليسانة" و"قرطبة" تعداده 200 رامح، و800 فارس،

[1] José Antonio Conde, Op.Cit, p:311

[2] أحمد بن محمد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الرابع، المصدر السابق، 514.

[3] José Antonio Conde, loc.Cit.

[4] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 11

[5] أحمد بن محمد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الرابع، المصدر السابق، ص 515.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

وقرروا الدخول في حربٍ مع المسلمين، قاد النصارى صاحب "أجيلار دون ألونزو" Don Alonso de Aguilar عمّ قائد "اليسانة" وقتلوا قائدهم "عليّ العطار" وأحكم النصارى خطةً بأن أوهموا "أبا عبد الله" بأقليّة جيشهم، فأمر فرسانه بالهجوم، ولما انكشف الأمر قرّر حينها المسلمون الفرار عبر الوادي وانقسموا، فتبعهم النصارى يقتلونهم ويأسرونهم، ف وقعت الخسائر على الطرفين ووقع السلطان "أبو عبد الله"^[1] في الأسر^[2].

3- أثر الصراع في سقوط مملكة غرناطة:

بعد أسر السلطان "أبي عبد الله محمد بن عليّ". استقبله النصارى على رأسهم "فرناندو الكاثوليكي" الذي اعتبره ورقة حظّ راحة لتحريك مستقبل "غرناطة"، واتفق القواد النصارى على الإبقاء عليه كأسيرٍ ريثما يضعوا خطّاتهم، مستغلين وضع الأمير وأبيه وشقيقيهما، لم يكن أسر الأمير عبد الله بالهين على والدته "عائشة الحرة" التي بعثت رسولها "ابن كماشة" لافتداء ابنها من ملوك النصارى، لكنهم لم يطلقوا سراحه إلا بعد تعهد أمضاه ينصّ على اعترافه بطاعة الملكين الكاثوليكين، ثمّ دفع جزية سنوية، مع التعهد بإطلاق سراح 400 أسير نصرانيّ، بالإضافة إلى تسريح سبعين أسيراً كلّ سنة مدّة خمسة أعوام، وحتىّ يضمن الملك ذلك اشترط على "أبي عبد الله" أن يترك ابنه الأكبر رهينةً لهم، وكذا أن يساعدهما في مخططاتهم الرامية إلى ضمّ الحصون الإسلاميّة لمملكتهما^[3].

في الوقت الذي كان فيه "أبو عبد الله" أسيراً في بلاط النصارى، عاد السلطان "أبو الحسن" إلى "غرناطة" لكنّه لم يلبث أن استقرّ في الحكم حتىّ نغم عليه الرعيّة، وعادت "غرناطة" إلى غمار الفتن، لكنّ السلطان أصابه الصرع ببصره وحمل إلى "المنكب" فأقام بها إلى حين موته ليعقبه أخوه "عبد الله الزغل" على الحكم، لكنّ النصارى بعد التيقن من تأثير الفتن الداخليّة على "غرناطة" قرّروا الإغارة على المدن الإسلاميّة فاستولوا على حصن "قرطمة" "Cortama"، وحصن "ذكوين" "Coin"، وحصن "المره"، و"الشياطين" الواقعين غرب "غرناطة" ذلك في ربيع الثّاني من عام 890هـ/ 1485م، ثمّ توجّهت جيوش النصارى نحو

[1] Alonso de Palencia, Guerra de Granada, Tomo V, Colección de Escritores Castellanos, Madrid, 1909, p.p. 72-76

[2] تكشف لنا رواية صاحب نبذة العصر عن أسر الأمير "أبو عبد الله" حيث أن النصارى لم يتعرفوا عليه في جملة الأسرى حتى عرفوهم به فأكرموا وفادته عليهم مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 12، أما الرواية القشتالية فتذكر أن "أبو عبد الله" بعد هزيمته في "اليسانة" فرّ مختبئاً بين الأشجار، لكن صاحب "لوسينا"، "مارتن هرتادو" "Martin Hurtado" تعرف عليه وأراد قتله بمنجوره، لكن الملك الغرناطيّ دافع عن نفسه، يُنظر:

Alonso de Palencia, Ibíd., p :76

[3] José Antonio Conde, Op.Cit, p:312

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

"رندة" "Ronda"، في العشرة الأولى من جمادى الأولى من نفس السنة، فحاصروها وهدّوا أسوارها، فخرج أهلها مؤمّنين لأنفسهم فطاعت له جميع أحواز "رندة"^[1]. بدأت بوادر الضعف تدب على المملكة بعد الضربات المتتالية من التصاري أمام ضعف حامية المسلمين، وقلة المنعة فقرّر "أبو عبد الله الزغل" الخروج بجيوشه لإعادة ترميم الأسوار مخافة إغارة التصاري على ما تبقى من الحصون الإسلامية، فكانت الوجهة حصن "الموكلين" "Moclin"، وعلى حين غرة ظهر الغبار في السماء معلناً قدوم التصاري نحو الحصن.

على غير أهبّة في ليلة الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة 890هـ/1485م، دخل التصاري الحصن واختلطوا بالمسلمين فاضطرب الحصن وعمّ الصياع والضجيج، وأرادوا الوصول إلى محلة "الزغل" وكأثم وجدوا غايتهم في أسر الأمراء، لكنّ القائد "رضوان بنيغاس" قاتلهم قتالاً شديداً وغنموا ما تركه التصاري من آلات قتال^[2]، بعد هذا الانتصار الذي حقّقه جيش المسلمين بحصن "الموكلين" استشاط الملوك التصاري غضباً وقرّروا الاستيلاء على حصن "قنبيل" "Cambil" في نفس السنة؛ فنصب التصاري إزاءه محلّتهم وأنفطّهم فهدّوا سوره، وخرج أهله على أمان مسلمين حصنهم، وتلتها الحصون المجاورة له كحصن "أرنبة"، "مشاقر"^[3] "Mujacar"، "اللوز" "Iznalloz"، "صالحة" "Zalia"، "بلش" "Vèlez" في السقوط^[3]

بعد موافقة الأمير "عبد الله" على شروط الملكان الكاثوليكيان، خرج "الأحمري" باتجاه شرقيّ "بسطة" بعد أن مولوه بالأموال ووعدوه بالأمال، فأطاعته "بلش" وكسب تأييد الكثير من الناس إلى أن بلغته بيعه أهل "البيازين" الأمر الذي أشعل نار الفتنة بين مؤيديه من هذا الرّبض، ومعارضيه من أهل "غرناطة" والذين ساندوا "الزغل" فتجاوز الخلاف إلى حدّ الدّخول في صراعٍ عسكريّ، حيث قذفت مجانيق الرّبض أسوار غرناطة، وكلّ ذلك والأمير "عبد الله" مستقرّاً بالشرقيّة، واشتدّ الحصار والقتل منذ ثالث شهر ربيع الأوّل من عام إحدى وتسعين وثمانمائة إلى اليوم الخامس عشر لجمادى الأولى من نفس العام^[4]. في الوقت الذي قرّر الأميران "أبو عبد الله" وعمّه "الزغل" عقد صلح، استغلّ التصاري الفرصة وأقبلوا على مدينة "لوشة" في 26 جمادى الأولى

[1] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 13-14. أحمد بن محمد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الرابع، المصدر السابق، ص 516.

[2] José Antonio Conde, Op.Cit, p:315

مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 14-15

[3] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 15-16. أحمد بن محمد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الرابع، المصدر السابق، ص 516.

[4] مجهول، نبذة العصر في تاريخ بني نصر، المصدر السابق، ص 16-17.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

سنة 891هـ/ 28 ماي 1486م، فحاصرها النصارى ونصبوا آلة الحرب فيها^[1]، ثم دخلتها جيوش النصارى التي يقودها دوق "Ifantado"، ودوق ناجرة "Najera"، فلم يقدر المسلمون على الدفاع عن مدينتهم بالرغم من أنهم بذلوا كل طاقاتهم، ولم يكن أمامهم سوى الفرار فلحقهم النصارى وأثخنوا في قتلهم إلى أن رضخوا لمطلب الاستسلام، فخرجوا بعد أن قدم لهم صاحب "قشتالة" الأمان وقاد الأمير "أبا عبد الله" للسجن^[2].

في آخر جمادى الأولى من نفس السنة بعث الملك "فرناندو" حامية لتطويق "إبورا"^[3] "Illora" فحاصروها وقاموا بهدم أسوارها بالمدفعية وقتلوا الكثير من المسلمين الذين طلبوا الأمان في الأخير^[4]، ثم اتجه النصارى نحو "حصن المكليين" أين حاصروه وهدموا أسواره ورموا بالأنفاط فأصابت كل من قابلته، فمكان عليهم سوى تقديم الأمان على غرار سابقهم، وتبعهم أهل "قلنبيرة" و "منتفريد" وحصن "الضحة" بعدما أصابهم ما أصاب إخوانهم، فأخذ بعدها النصارى الكثير من الحصون، وأخذوا في إعادة بنائها وتحصينها وشحنها بالعدة والحامية والطعام، ذلك في نفس السنة^[5].

كان وراء سجن الملك الكاثوليكي للأمير النصري "أبي عبد الله محمد بن علي" هدفاً خفياً من أجل إحكام خطته، حيث أنّ الأمير النصري كان هدفاً سهلاً إذ لم يكن ذكياً كوالده، ولا حريياً كعمه، فاختره النصارى لغرض استمالة الرعية بحثهم على الانقلاب ضدّ عمه "الزغل" منافسهم حتى يخلو لهم الجو، ثمّ إنّ "أبا عبد الله" كان يغيرهم بعلاقته مع النصارى على أساس إبرام الصلح والسلام، وكان له ذلك إذ استطاع الأمير النصري بعد خروجه من بلاد النصارى أن يكسب طاعة الحصون الشرقية، ثمّ أعدّ السير إلى "ربض البيازين" فدخله في السادس عشر لشوال عام إحدى وتسعين وثمانمائة، فاشتدت عصابته وقويت شوكتة وعادت الحروب الأهلية تضطرم من جديد بين طائفة برىض البيازين تناصر "أبا عبد الله" وطائفة بغرناطة تساند عمه

[1] مجهول، نبذة العصر في تاريخ بني نصر، ص 17

[2] Andrés Bernáldez, Histori de los Reys Católicos D.ⁿ Fernando y D.^a Isabel, Tomo 1, Imprenta que fuè de D. José María Geofrin, Sevilla, 1964, p.p:216-218

[3] يبدو أن المصادر القشتالية والإسلامية اختلفت في تحديد ما إذا كانت مدينة "إلبيرة" أو "إبورا" هي المقصودة، على أنّ صاحب نبذة العصر ذكر "إلبيرة" أما المصادر القشتالية فقد ذكرت إبورا ويذهب "عبد الله عنان" معها في إثبات ذلك، ينظر: مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 18، محمد عبد الله عنان، نحاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 210

[4] Andrés Bernáldez, Ibid., p :218-219

[5] مجهول، نبذة العصر في تاريخ بني نصر، المصدر السابق، ص 18-19

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

"الزغل" فقامت الحرب بين الفريقين والنصارى على ذلك مراقبين الوضع ومساندين "أبا عبد الله" بالعدة والطعام والمال^[1]، إلى أن قرّر "أبو عبد الله الزغل" في السابع والعشرين من محرم سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة الدخول عليهم بالسيف بعد مشاورة أهل العلم، فأزره أهل "بسطة"، "وادي آش" و "المنكب" و "بلش"، و"مالقة"^[2]، فدخلوا ربض البيازين، ولما استعصى على "أبي عبد الله" أمر الدفاع بعث لصاحب قشتالة^[2] الذي أراد تشتيت انتباه المسلمين بالتحرك نحو "بلش" مالقة "Vèlez-Malaga" في النصف الثاني من شهر ربيع الثاني 892هـ/1487م.

الواضح أنّ خطة النصارى كانت محكمة، إذ بسقوط مدينة "بلش" ستعزل "مالقة" ومنطقة "الميناء" عن بقية المملكة، وبالتالي يسهل سقوطها في الأخير، ففي الثامن أفريل من نفس السنة خرجت الجيوش النصرانية من "قرطبة" ووصلوا إلى حدود بلش - "مالقة" في السادس عشر أفريل، وحاصروا كل الطرق المؤدية إلى "غرناطة"؛ فأقاموا معسكرهم بين المدينة وجبال الشارات، واستولوا على ضواحي "بلش"، حاول الأمير "أبو عبد الله الزغل" الدفاع عن المدينة، ففقد حصن "متميمش"، لكن مشروع "أبي القاسم بنينغاس" في الإغارة على النصارى ليلاً فشل وأهزم المسلمون في الثالث ماي من السنة الجارية، فسلم أهل "بلش" مدينتهم للنصارى وخرجوا بعد طلب الأمان بأهلهم وأموالهم، وهاجروا نحو "غرناطة" أو باتجاه دول المغرب والمشرق^[3].

على إثر هزيمة المسلمين عاد الجيش أعقابه رفقة "أبي عبد الله الزغل" لكن "أبا عبد الله الصغير" استطاع أن يتغلب على قواد "غرناطة" وقتلهم لتخلو الساحة له، فدخل "غرناطة" وترجع على العرش من جديد، وعلى إثر ذلك قرّر "الزغل" الاستقرار بوادي آش، وبهذا دانت "غرناطة" و"ربض البيازين" بالطاعة للأمير "الصغير" يوم الأحد الخامس من جمادى الأولى عام 892هـ/1487م^[4].

تواصلت الحملات الصليبية باسترجاع الحصون الإسلامية، فخرج الأهالي طوعاً آميناً على أنفسهم، وبعد سقوط "بلش" خرج النصارى يريدون "مالقة" "Malaga"، فقاتلوا قتالاً شديداً، وخرج من فيها من الفرسان المسلمين فنصبوا آلات قتالهم وأسلحتهم "وقتلوا منهم خلقاً كثيراً حتى أنه قُتل من الروم في يوم

[1] مجهول، نبذة العصر في تاريخ بني نصر، المصدر السابق، ص 20-21.

[2] أحمد بن محمد المقرئ، نفع الطب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الرابع، المصدر السابق، ص 519

[3] Rachel Ariè, Op, Cit. p : 168-169

[4] مجهول، نبذة العصر في تاريخ بني نصر، المصدر السابق، ص 23-24.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

واحد اثنا عشر ألفًا وسبعمائة^[1]. تحرّكت جيوش "أبي عبد الله الزغل" بقيادة "أحمد (حامد) الثغري"^[2] "Ahmad Al-Tagri" لنصرة الحصن، دافع القائد النَّصْرِيُّ عن المدينة التي شُتبت فيها نارٌ قاذفات القشتاليين ولمدة شهرين، لكنَّ النَّصارى شدّدوا الحصار ونفد زأء أهل "مالقة" فطلبوا الأمانَ ذلك في أواخر شعبان 892هـ/1487م^[3].

بعد أن سقطت "بلش" و"مالقة" بيد النَّصارى، طاعت جميع الحصون الغربيّة وخرجت على الأمان، فكان الدّور على الحصون الشَّرقيّة، ففي شهر رجب من سنة 894هـ/1488م تحرّكت جيوش النَّصارى بالاتجاه نحو "بسطة" ذات الموقع الجغرافيّ الاستراتيجيّ، فسقطت عدّة حصون بيد صاحب "قشتالة" بعد قتالٍ شديدٍ "كحصن" "موجر" "Mujar" أو "Sujar"، واقترب من مدينة "بسطة" وحاول النَّصارى قطع الإمدادات القادمة عبر الطّريق البريّ لمدينة "قيجاطة" "Quesada" والوادي العلويّ، وعبر الطّريق البحريّ إلى "فيرا" "Vera"، بعد ذلك بعث "الزغل" تعزيزاتٍ لابن عمّه صاحب "بسطة" "يحي النّجار"، وحتّى يقطع القشتاليون الإمدادات من خارج "بسطة" ويشدّدوا الحصار على الأهالي، قاموا بحفر الخنادق.

وفي أكتوبر تمّ عزل المدينة تمامًا بعد حصارٍ دام خمسة أشهر^[4] إلا أنّ المسلمين استطاعوا في بعض الأحيان اختراق الجدار المقام بالخشب في فترة الليل من أجل إدخال أنجاد الرّجال من أجل الدّفاع، والتّزويد بالطّعام والسّلاح^[5]، لكنّ صاحب "بسطة" "يحي النّجار" "cidiYahyeAlnayar" خان قومه بربط علاقاتٍ سرّيّة مع "دون جوتيري دي كاريدناس" "Don Gutierre de càrdens" واستسلم لإغراءات المملّكين الكاثوليكين ليتّم في الأخير تسليم المدينة للنّصارى، ودانت لهم "برشانة" "Purchena"، وادي المنصورة "Almanzora"، وجبال سييرا "Sierra Filabres"^[6] من أعمال "المريّة". في الوقت الذي تواجد بها الأمير "أبو عبد الله الزغل" أين التقى مع "صاحب" "قشتالة" فقدم له طاعته، فتنازل له عن الحصون والقلاع والبروج وأبقاه بالمقابل على رئاسة "وادي آش"، فجعل النَّصارى على كلّ قلعةٍ ملكًا نصرانيًّا، أوائل صفر من عام 895هـ/1489م، على أن يدفع النَّصارى مألًا معلومًا للقادة المسلمين في كلّ بلد،

[1] مجهول، نبذة العصر في تاريخ بني نصر، ص 24

[2] تذكر بعض المصادر الإسبانيّة أن قيادة جيش المسلمين قد أسندت لـ"رضوان بنينغاس"، ينظر:

José Antonio Conde, Op.Cit, p :315

[3] Rachel Ariè, Op.Cit, p : 170-169

[4] Ibid, p : 171

[5] مجهول، نبذة العصر في تاريخ بني نصر، المصدر السابق، ص 26

[6] Rachel Ariè, loc,cit, p : 172.-171

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

فطاعتهم كلُّ القرى وجميع البلاد من مدينة "المرية" إلى "المنكب"، ومنها إلى "قرية البدول" من غير قتالٍ ولا حصار، فلم يبقَ من بلاد المسلمين سوى "غرناطة" وبعض القرى، ويبدو أنَّ سياسة ولاء "الزغل" للنصارى كانت بدوافع انتقامية من ابن أخيه "أبي عبد الله الصغير"^[1] أو زُيماً كانت دوافعه تخليص المدن الأندلسية من حروب النصارى وبهذا يخرج المسلمون بأقلِّ الأضرار آمنين على أنفسهم، وما يبرِّز ذلك خروجه بصفة نهائية من الأندلس بعد تسليم "وادي آش" متوجِّهاً إلى المغرب الأوسط بعد أن قدّم له ملوك النصارى امتيازات بالأندلس.

لم تكن للنصارى نية في الإبقاء على صداقة الصَّغير إلا بدوافع شخصية، فبعد أن ثبتت أقدمهم وأيقنوا ضعف المسلمين بسقوط الكثير من المدن الإسلامية تحت رايتهم، نقضوا عقد الصُّلح بينهما، واستجاش "صاحب قشتالة" جنده وأعدَّ السير إلى أحواز "غرناطة" فاستولى على "برج ملاحه" "Almalaha"، وبرز قرية "همدان" "Humadàn" من البروج الحصينة التابعة لغرناطة، فأنزَل فيها رجالاته وشحنها بالمال وآلات الحرب وذلك في نفس السنة^[2]، ثمَّ بعث "فرناندو الكاثوليكي" برُسله إلى صاحب "غرناطة" "أبي عبد الله الصغير" للتفاوض من أجل التنازل عن "قصر الحمراء" "Alhambra" مقابل مالٍ، وأن يختار "أبو عبد الله الصغير" في المقابل أي بلد بالأندلس^[3]، لكنَّ الصَّغير بعث للملكين الكاثوليكين برسالة عبر رسوله "أبي القاسم المليح" رافضاً فيها التسليم وذلك في 29 صفر سنة 895هـ/يناير 1490م، لكنَّ الملكين أصراً على طلبهما، فبعث السلطان النَّصريّ وزيره "يوسف بن كماشة" وأحد التجار المعروفين بعلاقتهم الطيبة مع النَّصارى يُدعى "إبراهيم القيسي" إلى الملكين الكاثوليكين للعدول عن الأمر، فكان الرِّفض، فلم يبقَ أمام الصَّغير سوى أن بعث للملكين برسالة يخبرهما أنَّ الشعب الغرناطيّ رفض الهدنة وصمَّ على المقاومة^[4].

أما في رواية صاحب "نبذة العصر" فيذكر أنَّ السلطان النَّصريّ استخدم الحيلة على صاحب قشتالة وأوهمه بالقبول والطاعة فخرج مبتهجاً رفقة أهله وحاشيته يريد "الحمراء"، في حين جهَّز "الصَّغير" وأجمع مع رعيته على قتاله، وقد علم ملك قشتالة الأمر وقرَّر إعلان الحرب، فزحف على بسائط "غرناطة" وخرَّبها فبرز له "الصَّغير" بجيشه بظاهر "غرناطة"، استطاع فيها تحقيق النَّصر وقتل من النَّصارى الكثير ذلك في رجب

[1] مجهول، نبذة العصر في تاريخ بني نصر، المصدر السابق، ص 27-28، أحمد بن محمَّد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الرابع، المصدر السابق، ص 522.

[2] مجهول، نبذة العصر في تاريخ بني نصر، المصدر السابق، ص 28-29.

[3] أحمد بن محمَّد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الرابع، المصدر السابق، ص 523-524..

[4] محمَّد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 232.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

(895هـ/جويلية 1490م)^[1]، وبعد خروج ملك "قشتالة" من أحواز غرناطة خرج "أبو عبد الله" إلى إقليم "البُشرة" ففتح "قرية البذول" ودانت له بالطاعة، ثم قصد "الأنجرون" "Lanjaron"، فدخلوا في ذمته، ثم ارتحل تاركًا وزيره "ابن كماشة" وأنجاد الفرسان لمقاتلة النصارى والمرتدين العاكفين في حصن "أندرش"^[2].

في شهر شعبان قدّمت كلُّ قرى "البشرة" طاعتها لسلطان غرناطة، ولما عزم "أبو عبد الله الصغير" الارتحال نحو "أندرش" سمع عمُّه "الزغل" بقدومه فارتحل مع جماعته نحو "المريّة" فاستقرّ بها وقدّمت له "برجة" "Berja" و "دلالية" "Dalias" طاعتها فرتبّ عليهم حاميةً ثم عاد لغرناطة^[3]. في شهر رمضان من نفس السنة. خرج النصارى^[4] لحصن "أندرش" فأخذوه إذ لم تكن به سوى حامية قلّة، ثم سار السلطان "أبو عبد الله" بجيوشه باتجاه قرية "همدان" ذات الأبراج الكثيرة والتحصينات التي قام بها الملك القشتالي؛ حيث أمدها بالرجال والطعام وآلات الحرب، فحاصرها المسلمون وأخذوا في نهب أسوارها المنيعة إلى أن وصلوا لبرجها، فأخذوا يهدمه فخاف النصارى أن يقع عليهم فخرجوا منه، فوقع فيهم الأسر ودخل المسلمون البرج وغنموا ما كان فيه^[5].

بعد الانتصار الذي حققه جيش المسلمين بقرية "همدان" قرّر السلطان النصريّ مواصلة فتوحاته، فبعث بمُنَادٍ لرعيّته بالاستنفار والاستعداد للغزو، فخرج إلى مدينة "المنكب" يريد فتحها، فوصل إلى حصن "شلوبانية" فتحصّن النصارى بها وتقاتلوا مع المسلمين قتالًا شديدًا؛ فشدد عليهم المسلمون الحصار بعد أن لجأوهم إلى القصبّة فتعسّر على النصارى الدفاع بعد نُدرة الماء عليهم والطعام حتّى أكلوا الخيل والدوابّ من شدّة الجوع، وبينما السلطان "أبو عبد الله" يعيش أوقات انتصاره محاولًا فتح حصن "شلوبانية" إذ نبأ يصل إليه مفاده أنّ ملك "قشتالة" قد نزل بمرج "غرناطة"، يعاونه المرتدون عن الإسلام، يقطعون ويجرقون الزرع

[1] مجهول، نبذة العصر في تاريخ بني نصر، المصدر السابق، ص 29-30

[2] نفسه، ص 30-31.

[3] أحمد بن محمّد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الرابع، المصدر السابق، ص 523، مجهول، نبذة العصر في تاريخ بني نصر، المصدر السابق، ص 31-32.

[4] يذكر المقرئ في روايته أن حصن "أندرش" استولى عليه "الزغل" رفقة عدد من فرسان النصارى، بينما يذكر صاحب النبذة أنّه تم الاستيلاء عليه من طرف النصارى والمرتدين. فهل يُعقل أنّه أشار للزغل على أنّه من المرتدين؟ ينظر: أحمد بن محمّد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الرابع، المصدر السابق، ص 523.

[5] أحمد بن محمّد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الرابع، المصدر السابق، ص 523، مجهول، نبذة العصر في تاريخ بني نصر، المصدر السابق، ص 32-33

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

والأشجار، ويقتلون المسلمين مدة ثمانية أيام^[1]، ثم ارتحل ملك "قشتالة" إلى وادي آش وأحوازيها بعد أن وصلته أنباء اضطراب أوضاع الثوار فقاد حاميةً من "قرطبة" لإخراجهم من المدينة، فبعثوا بصريخهم للسلطان النصريّ أين نقل أموالهم وأمتعتهم وحبوبهم وكل ما يمتلكونه، وأجأهم إلى مدينة "غرناطة" ومثل ذلك حدث في مدن "بسطة" و"المرية"، فأصبحت بيوتهم مأوى للنصارى فعمروها^[2].

في خضمّ هذا الاضطراب استطاع السلطان النصريّ أن يقتحم حصن "أندرش" كما استولى على عدّة حصون^[3]، كما حاصر حصن "مُرشانة" ففتحها وضمّه، ثمّ بعث أهل القرى المجاورة لوادي آش يستصرخون السلطانَ بعد أن قرّر أهل "فنيانة" الخروج عن طاعة النصارى، فبعث النصاريتيون بالصريخ إلى صاحب "وادي آش" الذي أقبل عليهم فقتل الكثير منهم وأسر، فخرج السلطان النصريّ في الثالث عشر من ذي القعدة من عام 895هـ/جويلية 1490م فنزل السلطان بقرية "وانجر" ثمّ "شريش" ثمّ "سند" قرى "وادي آش"، فأقام مدة ثمانية أيّام ينقل القمح على ظهور البغال وأخلى أهل تلك القرى فحملوا أموالهم وماشيئهم وكلّ ما يخصّهم وتوجّهوا إلى "غرناطة"^[4]. يبدو أنّ أفكار السلطان "أبي عبد الله" بدأت تنضج وأيقن في الأخير خطر النصارى وأن مسؤولية الدفاع عن الإسلام كانت سترمى على عاتقه خصوصاً بعد هجرة عمّه "الزغل"، لكنّ الأحداث ستسارع والوقت سينفذ منه ليبرّر ذلك، إذ أنّ نهاية الأندلس قاربت بعزم النصارى على إسقاط "غرناطة"، فقرّر الملكان الكاثوليكيان العودة لحماتهم العسكريّة ضدّها؛ فخرج ملك "قشتالة" يقود جيشاً في الثاني عشر من جمادى الثانية عام 896هـ/1491م، فهدم القرى المجاورة لغرناطة وأحرق الزرع، ثمّ عاد لحصن "قشتالة" أين استقرّ بقرية "عتقة" "Vega" وشرع في بناء مُدن عوض نصب خيامهم، وأسّسوا مدينة "سانتافي" "Santa-Fè" فأغار على جميع القرى وأخذها وبقيت "قرية الفخار" "Alfajar" لكنّ أمر أخذها استعصى على جيوش "قشتالة" ونشب قتالٌ عنيف مع المسلمين بقيادة "موسى بن أبي غسان"، في أرض "بليانة" "Puliannas"، "مرشانة" "Maracena"، "طفير" "Tafir"، "يعمور" "Yamur"، "الجدوى" "Aljadua"، "رملة أفلوم" "Ormillá de Flum"، "الربيط" "Rubite- Rábit"،

[1] أحمد بن محمّد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الرابع، المصدر السابق، ص 524، مجهول، نبذة العصر في تاريخ بني نصر، المصدر السابق، ص 34

[2] أحمد بن محمّد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الرابع، المصدر السابق، ص 524، محمّد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 235. ينظر أيضاً:

José Antonio Conde, Op.Cit, p:318

[3] محمّد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 235

[4] مجهول، نبذة العصر في تاريخ بني نصر، المصدر السابق، ص 36

الفصل الأول / الصّراع العسكريّ في مملكة بني الأحمر

ووادي "منثيل" "Monachil"، وكلّهما مواضع بـ "غرناطة"، فأثخن النّصارى على المسلمين بالقتال واستشهد منهم الكثير بعد سبعة أشهر من الحصار^[1]، فاشتدّ الجوع على المسلمين بـغرناطة فكانت تصلهم الإمدادات من "البشرات" ناحية جبل "شليبر" "Sierra Nevada" حتّى حلول فصل الشتاء أين أغلقت الثّلوج الممرّات أمام الإمدادات فاشتدّ الغلاء على المسلمين؛ حيث أنّ المتوافدين والمهاجرين من المدن الساقطة بيد النصارى شكّلوا كثافةً سُكّانيّة هائلة؛ كان انعكاسها سلبيّاً على الأوضاع المعاشية، ولما تحقّق لحاكم المدينة "أبي القاسم بن عبد الملك" نقصُ الأقوات أخبر السّلطان بذلك، أين تقرّر عقد مجلس لدراسة الوضع، فأيقن المجلس استحالة الاستمرار في الدّفاع، فأبدى حاكمُ المدينة رأيه بضرورة التّفاوض مع الملك "فرناندو الخامس"، لكنّ الفارس "موسى بن أبي غسان" رفض الرّضوخ ووعده بالدّدود عن بلده لآخر رمقٍ من حياته، فقاد السّرايا وساعده القائدان "نعيم بن رضوان" و"ابن زائدة" وتولّى "آل ثغري" حراسة الأسوار، لكنّ النّصارى ضيّقوا الحصار على المدينة، ووضعوا سفنهم على سواحل "مضيق جبل طارق" لمنع الإمدادات.

تهيأ المسلمون للقتال وفتحوا الأبواب لمواجهة النّصارى لكنّ جيوشهم كانت ضعيفةً بالمقارنة مع جيش النّصارى، فارتدّ السّلطانُ ومن بقي من الفرسان إلى المدينة فاحتلوا داخل أسوارها، وفي الأخير أيقنوا بضرورة التّسليم أمام ضعفهم^[2]. بحسرات كبيرة قرّر الرّؤساء المسلمون مع سلاطنتهم الدّخول في مفاوضاتٍ مع المملّكين الكاثوليكين في 21 محرم سنة 897هـ/سبتمبر 1491م، ترأسها "ابن كماشة" وزير السّلطان، و"أبو قاسم عبد الملك"، لكنّ السّلطان أخفى أمر التّسليم عن الرعيّة مخافةً منهم، إلى أن قرّروا مراسلة المملّكين الكاثوليكين الدّين وافقاً على شروط السّلطان، ومن جملة هذه الشروط (لاحظ الملحق رقم: 02): "أن يؤمن النّصارى المسلمين على أنفسهم، بلادهم، صبيّانهم، مواشيهم، رباعهم، أجنّاثهم، محارثهم، وجميع ما بأيديهم، ولا يُغرّمون إلاّ الزّكاة، والعُشر لمن أراد الإقامة ببلدة غرناطة، ومن أراد الخروج منها يبيع أصله بما يرضاه من الثمن لمن يريد من المسلمين والنّصارى من غير عُبن، ومن أراد الجواز لبلاد "العدوة" بالمغرب يبيع أصله ويحمل أمتعته ويحمله في مراكبه إلى أيّ أرضٍ أراد من بلاد المسلمين من غير كراء ولا شيء يلزمه لمدة ثلاث سنين، ومن أراد الإقامة بـغرناطة من المسلمين فله الأمان على نحو ما ذكر^[3]، وقد رضي المملّكان بالشّروط^[4] وحلّفا باليمين المغلظة على العمل بها. ولم يدخل المملّكان المدينة إلّا بعد التأكيد مخافة غدر المسلمين بهم، فاشتروا عليهم إبقاء

[1] مجهول، نبذة العصر في تاريخ بني نصر، المصدر السابق، ص 39

[2] محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 235

[3] مجهول، نبذة العصر في تاريخ بني نصر، المصدر السابق، ص 41.

[4] ضمت شروط الاتفاقية 67 شرطاً فاخترنا بعضها على أن نذكرها كاملةً في قائمة الملاحق.

الفصل الأول / الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر

خمسمائة مسلمٍ كرهينته^[1] ليدخل في الأخير الملكان الكاثوليكيان مدينة "غرناطة" ويخرج منها سلطانها "أبو عبد الله" آخر بني الأحمر وبهذا تستسقط آخر قلاع المسلمين بالأندلس بعد فترة حكم دامت ثلاثة قرون.

^[1]Rachel Ariè, Op.Cit, p : 177

الفصلُ الثَّاني: الجيشُ الغرناطيُّ بين التَّعبئةِ العسكريَّةِ والتَّكتيكِ الحربيِّ

أولاً: عناصر و فرق الجيش و قيادته العسكريَّة

- التَّركيبة البشريَّة

- فرق الجيش.

- القيادة العسكريَّة للجيش.

ثانياً: التَّنظيمات التَّعبويَّة والإدارية للجيش.

- التَّنظيمات التَّعبويَّة

- التَّنظيمات الإدارية.

- إستراتيجيَّة الجيش النَّصريِّ

ثالثاً: عدَّة الجيش

- أسلحة الجيش النَّصريِّ

- العمارة الحربيَّة

- الألوِيَّة والرَّايات.

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التعبئة العسكرية والتكتيك الحربي

إنّ المتطّلع لتاريخ الأندلس السياسي سيكتشف أنّ الطّابع السياسي قد طغى على الميادين الأخرى، بحكم أنّ المنطقة كانت معرّضةً للهجمات النّصراية المتتالية، فيما يُعرف بحروب الاسترداد تارة، ثمّ إلى النّزوات والأطماع التي ترتّبت عن التّهافت على كرسيّ الحكم والصّراعات الدّاخلية، فلم تُهَنَأ المعمورة بفترات السّلام، فتطاوت الأيّام بين مُهادنةٍ ومُقاطعةٍ، ومُقاربةٍ ومُفارقةٍ، ومُنازلةٍ ومُنازعةٍ، ومُوافقةٍ ومُمانعةٍ، ومُحاربةٍ ومُوادعةٍ؛ وبما أنّ مملكة بني الأحمر بغرناطة آخر معقلٍ في "الأندلس" قد ذاقَت الأُمُرَيْن مُحمّلةً على عاتقها مسؤولية حماية رعيّتها ومسؤولية اللّاجئين من بطش النّصارى، يقول ابنُ الخطيب: "...في وطنٍ توفّر العدو على حصره، ودار به دور السّوار على خصره، وملك قصر الصّبر والتوكّل على نصره.^[1] كان لزاماً عليها و على غرار سابقها من الدّول الهاوية، تعيين قوّة من الجيش تضمن استقرار وحدتها، ومتأهبةً على مدى الزّمن لتلقّي الضّربات الخارجيّة من أعدائها، فالجيش بمثابة الدرع الواقى، و النّفس الطّويل لإحياء الدّولة، ثمّ إنّ مشروعية الجهاد في الإسلام، وضرورة الحرب حتميّة في حالة الدّفاع عن أرض الوطن، أو لتوسيع الحدود.^[2] والحتميّة الأساسيّة هي رفع أذى المشركين الطّامعين الطّامحين في رفع الصّلبان وطمس راية الإسلام والمسلمين، فالإسلام قد اعتمد إستراتيجيةً مرحليّةً في مقارنته للمشركين والكافرين، حيث بدأ معهم مُهادناً، ثمّ مدافعاً، وانتهى مُهاجماً، إلّا أنّ صدّ الاعتداء وردع المعتدين ودفع الفتنة عن دين الله، والدّفاع عن النّفس والأهل والعقيدة؛ ظلّت من أهمّ غايات القتال في الإسلام^[3]. وقد ساهمت المصادر العسكريّة؛ بتزويدنا بفنون القتال والعمليّات العسكريّة، والتنظيمات التي لازمت المجتمعات، والتكتيك الحربيّ، والتعبئة من عُدة وعتاد، ومضامين هامة مسّت هذا القطاع، ولا غرّو أنّ هذه المصادر قد استندت على مرجعيّة الإسلام في الحثّ على الجهاد وسنّة خير الأنام في سنّ قواعد الحرب، ثمّ أنّ المصادر التاريخيّة الخاصّة بدولة بني الأحمر رغم شُحّها في المعلومات الخاصّة بالتعبئة وعدد الجيش، وما صاحب ذلك من إحصائيات لعدد القتلى والأسرى والخسائر الماديّة وما ترتّب على ذلك على ذهنيّات الرعيّة من أزمات نفسيّة، وبالتالي تفشّي الظواهر الاجتماعيّة للتنفيس عن تأرّم الوضع، لكنّ وظيفة الباحث تقصّي ما قيل وما لم يُقال وإسقاط الحقائق في قالب اجتماعيّ، سياسيّ، اقتصاديّ، ونفسيّ، وبالتالي تقديم قراءة "أنثروبولوجيّة" وتاريخيّة للحرب في المجتمع النّصريّ، استناداً على دراسة

[1] لسان الدين ابن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المتناهب، المجلد الأوّل، المصدر السابق، ص 41

[2] ثمّة نوعان من الحروب : الحروب الضرورية والغزوات الإرادية. فالأولى للدّفاع عن أرض الوطن، والأخرى لتوسيع الحدود... "غاستون بوتول، هذه

هي الحرب، المرجع السابق، ص 24

[3] ياسين سويد، الفن العسكري الإسلامي (أصوله ومصادره)، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط2، 1990م، بيروت-لبنان، ص 32

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التعبئة العسكرية والتكتيك الحربي

أكاديمية ضمت دراساتٍ فلسفيةً سوسولوجيةً، "كواقعة اجتماعية" أنثروبولوجية تاريخية بحتة، وهذا ما سنتطرق له بالتفصيل في فصلنا الآتي.

أولاً: عناصر وفرق الجيش النصري وقيادته العسكرية.

تعاقبت على بلاد الأندلس عدّة دُول اتّسمت بطابعها الجهادي، وكثرت الأحداث العسكرية، فكان لزاماً عليها الاهتمام بالنظام العسكري وتطوير جهاز الجيش والإحاطة بظروف الحرب والمواجهة، والإعداد والمباغنة ودراسة النواحي الإستراتيجية والتكتيكية، للقيام بالمعارك ضدّ النصاري. وكان الشغل الشاغل لسلاطين "بني الأحمر" توفير كلّ ما يستلزم لجنودهم من سلاح وعتدة؛ فاتخاذ السلاح من فرض الجهاد لقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (سورة الأنفال الآية 60)، قال ابن عباس: "القوة، السلاح والعتدة في سبيل الله". واقتناء ذلك للواجب على قدر همته، وعزّة نفسه إلى ما فيها من الأجر والثواب. وقد كتب أرسطو إلى الإسكندر: "تفقد جنودك فإنهم أعداء مُنتقمٍ منهم بأعداء"^[1].

وقد سنّت كتب الأحكام السلطانية جملةً من الشروط الموجب توفّرها في الملك والسلطان، وواجباته أمام جنده ليسوسَ نظاماً عادلاً ويحفظَ حمايةً ثغوره من الغزو الخارجي وأهبةً للغزو في أيّ ظرف^[2]، وكما يهَيئ السلطان الظروف الملائمة لجنده وحمله سلاحه؛ وجب على هؤلاء الجند الانصياع لأوامر الحاكم، وأن يسبلوا أنفسهم في خدمة وطنهم؛ فلا يأخذهم نومٌ ولا راحة، وأن يُمنعوا عن الصنائع إلاّ بحمل السلاح وتعلّم الفروسية، ويُعاقب منهم المخالفون^[3]، ولتكوين الشخصية الجهادية النصرية؛ سيطرت النزعة الدينية من خلال حبّ السلاطين الجيوش على الاقتداء بسنة {طه النبي الحبيب محمد عليه أفضل الصلاة و أزكى التسليم} في القول والعمل .

1- التركيبة البشرية: بعد سقوط المدن الأندلسية أثناء حملة الاسترداد التي شنتها الممالك النصرانية، بدأت حملة التهجير الواسعة لمسلمي الأندلس نحو مناطق أكثر أماناً، وكانت غرناطة هي ملاذهم الوحيد وقبلتهم المختارة، فتنوّعت التركيبة البشرية المكوّنة للمجتمع الغرناطي، ومما ساعد أكثر دولة غرناطة على الصمود هو

[1] ياسين سويد، الفن العسكري الإسلامي (أصوله ومصادره)، المرجع السابق، ص 30

[2] شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق وتعليق وترجمة، حامد عبد الله ربيع، مطابع دار الشعب،

1983م، القاهرة، ص432

[3] نفسه، ص 432-433

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التعبئة العسكرية والتكتيك الحربي

الاستفادة من خبرات اللاجئين خاصة في المجال الحربي، ولا ننسى أنّ الأندلس منذ القدم كانت مسرحاً للحروب، وفي ما يلي سنستعرض أهمّ التكتيكات العرقية التي تشكّل منها الجيش النصريّ .

أ/ العنصر الأندلسي: ونقصد به القوّات الغرناطية من فرسان ومشاة بقيادة أمير من أمراء المملكة، أو قائد من قوّادها الأفاضل، وقد لعبت أسرة "بني الأشقيلولة" الدور الرئيس في محطّة المملكة الأولى من التأسيس، وهم من فئة "المولدين" أيّ السكّان الأصليّون للأندلس الذين اعتنقوا الإسلام بعد الفتح العربيّ للأندلس^[1] وأهمّ هؤلاء: "أبو الحسن بن أشقيلولة الأوّل" (علي بن محمّد التجيبي)، من الرجال البارزين على ابن هود، ولما تقلّد محمّد بن الأحمر الحكم في غرناطة أقطعه منطقة "وادي آش"^[2]، ثمّ "أبو محمّد الأوّل" بن أشقيلولة الملقب بالرئيس وهو "عبد الله بن عليّ بن محمّد" ممّن جاهدوا في الأندلس تسلّم إدارة "وادي آش" ثمّ "مالقة"^[3]، ثمّ حكم "أبو إسحاق" بن أشقيلولة (إبراهيم بن عليّ بن محمّد) الذي تقلّد إدارة مدينة "قمارش" و "وادي آش" وبتوليّ "أبي محمّد" بن أشقيلولة صاحب "مالقة" الحكم فيها ظهر الصّراع خصوصاً، وربط ولاءه مع السلطان المرينيّ "يعقوب بن عبد الحق" الذي تنازل له عن "مالقة"^[4]، ثمّ أنّ بني أشقيلولة قد تحالفوا مع مملكة "قشتالة" ضدّ غرناطة؛ الأمر الذي استنكره "محمّد الفقيه" فأرسل بحملة عسكريّة لاسترجاع "قمارش"، وبعد مدّة عقد الفقيه الصلح مع "قشتالة" فخاف بنو أشقيلولة من ذلك، فأعلنوا طاعتهم لبني مرين، وقد قام الفقيه بإرسال رُسل إلى سلطان "بني مرين" قصد التّجافي عن "وادي آش" فكان له ذلك، وخرجوا منها متّجهين إلى المغرب ليستقرّوا بها.^[4]

ب/ العنصر البربري: بدأ العنصر البربري بالتّوافد على مملكة غرناطة من المغرب، وقد زاد تدفق هؤلاء البرابرة على مرّ الأيّام خاصّة على القواعد الجنوبيّة في عهد دولتيّ المرابطين والموحّدين^[5]، وقد أثبت هؤلاء "الزّناتيون" فعاليتهم في ميادين القتال؛ حيث كانوا أسوداً ضاربةً، وسيوفاً ماضية، معودين لقاء الأبطال وقراع الحتوف والنزال، فعظمت نكايتهم في العدو واعترضوا شجّي في صدره دون الوطن الذي كان طعمه له في ظنّه، وارتدّوا

[1] محمّد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي للنشر، ط4، 1997، القاهرة، ص 40

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، المصدر السابق، ص 262

[3] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثالث، ص 386 وما يليها.

[4] جاسم الطيف جاسم، قتيبة محمود جميل، بني أشقيلولة ودورهم السياسيّ في مملكة غرناطة (635-701هـ/1238-1301م)، مجلة الملوية

للدراستات الأثرية والتاريخية، المجلد الثالث، العدد الخامس، 2016 م، العراق، ص 247

[5] لسان الدين ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، (العلاقات السياسيّة بين مملكتي غرناطة و المغرب في القرن الثامن الهجري)

تحقيق: محمّد كمال شبانة، حسن محمود، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1966م، ص 17

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التبعئة العسكرية والتكتيك الحربي

على عقبه، ونشطوا من هم المسلمين المستضعفين من وراء البحر^[1]. وقد تكوّنت نواة ثانية في جيش "ابن الأحمر" الذي استغلّ دُفُعات الزناتيين القادمين من المغرب، وإعطائهم قيادة المجاهدين بدلاً من الخارجين عليه من بني أشقيلولة، وقد أثبت هؤلاء القادة والعناصر جدارتهم وفعاليتهم في الأعمال الجهادية ضدّ النصارى في كثير من المناسبات^[2]. وقد أنشئت مشيخة الغزاة من المبعدين والمتطوعين المغاربة كوسيلة لإبعاد بني أشقيلولة الذين كانت لهم مهمة قيادة الجيش الأندلسي والمجاهدين، وأمام الخلافات التي حدثت بينهم وبين سلطان بني الأحمر، ومحاولتهم الاستقلال بمُدُنهم بعد إخلاف "محمد الأول بن الأحمر" لوعده بمُقاسمتهم الملك^[3]. بالإضافة إلى البربر المتطوعة من جبل "وادراس" المقيمين بين "سبته" و"تطوان" والذين انظموا إلى جيوش "غرناطة" وجاهدوا حق الجهاد^[4].

ج- العناصر الأجنبية: نقصد بها المرتزقة من المماليك والأغزاز، وهم عناصر نصرانية أو يهودية استخدمها النصريون في الحروب إلى جانبهم، وقد أحاط سلاطين غرناطة أنفسهم بحرس من المسيحيين، مثال ذلك "محمد الخامس الغني بالله"، الذي تبعه حرسه من المماليك في ملجئه في بلاد المغرب و أظهروا له هناك الولاء بلا حدود، ويذكر "hemando de baeza" كاتب الملكيين الكاثوليكين، الذي كان يعرف اللغة العربية، وقضى وقتاً طويلاً من حياته في غرناطة أنّ سلاطينها قد اتخذوا في أحيان كثيرة حرساً مسيحيًا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر (9هـ)^[5]. وممن اشتهر من المماليك "صابر" وهو الذي قام بإدخال "محمد الأول" إلى غرناطة بعدما توفّي خارج المدينة إثر نوبة حادة^[6]، وعندما حُلع "محمد الخامس" وانتقل إلى المغرب رافقه مائتان من المماليك وسهروا على سلامته، وعندما تولى الحكم من جديد زاد في عددهم^[7]. أمّا الأغزاز فقد عُرفوا منذ عهد الموحّدين الذين استمالوهم واصطنعوا عدداً كبيراً من الجنود الغزّ الذين قدموا من

[1] هلال فؤاد، خطة مشيخة الغزاة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009م، ص 54

[2] يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، المرجع السابق، ص 88

[3] لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية (كتاب أعمال الأعلام فيمن بوع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام)، المصدر السابق، ص 287

[4] حسن الوزان، وصف إفريقيا، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط 1983، 2م، بيروت، ص 322

[5] أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، المرجع السابق، ص 136

[6] لسان الدين ابن الخطيب، للمحة البدوية في الدولة النصرية، المصدر السابق، ص 36

[7] يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، المرجع السابق، ص 41

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التَّعبئةِ العسكريَّةِ والتَّكتيكِ الحربيِّ

مصر إلى المغرب، بقيادة الأمير قراقوش للتَّقوى على عهد "صلاح الدين الأيوبي"، ثم أرسلوا بعضهم إلى الأندلس برسم الجهاد^[1].

2- فرق الجيش: سبق وأن تطرَّقنا إلى التركيبة المختلفة المكوِّنة للجيش، تباينت تقسيمات الجيش قبل المعركة من مملكة إلى أخرى، حسب ما تقتضيه خطة الهجوم تارة، والعناصر المكوِّنة للجيش تارةً أخرى. فمثال الجيش كالجسد: فالرُّماة هم اليدان، والفرسان هم الرِّجلان للخفة والانتقال، والرأس والأكتاف والجسد فهو التَّديب... وقسم بعض العارفين الجيش على ثلاثة أقسام: القسم الأوَّل هو الأصل الجيِّد، والحسب، والقسم الثاني العُرف بالحروب، والقسم الثالث الامتحان والتجريب، فأما الأصل الجيِّد والحسب فمن أجل ذلك يكون المجاهد شجاعاً قوياً، و أما العارفون بالحروب فيكون بذلك المجاهد عارفاً ومستحضراً للشدائد والرَّحى، والامتحان والتَّجريب فيكون بذلك المجاهد شجاعاً ثابتاً في جميع الأوقات، وإذا اجتمعت في إنسان هذه الخصال المحمودة؛ فيكون الجندي يرضى ما لزمه من العمل^[2].

اهتم ملوك بني الأحمر بالقوَّة الحربيَّة وأولوا لها اهتماماً كبيراً باعتبارها عنصراً فعالاً لحماية حدودهم مع النصارى، وقد اختلفت تشكيلة العناصر القتاليَّة في الجيش، وتباينت أدوارها على اختلاف الأجناس، ومما أسهم في قوته المهاجرون الوافدون من المدن السَّاقطة بأيدي النصارى أثناء حملة الاسترداد والذين أكسبتهم الحروب خبرةً في المجال الحربيِّ، ولا ننسى فئة المغاربة اللاجئيين من "المغرب" إلى "غرناطة" بعد الخلاف مع أمرائهم من بني مرين ليختاروا الالتحاق بالجيش الغرناطيِّ قصد الجهاد، وقد شكَّلوا أهمَّ نواة في تركيبة الجيش، وقد أسند إليهم منصب "شيوخ الغزاة" أو رئيس الجُنْد، وقد ظهر على بلاط بني الأحمر لأوَّل مرَّة شيخهم "أبو زكريا يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الحق" وذلك في عهد السُّلطان "محمَّد الفقيه بن الأحمر" (670هـ/1272م)^[3]. والتفصيل في أدوارهم فيما يأتي، وعلى العموم فإنَّ فرق الجيش قد ضُمَّت ما هو نظاميٌّ وغير نظاميٍّ والذي ضُمَّن تركيبة مختلفة:

[1] أحمد محمَّد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، المرجع السابق، ص 230

[2] إبراهيم الرياش بن أحمد غانم بن محمَّد، العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب والمدافع، المكتبة الوطنية الجزائرية، المخطوطة رقم:

[3] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 16-17

أ/ الجيش النظامي:

- القوَّات الغرناطيَّة: يذكر "ابن الخطيب" في الإحاطة أنَّ الجند الغرناطيَّ قد ضمَّ الأندلسيِّين الذين يقودهم رئيس من القرابة أو أخصياء الدولة^[1] "وزيَّهم في القديم شبيه بزيِّ جيرانهم وأمثالهم من الرُّوم في إسباج الدروع، وتعليق الترسِّة وجفاء البيضات، واتخاذ عراض الأسنة وبشاعة قرابيس السروج، واستركاب جملة من الرِّايات خلفهم، كلُّ منهم بِسمةٍ تخصَّ سلاحه، وشهرةٍ يُعرف بها، ثمَّ عدلوا الآن عن هذا الزيِّ إلى الجواشن المختصرة، والبيضات المرهفة والسروج العربيَّة، واليَلب اللَّمطيَّة، والأسل اللَّطيِّفة"^[2]. وقد كان الفضل في تأسيس النَّوَّة الأولى للجيش النَّصريِّ بقيادة السُّلطان "محمَّد بن يوسف بن الأحمر" لما كان أميراً على "أرجونة"، لأصهاره من بني الأشقيلولة، على رأسهم "أبي الحسن عليّ"، وقد تسلَّم بنفسه قيادة رجاله إلى أن تمَّ دخول مدينة غرناطة، فقد كان قائداً للجيش، وفيما جرت العادة أن يتسلَّم أمر الجند فائدٌ من الأسرة المالكة أو من الشَّخصيات البارزة في المملكة^[3]. بالإضافة إلى أُسرتين من الأُسُر الأندلسيَّة العريقة وهم "بنو صناديد" من جيان، وبني المولى من "قرطبة" وهم نواة الجيش الأولى أيضاً وممَّن ساهموا في تكوينه والجهاد في صفوف "بني نصر"^[4].

- شيوخ الغزاة: وهم ثاني نواة مكوَّنة للجيش النَّصريِّ بل وأهمُّها لما أدته من أدوار هامَّة في الجهاد ضدَّ النَّصارى، وهم بربر منهم من ترجع قبائله "المرينيَّة" و"الزَّيانيَّة" و"التَّجانيَّة" و"العجيسيَّة" و"العرب" والمغربيَّة إلى أقطاب ورؤوس، يرجع أمرهم إلى رئيس من رؤسائهم، وقطب لعرفائهم من كبار القبائل المرينيَّة يمتُّ إلى ملك المغرب بنسب^[5].

تزايد عدد المتطوِّعين القادمين من المغرب مع إنشاء مملكة بني مرين، هذه الدولة التي عرفت في بدايتها نزاعاً بين قسمين رئيسيين: "بني عسكر"، و"بني حمامة" للفوز بالسيادة، ورغم استئثار بني حمامة بالسلطة إلَّا أنَّ بني عسكر حافظوا على جانب كبير من القوَّة داخل الدَّولة لذا كان إبعادهم حللاً للحفاظ على السُّلطة، وكانت الأندلس هي المكان المناسب لذلك، والجهاد هو حُجَّة هذا الإبعاد^[6]. وعقب انتصار المسلمين على النَّصارى في موقعة "الصَّخرة" استقر الاتفاق بين سلطان "بني نصر" وسلطان "المرينيِّين" على أن تقيم في

[1] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأوَّل، المصدر السابق، ص 138

[2] لسان الدين ابن الخطيب، اللمحة البدريَّة في الدَّولة النَّصريَّة، المصدر السابق، ص 64

[3] يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، المرجع السابق، ص 73-74

[4] أحمد محمَّد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، المرجع السابق، ص 221

[5] لسان الدين ابن الخطيب، اللمحة البدريَّة، المصدر السابق، ص 64

[6] هلال فؤاد، خطة مشيخة الغزاة، المرجع السابق، ص 54

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التعبئة العسكرية والتكتيك الحربي

أراضي غرناطة قوة دائمة من المقاتلين المرينيين للاشتراك في الجهاد، وفي سبيل ذلك تنازلت مملكة غرناطة لأولئك المجاهدين (الغزاة) عن "الجزيرة الخضراء" و"مالقة" وبعض المراكز الأخرى لكي تكون معاير ومراكز لهم في الأندلس، لكي يستطيعوا مواصلة عملهم^[1].

وقد تعاقب المغاربة على منصب شيخ الغزاة، وأول من تولّى المنصب قرابة السلطان "يعقوب بن عبد الحق" من أولاد "رحو بن عبد الله بن عبد الحق" و "إدريس بن عبد الحق" ... و من أولاد "أبي عباد بن عبد الحق" لما أوجسوا الخيفة من السلطان واستشعروا التّكبير منه كما سبق وذكرنا، فلحقوا للأندلس للجهاد، ومنهم "أولاد وسناف" و "أولاد نزول" و "أولاد تاشفين بن معطي كبير بني تيريغن" من "بني محمد" وتبعهم "أولاد محلي" أحوال السلطان "أبي يوسف"، وكان ابن الأحمر كثيرًا ما يعقد لهم على الغزاة المجاهدين من "زناتة" لدار الحرب، ثمّ انتقلت الرئاسة من "بني حمو بن عبد الحق" إلى إخوانهم من "بني أبي العلاء" وغيرهم^[2].

وقد كان على رأس بني العلاء "عثمان بن أبي العلاء" إدريس بن عبد الله الشّخصيّة الدّارية بفنون الحرب من خلال تجاربه العديدة في ميادين القتال. وفي سنة 1307 بالضبّط في شمال المغرب أعلن "عثمان بن أبي العلاء" عدم خضوعه لبني مرين شاقًا عصا الطّاعة، وقد استطاع أن يكسب وُدَّ القبائل للقيام بثورة ضدّ بني عمومته المرينيين للظّفر بالعرش المغربيّ؛ فزحف نحو الجنوب أين العاصمة فاس واستولى على العديد من الحصون في طريقه، داعيًا لنفسه وقد انتهز فرصة مصرع السلطان "أبي يعقوب المريني" عام 706هـ/1307م، ونشوب حرب أهلية بين ولديه: أبي ثابت، وأبي سالم لينتهي بمقتل أبي ثابت واعتلاء أبي سالم العرش، لكنّ طموحات عثمان بن أبي العلاء سرعان ما فشلت أمام هزيمته عام 707هـ/1309م، أمام جيش سليمان بن أبي الرّبيع المرينيّ ليضطر إلى الفرار مع أسرته إلى الأندلس، واستقرّ بغرناطة أيام حكم السلطان "نصر أبو الجيوش"، فتولّى قيادة الجيوش وحقق النّصر في العديد من المعارك، وهذا ما دعم مركزه وجعل السلطان "أبا الجيوش" يرفض تسليمه للسلطان أبي سعيد المرينيّ بفاس، والذي هدّده الأخير بالمقابل بقطع المؤونة عن الأندلس، لكن بمجرد تولّي السلطان "محمد بن أبي الوليد إسماعيل" الحكم 752هـ/1352م تبادى هؤلاء الغزاة بأنّ اعتصموا بثغر "المريّة" بعد مناوشات مع السلطان، وقد ساعدهم في ذلك عمّه الثائر عليه للظّفر بكرسيّ الحكم واستمالمهم بالوعود، وقد استغلّ هذه الفوضى ملك "قشتالة" للحصول على عدة حصون، وبعد صفاء الجوّ مع "سلطة فاس" تكرر مطلب تسليم أبي العلاء وهو ما شكّل هاجس خوفٍ له فدبّر مكيدهً لقتل

[1] طه عبد المقصود عبد الحميد غيبة، موجز تاريخ الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة، كلية دار العلوم، دس، القاهرة، ص 173

[2] عبد الرحمن بن خلدون، العبر المجلد 7، المصدر السابق ص: 487-488

الفصل الثاني / الجيشُ الغرناطيُّ بين التَّعبئةِ العسكريَّةِ والتَّكتيكِ الحربيِّ

السُّلطان من طرف أحدِ غلمانهِ^[1]، على العموم فإنَّ شيوخَ الغزاة بالرَّغم من جهودهم وتقديمهم الكثير إلى جانب الجيش النَّصريِّ وباعتبارهم النواة الأساسيّة فيه، إلّا أنّهم تبادوا وعصوا حكامهم وتمردوا؛ الأمرُ الَّذي جعل السُّلطان "محمَّد الخامس الغيِّ بالله" يقوم بإلغاء منصب شيخ الغزاة من الجيش.

-**المماليك:** وهم جنودٌ من أصلٍ مسيحيِّ، كانوا يعملون كحرسٍ خاصٍّ للسُّلطان يسمِّيهم ابن الخطيب ممالك، بينما يسمِّيهم ابن خلدون معلوجين^[2]، وقد كانوا على أيّام السُّلطان محمَّد الخامس، فقد تطوَّعوا لحمايته بعد دخولهم الإسلام، وقد رافقوه إلى المغرب بعد خلعهِ^[3].

- **الأغزاز:** استمرَّ ملوك غرناطة على عادة استخدام رُماة الغزِّ "الأتراك" في جيوشهم كما فعل الموحدون من قبل وفي ذلك يقول ابن الخطيب:^[4]

ودارت من الأغزاز تحت لوائها
رماةٌ على أوتارها للعدا وتز
إذا اطنبوا أقواسهم وتمنطقوا
فثبَّصُ جيش التراكشت مُضْرُ

ب-غير النظامي:

1- الخطباء والشعراء والوعاظ: لقد لعب الدِّعم النَّفسيُّ جانبًا مهمًّا في حياة الحروب والتأثير على نفسيّة الجنديِّ قبل الخوض في المعركة، فكان الشُّعراء والوعاظ والخطباء يبثُّون الطَّاقة الإيجابيّة في الأرجاء عبر أشعارهم وخطبهم؛ لضرورة الجهاد ووصف الفرسان وأسلحتهم وصفًا جميلًا، ولم يتخلَّ "بنو الأحمر" عن هذه العادة القديمة محمّسين فُرسانهم، فكانت هذه الفئة تقصُّ عليهم أخبار البطولات الخارقة التي قام بها السُّلف في جهادهم المقدَّس^[5]. فلا ننسى مواقف الشَّاعر "ابن الخطيب" أو الشَّاعر "ابن فركون" و"ابن زمرك" وغيرهم الَّذين لازموا سلاطينهم وجيوشهم في الحروب، داعمين لهم وحتى في بعض الأحيان مشاركين، هذا وإن دلَّ على أنّ روح الجهاد مسّت جميع الفئات في المجتمع النَّصريِّ. ونذكر الوعاظ ممن دعوا للرباط والمجاهدة ومنهم: "جعفر بن أحمد بن عليِّ الخزاعي" من أهل "ربض البيازين" يُكْتَى "أبو أحمد" المعروف بكرامة النَّاس حيث كان يدعو للجهاد^[6]، ومنهم أيضًا "محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن

[1] لسان الدين ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، المصدر السابق، ص 23-24

[2] أحمد مختار العبادي، صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، دار منشأة المعارف، ط1، 2000م، الإسكندرية، ص 235

[3] يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، المرجع السابق، ص 89

[4] أحمد مختار العبادي، صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، المرجع السابق، ص 236

[5] شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، المرجع السابق، ص 77

[6] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، المصدر السابق، ص 459

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التَّعبئةِ العسكريَّةِ والتَّكتيكِ الحربيِّ

جزِّي الكلبيُّ" يُكْتَى "أبو القاسم" من أهل غرناطة، كان من العاكفين على العلم في كلِّ ميادينه، فُقد وهو يشحذ النَّاسَ ويحرِّضهم ويثبَّت بصائرهم يوم الكائنة بطريف صحوةً يوم الإثنين 17 جمادى الأولى عام 771هـ^[1]، ونذكر "عبد المنعم بن علي بن عبد المنعم بن إبراهيم بن سداري بن طفيل" يُكْتَى أبو العرب و يُشتهر بالحاج ويُدعى كنيته، كان عالمًا فاضلاً صالحًا، صاحب مُكاشفات وكراماتٍ، هو أعظم الأسبابِ في جواز أهل المغرب لئصرة الأندلس في أول المملكة التَّصريَّة^[2]، و"غالب بن حسن بن غالب بن حسن بن أحمد بن يحيى بن سيِّد بونة الخزاعي" يُكْتَى "أبو تمام" ظهرت عليه البركاتُ وشهدت بولايته الكراماتُ، كان من أهل الإيثارِ والوعظِ والمثابرة على الرِّباطِ والحفوف إلى الجهاد^[3]، وكذا نُشيد بدور العلماء المتطوِّعين في الجهاد والَّذين سقطوا شهداء أثناء حروبهم ضدَّ النَّصارى، فقد استُشهدَ "أحمد بن يحيى بن محمَّد بن يحيى بن محمَّد بن أبي بكر بن سعد الأشعري المالقِي" (أبو عبد الله) في معركة طريف (771هـ-1340 م)، والَّذي عُيِّن كقاضٍ في غرناطة سنة 737هـ^[4]

في فترة حكم السُّلطان "يوسف الأوَّل أبو الحجاج "الغالب بالله" (733-755هـ/1333-1354م) وكذا استُشهدَ في واقعة طريف "محمَّد بن محمَّد بن حزب الله" من أهل "وادي آش" يُكْتَى "عبد الله"^[5]، ونذكر والدَّ "ذي الوزارتين ابن الخطيب السُّلماي" وهو "عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي السُّلماي" الَّذي استُشهدَ أيضًا في واقعة طريف^[6]، وعالم القراءات والأدب والفقهِ "عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سلمون الكناي" أبا محمَّد" و يُعرف "بابن سلمون" شهيد واقعة طريف^[7]، و"محمَّد بن علي بن هاني اللَّخمي السُّبتي يُكْتَى "عبد الله" أصله من اشبيلية، إمام في اللُّغة ومجتهدًا بها، لما نازل المسلمون جبل الفتح كان ممن انتدب وتطوَّع، توفِّي والعدوَّ يحاصره فأصابه حجر المنجنيق في رأسه في عام 733هـ^[8]، وإمام العربيَّة "محمَّد بن يحيى العبدري (الصدِّي) توفِّي بمرسى جبل الفتح حين دخل عليهم العدوَّ فقاتل حتَّى قُتل سنة

[1] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، المصدر السابق، ص 20

[2] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 4، المصدر السابق، ص 30

[3] المصدر نفسه، ص 239

[4] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، المصدر السابق، ص 176

[5] نفسه، ص 367

[6] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، المصدر السابق، ص 386

[7] نفسه، ص 400

[8] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، المصدر السابق، ص 143، المقرئ، نفع الطيب، المجلد السادس، المصدر السابق،

ص 245-246

751هـ^[1]، وفي الواقعة بين المسلمين والنصارى على ظاهر "المريَّة" حينما احتلها العدو "البرجلوي" في السادس والعشرين من شهر ربيع الأول عام 710هـ في عهد ثاني ملوك بني نصر "محمد الفقيه" سقط "أبو ورد ابن القصبة" الوافد للأندلس^[2]، ثمَّ "يحيى بن عبد الكريم الشنتوي" من أهل الجزيرة الخضراء، كان غازيًا ومجاهدًا^[3].
أر اليهود ومسافري النصارى لأتَّما مرتبة غدرٍ لا عزَّ فيها؛ فينبغي أن يُصانَ المسلمون عنها، ولكن تجري عليهم أرزاقًا يَغنون بها عن التصرف للمعاش في غير ذلك الطَّريق، ولا تسقط عنهم الجزية، ويستظهر في معرفة صدقهم من كذبهم بأن يكونوا جماعة كبيرة لا يعرف بعضهم بعضًا^[4]. قالوا: "أحكم جواسيسك فأنت رأس أمر الحرب، وتديبر مُكايدة العدو، واعلم أنه إن ظفر عدوك بأحدهم فعاقبه دعاه ذلك وغيره إلى أن يأتوك بالأخبار من غير أصولها وعلى غير حقائقها، فتوق ذلك عليهم جهدك، إلى أن يأتوك بالأخبار من غير أصولها وعلى غير حقائقها، لتكن عيونك وجواسيسك ممن تثق بصدقته ونصيحته، فإن الطَّنين لا ينفك خبره وإن كان صادقًا، المهم غير عليك لا لك"^[5]. نجد أنه عند حملة "خامس الثاني" على المريَّة قام مسيحيُّ يُدعى: **Bartolomé de bielsa** بمساعدة المسلمين على استرداد المدينة، كذلك فإنَّ السلطان "يوسف المريني" قد استخدم في حروبه في الأندلس عيونًا من اليهود والمعاهدين النصارى يتعرَّفون له أخبار الطَّاغية "شانجه"، وفي معركة طريف رصد المسلمون "العسس" للتجسس على الأعداء، كذلك يذكر "ابن الخطيب" على لسان سلطانه محمد الخامس: "ثمَّ تعرَّفنا أنَّ العدوَّ إمَّا يقصد الجزيرة مباشرة أمورها، وكتب إلينا بعضُ ناسه أنه إمَّا يقصد "رندة" أو "جبل الفتح" و لم تقدم عملا على توجيه مدد الرُّماة والفرسان"^[6]. وقد اتَّفَق الفقهاء على جواز الاستعانة بغير المسلمين للدلالة على الطَّرق التي يسلكها الجيش الإسلامي أو للدلالة على قلعة من قلاع الأعداء أو ثغرة على حدود الدولة المعادية، أو على ماء في مفازة ليشرب منها الجيش الإسلامي، أو إلى غير ذلك ممن فيه خدمة للجيش الإسلامي.^[7]

[1] المقرئ، نفع الطيب، المجلد السادس، المصدر السابق، ص 154

[2] نفسه، ص 476

[3] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 4، المصدر السابق، ص 396

[4] علي بن عبد الرحمن ابن هذيل الأندلسي، تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، تحقيق: عبد الإله أحمد نبهان، محمد فاتح صالح زعل، مركز زايد للتراث والتوزيع، ط 2004، 1م، أبو ظبي، ص 128

[5] الهرثمي صاحب المأمون، مختصر سياسة الحروب، تحقيق: عبدالرؤف عون، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة، د.س، مصر، ص 23-24

[6] أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، المرجع السابق، ص 221

[7] محمد عثمان شبير، حكم الاستعانة بغير المسلمين في الجهاد الإسلامي، دار النفائس، ط 1، 2001م، الأردن، ص 135

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التعبئة العسكرية والتكتيك الحربي

2- الأدلاء: وهم في الغالب سكان المناطق الحدودية ذوي الخبرة بمسالك البلاد^[1]، وهم الذين يقودون الجيش، وكان يجب أن يكونوا على معرفة كبيرة بالإقليم والطرق والأرض التي كانت هدفاً للحملات، وأن يكونوا من أصحاب الثقة المطلقة لدى السلطان^[2]؛ فوجب الإكثار منهم في التَّغور، ولا بد أن يكونوا مسلمين وأن يكونوا مكرِّمين لأنهم يُشاورون في العظام، وينبغي أن تجرى عليهم الأرزاق الواسعة، ولا بد لهم الإجابة لدعاء الحضور متى دُعوا على وجه السرعة، ومن قصر في استجادة الفرس والسلاح حرمه عطاءه^[3].

وفي إشارة لهذه الفئة الفاعلة في الجيش يذكر "ابن الخطيب" الأدلاء أثناء إغارة "الغبي بالله" على مدينة "أبدة" فيقول: "... ثم تحركنا بعدها (أي بعد غزو مدينة جيان) حركة الفتح وأرسلنا الأدلاء قبل المنح، فبشّرت بالمنح"^[4]. كما ذكر لنا "ابن الخطيب" أحد هؤلاء الأدلاء المعروف بابن هلال أثناء رحلاته التفتيشية في التَّغور الشرقية من المملكة رفقة سلطانه "يوسف الأوّل أبو الحجاج"؛ حيث أنّه قادهم إلى مسالك وعرة وأوغالٍ صعبةٍ وهذا ما أثار استهجان "ابن الخطيب" فيقول: "... و استدعى من الأدلاء من وثق بنجدته، وكثر المستشار، ووقع على طريق "قيشر" الاختيار، واثتدب من الفريق، ورجل ذو احتيال، يُعرف بابن هلال، استقبل بنا شعباً مقفلاً، ومسلّكاً مغفلاً، وسلّمًا حرج الدّرج، سامي المنعرج، تزلق الدّرّ في حافاته، وتُراع القلوب لتوقع آفاته، ويتمثل الصّراط عند صفاته. أوعارٌ لا تتخلّص منها الأوعال، ولا تُغنى السنابك فيها ولا التّعال. قطعنا بياض اليوم في تسنّم جبالها، والتّخبط في حبالها، نهوي من شاهقٍ إلى وهد، نخوض كلّ مشقة وجهد، كأننا في حلم محموم، أو أفكار مغموم، أو برشام نوم"^[5].

3- المتطوعة: عمّد في الفترة الأخيرة من العهد النّصريّ رؤساء الجنديّ لما اشتدّ الضّغط على مملكتهم ولما كثر الحصار على المدن، على إنشاء فرق صغيرة أو عصابات لها تنظيمها الخاصّ وهي شبه مستقلة عن الجيش النظامي، فنقوم بالتسلّل إلى معسكرات العدو وتقتحم خيام قادة الفرق، وتغزو مرابط الخيول وتفسد المؤنّ وتنهب الذّخيرة وتحرق المعسكرات وتنصب الكمائن^[6]، بالإضافة إلى فئة الأطباء فنذكر على سبيل المثال:

[1] شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، المرجع السابق، ص 77

[2] أحمد محمّد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، المرجع السابق، ص 221

[3] علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، المصدر السابق، ص 128

[4] لسان الدين ابن الخطيب، ریحانة الكتاب ونجعة المتناهب، المجلد الأوّل، المصدر السابق، ص 198

[5] لسان الدين ابن الخطيب، خطرة الطيف، رحلات في المغرب والأندلس، حققها وقدم لها: أحمد مختار العبادي، المؤسسة العربية للدراسات

والنشر، ط، 2003م، بيروت، ص 45

[6] شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، المرجع السابق، ص 76

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التبعة العسكرية والتكتيك الحربي

"عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين الثقفى العاصمي"، طبيب ماهر كان يحضر الغزوات فارساً وراجلاً^[1]، وأهل صناعة الجير والبناءون والتجارة لآلات القتال، وفتح الحصون وتسهيل الطرق للعسكر، والحدادون للسلاح من السيوف والتراس والمطارد والقيسي والتبل وغير ذلك مما يحتاج ويُفتقر إليه^[2].

3- القيادة العسكرية للجيش التصري: أسندت القيادة العسكرية للجيش التصري إلى عنصرين هامين كما سلف الذكر: العنصر الأندلسي والعنصر البربري وهم "شيوخ الغزاة" مبدئياً لأن دور شيوخ الغزاة سينتهي في الطور الثاني من عمر الحضرة الغرناطية، أي بعد ما تمّ عزههم من قبل السلطان التصري محمد الخامس "الغني بالله". بالإضافة إلى عنصر الثقات من البلاط السلطاني والمتمثلين في الوزراء أو الحجاب والذين سنتطرق لهم مفصّلين أدوارهم على الساحة.

يذكر "ابن الخطيب" أنّ سلاطين بني الأحمر غالباً ما كانوا يلازمون الحروب بأنفسهم، ونستدلّ على ذلك بما جاء على لسانه: "فسلطانهم الأول ومؤسس دولتهم أبو عبد الله محمد "الغالب بالله" (629-672هـ/1232م-1273م) كان جندياً ثغرياً، مباشرًا للحرب بنفسه^[3]، سار أعقابهُ على نهجه بقيادة الجيش الغرناطي في فترات حروبهم، وأحياناً كان ينوبهم أصهارهم من "بني الأشقيلولة" مبدئياً في الفترة الأولى من تأسيس المملكة، فلا نُنكر فضل هؤلاء فقد قدّم "علي بن أشقيلولة" يد العون للغالب بالله أثناء ثورته مع ابن هود، ثمّ أنّ "الغالب بالله" قد وقّع اتّفاقاً مع أبي الحسن على قسمة ما يتصل لهما من الملك؛ فقال له: "أنا أمي، لا أكتب، و عزك عزّي ومملكك ملكي!" فأسكنه بالقصبة وقدمه على الجيش، إلى أن توفّي الرئيس "أبو الحسن"، وخلف ولدين إبراهيم أكبرهما والرئيس أبو محمد، فصاهر هذا السلطان على ابنتيه "مؤمنة" و "شمس"^[4]، و سبق أن ذكرنا أنّ "الغالب بالله" قد أقطع أبا محمد الأول بن أشقيلولة الملقب بالرئيس إدارة "وادي آش" ثمّ "مالقة"^[5]، ثمّ حكم أبو إسحاق بن أشقيلولة (إبراهيم بن علي بن محمد) الذي تقلّد إدارة مدينة "قمارش" و "وادي آش"^[5].

ساهم ابنا الأشقيلولة "أبو محمد" و "أبو إسحاق" إلى جانب ابن الأحمر بقيادة جيوشهم سنة 662هـ/1263م إلى جانب الجيش التصري الذي بلغ 500 فارس من الأنجاد والرؤساء والقواد عند

[1] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثالث، المصدر السابق، ص 419

[2] علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، المصدر السابق، ص 130

[3] لسان الدين ابن الخطيب، اللوحة البدرية في الدولة التصرية، المصدر السابق، ص 68

[4] لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية (كتاب أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام)، المصدر السابق، ص

[5] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثالث، المصدر السابق، ص 386 وما يليها.

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التَّعبئة العسكريَّة والتَّكتيك الحربي

انقضاء فترة الهدنة التي دامت ثلاث سنوات، فأبَّجه "ابن الأحمر" ملك الروم الأُدُنش "ألفونسو العاشر"، لكنَّ "ابن الأحمر" خشِي المكيدة^[1] وولَّى أَدباره، كما أنَّ "الغالب بالله" قد استعان بالرئيس "أبي محمَّد بن أشقيلولة" حينما كتب إليه أهل "مُرسية" يستنجدونه بعدما ضيق عليهم النَّصارى بالحصار وأخرجوهم من بلادهم، لكنَّ "ابن الأشقيلولة" ولَّى هاربًا بعد محاصرته واستعصى عليه الأمر^[2]، لكنَّ الأدوار تغيَّرت بتولِّي الفقيه الحُكم؛ حيث أنَّ أصهاره قد طمعوا في الحُكم. والَّذي أغضب "بني أشقيلولة" هو أنَّ "ابن الأحمر" جعل مشيخة الغزاة (قيادة الجيش) لواحد يكون من أقارب بني مرين سلاطين المغرب، وكان هؤلاء مواقف في الجهاد مشهورةً وقيادة الجيوش^[3]، ثمَّ أنَّ الفقيه غضب من موالاته ملك المغرب "بني الأشقيلولة" الَّذين قدَّموا له الطاعة^[4] لما احتلَّ ناحية طريف، وانضمَّ ثوار "مالقة" للجيش المرينيِّ بعد أن حاول أخذها، لكنَّها استعصت عليه، الأمر الَّذي خلق نوعًا من الغضب لسُلطان بني نصر. وما زاد الطَّينة بلَّةً أنَّه بعد وفاة أبي محمَّد بن أشقيلولة وأعقبه ابنه "عليّ" على إمارة "مالقة"، أجمعوا على جعلها تابعة لمملكة بني مرين^[5]، من هنا جاءت المناوشات والفتن الداخليَّة لعبت فيها كلُّ الأطراف؛ والشَّيء المشين هو الاستغاثة بأعدائهم مقابل المزيد من سفك الدِّماء، وتَّحجير أهالي الحصون لتملكها ملك الرُّوم. في الأخير تنتهي سلسلة الفتن بترحيل المرينيين لبني الأشقيلولة في المغرب، وتعويضهم بقصر "كتامة" بدل "وادي آش"^[6].

ومن قرابة بني نصر الَّذين أُسندت لهم مهمَّة قيادة الجيش لفتح المدن والحصون؛ نذكر الرئيس "أبا سعيد فرج بن إسماعيل" صاحب "مالقة"، الَّذي أوعز له السُلطان محمَّد المخلوع ابن الفقيه (701-708هـ/1302-1309م)؛ حيث داخل بعض عمال بني العزِّي "بسبته" وأمكونه من البلد فاقتحمها

[1] سبق لنا وأنَّ أشرنا إلى الأحداث التي وقعت بين ابن الأحمر وألفونسو حيث أنَّ ابن الأحمر لما انتهى وقت الهدنة المحددة بثلاث سنوات قاد جيشه باتجاه اشبيلية لمحاولة تجديد الهدنة لكن ملك الروم نصب شركاً لابن الأحمر، ليبرر بعد ذلك ذمته أنَّ الحادث جاء لدفع شرذمة من السارقين عن العبور للمزيد ينظر: ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، المصدر السابق، ص 431

[2] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، المصدر السابق، ص 341-342

[3] شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، المرجع السابق، ص 24

[4] يبدوا من حديث عبد الرحمن بن خلدون أنَّ بنو أشقيلولة قد شقوا عصا طاعة سلطنتهم الفقيه وانجازوا لأوامر السُلطان المرينيِّ بدليل قوله: "... و أكد ذلك جنوح الرؤساء من بني الأشقيلولة وغيرهم إليه وانقيادهم لأمره (أي للسُلطان المرينيِّ) ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر ج 7، المصدر السابق، ص 262

[5] عبد الرحمن بن خلدون، العبر المجلد 7، المصدر السابق، ص 261-262، ينظر أيضاً، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ج 3 (الدولة المرينيَّة) المصدر السابق، ص 40

[6] عن مزيد من الأحداث عن الفتنة بين محمَّد الفقيه وبنو أشقيلولة ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلاميَّة (كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام)، المصدر السابق، ص 287-291

الفصل الثاني / الجيشُ الغرناطيُّ بين التَّعبئةِ العسكريَّةِ والتَّكتيكِ الحربيِّ

بأساطيله وجُنده على حين غفلةٍ من أهلها، وتقبَّض على بني العزِّيِّ وعلى حاشيتهم وأركبهم الأسطول، وبعث بهم إلى "مالقة" ثمَّ منها إلى غرناطة فتلقَّاهم ابنُ الأحمر واحتفل لهم وأنزلهم بقصوره، وأجرى لهم النَّفقة واستقرَّوا برهةً من الدَّهر ثمَّ عادوا إلى المغرب^[1]، كما وُلِّيت قيادة الجيش إلى "غالب بن أبي بكر الحضرمي" من أهل غرناطة يُكنَّى "أبو تَمَّام" ويُعرف بابن الأشقر، كان قائداً جَزْلاً مهيباً مليح التَّجند، معروف الدَّربة والثَّقافة متهور الفروسية، ظريف الشَّكل... وُلِّي قيادة العسكر زماناً طويلاً فوق الإجماع على أهليته تميِّزاً للطبقات وانتهاضاً بالخدمة وإنفاذاً للعزيمة، ومعرفةً بالعواید واقتداراً على السَّهر في تفقُّد المسالِح واختبار المراضد واختيار الحرس^[2]. من هنا تأتي الإشارة إلى ضرورة تعيين مَنْ هم أهلٌ للمنصب؛ يقول الطَّرطوشي: "...فلا ينبغي أن يُقدِّم على الجيش إلا الرَّجل ذو البسالة والتَّجدة، والشَّجاعة، والجُرأة، ثبُت الجِنان، صارمُ القلبِ جريئُهُ، رابطُ الجأشِ، صادقُ البأسِ، ممن توسَّط الحروب، ومارسَ الرِّجال ومارسوه، ونازلَ الأقرانَ ونازلوه، وقارعَ الأبطالَ، عارفاً بمواضعِ الفُرصِ، خبيراً بمواقعِ القلبِ والميمنةِ والميسرةِ من الحروبِ، وما الذي يجب شحْنُهُ بالحِماةِ والأبطالِ من ذلك، بصيراً بصنوفِ العدوِّ ومواقعِ العُرَّةِ منه، ومواقعِ الشَّدَّةِ"^[3].

نذكر أيضاً فِئةَ الوزراءِ والتي أُسندت لها السُّلطةُ السِّياسيةُ والعسكريَّةُ الذين قادوا الجيوش بالنيابة عن سلاطينهم، ففي عهد السُّلطان الغالب بالله 629 (-672/1232م-1273م) أُسندت مهمَّةُ التَّغلب على "جيان" للوزير "أبي مروان عبد الملك بن يوسف بن صناديد"؛ حيث يقول ابن الخطيب: "...وهو زعيم قاعدة "جيان"، وهو الَّذي أمكنه من ناصيتها والتَّغلب عليها"^[4]. وفي عهد السُّلطان محمَّد الفقيه-701 (672/1273-1302 م) أوكلَ مهمَّةَ الإغارة على مدينة "مالقة" لوزيره "أبي سلطان عبد العزيز الدَّاني" بعد وفاة أبي محمَّد بن أشقيلولة حيث سما للفقيه أمله في الاستيلاء عليها، وأنَّ ابن أخته شيعة له، فوافى معسكر الأمير "أبي زيان المريني" بساحتها ورجا أن يتجافى عنها لسُلطانها، فأعرض عن ذلك وتهمَّج له ودخل إليها لثلاثِ بَقَينَ من رمضان، وانقلب "الدَّاني" عنها بِحُفَيِّ حُنين^[5]، كما أسند السُّلطانُ "أبو الجيوش"

[1] عن الأحداث التي جرت ومزیداً من التفاصيل ينظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ج3

(الدولة المرينية)، المرجع السابق، ص 82

[2] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، المصدر السابق، ص 236-237

[3] أبي بكر محمَّد بن الوليد الفهري الطرطوشي، سراج الملوك، المجلد الأول، حققه وضبطه وعلَّق عليه ووضع فهرسه: محمَّد فتحي أبو بكر،

تقديم: شوقي ضيف، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1994م، القاهرة، ص 679

[4] لسان الدين ابن الخطيب، للمحة البدوية في الدولة التَّصريَّة، المصدر السابق، ص70

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر ج7، المصدر السابق، ص 262

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التّعبيّة العسكريّة والتكتيك الحربيّ

قيادة الجيوش لوزيره إبراهيم بن عبد البر^[1]، كما استعان السلطان يوسف الأوّل أبو الحجاج (الغالب بالله) "733-755هـ/1333-1354م"، بالوزير ابن عبد البر وبذي الوزارتين "عبد الله ابن الخطيب"، فقد ناب عن أبي الحجاج أثناء حروبه، وألقى إليه السلطان بسيفه وخاتمه^[2].

وفي عهد السلطان "الغني بالله" وقع الخلاف بينه وبين سلطان بني مرين "عبد العزيز" حول تسليم لسان الدين ابن الخطيب الذي التجأ للأخير بدعوى حمايته من بطش سلطانه؛ بعد تحريضه من قبل الحاقدين عليه من بني جلدته وأبرزهم "أبو عبد الله ابن زمرك"، فقرر سلطان غرناطة أن يبعث لسلطان بني مرين في تسليمه له لكنّه رفض، وبوفاة عبد العزيز استبدّ بالحكم الوزير ابن غازي وتخيّر لابن الخطيب وخاطبه الغني بالله بتسليم "ابن الخطيب" لكنّه رفض؛ فحدثت فتنة بين الغرناطيين والمرينيين، بعث على إثرها "الغني بالله" الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن وأركبه الأسطول وقذف به إلى ساحل "بطوية" ومعه الوزير "مسعود ابن ماساي"، فنهض لجبل الفتح فنازله بعساكره لتحدث مواجهات بين الطرفين المريني والغرناطي^[3].

كما أسند "محمد السابع" المتمسك بالله بن يوسف الملقّب "الأيسر" الغالب بالله-844 (839هـ/1463-1441م) مهمة قيادة الجيش لوزيره القائد "أبي إسحاق إبراهيم بن عبد البر" و"الأبي القاسم محمد بن سراج" حينما هاجمهم "خوان الثاني" ملك "قشتالة" لذلك العصر، فصدّ المسلمون الهجوم مرتين في "أرشدونة" و"وادي آش" و"مرج غرناطة" وأسروا الكثير منهم وذلك في سنة 838هـ/1434م^[4]، ومن بين أهمّ الشخصيات المهمّة في البلاط التصريّ نذكر شخصية "أبي التّعيم رضوان التصريّ"^[5] الحاجب المعظّم يذكره "ابن الخطيب" في إحاطته بأنّه "روميّ" عمومته من "قشتالة" وخوؤلته "برجلونيّة"، عاش في كنف السلطان "أبي الوليد" واختص في تربية ولده (يوسف الأوّل)، فكانت له مآثر وخلال. وكان ملتزمًا للسنة جليس القيلة، وكان تاجرًا وفلاحًا لا يعاقر خمراً ولا يزي... غزا في السادس والعشرين محرّم عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة (733هـ) بجيش مدينة "باغة" فأخذ بمخنقتها وشدّ حصارها وتملّكها غنوةً وعمّرها بالخمارة وربّتها

[1] لسان الدين ابن الخطيب، الملحّة البدريّة في الدولة التصريّة، المصدر السابق، ص130

[2] محمد كمال شبانة، يوسف الأوّل ابن الأحمر سلطان غرناطة (733_755هـ)، المرجع السابق، ص 51

* عُين الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن كشيخ للغزاة بالأندلس بعد مهلك علي بن بدر الدين وذلك سنة ثمانية وستون وسبعمائة، عبد الرحمن ابن خلدون، العبر ج7، المصدر السابق، ص 500

[3] نفسه، ص 448-449

[4] أبي يحيى محمد ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، المجلد الأوّل، المصدر السابق، 312 ومايليها.

[5] يذكره عبد الرحمن ابن خلدون أنّه تولى قيادة عساكر مملكة غرناطة في عهد السلطان أبو الحجاج ثمّ على عهد ابنه الغني بالله. ينظر: عبد الرحمن

ابن خلدون، العبر ج7، المصدر السابق، ص 441

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التَّعبئة العسكريَّة والتَّكتيك الحربي

بالمرابطة، وفي اثنين وثلاثين وسبعمائة غزا بالجيش عدوَّ المشرق وطوى المراحل مجتازًا على بلاد قشتالة "الورقة" و"مرسية"؛ وتمَّعَّن فيها ونازل "حصن المدور" وهو حصن أمن غائلة العدوَّ به الآلات والتَّجهيزات الضَّخمة، واستولى عليه بعد قتالٍ وسبِّي وغنم فيه، وغزواته كثيرة^[1] كمظاهرة الأمير الشَّهير "أبي مالك" على منازل "جبل الفتح". واشتهر بالجدِّ والصَّبْر وقد أصابه سهمٌ في ذراعه وهو يصلي فلم يشغله ذلك عن صلاته، ولا حمَّله توفُّع الإغارة عن عمَلِه^[2]، كما أسندت قيادة جيش المسلمين على عهد السُّلطان يوسف الثالث (810 - 820 هـ/1408-1417 م) للقائد العالم "أبي يحيى محمَّد بن محمَّد بن عاصم الغرناطي"^[3] حيث كان فقيهاً، خطيباً، كاتباً وصاحب الأحكام في غرناطة واستشهد في "انتقيرة" سنة "813 هـ/1410 م"^[4]

وفي سلسلة استرجاع الحصون الشَّرقية المهتزمة، استرجع جيش المسلمين حصن "أرش" و"فوليه"، من يد النَّصارى بقيادة "العبَّاس بن علي بن حميد" كما استرجع حصن "النَّجش" بعد أن مات عليه أخوه "عيسى النَّجد البُهمة"، وهو أمثل من كان قد انحاز إلى تلوِّم المملكة اليوسُفية، فنفس الله به مخنق "وادي المنصورة"، المتسع العمَّالة، الوافر الجياية. وقد كان سبق ذلك استخلاص حصن "البريج"، من أسفل الوادي المذكور.^[5] ثم وفق الله الجيش على استفتاح مدينة "بطلش"، فولَّى قيادة الجيش القائد الوزيرين، "أبا إسحاق إبراهيم بن عبد البر" من وادي آش، و"أبا الحجاج" يوسف بن كُماشة من بسطة، وعزَّزهما بالشيخ "الأحسن الشريف" فارس المسلمين على ذلك العهد.^[6] كما يسرَّ الله فتح "بني موريل" و"بني سلمة" و"كُرتش" ما يسرَّ وهياً له من ذلك ما صعب و تعسَّر على وزير السُّلطان أبي الحجاج "ابن علاق"^[7].

عاشت غرناطة في بداية تأسيسها أحلك أيامها، ذلك أنَّ "الغالب بالله" بعد انقضاء أجل الهدنة بينه وبين ملك "قشتالة" توجَّس الخيفة من الانقلاب عليه، وآثر الاستغاثة ببني مرين، لكنَّ "الغالب بالله" لم

[1] عن مزيد من غزوات الحاجب المعظم رضوان التصريّ بنظر: لسان الدين ابن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المتاب، المصدر السابق، ص 136-137

[2] للمزيد من أخباره وحول السعاية به وعزله ثم إعادة إرجاعه للبلاد التصريّ عهد السُّلطان أبي عبد الله، ليطم في الأخير الغدر به وقتله، ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، المصدر السابق، ص 506 وما يليها

[3] محمَّد بن محمَّد بن عمر بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، الجزء الأول، خرَّج حواشيه وعلَّق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، ط1، 2002م، بيروت-لبنان، ص 355-356

[4] أبي يحيى محمَّد ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 312

[5] أبي يحيى محمَّد ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 211

[6] نفسه، ص 212

[7] نفسه، ص 212

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التَّعبئة العسكريَّة والتَّكتيك الحربي

يُسعفه الزَّمن ليعيش فترة الجهاد المشترك، فأوصى ابنه الفقيه بضرورة ربط علاقة طيِّبة مع بني مرين وكان له ذلك حيث استنجد بهم للدِّفاع عن الأندلس وقد لَبَّى بنو مرين نداء الجهاد ومنذ عهد "يعقوب بن عبد الحق"، والتحق بجيوش جرّارة وهزم التّصارى في أكثر من واقعة وذلك منذ سنة ستمائةٍ وأربعة وسبعين (674هـ) وفيها ملك ثلاثمائة قرية، ومن المدن التي ملكها: "الجزيرة الخضراء"، "طريف"، "مالقة"، "قمارش"، "رندة" المنكب"، "مربالة"، "مرتانة"، "جبل الفتح"، وما بين ذلك من القرى والبروج. وما بين ذلك من الحصون^[1] ولما حدثت الفتنة بين "بني العلاء" وهي أسرة كما سبق لنا التعريف بها تنتمي لأسرة "بني مرين" الحاكمة، وحدث بينهم وبين بني عمومته نزاعات حول التّربُّع على العرش^[2]، فأجازوا البحر باتجاه مملكة بني الأحمر^[3] أين جُنِّدوا في صفوفها كأقوى فرقة إلى جانب الجيش الغرناطيّ وعُرفوا بـ "شيوخ الغزاة" وكانت هذه الوظيفة لها مكانة مرموقة في مملكة غرناطة، ولا يشغلها إلاّ أمراء الأسرة المالكة من بني عبد الحقّ ملوك فاس لأنهم "يعسوب زناتة" والقيادة العامّة لهذه القوّة المغربيّة كان مقرّها العاصمة غرناطة، وتتفرّع منها قيادات فرعية في "مالقة" و"وادي آش" و"رندة" وقد لعب هؤلاء القوَّاد المرينيّون دورًا كبيرًا في السِّياسة الغرناطيّة إلى درجة التّدخل في إقامة السّلاطين وعزلهم^[4].

كانت بادرة أعمال شيوخ الغزاة العسكريّة قد ظهرت على ميدان الجهاد في الأندلس منذ جواز السّلتان المرينيّ يعقوب بن عبد الحق 674هـ للإنجاد، فكانوا من المتطوّعة في القتال وعُرفوا بجنكتهم القتالية و قوّة صبرهم وشكيمتهم التي جعلتهم فئة لا يُستغنى عنها.

تتلخّص مهامّ شيخ الغزاة في الظّهير الذي أصدره السّلتان النّصريّ "محمد الغنيّ بالله" من إنشاء أبي عبد الله بن الخطيب جاء فيه: "... شيخ الغزاة بحضرته العلية، وسائر بلاده النّصريّة، ترجع القبائل والأشياخ

[1] ابن أبي الزرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، المصدر السابق، ص 90

[2] عن أحداث الفتن داخل البيت المرينيّ مع شيوخ الغزاة ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر المجلد 7، المصدر السابق ص 312-313، لسان

الدين ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، المصدر السابق، ص 22

[3] عن أخبار خروج محمّد بن إدريس بن عبد الحق وبقية شيوخ الغزاة عن السّلتان المرينيّ يوسف بن عبد الحق وفرارهم نحو تلمسان ثم نحو مملكة بني الأحمر بغرناطة ينظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ج 3 (الدولة المرينية)، المرجع السابق، ص 67، أقام شيوخ الغزاة في بادئ وفودهم على الأندلس وقبل استقرارهم بالحضرة بـ "مالقة"، ثم انتقلوا لشريش أين خاضوا الحروب إلى جانب الجيش الغرناطيّ مدة ثلاثة سنوات. للمزيد ينظر: ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، المصدر السابق، ص 432

[4] مقدمة نفاضة الجراب للمحقق أحمد مختار العبادي ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، نفاضة الجراب في غلالة الاغتراب، الجزء الثاني المصدر

السابق، ص 17

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التعبئة العسكرية والتكتيك الحربي

إلى نظره في السكّنتات، وتستدّر على يده من مقامه الكريم غيوم البركات، وتقرّر وسائلها بواسطة حُطوته، وتُقصّر خطاها اعترافاً بحقه الواجب عن حُطوته، فعليه تدور الأفلاك جماعاتهم كلّما اجتمعوا وأتلفوا، وبحجّة فضله يزول إشكالهم مهما اختلفوا، ولبسانه المبين يقرّر لهم ما أسلفوا، وفي كنف رعيه ينشأ من أعقبوا من النّشأة وحلّفوا، وبإقدامه تنهض أقدامهم مهما توقّفوا. فهو يعسوب كتائبهم الملتفة، وفرزان قطعهم المصطفة، وشهم جوارحهم الفارحة، وعين من عيونهم النّابغة، وتأويل أمورهم المتشابهة، عن نظره يردّون ويصدرون، وبإشارته يريشون ويبرّون، آثاره يقتفون، وتلعة دواره المريني في خدمة مقامه النصري يقفون. فهو الذي لا تأنف أشراف القبائل من اقتفاء آثاره، ولا تجهل رفعة مقداره، فليته المزيّة بالحق، المستوجبة للفخر بسابقة السعادة لعبد الحق ولذاته قصب السبق، ولوفائه الشّهرة في الغرب والشرق...^[1].

وقد استمال الغي بالله شيوخ الغزاة وقربهم له لأنّه بفضل حنكته يعلم أنّ الغائلة تعود عليه بمعاداتهم وهذا ما حدث لأبائهم، والعبرة في أنّ الوقت ليس حليف النصريين في معاداة بني جلدتهم، ثمّ أنّ القوّة العسكريّة التي يشكلها المغاربة لا يُستهان بها؛ ويكفي أنّ لهم انتصارات إلى جانب الجيش الغرناطي.

ثالثاً: التنظيمات التعبوية والإدارية للجيش النصري

1- التنظيمات التعبوية:

إنّ حالة الجهاد المستمرّ على أرض "الأندلس" فرضت حالة طوارئ وتأهباً في كل زمان ومكان، الأمر الذي يفرض شحن الطاقات المادّيّة والمعنويّة، واستنفاراً كثيفاً للخوض في الحروب. لطالما كانت الأندلس تستند في هجماتها ضدّ النصارى على قوّة حربيّة مشتركة في الدفاع عن الثغور والحصون. كانت الحرب حامية الوطيس، والتحام المسلم مع أخيه المسلم شكّل عصباً لإعلاء كلمة الله في الجهاد. يقول الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز: ﴿أَنْهَرُوا خِيفًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة التوبة الآية ٤١).

لم تكن مملكة "غرناطة" قادرة على صدّ هجمات النصارى أمام قوّة جيوشهم الجرّارة التي تفوق عدد المسلمين، ومن رسائل ابن الخطيب ما دل على ذلك بقوله: "...ويُقدّمون بالجموع القليلة على الآلاف المتكاثرة"^[2] "... وعدد المسلمين لا يبلغ من عدد الكفار عشر العشار، ولا وبرة من جلود عشار"^[1]. إنّ

[1] أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، الجزء الحادي عشر، المطبعة الأميريّة، 1917 م، القاهرة، ص 8

[2] لسان الدين ابن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المتناهب، المصدر السابق، ص 208

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التعبئة العسكرية والتكتيك الحربي

العددية قد شكّلت فارقاً بين الجيشين، لكنّ صرخات الأندلسيين لاقت صدًى عند المرينيين الذين استنفروا كلّ القبائل للإجازة للأندلس، وقد ساهم هؤلاء الغزاة إلى جانب الجيش الغرناطي في تحقيق انتصارات على جيوش النصارى.

أ: هيكلية الجيش الغرناطي:

عملت مملكة بني الأحمر على غرار باقي الدول الإسلامية على تقسيم الجيش إلى وحدات دفاعية وهي مجموعات لكلٍ منها دور ومهامّ منوط بها؛ فالهيئة العسكرية تدرس خطةً حربيةً مُحكمة قبل كل معركة. سبق وأن ذكرنا تباين التركيبة البشرية في صفوف الجيش التصري بين أندلسيّ وبربريّ، بالإضافة إلى مجموعات غير نظامية صُنّفت كمتطوعة في الجيش.

إنّ الواجب في التعبئة قبل لقاء العدو، أن يُعبأ أربع مرّات، الأولى: تعبئة الجند أنفسهم، على ما علمت من لزوم مراكزها ولحوق كلّ رجلٍ بركنه وقائده وموضع علمه. والثانية: تعبئة القوادر في توقيفهم على مقدار ما بين كلّ رجلٍ منهم، وتسوية صفوفهم، والضّمّ إلى أصحاب أعلامهم وطبولهم من الرّجال والفرسان، وأن ينبغي أن يَنضم إليهم، والتّقدم إلى عرفائهم بحفظ تعبئتهم، والثالثة: تعبئة أصحاب الأركان لمن كان في أركانهم، وضّمّ قوادرهم إليهم، وترتيب أصحاب أعلامهم، وطبولهم، وميمنتهم، وميسرتهم، وحاميتهم، وأجنحتهم، وأسندهم، ومواضعهم، والتّقدم إليهم بما ينبغي له أن يتقدّم إليهم، والرّابعة: تعبئة صاحب الجيش من في ركنه على ما يجبُ صاحب كلِّ ركن، إلا أن يوَلّى ذلك رجلاً من صفاته، ثمّ يستقرئ الأركان (صفوفها أو كراديسها) حتّى يعلم أوّل أمرهم وآخره، ويعلم المتقدّم منهم والمتأخّر^[2]. يقول "محمد بن منكلي": الرّجال كالأجساد والتّعايي كالأرواح^[3]. وقد بقيت رئاسة الجيش بيد بني العلاء أبناء عمّ ملك المغرب^[4] إلى أن ألغى الغني بالله منصب شيخ الغزاة من مملكة غرناطة، وتولّى هو وأولاده قيادة الجنود الغزاة أو المتطوعين المغاربة في غرناطة^[5].

[1] لسان الدين ابن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المتناهب، المصدر السابق، ص 210

[2] محمد بن منكلي الناصري، الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، دراسة وتحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، مطبعة دار الكتب المصرية، 2000 م، القاهرة، ص 292-293

[3] محمد بن منكلي، الأدلة الرسمية في التعايي الحربية، حقق الكتاب وكتب مقدّمته: محمود شيت خطاب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1988م، العراق، ص 182

[4] لسان الدين ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، المصدر السابق، ص 25

[5] محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المرينيّ (610-869هـ/1213-1465م)، دار القلم، ط2، 1987م، الكويت، ص 172.

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التعبئة العسكرية والتكتيك الحربي

وقد قسّم الجيش إلى فرق مختلفة منها: رَجُلُ الأندلس (جند الرَجُلِ أو المشاة) شكّلت هذه الفرقة دعماً كبيراً في صفوف الجيش الأندلسي وهم الرَجَالَة أو الرّاجلون، وقد وضع بعضهم ثلاثة صفوف من الرَجَالَة بعضها مثل بعض على التّصنيف والتّصنيف - صدور المتأخّر منها إلى ظهور المتقدّم - ومعهم جميعاً التّراس المحكمة، الوثيقة، العظيمة، ومعهم أسلحتهم من المزاريق والتّيازك والرّماح وما شاكل أمرهم الذي تعبوا به، ثمّ يقعد الصّف الأوّل، وقد ستروا أنفسهم بأترستهم؛ حتى لا يُرى منهم إلّا الحدق من جوانب تراسهم إذا كان العدو ناشبة أو زارقة. ثمّ يصير الصّف الثاني من وراء الصّف الأوّل يسترون بهم ما استتر منهم، ويستترون من أنفسهم مقدار ترسهم من علّوهم إلى حيث ستر منهم، فهم ومن دنا لهؤلاء الصّف الثالث منضمّون ملتصقون بظهورهم، يستتر كلُّ رجل منهم برجلين أمامه، استتر منهم ويستترون ما بقي من تمام القامة بأترستهم، وقد لزموا السّكون والصّمّت وكأهم الجدر، ومن ورائهم الناشبة يمطرون السّهام على عدوّهم رشقاً متداركاً^[1].

وقد أشار إليهم "ابن الخطيب" في أكثر من مرّة فقد برزوا في تركيبة الجيش النّصريّ من خلال رسائله من سلطانه "الغني بالله" وذلك بعد سلسلة الفتوحات في أوائل عام إحدى وستين وسبعمائة (761هـ): "فُعصّت الرّيّ والوهاذ بالتكبير والتّهليل، وتجاوبت الخيل بالصّهيل، وانّهالت الجموع [المجاهدة في الله]، انهيال الكئيب المهيل"^[2]. وقد شبّههم بالجراد لكثرة انتشارهم في الوغى وفي الغارة على "جيان" وفي فتح "حصن قنيط" عين "الغني بالله" على قيادة الجيش الحاجب "أبا التّعيم رضوانا" وقد اختير لحماية هذا الحصن ما وقع عليه الاختيار من الرّجال^[3] كما جمع الغني بالله رجل "الدّبا"، كما اصطاح عليهم "ابن الخطيب" في حملة استرداد "حصن آشر" يقول: "...وأشعنا للحين نفير الجهاد، ولم نَسْتدعِ لمأدبة هذا الفتح إلّا الأوّلياء من أهل "وادي آش" وسندها، وإقليم الحضرة وما اتصل بجوزها، وخيّمنا من الغد بظاهرها، في عفوٍ من الاحتشاد، ونقاوة من الرّجل"^[4]. ويذكر أيضاً: "وألقت الحضرة بأفلاذها فلم يتخلف عنها مُحتلم فَمَن فوقه. وبرزوا في رجل "الدّبا" زادهم الله نماءً وكثرةً"^[5].

[1] محمّد بن منكلي الناصري، الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، المصدر السابق، ص 297-298

[2] لسان الدين ابن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المتناوب، المصدر السابق، ص 84

[3] نفسه، ص 138

* الدّبا (الدّبي) جاء في المعجم الوسيط التعريف بالكلمة على أنّها الجراد قبل أن يطير، أو أصغر ما يكون من الجراد والنحل ويقال: جاءوا كالدّبي: أي كثيرين. ينظر إلى: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، 2004م، مصر، ص 271

[4] لسان الدين ابن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المتناوب، المصدر السابق، ص 148

[5] نفسه، ص 148

الفصل الثاني / الجيشُ الغرناطيُّ بين التَّعبئةِ العسكريَّةِ والتَّكتيكِ الحربيِّ

كما نجد أنّ الغنيّ بالله قد استعان برجل الأندلس في غزوته على حصن "أطريه" سنة ثمانية وستين وسبعمائة (768هـ). يقول ابن الخطيب في رسالة إلى خير البرية محمّد عليه صلوات الله وسلامه: "من خط يده على لسان سلطانه "الغنيّ بالله" لسلطان المغرب يقول فيها: "...فخفُّوا كثر الله جمعهم، خوفًا لم يذمر بموعده، ونفروا من غير مُزعجٍ، مهيب في رجل الدِّبا كثره، وأسود الشرى نجده، وبعاسيب الكور سلاطةً و حميةً"^[1]. وكذا استجاش "الغنيّ بالله" سنة تسعة وستين وسبعمائة (769هـ) لغزو "مدينة جيان" الثَّفر الكثير من كتائب الغزو ومنهم "رجل الأندلس" وقد ذكرهم ابن "الخطيب" في رسالته إلى صاحب المغرب السلطان المريّنيّ "أبو فارس عبد العزيز" يقول فيها: "...وتلاحق أوائل الأمم المحشودة المحشورة، من الجموع المنصورة الموفورة، تموج بهم عرفات موقف الجهاد، [وتعرضهم ساهرة نشر البلاد]، ويتراكم منهم، وفّرهم الله، رجل الجراد..."^[2]. نفس السنة كانت الحركة إلى مدينة "أبدة" وصدرت في ذلك مخاطبةً من "الغنيّ بالله" إلى صاحب المغرب السلطان "أبي فارس عبد العزيز" يصف ابن الخطيب "رجل الأندلس" في كثرته وزحفه نحو جيش النَّصارى بقوله: "... وزحف إليهم الرجال، حتّى ضاق بهم المجال"^[3].

كما ذكر صاحب كتاب "بُذة العصر في أخبار ملوك بني نصر" دور جملة من نجدة رجال غرناطة في مقاتلة الكثير من النَّصارى في "موقعة لوشة" في (27 جمادى الأولى عام 887هـ)^[4]، وكذا في موقعة "بَلش" وشرقيّة "مالقة" في (صفر عام 888هـ) اجتمع الرّجال دون الفرسان يقاتلون من صادفهم من النَّصارى في المضايق والأوعار والمخانق، ويقاتلونهم ويقتلون منهم خلقًا كثيرًا^[5]، وفي مدينة "لوشة" (في 26 جمادى الأولى عام 891هـ) تعرّض الكثير من "نجدة الرّجل" إلى القتل بعد محاصرة صاحب "قشتالة" لهم والضَّغط عليهم بالحصار^[6].

كما قُتل فيهم الكثير أثناء حصار النَّصارى لمدينة "مالقة" وذلك في (شعبان عام 892هـ)^[7] وقد أذى أنجاد الرّجال دورًا هامًا في فكّ الحصار الذي ضُرب على مدينة "بسطة" وذلك في شهر شوال من عام

[1] لسان الدين ابن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المتاب، المصدر السابق، ص 154

[2] نفسه، ص 164

[3] لسان الدين ابن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المتاب، المصدر السابق، ص 175

[4] مجهول، بُذة العصر في أخبار ملوك بني نصر (تسليم غرناطة و نزوح الأندلسيين إلى المغرب)، المصدر السابق، ص 9

[5] نفسه، ص 15

[6] نفسه، ص 17

[7] نفسه، ص 25

الفصل الثاني / الجيشُ الغرناطيُّ بين التَّعبئةِ العسكريَّةِ والتَّكتيكِ الحربيِّ

894هـ حتى قُتل منهم الكثير^[1]. لم يستسلم الرِّجالة النَّصريُّون للروضِخ أمام ملك "قشتالة" وتسليمهم إياه مدينة "الحمراء" وواديها، وذلك سنة 895هـ فقاتلوه قتالَ الأبطال إلى جانب أمير "غرناطة" محمَّد بن عليّ^[2]، وقُبل سقوط مملكة غرناطة سنة 897هـ بذل نجدة الرِّجال أنفسهم حتى هلك منهم الكثير ولم يبق في الجيش النَّصريِّ إلاَّ القليلُ وهو ما عَجَّل بسقوط آخر معقل للمسلمين بالأندلس^[3]. وقد نظَّم "ابن الخطيب" بيتين شعريين يخاطب فيهم رئيس الكتاب "أبا القاسم بن رضوان" بين يدي السُّلطان يوم عرضه جُنْد الرِّجل يقول:^[4]

عَمِيدُ الْكِتَابَةِ مَا أَطْفَنَهُ

سَأَلْتُ عَنِ الْجُنْدِ الرِّجَالِ

بَيَادِقُ فِي سُفْرَةِ السُّلْطَنَةِ

فَقَالَ وَقَدْ صُفِّفُوا يَوْمَ عَرَضِ

أمَّا الناشبة فقد كانوا معوِّدين منازل الحِصون والمناغرة بالرباط فقد كان لهم دور هام، ويذكر ابن خلدون أنَّ السُّلطان "محمَّد بن الأحمر المخلوع"، ثالث ملوك بني نصر قد بعثهم سنة اثنتين وسبعمئة (702هـ) إلى جانب الجيش المرينيِّ لحصار تلمسان، لكنَّ الأمور ساءت بين الطرفين ليتمَّ في سنة ثلاثة وسبعمئة (703هـ) إعادتهم للأندلس^[5]، وليكن عن أمير كل ثغر في الرباط جند مندوبون مُدلون في كُلِّ سِتَّة أشهر بغيرهم يقوى بهم على من تصعب وتمنَّع من إنفاذ الحق عليه من أهل ثغره^[6]، كما ذكرهم "ابن الخطيب" في رسائله الموجهة إلى سلطان المغرب على لسان سلطانه "الغني بالله"، وذلك في جملة الحركات الاستبدادية للمدن الواقعة تحت سيطرة النَّصاري، ورجل البدو يُحتمل أنَّهم الجند القاطنون في أرباض غرناطة "كربض البيازين"، وفرق الرماة التي ضُمَّت إلى صفوف الجيش الغرناطيِّ حينما غزا "الغني بالله" حصن قنيط^[7].

وقد كان السُّلطان يختار الخُداق من الرُّماة كحاميَّة على الثُّغور المفتوحة وذلك ما ذكره "ابن الخطيب" خلال فتح "الغني بالله" حصن آشر^[8]، ثمَّ ضُمَّت حامية الجيش النَّصريِّ في مدينة "بُرشانة" الجنود من نابلي

[1] مجهول، بُدَّة العصر في أخبار ملوك بني نصر (تسليم غرناطة و نزوح الأندلسيين إلى المغرب)، المصدر السابق، ص 26

[2] نفسه، ص 29

[3] نفسه، ص 39

[4] لسان الدين ابن الخطيب، الديوان، المجلد الثَّاني، صنفه وحققه: محمَّد مفتاح، دار الثقافة، ط 1، 1989م، الدار البيضاء، ص 614

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر المجلد السابع، المصدر السابق، ص 301-302

[6] علي بن عبد الرحمن بن هُذيل الأندلسي، مُحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، المصدر السابق، ص 128

[7] لسان الدين ابن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المتناهب، المصدر السابق، ص 138

[8] نفسه، ص 150

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التَّعبئة العسكريَّة والتَّكتيك الحربي

ورامح^[1]، وفرق الرِّجال الرِّاحمة، وقد قاتلوا النَّصارى قتالاً شديداً في موقعة "لوشة" في (27 جمادى الأولى عام 887هـ)، وأخذوا آلة النَّفط وغيرها من عُدة الحرب^[2]، والفرسان الأفيذاذ يوم الجهاد حُمة البلاد وأنجدها، أنصارها وجُنودها؛ ويشكِّلون الفرقة الأهم في الجيش الغرناطي تمايزت أدوارهم.

وفي عهد السُّلطان "مولاي أبي الحسن" كان يميِّز بين فرسانه المقبلين من شرقيِّ وغربيِّ غرناطة أثناء عرضه للجيش في حمراء غرناطة وذلك في (19 من ذي الحجة عام 882 إلى 22 محرم عام 883هـ) وكان العرض قصد الزيادة في المغارم والضرائب^[3]، وقد أدت سياسة "أبي الحسن" إلى إسقاط الكثير من "نجدة الفرسان" ذلك أنَّه اشتغل بالذات وانغمس في الملذات^[4]، وانقطع عنهم بالمعروف والإحسان.

وفي سنة 892هـ أثناء محاصرة النَّصارى لمدينة "مالقة"^[5] أدى جملة من "نجدة الفرسان" دوراً بطولياً في الدفاع عنها وقتلوا خلقاً منهم كثيراً، قيل أنَّه بلغ اثنا عشر ألفاً وسبعمائة^[5]، كما أنَّ فرسان "غرناطة" إلى جانب أميرهم محمد بن عليّ منعوا ملك قشتالة من الاستيلاء على "مدينة الحمراء" والوادي المحاذي لها بعد أن استولى على "برج الملاحه" و "برج همدان"^[6]، وتذكر روايات المؤلفين الإسبان أنَّ الفرسان الغرناطيين في عصر السُّلطان النَّصريّ "أبي عبد الله الأحنف" محمد بن عثمان، السُّلطان السابع عشر في سلالة سلاطين بني نصر، والذي يعرفه المستشرقون الإسبان بابن عثمان الأعرج (AbenHozmin El cojo) أنَّ بلاطه ضمَّ الكثير من الفرسان المسلمين النُّبلاء، حيث أنَّ الفرسان في مملكة غرناطة قد بلغ عددهم اثنان وثلاثون عائلة^[7] وهم:

اسم العائلة بالعربيَّة	النَّسل (النسب)	الاسم بالإسبانيَّة
المراذى	المغرب	ALmoradi

[1] لسان الدين ابن الخطيب، خطرة الطيف، المصدر السابق، ص 41

[2] مجهول، نُبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 9

[3] نفسه، ص 4

[4] نفسه، ص 5

[5] نفسه، ص 24

[6] نفسه، ص 30

[7] لم تتطرق المصادر العربيَّة إلى أسماء الفرسان المسلمين في غرناطة، إلا في ذكر عائلتين ذاع صيتهما، وهما عائلة: ابن عبد البر و بنو سراج، وقد أمدنا المؤلف الموريسكي بيريث دي إيتا بأسماء هذه الأسر التي لعبت دوراً هاماً إلى جانب الجيش النَّصريّ، ينظر: بيريث دي إيتا، الحروب الأهلية في غرناطة، ترجمة: مروة محمد إبراهيم، مراجعة وتقديم، جمال عبد الرحمن، المركز القومي للترجمة، ط 1، 2009م، القاهرة، ص 51-52

الفصل الثاني / الجيشُ الغرناطيُّ بين التَّعبئةِ العسكريَّةِ والتَّكتيكِ الحربيِّ

Alagez	فاس	العجيز
ALarabe Benarage	فاس	العري بن راشد
ALquifae	فاس	الكفائي
ALarabeGazul	فاس	غزول العري
Barragi	فاس	ابن رشيد
Venega	فاس	بنيغاس
Zegri	فاس	الثغري
Mazas	فاس	مياس
Gomel	بلش دي لا غوميرا	غمارة
Bencerraje	المغرب	ابن سراج
ALbayaldo	المغرب	أبو غالب
Abenamar	المغرب	ابن عمار
Aliatar	المغرب	العطار
Almadan	فاس	المعدن
Audala	المغرب	عبد الله
Almohad	المغرب	الموحد
Haceno	فاس	حسنو
Langet	فاس	لانجيت
Azarque	فاس	الأزرق
Alarif	بلش دي لا غوميرا	العريف
Abenhamin	المغرب	ابن أمين

الفصل الثاني / الجيشُ الغرناطيُّ بين التَّعبئةِ العسكريَّةِ والتَّكتيكِ الحربيِّ

Zulema	المغرب	سليم
Sarracino	المغرب	بنو رزين
Mofarix	تلمسان	مفرح
Abenchhoar	تلمسان	ابن جهور
Almanzor	فاس	المنصور
Abidbar	فاس	عبد البر
Alhamat	المغرب	الحمد
Reduan	المغرب	رضوان
Adoladin	المغرب	عبد العظيم
Alducarín	المغرب	عبد الكريم
Adoradin	المغرب	الداري
Alabez Malique	المغرب	مالك العباس

تُضيف لنا إحدى الدراسات الإسبانية أعداد الفرسان الذين هربوا من سلطة الملك الرابع عشر في السلالة النصرية وهو محمد الصغير (الزغير)، أو كما أسماه الإسبان (mohomad El pequeño)، والموالين لمحمد بن نصر الأيسر (mohomadAbenazar el Izquierdo) وعددهم ثلاثين فارساً، يقودهم "يوسف بن سراج"، وقد لجأوا إلى "قشتالة" حيث رحب بهم "خوان الثاني" وقام بمساعدة "الأيسر" على استرجاع عرشه بعدما لجأ إلى بلاط بني الحفص في تونس^[1].

وصف "ابن الهذيل" الجيش إلى: الجريدة وهي التي تجرد الوجوه، والسرية وهي من خمسين إلى أربعمائة، ثم الكتبية وهي من خمسمائة إلى ألف، ثم الجيش وهو من ألف إلى أربعة آلاف، وكذا الفيلق والجحفل،

^[1]Roser salicruILLuch, La corona de Aragón y los nazaritas en El segundo Reinado de Muhamad El Pequeño (1427-1429), Institución Milá i fontanals.csc.Barcelona ,p :205

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التَّعبئة العسكريَّة والتَّكتيك الحربي

والخميس، وهو من أربعة آلاف إلى اثني عشر ألفًا والعسكر يجمعهما^[1]. وتُحدر الإشارة إلى أقسام الجيش النَّصري، حيث كان على رأس كلِّ مجموعة من خمسة آلاف محارب "أمير"، ولهذه المجموعة راية كبيرة تميّزها. والمجموعة تُقسَّم لخمس وحدات، كل وحدة من ألف محارب يتَّأسسها "فائد"، وعلمها أصغر حجمًا من الرّاية. ثم تُقسَّم كلُّ وحدة بدورها إلى خمس فرق، وقوائم كلِّ فرقة مئتا محارب يقودها "نقيب" يحمل لواء الفرقة. والفرقة تُقسَّم هي أيضًا إلى خمسة أقسام صغيرة من أربعين رجلا، وعلى رأس كل قسم "عريف" يحملُ بندًا مميّزًا. ويُجعل على كلِّ ثمانية من الجند ناظرٌ ويُعقد له عقدة، وعلى كل خمسة نُظَّارٍ عريفٌ ويُعقد له بندٌ، وعلى رأس كلِّ خمسة عرفاء نقيبٌ ويُعقد له لواء، وعلى كل خمسة نقيباً قائدٌ ويُعقد له علمٌ، وعلى كلِّ خمسة قُوَّاد أميرٌ ويُعقد له رايةٌ إن كثُر الجند^[2].

ب/ عدد الجيش:

سكنت المصادر العربيَّة عن تزويدنا بأرقام الجيش النَّصريِّ خصوصًا في المرحلة الأولى من تأسيس الإمارة والجهاد المشترك المرينيِّ الغرناطيِّ، بعكس أننا نجد إحصائياتٍ لعدد الجيش المرينيِّ المشارك في إعادة الحصون الأندلسيَّة من قبضة المسيحيِّين، من خلال إجازة السلاطين المرينيِّين وجيوشهم؛ فنجد أنّ "عبد الرَّحمن ابن خلدون" قد أمَدَّننا بمُعطياتٍ رقميَّة عن الجيش المرينيِّ. حيث قُدِّر عدد الغزاة المتطوِّعة الوافدين للأندلس بثلاثة آلاف أو يزيدون^[3] دون الإشارة إلى عدد الجند النَّصريِّ، وذلك في عهد السُّلطان "محمَّد الفقيه" ثاني ملوك "بني الأحمر"، أمَّا في عهد السُّلطان "محمَّد الثالث" في سنة 1303م قام الأخير بتجهيز قوَّاتٍ تعدادها "سبعة آلاف" جنديٍّ من الغزاة للانضواء تحت راية النقيب "عثمان بن العلاء" في الصِّراع مع الأراغونيين^[4]. وفي 716هـ / 1317م انضمت جيوش قائديِّ "بلنسية" و"مرسية" بجانب حاكم "وادي آش" "نصر" والتي قُدِّر عددها "بثلاثمائة جنديٍّ" ضدَّ قوَّات السُّلطان النَّصريِّ "إسماعيل الأول" الذي جهز جنودًا عددهم ألف جنديٍّ فكانت الغلبة للأخير في المعركة^[5].

[1] علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، تُحفة الأَنْفَس وشعار سكان الأندلس، المصدر السابق، ص 273

[2] نفسه، ص 129

[3] عبد الرحمن بن خلدون، العبر المجلد 7، المصدر السابق ص 253

[4] Rachel Arie, Op.Cit, p:243

[5] Luis Suarez Fernández, Op.Cit. , P:71-70

الفصل الثاني / الجيشُ الغرناطيُّ بين التَّعبئةِ العسكريَّةِ والتَّكتيكِ الحربيِّ

أمَّا في سنة 728هـ/ 1329م فقد اتَّحدت جيوش ملك قشتالة "ألفونسو الحادي عشر" مع جيوش ملك الأراغون "ألفونسو الرَّابع" للإغارة على "الجزيرة الخضراء" فاستجاش السُّلطان النَّصريَّ مُحَمَّد الخامس (الغنيَّ بالله) جيشًا قوامه "أربعة آلاف" فارسًا منهم "ألف" فارسٍ أندلسيِّ، و"ثلاثة آلاف" فارسٍ من فرسان الغزاة الزَّناتيين، وفي الإشارة إلى عدد الفرسان الموجودين في إقليم غرناطة نفسه فقد بلغ عددهم "ألف" فارس زنايِّ، وستَّمائة فارس أندلسيِّ^[1]. كتَّحليل للمعطيات الرِّقمية يُمكننا القول أنَّ الألفَ فارس زنايِّ (الغزاة)، قد تركزت في إقليم غرناطة؛ لو افترضنا أنَّ عددهم الإجمالي ثلاثة آلاف فارسٍ فإنَّ الألفيِّ فارس المتبقية مَرَّجَحُ أنَّها قُسمت على بقيةِ نُغور الأقاليم التَّابعة لمملكة غرناطة، في حين أنَّ عدد الفرسان الأندلسيِّين المتواجدين في إقليم "غرناطة" قد فاق عددَ فرسان الغزاة. ويُمكننا أن نَسْتنتج أنَّ هذا التَّوزيع راجع لأسبابٍ عدَّة منها أنَّ الأقاليم التَّابعة لمملكة غرناطة الأمِّ كانت أكثر عُرضةً للحملات العسكريَّة المعاديَّة من طرف مملكتي "قشتالة والأراغون" فلا بد من توفير حامية عسكريَّة بقوَّة عدديَّة كبيرة لمجابهة خطر العدو النَّصرانيِّ.

ويذكر ابن الفضل العمريُّ أنَّ "ربض البيازين" يخرج منه نحوًا من خمسة عشر ألفَ مقاتل كلَّهم شجعان مقاتلون معتادون بالحروب^[2]. في حين أنَّ المصادر القشتاليَّة توفِّي أنَّ عدد المقاتلين القشتاليِّين في معركة "طريف" بلغ "ثمانية آلاف" فارس، واثني عشر ألفًا من المشاة، أمَّا عدد الجيش البرتغاليِّ المشارك حسب المصادر البرتغاليَّة فقد عُدَّ بألف فارس^[3]، وتذكر المصادر كذلك أنَّ عدد المقاتلين النَّصارى قد فاق اثنين وعشرين ألفَ مقاتل بينما حامية المسلمين في البلد لم تتعدَّ الألف^[4]. يبقى التَّضارب في الأرقام محلَّ جدل، فالطَّرح الموضوعيُّ لمسألة أعداد الجيش لا يمكن الجزم فيه أمام التَّضخيم من كلا الطَّرفين في عدد القتلى؛ فقد ذكر "أبو الفضل العمريُّ" أنَّه في سنة 719هـ/فيفري 1320م، حدثت وقعةٌ بين الإفرنج والمسلمين على "مرج غرناطة" قُتل فيها من الإفرنج أكثر من ستين ألفًا وقُتل فيها "الملك بيدرو" وعمه خوان^[5].

[1] Luis Suarez Fernández, Op.Cit. , P:247

[2] شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ص 230

[3] Rachel Arie, Op.Cit, p:247

[4] loc.cit.

[5] شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل العمري، المصدر السابق، ص 231

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التعبئة العسكرية والتكتيك الحربي

وفي إشارة لعدد الجيش الذي قاده سلاطين بني نصر يذكر لنا "ابن الخطيب" في أشعاره ما يدل على أقليته؛ ذلك ما جاء في أبيات شعرية يخاطب فيها أبا القاسم بن قطبة الدوسي يقول فيها^[1]:

إِذَا أَصْبَحَتْ حَيْلِي الْبُيُوتَ مُغَيَّرَةً وَفِي كُلِّ شَعْبٍ مَقْنَبٌ وَرَعِيلٌ

وفي قصيدة أخرى من نظمه يُخاطب فيها السلطان أبا الحجاج أثناء غزوته التي خرب فيها حصن "أستبة" وفتح معقل "بني بشير" عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة (743هـ) بظاهر "أستبة"^[2]:

فَبِكُلِّ بَحْرٍ رَايَةً مَنْشُورَةً وَبِكُلِّ غَوْرٍ مَقْنَبٌ وَرَعِيلٌ

كَانَ افْتِتَاحُ "بَنِي بَشِيرٍ" مَبْدَأُ سَبَبِ الْبِشَارَةِ بَعْدَهُ مَوْصُولٌ

في إشارة إلى القوة العددية للجيش النصراني بالمقارنة مع جيش المسلمين. لم تقم المصادر التاريخية بإفادتنا بعدد الجيش النصراني اللهم إلا النزر القليل من المعلومات، وهذا ما يُعاب على المؤرخين في تلك الفترة، وفي الجمل يمكن حصر عدد الجيش ما بين مائة ألف فارس، ومائتي ألف جندي^[3]، ثم أنّ "ابن الخطيب" قد أشار إلى مجموع الجيش الذي رافق الغني بالله القابع في "زُندة" فيقول: "... ولما استقرّ برنده "الغني بالله"، قراره ثنى أعتته - كما ذكر - يجرّ خلفه ذيل الحميس العرمم، الذي عدّ (...). ومثون من الأعلاج^[4]. على ضوء الفقرة استنتجنا من عبارة ذيل الحميس، أنّ "الغني بالله" قد استعان بقوة من الجيش عُدت ما بين "أربعة آلاف إلى اثني عشر ألفاً"^[5] وهو العدد المحصور في المصادر العسكرية وأنّ عدد الأعلاج قد بلغ مئة و فوق^[6]، كما ذكر "ابن الخطيب" أنّ السلطان "الغني بالله" قد اصطحب يوم استدعاه سلطاناً قشتالة قوةً من الجيش تنيف عن

*المقنّب: ومعناه جماعة من الفرسان والخيل دون المائة تجتمع للغارة، ينظر: المعجم الوسيط، المصدر السابق، ص 761، رعيل: الجماعة القليلة من الرجال أو الخيل، ينظر: المصدر نفسه، ص 355

[1] لسان الدين ابن الخطيب، الديوان، المجلد الثاني، ص 482

[2] نفسه، ص 487

[3] أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، المرجع السابق، ص 232.

[4] لسان الدين ابن الخطيب، نفاضة الجراب في غلالة الاغتراب، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص 117

[5] علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، المصدر السابق، ص 173

[6] الأعلاج: وهم مماليك مسلمون من الفرسان الرماة، ينظر: محمد المنوني، ورايات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، ط 3، 2000م، الدار البيضاء، ص 100

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التَّعبئةِ العسكريَّةِ والتَّكتيكِ الحربيِّ

"خمسائة فارس" من الحُماة^[1]، كما فاق عدد الجيش في مدينة "مالقة"² المئتين وذلك حسب ما أفادنا به ابن الخطيب^[2].

وفي وثيقة أندلسيَّة قشتاليَّة المؤرخة في الثَّاني والعشرين من شهر محرم عام خمس وثلاثين وثمانمائة، الموافق لعام ألف وأربعمائة واثنين وثلاثين (835هـ/1432م) من السُّلطان "الأيسر أبي الحجاج يوسف ابن المولى" إلى الدون "جوان" صاحب قشتالة و"ليون" وهي عبارة عن عقد صلح جاء في موجهه تقديم السُّلطان النَّصريِّ ألف فارس وخمسمائة فارس مسلَّح لخدمة البلاط القشتالي^[3] وهو جزء من جيش غرناطة .

إنَّ هذه الأرقام في الحقيقة تدل على أنَّ عدد الفرسان في فترة السُّلطان الأيسر كانت تفوق الألف فارس بأضعاف، لو اعتبرنا أنَّ الفرسان الذين وهبهم لخدمة القشتاليين هم جزء من الجيش النَّصريِّ العام.

وأثناء وقوع الفتنة بين "الأيسر" و"الزغير" والتي أدت إلى لجوء الأيسر كما سبق وذكرنا إلى تونس وبمساعدةٍ من ملك قشتالة (el magnánimo) وملك الأراغون، استطاع أن يعود إلى سلطانه، وذلك في رمضان عام 832هـ/12 مارس 1429م، ومعه ثلاثمائة فارس من الخيالة، ومائتان من الرِّجل، معظمهم من غرناطة^[4].

وتحكي الروايات الإسبانيَّة أنَّه في عهد السُّلطان "محمد الأيسر" النَّصريِّ عُرف القائد "أبو العباس أحمد بن عبد البر" بشجاعته لحدِّ التهور؛ ذلك أنَّه طلب من سلطانه الإغارة على "لورقة" و"مرسية" و"قرطاجنة" والهجوم على النَّصاري، أثار هذا تخوف السُّلطان علمًا منه أنَّ مسيحيِّ هذه البلاد أصحاب خبرة في الحروب، لكنَّ "ابن عبد البر" كان مقدامًا؛ فحشد من الجنود المشاة والفرسان وخرج من غرناطة وانضمَّ إليه "المرادي" حاكم "وادي آش" رفقة حشدٍ من الجنود المشاة والفرسان، كما انظمَّ إليهم حاكم "المريَّة" "مالك العباس"، وكذا الحاكم "بن عزيز" صاحب "بسطة"؛ ليجتمع في الأخير أحد عشر قائدًا بالإضافة إلى ثلاثة حكام آخرين من عائلة العباس. وقد رجَّح "بيريث دي إيتا" أنَّ عددهم كان "ستمائة فارس"، على الرِّغم من أنَّ هناك آخرين يقولون أنَّهم كانوا ثمانمائة، وألف وخمسمائة من المشاة، ويقول آخرون أنَّهم ألفين. وذلك في الرَّابع عشر

[1] لسان الدين ابن الخطيب، مُفاضة الجراب في غلالة الاغتراب، الجزء الثَّاني، المصدر السابق، ص 116

[2] لسان الدين ابن الخطيب، خطرة الطيف، المصدر السابق، ص 60

[3] يوسف كاظم جعيل الشمري، دراسات في تاريخ الأندلس العلاقات السِّياسيَّة لسلطنة غرناطة في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي،

المرجع السابق، ص 278

[4] Roser salicru i lluch, Op.Cit, p:205

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التعبئة العسكرية والتكتيك الحربي

من مارس عام 1453م/4 ربيع الأول 857هـ، وبالمقارنة مع الجيش المسيحي الذي قدره "بيريث دي إيتا" أنه بـ "مرسية" اجتمع "سبعون فارسًا" و "خمسائة" من المشاة، و "لورقة" مائتا فارس" و "ألف وخمسمائة" من المشاة، ومن حصن "أليدو" (لييط)، قد اجتمع "تسعة" فرسان و "أربعة عشر" جندي مشاة. ويذكر أن النصارى قد تعجبوا من هذا العدد الكبير من الفرسان^[1].

لو كانت المعطيات الإحصائية الفارطة صحيحةً، ولو أُنما تقريبية استنادًا للرواية؛ هل يمكننا الاستنتاج أن الجيش في هذه الفترة قد بلغ أوجه من القوة والعدد؟ بالرغم من ذلك فإن المسلمين تغمدوا خسارة كبيرة في المعركة المسماة بـ "البورتشونيس" أدت حسب الرواية و القصيدة الإسبانية إلى مقتل ثلاثمائة فارس^[2]، وهو عدد لا يُستهان به، وإن دل ذلك على أن الحرب كانت حامية الوطيس.

كما تفيدنا المصادر الإسبانية باستعراض السلاطين النصارى لجيوشهم في مواسم الاحتفالات والأعياد؛ حيث يبرز الجيش في أبهى حله أمام جموع غفيرة جاءت لتشهد رفقة حاشية السلطان وكبار أعيان الدولة والقواد وكافة الشعب، ففي عهد السلطان النصري "مولاي حسن" وبالضبط في 19 ذي الحجة 882هـ/24 مارس 1487م، جهز السلطان مدة 29 يومًا احتفالاً ضم فيه أربعة آلاف خيال و700 رامح^[3]. الملاحظ في الأرقام التي جاءت أنه يُحتمل فيها التضخيم كما يُرجح المقاربة؛ فإذا كانت الأرقام حقيقية فالترجح أن القوة العسكرية في عهد السلطان أبي الحسن (مولاي حسن)، قد بلغت الذروة. حتى أن النصارى قد خشوا الغائلة عليهم، ودفعتهم هذا لعقد الهدنة مع هذا السلطان.

كما جهّز في حصاره لمدينة "الحامة" التي احتلّ قصبته النصارى، وذلك في 15 محرم 887هـ فاتح مارس 1482م جيشًا قوامه "خمسين ألفًا" من المشاة و "ثلاثة آلاف" من الفرسان^[4]. في حين أن الجيش في فترة حكم "الزغل" وبالضبط في سنة 889هـ/ 1484م كان قوام الجيش تقريبًا "سنة آلاف فارس" و "اثني عشر ألف" راجل (المشاة)^[5]، وفي ربيع الثاني من سنة 892هـ/15 أبريل 1487م، وأمام حملات الاسترداد التي شنها "فرناندو وإيزابيلا" كان منها استرجاع مدينة "بلش" يوم الجمعة العاشر من جمادى الأولى من نفس

[1] بيريث دي إيتا، الحروب الأهلية في غرناطة، المرجع السابق، ص 25 وما يليها.

[2] نفسه، ص 44

[3] Álvaro Machordom comins, Granada: El Ultimo rey Andalusi, Impreso en Espana, 1996, P:84

[4] Prescott William, Op.Cit, p:45

[5] Luis Suarez Fernández, Op.Cit., p: 173

السنة^[1].

تذكر المصادر الإسبانية أنّ الأمير "الزغل" قد طلب من الأمير "أبي عبد الله الصغير" توحيد صفوفهما من أجل الدفاع عن غرناطة وأحوازها أمام المدّ القشتالي، لكنّ الأخير رفض؛ لم يمنع الأمر هذا من استنفار "الزغل" المتطوعة فاستجاش عزمًا من ضواحي "وادي آش"، "ألمرية"، "غرناطة"، "بيزة"، "شلوبانية". وقدّر عدده بـ"ألف وخمسمائة فارس"، و"أربعين ألفًا" من المشاة. ويذكر نفس المصدر أنّ فرناندو كان واثقًا من تغلبه على هذا الجيش رغم كثرته، لأنّه حسب رأيه يرى أنّه واثقٌ من بسالة جيوشه المدربة^[2]. هل ثقة فرديناند في جيشه كانت لإذكاء حماسهم، أم أنّه يعلم بكفاءة جبهته القتالية مقارنةً مع جيوش المسلمين؟ لكن بعيدًا عن الموضوعية يمكن إثبات قوة الجيش القشتالي خاصةً في الفترة الأخيرة من عمر مملكة غرناطة، ذلك أنّ الضعف دبّ فيها تزامنًا مع الفتن الداخلية وانقسام البيت الملكي، هذا لا ينفك بذل الجيش طاقاته لآخر نفس. وتزامنًا مع ضعف المنفذ الوحيد والمُنقذ الكبير دولة "بني مرين" وأمام انقطاع التجارات مشرقًا ومغربًا بقيت المملكة وليمة النصرانيين المتحدّين تحت راية البابوية المباركة لاسترجاع أرض أجدادهم القوط.

2- التنظيمات الإدارية.

أ- ديوان الجند: اهتمّ بنو الأحمر على غرار سابقيهم من الدول بإنشاء دواوين تحفظ حقوقهم وتلزم عليهم واجباتهم، فمن واجباتهم الطاعة وحمل السلاح وكان التجنيد إلزاميًا على شباب الحضرة، وجاءت إلزامية التجنيد ورفع السلاح منذ عهد عمر رضي الله عنه على كلّ مسلم بالغ حرّ، لأنّ المسلمين في عهد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام وكذا عهد أبي بكر الصديق بدأوا ينصرفون عن الجهاد إلى البذخ والترف^[3]، وقد أشار ابن الخطيب "على تدريب الصبيان في سنّ مبكرة على حمل السلاح بقوله: "والصبيان تُدرّب على العمل بالسلاح، وتُعلّم أحكام الجهاد وتعلّم القرآن في الألواح"^[4]. ومهمّة صاحب الديوان تنحصر في تحديد العطايا والرواتب والغنائم لمستحقّيها حسب مراتبهم وحسب ما يوجبه السلطان لهم؛ ويجب على صاحبه أن يكون جيّد

[1] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 22_24

[2] Luis Suarez Fernández, Op.Cit., p:204-205

[3] ياسين سويد، الفن العسكري الإسلامي، المرجع السابق، ص 95-96

[4] لسان الدين ابن الخطيب، رحانة الكتاب ونجعة المتناهب، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 24، أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى،

ج 7، المصدر السابق، ص 51

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التَّعبئة العسكريَّة والتَّكتيك الحربيِّ

الحساب والقِسمة والضَّرْب والمكاييل والأوزان والآلات والحيوان وقيمها^[1]، ومن أهميته ما يذكر أنّ بعض السّلف قال: غزا المسلمون أرضَ الرُّوم فمَرَّ فارسٌ منهم إلى جانب صومعة راهب، فقال الرَّاهب: يا صاحب الفرس أمن المتطوّعة أنت أم من أهل الديوان؟ قال: بل من المتطوّعة. قال له: ومالك والديوان؟ فإنّا نجدهم في بعض كتبنا أنّهم عدّة الله في الأرض^[2]. وقد برز في بلاط مملكة بني الأحمر شخصيات أسندت لها مهامّ في ديوان الجيش منهم (عاصم)، مولى السّلطان محمّد بن الأحمر (أبو عبد الله)، سادس ملوك بني الأحمر يذكره "ابن خلدون" أنّه كان صاحب ديوان العطاء آنذاك حيث قُتل على يد أحد المعلوجين بتحريض من أسرة بني العلاء شيوخ الغزاة المغاربة^[3]، كما اشتهر في خدمة الدّيوان عائلة الدوسي^[4] وهم: محمّد بن أحمد بن قطبه الدوسي، ومن مناقبه الفروسية والتّجند (الانخراط في سلك الجنديّة)، والبسالة في ديوان الجند وكان محبباً لدعوة أبيه للجهاد. وأعقبه حفيده م "حمّد بن قطبه الدوسي" حيث كان ممن ارتسموا ديوان الجند^[5]. كما نذكر "عمر بن عفرون الكلبي" من أهل "منتفريد" وُلِّي خطة ديوان الجيش مدّة أيّام السّلطان "الغني بالله"^[6]، ثمّ نذكر "محمّد بن أحمد بن زيد بن أحمد بن زيد بن الحسن بن أيوب ابن أحمد بن زيد بن منجل الغافقي" من سكان "وادي آش" أهل هذا البيت من "اشبيلية" وهم جماعة كبيرة من الفرسان قد تصرّفوا في الخدمة بديوان الجند^[7]، كما ارتسم في ديوان الجند وشغل منصب كاتب شيخ الغزاة "أبي زكرياء يحيى بن عمر" "أبي الحسن علي بن محمّد بن عبد الحق ابن الصباغ العقيليّ الغرناطي" وذلك في فترة حكم السّلطان يوسف الأوّل "أبو الحجاج" "الغالب بالله" (733-755هـ / 1333-1354م) وشغل وحدث أن دُوّنت أسماء هؤلاء الجنود في

[1] الحسن بن عبد الله العباسي، آثار الأوّل في ترتيب الدول، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: عبد الرحمن عميرة، دار الجليل، ط1، 1989م، بيروت، ص 160

[2] علي بن عبد الرحمن ابن هذيل الأندلسي، تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، المصدر السابق، ص 303
* لم يشر ابن خلدون لكنية عاصماً هذا فقط أشار أنّه أحد المعلوجين في بلاط السّلطان التصريّ، ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر المجلد 7، المصدر السابق ص 494، وذكره ابن الخطيب في اللّحة بقوله: "بعد أن التّاث أمر أبو النعيم رضوان زاحه أحد المماليك يسمى عاصماً أياماً يسيرة بين يدي وفاته" لسان الدين ابن الخطيب، اللّحة البدرية في الدولة التصريّة، المصدر السابق، ص 122، ويرجح أنّه الوزير أبي عبد الله بن عاصم وجاء على ذكره ابن الخطيب في كتابه أعمال الأعلام، ينظر إلى: لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية (كتاب أعمال الأعلام فيمن بويق قبل الاحتلام من ملوك الإسلام)، المصدر السابق، ص 300

[3] عبد الرحمن بن خلدون، العبر المجلد 7، المصدر السابق، ص 349
[4] عن آل قطبة الدوسيون ينظر إلى: مرزوقهياس آل مرزوق الزهراني، الجوس في المنسوب إلى دوس، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2012م، مكة المكرمة، ص 188

[5] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، المصدر السابق، ص 250-255
[6] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج4، المصدر السابق، ص 192
[7] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، المصدر السابق، ص 133

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التعبئة العسكرية والتكتيك الحربي

سجلات تنظم عملية تقاضي الجنود لأحقياتهم عدا العناصر المطوعة؛ فلم تثبت بالديوان أسماؤهم لأنهم عناصر تدخل ضمن الجيش اللانظامي يُستدعون أثناء الحروب وبعدها تُصرف لهم رواتبهم ونصيبهم من الغنيمة^[1].

وقد اهتم سلاطين بني الأحمر بإفاضة العطاء لجندهم من المرتزقة قبل كل معركة وهذا لتحفيزهم وتشجيعاً لهم على ضرورة الجهاد بكل نفس. وقد أشار "ابن الخطيب" في أكثر من مرة إلى ذلك بقوله: "...وأفضنا العطاء في المرتزقة وفتحنا الدواوين الملتحفة"^[2]. وأشار لذلك "ابن خلدون" أثناء قيام الغني بالله باسترجاع "الجزيرة الخضراء" سنة سبعين وسبعمائة يقول: "وزحف ابن الأحمر بعساكر المسلمين على أثرها بعد أن قسم فيهم العطاء وأزاح العِلل"^[3].

ب- استحقاقات الجند التصري

ضمنت مملكة بني الأحمر ديواناً للعطايا خاص بالجند تحفظ لهم أرزاقهم من رواتب، فهم عدد الملك وحصونه ومعاقله وأوتاده، وهم حماة البيضة والذبابون عن الحوزة، والدافعون عن العورة، وهم جنن الثغور، وحراس الأرض، والعدة للحوادث، وأمداد المسلمين، والحد الذي يلقي العدو، والشوكة عليه والسهم الذي يرمي به، والسلاح المدفوع في نحره، وبهم يُدب عن الحرم ويؤمن السبيل وتُسد الثغور^[4]. قال بعض الحكماء: "صديق الملك جنده، وعدوه بيت المال، فإن ضُغف بيت المال نبذله للجند الناصر قوي الناصر، وإن ضُغف الجند الناصر يحفظ بيت المال عنه قوي العدو، وإذا كانت الحاجة إليهم كذلك فلا بد من إدرار أرزاقهم، وسد حاجاتهم، وتفقد أحوالهم، وصلاح عيالهم، وإكرامهم على قدر غنائمهم، ولا يتم ذلك إلا بصالح جهات الأموال، وصلاحها بعمارة البلاد، وإنما تعمر بالعدل وبتفاهق الشرع والعقل"^[5]. ويذكر "ابن الخطيب" أن التأخر في دفع رواتب الجنود قد أخل بحالة الدفاع فيقول: "... فإن من بها من حماة وذوي المرتبات قد اختلت أحوالهم بسبب ما تأخر من واجبه، وتعذر في هذه المدة الطويلة من مُرتباتهم فتبدد الكثير من عددهم، وضاع ما توقّر على الأيام من أسلحتهم وعددهم"^[6].

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المجلد الأول، المصدر السابق،

ص.ص 302-305

[2] لسان الدين ابن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المتناهب، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 174

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، المجلد السابع، المصدر السابق، ص 434

[4] علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، المصدر السابق، ص 304

[5] ابن جماعة الحموي، مُستند الأجناد في آلات الجهاد، تحقيق وشرح: أسامة ناصر النقشدي، دار الوثائق، ط1، 2008م، دمشق، ص 110

[6] لسان الدين ابن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المتناهب، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 363

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التعبئة العسكرية والتكتيك الحربي

ولعل ما حدث في آخر أيام مملكة غرناطة حين تناقص عدد الجيش بسبب انغماس الأمير "أبي الحسن" في الملدات وتقاعسه في أداء مستحقّات الجند، وقطع الإحسان عليهم حتى باعوا ثيابهم وخيلهم وآلة حربهم وأكلوا أثمانها، هذا وإن دلّ على سوء التسيير وتعجيل دفع الدولة إلى هوة السقوط^[1] ولعلّ شيوخ الغزاة نالوا الحظوة لدى سلاطين بني الأحمر لمكانتهم المرموقة؛ فكان لهم جزء كبير من الضرائب^[2]، ومما يؤكد ذلك قول "ابن خلدون" ... "وكانت إمارة الغزاة بالأندلس مستأثرة بأمر السيف والحرب، مقاسمة للسلطان أكثر الجباية في الأعطية والأرزاق لما كانت الحاجة إليهم في مدافعة العدو"^[3]. يذكر ابن "فضل العمري" أنّ العملة كانت ذهبًا بقوله: "وأرزاق الجند به ذهبٌ بحسب مراتبهم، وأكثرهم من برّ العدو من "بني مرين" وبني "عبد الواد" وغيرهم، والسلطان يسكنهم القصور الرّفيعة"^[4]، وأكّد لنا ذلك صاحب كتاب "نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر" بقوله: وكانت مُرتّبات الجند تُدفع مقدّمًا بالذهب وتختلف بحسب الرتبة^[5]، ويظهر لنا اهتمام السلطان "محمد الخامس" بمرتّبات الجند في إحدى رسائله بقوله "وأوسعنا مدونة الجيش عرضًا وقرضنا إنصافه مع الأهلة فرضًا" وزيّدت مُرتّبات الجنود الرّناتيين وكانت تُدفع مقدّمًا كما زيد لهم نصيب من الغنائم^[6].

وقد ذكر لنا ذلك "ابن الخطيب" عند التأهب لفتح مدينة "جيان" من طرف السلطان "الغني بالله" وذلك سنة سبعمائة وتسعة وستون يقول: "...وأفضنا العطاء الذي تجاوز شهور الاستحقاق إلى ما ورائها، ممّا لم يستهلّ جنين هلاله، ولا سمّت خيلان الليالي صفحة جماله، وأوصلنا الجيوش إلى المطوعة الغازين والمرترقة المدوّنين إلى حقوقها في العنم المتقدّم، والنقل المبارك المتيقن، فتضاعفت الإرتياش، وأزيجت العلل، وأخلصت الضمائر النّصفة، وأطابت القلوب المعدّلة"^[7].

وتلك الأرزاق التي كانت تُرتّب للجند معلومة لكلّ طائفة على قدر الكفاية لا يطمع أحدٌ منهم أن يزداد فيها فلس فما فوقه، فمن أبلى منهم وأراد الأمير أو الإمام الإحسانَ إليه وصله صلة غير مرتّبة، لأنّه إن تعدّى هذا العمل انفتحت له أبواب الطّمع^[8]، وللإمام إعطاء جنده من بيت المال على ما يراه من النّظر، ويُحسب ما

[1] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 6

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر المجلد السابع، المصدر السابق، ص 377

[3] نفسه ص 500

[4] ابن الفضل العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الرابع، المصدر السابق، ص 121

[5] نفسه، ص 223

[6] أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، المرجع السابق، ص 223

[7] لسان الدين ابن الخطيب، ریحانة الكتاب ونجعة المتناهب، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 163

[8] علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، المصدر السابق، ص 128

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التعبئة العسكرية والتكتيك الحربي

عند الرجل من المنّة والغناء والإبلاء^[1]. وقد جاءت في فتوى عن مسألة أُثيرت حول أخذ الغازي المال من الناس دون بيت مال المسلمين، فابن حبيب ردّ عليها بوجوب أخذ المال وإنفاقه على نفسه، في حين ذكر ابن يونس أنّ الغازي يأخذ المال ما لم يكن يأخذ أجره من بيت مال المسلمين^[2]. وكانت قوّات الجند تخضع لرقابة صارمة من ولاة الثغور، وكلّ جنديّ يُتَّهم بالإهمال في رعاية حصانة، أو صيانة سلاحه كان يُجرم من راتبه، وعلى العكس كان يُكافأ كلّ جنديّ يُظهر اهتماماً بمطيبته أو معدّاته^[3]. وكذا الجواسيس كانوا يُمنحون المكافآت على ما ينقلونه من معلومات ويُعفون من الضرائب^[4]. والأدلاء كانت تُصرف لهم أيضاً المكافآت الجزية، فوجب على الحاكم إدرار الأرزاق على الأدلاء والجواسيس وصلاتهم^[5].

3- إستراتيجية الجيش التصريّ:

رُوي عن الرسول صلّى الله عليه وسلم أنّه قال: "الحربُ حُدعة". وكان عليه أفضل الصلاة والسلام إذا غزا أخذ طريقاً وهو يريد أخرى^[6]. أوجد الإسلام تكتيكاً جديداً يمكن أن يُسمى باسمه، وهو نظام "الصّف والزحف" وتكتيك "الكرّ دون الفرّ" مجتمعين، وذلك بعد أن كان التكتيك السائد عند عرب الجاهلية هو "الكرّ والفرّ" وقد أخذ المسلمون التكتيك الجديد من القرآن الكريم نفسه ومن حديث الرسول ﷺ وسنته. ويُعتبر ترتيب المقاتلين صفوفاً أوّل نظام أوجده الإسلام في الفنّ العسكريّ عند عرب الجزيرة. وإن كان معروفاً عند غير العرب من الأمم مثل الفرس والروم؛ حيث أصبح المسلمون يسوّونها للصلاة، ثمّ يتقدّمون للقتال زحفاً، واقترن نظام الصّف بتكتيك الزحف وتكتيك الكرّ دون الفرّ فكان ذلك من أهمّ أسباب انتصار الأقلية المسلمة على الأكثرية المشركة^[7].

قامت مملكة بني الأحمر بغرناطة بالتحضر لنزال العدوّ بالتهيئة العددية والتفسيّة، ودراسة حالة الحرب سابقاً عبر عقد خطط عسكرية محكمة؛ وقد فنّد لنا ابن الخطيب الدور الريادي للجيش التصريّ في ترتيب

[1] علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، ص 305

[2] أبي سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن محمّد ابن لب الغرناطيّ، ينبوع العين الثرة في تفرّيع مسألة الإمامة بالأجرة، دراسة وتحقيق: قطب الريسوني، دار ابن حزم، ط1، 2005م، بيروت لبنان، ص 86-87.

[3] علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، المصدر السابق، ص 128

[4] شكري فرحات، غرناطة في ظلّ بني الأحمر، المرجع السابق، ص 77

[5] علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، المصدر السابق، ص 127

[6] شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء السادس، تحقيق: عليوملحم، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م، بيروت-لبنان، ص 149 وما يليها.

[7] ياسين سويد، الفن العسكري الإسلامي، المرجع السابق، ص 360

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التعبئة العسكرية والتكتيك الحربي

الصفوف والمواجهة عملاً بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُفَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَبًا، كَانَتْهُمْ بُنْيَانًا مَرْصُوصًا﴾ (الآية: 41، من سورة الصف). فقد وصف لنا "ابن الخطيب" دخول صفوف الجيش الغرناطي للوعى بقوله: "...واستدعيت المقاتلة كثافاً، ونزلوا في الجول أكتافاً، أكتافاً"^[1]. اتبع التصريون حُططاً عسكريّة امتازت بالحنكة والتهور لحدّ نقل الحرب لعقر أرض العدو، وقد اقتدوا في ذلك بخير الأنام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فلقد مارس الرسول صلى الله عليه وسلم تطبيق هذه الإستراتيجية في حروبه؛ حيث كان ينتقل إلى مواقع أعدائه، أو يسير إليهم قبل أن يصلوا إليه أو يهاجموه في قاعدته^[2]. وهو نظام "الزحف" حيث تُرتب فيه الصفوف وتُسوّى كما تُسوّى القداح أو صفوف الصلّاة ويمشون بصفوفهم إلى العدو قدماً؛ فلذلك تكون أثبتت عند المصارع وأصدق في القتال وأرهبت للعدوّ لأنّه كالحائط الممتدّ والقصر المشيد لا يُطمع في إزالته. وفي التنزيل قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُفَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَبًا كَانَتْهُمْ بُنْيَانًا مَرْصُوصًا﴾ (الآية 4 من سورة الصف)؛ أي يشدّ بعضهم بعضاً بالثبات^[3].

وصوّر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه مبدأ الهجمات الوقائية بقوله: "اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزيت قوم في عقر دارهم إلاّ ذلّوا"^[4]. وقد استخدم التصريون أسلوب الحصار وتطوير العدو أثناء إغارتهم على "حصن أشر" حيث يذكر ذلك ابن الخطيب بقوله: "...فأحاطوا به إحاطة القلادة بالجيد"^[5]. وإن دلّ ذلك على محاصرة العدو من جميع الجهات لإحباط عزمته وتشتيت انتباهه، واستخدام هذا الأسلوب في حصار مدينة "قرطبة" بإقامة مخانق محاصرة خصومهم حيث يذكر "ابن الخطيب" محاصرة جيوش المسلمين لها بقوله: "...وأخذ بمخنقها حصاراً، وأعمل التصرّ بشجر نصلها، اجتناءً ما شاء الله واهتصاراً، وجدلّ من أبطالها من لم يرضَ الحجار، فأعمل المسلمون إحصاراً، حتّى فرع بعض جهاتها غلاباً جهاراً"^[6].

[1] لسان الدين ابن الخطيب، ریحانة الكتاب ونبعة المتنا، المصدر السابق، ص 72

[2] عبد الرحمن عميرة، الإستراتيجية الحربيّة في إدارة المعارك في الإسلام، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، 2006م، القاهرة، ص 44

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 457

[4] نفسه، ص 45

[5] لسان الدين ابن الخطيب، ریحانة الكتاب ونبعة المتنا، المجلد الأول، ص 72

[6] نفسه، ص 77

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التعبئة العسكرية والتكتيك الحربي

فلم يترك المسلمون أيتها وسيلة أو حُدةً من حُدع الحرب إلاّ ومارسوها، وقول ذلك ما جاء على "لسان ابن الخطيب" أثناء غزوة المسلمين لحِصن "قنيط" حيث يقول: "...والحيلة في افتتاحه لا تهدى لسلك ما تعرفه من السبل"^[1].

وفي حصار مدينة "الحامة" في محرم 887هـ، عزم المسلمون على حصار البلد والإقامة عليه، فأقبلت وفود المسلمين من كلّ أرض من بلاد الأندلس، واجتمع في ذلك المحلّ محلّة عظيمة، وفتحوا الأسواق للبيع والشراء وجلبوا لأسواقهم كلّ ما يحتاجون إليه من الأطعمة والعلف والزّاد وغير ذلك، وحاصروا العدو حصاراً شديداً ومنعوا عليه الماء والحطب والدّاخل والخارج، والعامّة في ذلك بحزم وعزم وجدّ واجتهاد ونية صادقة وقلوب محترقة^[2]. ومن استراتيجيات الحصار لدى الجيش التّصريّ إقران الغزاة الصّايغة بالشتّاية، وهو ما حدث في عهد السّلطان "أبي الحجاج بن نصر" أثناء تكليفه القائد "أبا النّعيم رضوان" لتخليص "حِصن قنيط" من قبضة النّصارى^[3].

ومن بين أهمّ طرق الحصار لدى التّصريّين، تسلّق الأسوار والأبراج استعداداً لمواجهة العدو، ثمّ نشر الغزاة حول المدينة، ويتأهّب المحاصرون إلى إقفال الأبواب بالحجارة الضّخمة ويرافق الهجوم الصّرخ وأصوات الطّبول والأبواق لزرع الخوف والرّعب، ثمّ لتقوية عزيمة المهاجمين، ويُسْتعان بالسّلام الطّويلة لتسلق الأسوار ليقفز منها المهاجمون، كما تُبنى الأبراج الخشبيّة العالية وتسير على عجلات ضخمة نحو السور ليقفز منها المهاجمون؛ فيعمد سكان المدينة على دهم بواسطة السّهام والحجارة والمياه السّاخنة والزّيّت المحترق^[4]، وفي الصورة^[5] التّالية نموذجاً من نماذج الحصار الغرناطيّ:

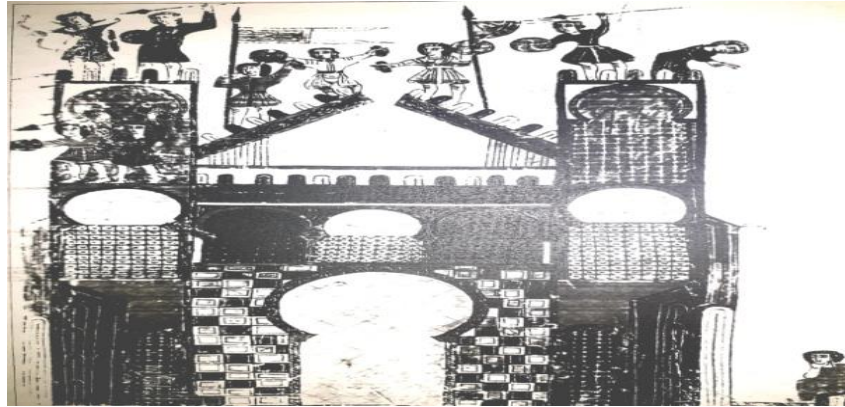
^[1] لسان الدين ابن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المتناهب، ص 137

^[2] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 8

^[3] لسان الدين ابن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المتناهب، المصدر السابق، ص 136

^[4] لسان الدين ابن الخطيب، اللّحة البدرية، المصدر السابق، ص 85

^[5] الصورة مأخوذة من المرجع:



كما عُرف شيوخ الغزاة من الفرسان المغاربة المتطوعين بنظام وتكتيك حربيّ خاص عُرف باسم قبيلتهم زناتة، وقد انتشر هذا النظام الحربيّ الزناتيّ أو المغربيّ في إسبانيا بين المسلمين والمسيحيين على السواء، ومثال ذلك قول "ابن الخطيب" في مدح أحد أمراء غرناطة بقوله: "وكان زناتيّ الشّكل والركض والآلة:، كذلك يشير المؤرخ الإسبانيّ "أيلالا" AYALA إلى أنّ ملوك قشتالة اتخذوا إلى جانب فرقههم الثقيلة المدرعة بالحديد فرقاً خاصّة من الفرسان يجاربون على طريقة فرسان الزناتيين^[1].

ثالثاً: عدّة الجيش:

1- أسلحة الجيش الغرناطيّ: أولت المملكة النّصريّة اهتماماً كبيراً بالعتاد الحربيّ محرك الجيش وأحد مظاهر تفوّقه، واتخاذ السّلاح من فرض الجهاد لقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾، (الآية 60 من سورة الأنفال).

قال ابن العباس : القوّة، السّلاح والعدّة في سبيل الله واقتناء ذلك للواجد على قدر همّته، وعزّة نفسه إلى ما فيها من الأجر والثواب^[2]. وقد أفادتنا مجموعة من المصادر التّاريخيّة خاصّة من عاصر مؤلفيها الحقبة النّصريّة عن مجموعة من الأسلحة التي رافقت الجنديّ النّصريّ ويبدو أنّ الأسلحة قد تطوّرت من مجرد استخدام العصيّ الطويلة أو الأمداس لاستخدام العتاد التّقليل وإدخال مواد جديدة كالنّفط والبارود، وقد قسمنا أنواع السّلاح النّصريّ إلى:

^[1] شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، المرجع السابق، ص 18

^[2] علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق وتعليق: محمد عبد الغني حسن، دار المعارف للطباعة والنشر،

1951، بيروت، ص 235

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التعبئة العسكرية والتكتيك الحربي

أ- الأسلحة القتالية الخفيفة: استخدم النصريون مجموعة من الأسلحة الخفيفة أهمها:

أ/ السيف: لا شيء من السلاح يوصف بالكرم والجوهر، ويبلغ من الثمن، ويُتباهى به ويُستنصر كنصرة السيف، وله الهيبة وله الفضل على جميع الأسلحة، والقاطع للكرابة من الضراب، والسلاح الذي يعمل به كل الناس من عمل الفروسية ومَن لم يعمل^[1].

استخدم النصريون السيف كسلاح هام فنجده عند "ابن الخطيب" في وصفه للغزوات النصرية ينعته بالبتار فيقول: "... وتكلم لسان الحديد الصامت، وصمت إلا بذكر الله لسان الكلام، ووقعت الأوتار بالأوتار، ووصل بالخطى ذرع الأبيض البتار"^[2]. ويذكره أيضاً بقوله "... وألحمت بيض الشفار في رؤوس الكفار أحامها"^[3]. ونعته بالحسام في وصفه لغزو نحو مدينة "أطريه" فيقول: "... ثم كان الغزو إلى مدينة "أطرية"، بنت حاضرة الكفر "إشبيلية"، التي أظلتها بالجنح الساتر، وأنامتها في ضمان الأمان للحسام الباتر"^[4].

استخدم الغرناطيون السيف المستقيمة النصال ذات الحدين والتي امتازت واقياها بتنتيتها إلى الأسفل^[5]، ويبدو أن الغرناطيون لم يترددوا في استيراد سيوف البردليات (نسبة إلى مدينة برديل أو بوردو الفرنسية)^[6].

قامت دراسات إسبانية في القرن العشرين من الحصول على قطع أثرية فنية تعود للقرون الوسطى من بينها السيف الذي يعود إلى السلطان النصري محمد الخامس (الغني بالله)^[7]، وجاء في وصف السيف أنه ينتهي بنصل طويل ذو حددين يرتبط بقناة علوية وفي الأسفل يوجد النقش الذي كُتب فيه من جهتين فالجهة الأولى مكتوب فيها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ //

لا إله إلا الله الأمر كله لله //

[1] محمد بن منكلي الناصري، الخيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، المصدر السابق، ص 21

[2] نفسه، ص 73

[3] لسان الدين ابن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المتناهب، المصدر السابق، ص 71

[4] نفسه، ص 73

[5] أحمد مختار العبادي، صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، المرجع السابق، ص 239

[6] نفسه، ص 238

[7] Virgilio Martínez Enamorado, La, La Espada de protocolo Del sultán Nazari MUHAMMAD V, Gladius XXI, 2005, p:285

الفصل الثاني / الجيشُ الغرناطيُّ بين التَّعبئةِ العسكريَّةِ والتَّكتيكِ الحربيِّ

الله خير حافظ وهو أرحم الراحمين //

عام سبعة وأربعون بعد سبع مائة سنة من الهجرة //

مولاي السُّلطان ابن مولاي السُّلطان المجاهد العادل أبي عبد الله محمد بن نصر //أيده الله ونصره.

إنَّا فتحنا لك فتحًا مُبينًا ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر //

أما من الجهة الثانية من السيف مكتوب^[1]:

تبارك من ولاك أمر عباده	فأولى بك الإسلام فضلا وأنعما
فكم بلدة صبحت أهلها للكفر	وطوقتهم طوقا الأسار فأصبحوا
وأمسيت في أعمارها متحكما	ببابك بينون القصــــــــــــــــور
فتحت بالسيوف والجزيرة عنوة	فتحت بابًا كان للنصر مبهــــــــــــــــا

كما لاحظنا في صورة لسيف آخر ملوك بني الأحمر "أبو عبد الله" الموجود في متحف الجيش بمدريد والتي رُصِّعت بأحجار كريمة، مطليّ بالذهب مُزدانٌ بزخرفة في قبضته بنقوشٍ من ذهب، كُتِبَ عليها شعار المملكة الأغلبية "لا غالب إلا الله" على اختلاف الأشكال، فقد تميّز بنصل طويلٍ حادٍّ وهذا ما ظهر على اللوحة. ولشهرة "غرناطة" في مجال صناعة السيوف كان ملوك الممالك المسيحية يقدِّرون هذه السيوف تقديراً كبيراً، وكان في المناسبات المختلفة إذا سادت علاقات الودّ بين الجانبين المسيحيّ والإسلاميّ يقوم ملوك "غرناطة" بإهداء ملوك الممالك المسيحية بعض السيوف الغرناطية الصنع^[2]، كما استخدم التّصريّون الخناجر، والتي كانت تمتاز بأن لها مقبضاً مكوناً من اسطوانتين يقتربان في الجزء الأسفل ويتعدان في الأعلى. ويحتفظ متحف السلاح الملكي بخنجر أنيق مرصّع بالعاج كان يخص "أبا عبد الله بن الأحمر" آخر سلاطين بني الأحمر^[3].

ب/الرِّمَاح والقِسيّ: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "عليكم بالقنا والقسيّ، فيها نُصِرَ نبيُّكم وفُتِحَ لكم في البلاد"^[4]. أمّا الرِّمَاح فقط هذا الغرناطيّون حذو جيرانهم التّصاريّ في استخدام الرِّمَاح الطويلة عراض

[1]Virgilio Martínez Enamorado,Op.Cit, p.:289-290

[2] هبه محمد عبده حال، النظم السياسيّة والحربيّة في مملكة غرناطة(653-897هـ/1238-1492م)، أطروحة ماجستير في التاريخ

الإسلامي، كلية الآداب جامعة بنها، مصر، 2013م، ص 170

[3] شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر المرجع السابق، ص 236

[4] والقنا هي "الرماح" ينظر: علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، المصدر السابق، ص 201

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التّعبئة العسكريّة والتّكتيك الحربيّ

الأسنة^[1]، وهي أيضًا تُسمى "حرّبة"، وألّة" جمعها حِرَاب وإلأل^[2]، وكانت رماح الفرسان من عشرة أذرع، وأقلّ من ذلك جائز^[3]. وكانت تُصنع من عود الخيزران طوله من ثلاثة إلى عشرة أذرع، وينتهي الرمح بحربة يُطعن بها، ويشيع استخدام الرّماح بين الفرسان، فهو أكثر نفعًا وتأثيرًا بين الفرسان أكثر من الجنديّ المترجّل^[4]، والغالب أنّ الغرناطيّين استخدموا الرّماح الطّويلة^[5]، عكس الرّناتيين من الغزاة فقد كانت رماحهم قصيرة^[6]. أمّا القسيّ فهي مصنوعة من الخشب، ويُفضّل من خشب الرّيتون^[7].

وقد عرف الغرناطيّون نوعين من القسيّ: القسيّ العربيّة وهي شائعة الاستعمال لدى الفرسان المقاتلين وذلك لحفّتها وسرعة استخدامها، والقسيّ الإفريقيّة، وكان يستخدمها المشاة، والنّوع العربيّ اشتهر به الجيش الغرناطيّ، حتّى أنّه من شهرة الأندلسيّين فيه انتقل من المسلمين إلى جيوش الممالك المسيحيّة. والرّسوم الجداريّة التي عُثر عليها في البرطل نجد فيها حملة قسيّ القدم الإفريقيّة^[8]. وتتألّف من عمود وقضيب وجوزة ومفتاح، وكان العمود قبل يُسمّى المجرى، وإنما سُمّيّ بذلك لجريّ السّهام عليه، وكان مفتاحه طالعًا من جهة الجوزة يرمي سهامًا عدّة، مشتملة^[9]. وفي استعراضات الجيش النّصريّ أمام سلاطين بني نصر نجد الجنّد حاملّي القسيّ على أعناقهم^[10]، كما يذكر الرّحالة المصريّ عبد الباسط الذي زار غرناطة في القرن التّاسع الهجريّ الخامس عشر الميلاديّ، أنّه كان بها ثمانية آلاف رام بقوس الجرح، كذلك نجد في وقائع معركة الشّجرة Higuera عام 1431-835م كما يظهر في لوحة قاعة المعارك في دير الإسكوريال، رماة القسيّ النّصريّون يتنافسون في استعمال سلاحهم^[11]. وأستخدمت "البلوطة" وهو نوع لصنف من سهام الحديد لإصابة الرّس^[11] أو "الشبري" وهي أيضًا من السّهام الحديديّة^[2]، بالإضافة إلى العديد من الأسماء.

[1] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأوّل، ص 365

[2] علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، المصدر السابق، ص 202

[3] نفسه، ص 207

[4] أحمد محمّد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، المرجع السابق، ص 236

[5] لسان الدين ابن الخطيب، اللّحة البدرية، المصدر السابق، ص 23

[6] المقرّي، نفع الطيب، المجلد الأوّل، ص 223

[7] نفسه، ص 205

[8] أحمد مختار العبادي، صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، المرجع السابق، ص 238، ابن هذيل الأندلسي، حلية الفرسان وشعار

الشجعان، المصدر السابق، ص 211

[9] نفسه، ص 211-212

[10] لسان الدين بن الخطيب، خطرة الطيف، المصدر السابق، ص 43

[11] أحمد محمّد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، المرجع السابق، ص 235

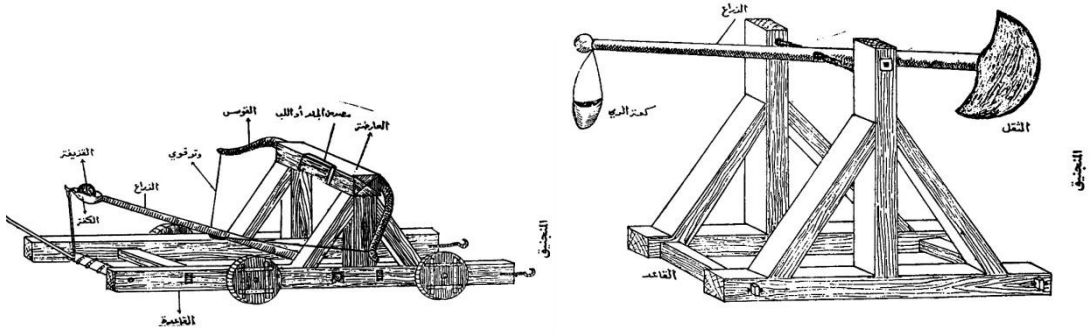
الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التّعبئة العسكريّة والتّكتيك الحربيّ

ج / الأمداس: أمّا الأمداس فهي عصيّ طويلة مثناة بعصيّ صغار ذات عرّي في أوساطها، تدفع بالأنامل عند قذفها وقد ذكرها "ابن الخطيب" من بين الأسلحة التقليديّة التي اعتمد عليها الأندلسيون منذ القدم^[3]

ب/ الأسلحة القتالية الثقيلة:

-المجانيق والعرّادات: من الآلات الحربيّة الثّقيلة التي رافقت جيوش بني نصر، وهي عبارة عن آلة من الخشب ولها دفتان قائمتان بينهما سهمٌ طويل رأسه ثقيلٌ و ذنبه خفيف، وفيه تُجعل كفة المنجنيق الذي فيها الحجر، يُجذب حتّى تُرفع أسافلُه إلى أعاليه، ثم يُرسل فتزفع ذنبه التي فيها الكفة، فيخرج منه الماء، فما أصاب شيئاً إلّا أهلكه^[4].

سنعرض مجموعة من الصور لآلة المنجنيق^[5]:



واستُخدمت المجانيق في تدمير أسوار حصون العدو، وقد ظهرت هذه الآلة أثناء فتوحات السلطان النّصريّ "الغني بالله"، وقد صاحبت الجيش في معركة حيث شبّهها "ابن الخطيب" بالسّاجد والرّاع فيقول: "فكان هوّلاً بعيد الشّناعة، وبعثاً كقيام الساعة، أعجل المجانيق عن الرّكوع والسّجود"^[6] وقد كانت هذه الآلة

[1] جاء في تعليق المحقق شرح أنواع السلاح عند الأندلسيين بنظر: بن هذيل الأندلسي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، المصدر السابق، ص

242

[2] نفسه، ص 246

[3] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، المصدر السابق، ص 232

[4] هبه محمّد عبده حال، النظم السياسيّة والحربيّة في مملكة غرناطة، المرجع السابق، ص 170، القلقشندي، صبح الأعشى، المجلد الثاني، ص

144

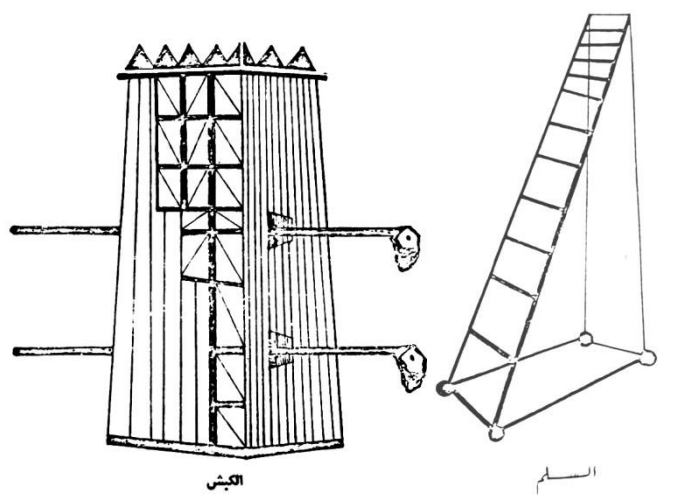
[5] الصور من مصدر الأدلة الرسميّة في التعايي الحربيّة لصاحبه: محمّد بن منكلي، ص 19-20

[6] لسان الدين ابن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المتناهب، المصدر السابق، ص 75

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التعبئة العسكرية والتكتيك الحربي

ترمي الحجارة والمواد المحرقة^[1] / أما "العزادات" وهي آلة أصغر من المنجنيق وتستخدم أيضًا في رمي الحجارة وسهام وقذور النفط^[2].

- الأبراج الخشبية العالية والسلام: استخدم الجنود النصريي للهجوم على المدن التي بها العدو الأبراج الخشبية فتسير على عجلات ضخمة نحو السور ليقفز منها المهاجمون^[3] ويُستعان في الهجوم بالحبال والسلاالم الطويلة لتسلق الأسوار^[4] وكذا نضيف "الأكبش" التي استخدمها النصريون في عمليات الحصار والهجوم، فهي عبارة عن آلة ضخمة هي الأخرى مصنوعة من الأخشاب الضخمة الطويلة يحملها عدد من المهاجمين، ويدكون بها الأبواب لاقتحامها^[5]، كما استخدمت في فتح مدينة "أطيرة" المناطحة الأسوار وهدمها^[6]



- المعارج والمراقي: وهي آلات استخدمها النصريون في الحصار وقد ذكرها "ابن الخطيب" في إحدى رسائله بعد منازلة المسلمين لمدينة "برغة"، حيث يقول: "... ونُصبت المعارج والمراقي، وفرغت المناكب والتراقي"^[7]. وكذا ذكر "عمد الحديد" التي كانت تُستخدم لدق أبواب الأسوار أو الحصون، ولقد ذكرها "ابن الخطيب" بقوله: "... وعمد الحديد ومعاوز البأس الشديد عن نقب الأبراج ونقض الأحجار فهليت"^[8]. على العموم فإن آلات النقب والهدم كانت تصاحب الجيوش النصرية؛ نستدل بهذا بقول ابن الخطيب:

[1] لسان الدين ابن الخطيب، الملحمة البدرية، المصدر السابق، ص 85

[2] أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، المرجع السابق، ص 238

[3] لسان الدين ابن الخطيب، الملحمة البدرية، المصدر السابق، ص 95

[4] نفسه، ص 85

[5] أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، المرجع السابق، ص 80

[6] لسان الدين ابن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المتناهب، المصدر السابق، ص 75

[7] نفسه، ص 72

[8] نفسه، ص 75

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التّعبيّة العسكريّة والتكتيك الحربيّ

"...وحكمت آلات النَّقَب في شارة سوره، فقعدت وخرم أساسها فاتكأت على دعائم الخشب واعتمدت، ثمّ تُليت عليها آية النَّهار فخشعت ثمّ سجدت"^[1].

-**المدافع:** وهي سلاح جديد يختلف عن سلاح النَّار الإغريقيّة المعروف من قَبْل، والذي اقتصر عمله على الحرق فقط؛ بينما كان هذا السّلاح مادة متفجّرة عبارة عن خليط من النَّقط وملح البارود أو النَّشادر والكبريت وحصى الحديد، في درجة حرارة عالية في شكل كرة محمّاة تُلقى على الهدف فتدمّره وتزيّله من الوجود وسط هدير مُرَوِّع، والحق يُقال أنّ المغاربة هم أوّل من توصلوا إلى اختراعه في أواخر القرن السّابع الهجري 13م^[2]. يذكر "لسان الدّين ابن الخطيب في إحاطته، أنّ السّلطان "أبا الوليد إسماعيل بن نصر" هو أوّل من استخدم المدفع أثناء حصاره "لقلعة أشكر" حيث تمكّن من ضرب قصبة المدينة بالمدافع ليسهلّ عليه في الأخير إحكام قبضته عليها^[3]. كما وصفه في حملة عام 724هـ/1324م، حيث يقول: "... ورمي الآلة المتخذة من النَّقط، كرة محمّاة طبّاقة البرج المنيع فعاثت عيائ الصّواعق السّماويّة ونزل أهلها قسرًا على حكمه"^[4]، وقد أشارت الحوليّات الإسبانيّة بحقيقة المدفع كسلاح جديد، وأنّ مسلميّ الأندلس قد توصلوا إلى استعمال المدفع قبل أن يتوصّل الأوروبيون لاستخدامه. ففي الحوليّات الإسبانيّة نجد العبارة التالية:

(Se extendía el Rumor en Alicante qu'el rey de Granada estaba en posesión de una nueva arma mortífera)

تقول ترجمتها بالعربيّة: "وانتشرت الشّائعات في مدينة "لقنت"(أليكانتي) بأنّ ملك غرناطة يمتلك سلاحًا جديدًا مُبيدًا"^[5]. لنجد أنّ النَّصارى قد استعملوها في حروهم ضدّ المسلمين فصاحب "نبذة العصر" قد أشار إلى أنّ المسلمين في موقعة "لوشة" بعد انتصارهم في 27 جمادى الأولى من عام 787هـ، قد غنموا من النَّصارى العُدّة من الأنفاط^[6]، كما استخدمها في هجومه على مدينة "رندة"، عام 890هـ وموقعة "المكلين"، في شعبان من نفس السّنة^[7].

[1] لسان الدين ابن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المتأب، المصدر السابق، ص 137

[2] أحمد مختار العبادي، صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، المرجع السابق، ص 239

[3] لسان الدين ابن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأوّل، ص 390

[4] لسان الدين بن الخطيب، اللّحة البدرية، المصدر السابق، ص 85-86

[5] أحمد محمّد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، المرجع السابق، ص 239

[6] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 9

[7] نفسه، ص 14-15

الفصل الثاني / الجيشُ الغرناطيُّ بين التَّعبئةِ العسكريَّةِ والتَّكتيكِ الحربيِّ

-الألبسة الوقائية للجند: اتخذ الجنودُ النَّصريُّ كافةً تدابيرهم فيما يخص اللباس الحربيِّ الواقِي لضربات النَّصاريِّ، فاتخذوا البيضات (الخوذات) لحماية الرأس وقد كانت بسيطة غير مُذهَّبة ولا مزخرفة^[1]، كما استخدم المحارب الغرناطيُّ الزَّرد الذي يُلبس على قدر الرأس لحمايتها وحماية الرقبة والوجه من السَّهام والسيوف والرِّماح، فلا توجد بها فتحات سوى للعينين فقط وتُسمَّى "المغافر"^[2]، وعُرف الجنديُّ الغرناطيُّ أيضًا بلباسه للزرديات قصد حمايته من الطَّعنات، والذي يُطلق عليه اسم "الجوشنة" وهو غطاءٌ للصدر^[3]، وقد عُرف الجنديُّ النَّصريُّ نوع من التُّروس وهو الدَّرَق، يتميز بأنَّه خفيف مصنوع من جلد البقر^[4]، لكنَّ الصَّنْف الأَقوى كان ذلك الذي يُصنع من جلد اللَّمط، وهو نوع من الغزال الصَّحراويِّ كانت بشرته تقاوم طعنات السيِّف والرِّمح والسَّهم^[5]، كما استخدم التُّرس وهي عبارة عن صفيحة مستديرة من الفولاذ تُحمل بيد الجنديِّ، ومهمتها الأساسية حمايته^[6]، وقد وضع لنا "ابن عاصم الغرناطيُّ" آلة وحليَّة النَّصريِّين؛ فقام بمجرد ما زحرت به خزانة المملكة النَّصريَّة من كُلِّ واقٍ من الدَّروع، وحامٍ من العُدَّة، وماضٍ من الأسلحة، وفاخرٍ من الآلة: "...ومن سيوفٍ شواذٌ في الإبداع، غرائب في الإعجاب، منسوبات الصَّنْفائح في الطَّبع، خالصات الخُلَى من التُّبر، ومن دروعٍ مُقدَّرة السرد، مُتحاكمة النَّسج، واقية للباس، في يوم الحرب، مشهورة النَّسبة إلى داوود نبيِّ الله، ومن جواشن سابعة اللَّبسة، ذهبية الحلية، هندية الضرب، ديباجية الثوب، ومن بيضاتٍ عسجدية الطَّوق، جوهريَّة التَّنضيد، زبرجدية التَّقسيم، ياقوتية المركز، ومن مناطق لجينية الصَّوغ، عريضة الشكل، مُزججة الصُّفح، ومن درقٍ لمطية النسخ، مُصمَّمة المسام، لينة المجسَّة، معروفة المنعة، صافية الأديم، ومن قسيِّ ناصعة الصبغة، هلالية الحلقة، مُنعطفة الجوانب، زارية بالحواجب"^[7].

-الجهاز الحربيُّ الخاص بالأسطول البحري:

افترن الأسطول البريِّ في مملكة غرناطة بأسطول بحريِّ ضمَّ مجموعةً من السَّفن الحربية على رأس كلِّ سفينة قائد أسطولٍ تتمثل مهمته في اختيار السِّلاح الأنسب والعمل على إعداد العُدَّة اللازمة وترتيب الجنود^[8]، وأبرز

[1] شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، المرجع السابق، ص 78

[2] المقرئ، نفع الطيب، المجلد الأوَّل، المصدر السابق، ص 223

[3] بن هذيل الأندلسي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، المصدر السابق، ص 227

[4] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأوَّل، ص 136

[5] أحمد محمَّد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، المرجع السابق، ص 236

[6] المقرئ، نفع الطيب، المجلد الأوَّل، المصدر السابق، ص 191

[7] ابن عاصم الغرناطيِّ، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، المجلد الأوَّل، المصدر السابق، ص 372-373

[8] هبة محمَّد عبده حال، النظم السياسيَّة والحربيَّة في مملكة غرناطة، المرجع السابق، ص 188

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التعبئة العسكرية والتكتيك الحربي

هؤلاء القواد الذين تولوا قيادة الأسطول البحري النصري: "بني الزداحي" وأبرزهم أبو علي الزداحي الذي ذكره ابن الخطيب كقائد عام للبحرية الغرناطية على أيامه كما ذكر "عبد الله محمد بن سلبطور الهاشمي"، والقائد الوزير "أبا الحسن بن كماشة"^[1] وأهم السفن الحربية:

أ- الحرايق: وهي سفن حربية تستخدم لحمل الأسلحة النارية^[2] كالنار الإغريقية، وكانت بها مرام تُلقى منها النيران على العدو في البحر، وتسير الحراقة بسرعة كبيرة في البحر، وكانت في عصر "بني الأحمر" من أهم قطع الأسطول البحري^[3]. وعُرفت "الجزيرة الخضراء" بدار صنعة لإنشاء الحرايق^[4]. لكن "أبا الفضل الله العمري" يرى أن "المرية" باعتبارها ثغراً بحرياً فحاجتها كبيرة للحرايق لأنها تغزو وتُعزى من البرّ وبلاد البحر بالعكس^[5].

ب- العشاري: وهي طراز من السفن المتوسطة الحجم، كانت تُستعمل في الأتّار والبحار للرحلات الصغيرة، وقد تُلحق بالسفن الكبيرة لتكون قوارب نجاة، وعن العرب أخذها الإسبان وأطلقوا عليها اسم **Esquife de Nave** ويبدو أنّها سُميت عشاريات لأنها تتسع لعشرة أشخاص^[6].

ج- الطريدة أو الطراد: وهي سفينة صغيرة أطلق عليها الإسبان اسم **Tarida** وتُستخدم لنقل الخيل^[7]، وقد شبهها "دوزي" في مُعجمه بالبرميل^[8].

د- الشواني: مفردها شانية وهي السفينة الحربية الضخمة التي كانت تتكون من عدة طبقات كالقلعة، وتُسمى بالإسبانية **Galera**، والشواني مزوّدة بأبراج وقلاع للدفاع، وتحتوي على أهراء لحزن القمح وصهاريج لحزن الماء^[9]. تُفيدنا المصادر الإسلامية برجال امتهنوا صناعة الشواني نذكر: "يوسف المدجن"، والمعروف تاريخياً بعصيانه على السلطان الأيسر، وأعلن ثورته عليه، حيث أنّه كان صانع شواني قبل أن يستفحل أمره^[10].

[1] عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1969م، ص 306

[2] أحمد ثاني الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة في عصر بني الأحمر (635-897هـ/1238-1492م)، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد

الخامس، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ وحدة العالم المتوسطي في العصر الوسيط، الرباط، 2002-2003، ص 180

[3] هبة محمد عبده حال، النظم السياسية والحربية في مملكة غرناطة، المرجع السابق، ص 186

[4] شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع، المصدر السابق، ص 126

[5] نفسه، ص 127

[6] أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، المرجع السابق، ص 249

[7] أحمد ثاني الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة في عصر بني الأحمر (635-897هـ/1238-1492م)، المرجع السابق، ص 181

[8] أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، المرجع السابق، ص 250

[9] نفسه، ص 250

[10] ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، المجلد الثاني، ص 187

هـ-الأجفان: وهي نوعان الأولى غزويَّة والثَّانية لنقل الخيل^[1].

و-الأغربة: الجمع غراب وهي من السِّفن الحربيَّة الَّتِي كانت تُستخدم في الحروب بصفة مستمرة، وكانت مقدَّمة هيكلها على شكل غراب، وكانت تُستخدم في عمليات الاستطلاع وقت القتال البحريِّ، نظرًا لسرعتها الفائقة الَّتِي تتَّسم بها لطولها مع ضيق اتساعها^[2].

ز-الشَّندى: وهو نوع من المراكب الحربيَّة المسطَّحة الكبيرة لحمل المقاتلة والسِّلاح، وعُرفت بعد ذلك عند العثمانيِّين باسم ماعونة^[3].

ح-البطس: جمع "بطسة" وهي من السِّفن الحربيَّة العظيمة الَّتِي تشتمل على عدَّة طبقات وعلى قلع كثيرة، وكانت تُستخدم لحمل الرِّاد والدَّخيرة والرِّجال^[4].

ط-القرقير: "القرقورة" وهي سفينة ضخمة كانت تُستخدم في حمل المؤن للأساطيل الحربيَّة، ولها ثلاثة أشرعة، ولها القدرة على السِّير في الرياح العاصفة^[5].

ولا تختلف الأسلحة بين الجيش البريِّ والبحريِّ باستخدام القيسيِّ والمجانيق والعرادات والسِّلام، بالإضافة إلى الكلاب، وفائدتها أنَّها تُلقى على مراكب العدوِّ فيوقفوها ثمَّ يشدُّوها، ويرمون عليها الألواح كالجسر، فينتقلون إليها، ليقاتلوا من فيها^[6].

2/العمارة الحربيَّة:

إنَّ حالة التأهب القصوى الَّتِي فرضتها الأوضاع على الأقاليم الإسلاميَّة المعرَّضة للهجمات النَّصرانيَّة، دفعت المسلمين للاستعداد للجهاد؛ وذلك ببناء نقاط حصينة قادرة على إيواء الجنود والعساكر؛ بإنشاء أربطة وتشبيد الأبراج والقلاع وتطوير الحصون للدفاع عن الوطن، ثمَّ أنَّ البنية الجيولوجية للأندلس قد ساعدت في إقامة خطوط دفاعيَّة، فساعدت الجبال.

[1] أحمد ثاني الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة في عصر بني الأحمر (635-897هـ/1238-1492م)، المرجع السابق، ص 181

[2] هبة محمَّد عبده حال، النظم السياسيَّة والحربيَّة في مملكة غرناطة، المرجع السابق، ص 187

[3] أحمد محمَّد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، المرجع السابق، ص 250

[4] أحمد محمَّد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، المرجع السابق، ص 250

[5] محمَّد المنوني، وراثة عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، المرجع السابق، ص 78

[6] القلقشندى صبح الأعشى، الجزء العاشر، المصدر السابق، ص 413

الفصل الثاني / الجيشُ الغرناطيُّ بين التَّعبئةِ العسكريَّةِ والتَّكتيكِ الحربيِّ

أولاً: الحصون والرباطات: قام النَّصريُّون بتحسين مدتهم على غرار سابقهم من الأمم، وشاءت الأقدار أن تتحوَّل المدن المسلوَّبة بدورها من قبل النَّصارى أن تكون رادعاً لبانيها، وصخرةً أمام الهجمات، ومن بين أهمِّ الحصون التي بُنيت في غرناطة، حصن البيول **boul**، الذي أنشأه السُّلطان يوسف الأوَّل، كان موقعه قرب مدينة بسطة **Baza**، وقد أشار إليه "ابن الخطيب" في رحلته مع السُّلطان "أبي الحجاج" لتفقد المناطق الشَّرقيَّة من الأندلس، حيث يقول: "وجزتا في كنف اليُمن والقبول بحصن البيول، حسنة الدولة اليوسفيَّة، وإحدى اللِّطائف الخفيَّة، تكفَّل الرفاقُ بمأمنها، وفضح سرِّيَّة العدوِّ في مكنمها، من أبيض كالغارة، ضمن الفوز في تلك المفازة، فحيَّناه..."^[1]. كما قام السُّلطان "يوسف الأوَّل" (723-755هـ/1233-1354م)، ببناء حصن على أحد الجبال المطلَّة على ميناء "مالقة" مباشرة، والمسَّمى جبل فارة **Gibrafaro**، لحماية الميناء من الهجمات المسيحيَّة المتوقَّعة فيقول: "وفي أيَّامه بنى الحصن السَّامي الدَّروة، المبنيَّ على القدرة في جبل المتَّصل بقصبة "مالقة"، فعظَّم به الفخر وجلَّ الذكر"^[2]. كما قام "الغني بالله محمد الخامس" بكتابة ظهير من إنشاء ابن الخطيب إلى أهالي "مالقة" يحثُّ فيه على التَّعاوض والمساعدة في إعادة بناء الحصن بجبل "فاره" بجمع الأموال لذلك^[3]، وقد كانت للحصن في العصر الإسلاميِّ أربعة أبواب كبيرة بسوره الأسفلٍ أحدها يؤدِّي إلى القصبة، كما كانت به آبار كثيرة للميَّاه، ومستودعات للذخيرة والسِّلاح^[4]. وقد سقط الحصن في أواخر سقوط مملكة غرناطة بيدي الملكين الكاثوليكيَّين فرناندو وإيزابيلا 1487هـ/1892م، بعد أن حوصِرَ مدَّة أربعين يوماً^[5].

أمَّا الرِّباط فهو مُلازمة الثَّغور والثُّبوت بها على السار والمخذور^[6]. يقول ابن "هذيل التجيبي" في فضل الرِّباط: "... وإنَّ أسمى ثغر به الهمم العليَّة مراتب وأقدار، وأكرم تربة رفع الإيمان بها علماً ومناراً، وحلِّي بها الدِّين الحنيف منبراً ورُسم ديناراً، تربة لبست الجهاد في سبيل الله شعاراً، واستوجبت بخصائصها المنيفة جناباً وكرمت أنصاراً. جزيرة الأندلس أزكى تربة راقت صفحة ومحيا، وفازت بمدخور فضل الشَّهادة أعمار أهلها مماناً ومحيا، فخيرها طريف، وأمَّرها على سائر الأقطار منيف، لأنَّها بين بحر زحار، وعدوِّ جزار، ملازمين أهلها،

[1] محمد كمال شبانة، يوسف الأوَّل ابن الأحمر سلطان غرناطة، المرجع السابق، ص 103

[2] لسان الدين ابن الخطيب، اللمحة البدرية، المصدر السابق، ص 109

[3] المقرئ، نفع الطيب، ج 5، المصدر السابق، ص 406

[4] محمد كمال شبانة، يوسف الأوَّل ابن الأحمر سلطان غرناطة، المرجع السابق، ص 104

[5] Rachel Arie, Op.Cit., : p 95

[6] ابن هذيل التجيبي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، المصدر السابق، ص 63

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التعبئة العسكرية والتكتيك الحربي

والرؤم بها أمم كثيرة مختلفة لا يعلمها إلا الله، والحرب بينهم، وبين المسلمين على قتلهم، بالإضافة إليهم لم تزل سجلاً. تارة حال نصرٍ واقتدارٍ، وتارة حالة تمحيصٍ واختبارٍ^[1]. يقول الصوفي الغرناطي "ابن أبي زمنين: " ورأيت أهل العلم يستحبون التكبير في العساكر والثغور والرباطات، دُبر صلاة العشاء وصلاة الصبح تكبيراً عاليًا ثلاث تكبيرات، ولم يزل ذلك من شأن الناس قديماً".

وكانت الحراسة تُعتبر من صفات المراقبة، وعُرف الحراس باسم السُّمَّار، وقد جرت العادة أن تكون الحراسة في مراقب عالية ملحقة بالرباط، أو في أماكن مرتفعة قريبة منه لكشف سفن العدو من مسافة بعيدة، وكانت هذه المراقب أو الربط مزودةً بمناور ومناثر أو المنارات والتي عُرفت بالطلائع أو الطوابع، جمع طالعة أو طليعة^[2].

ثانيًا/الأبراج والأسوار: عُرفت الأندلس منذ القدم ببناء الأبراج وتشييدها كتحصينات دفاعية فظهرت الأبراج البرانيّة، وهو ابتكار موحدٍ الأصل والهدف منه هو تدعيم السور الخارجي للمدينة أو الحي، والبرج البرانيّ يرتبط بالسور الأصليّ عن طريق ستارة ثانوية تُسمى "قورجة" تستهدف غلق الطريق أمام الأعداء في أضعف مناطق السور، ومن الأبراج البرانيّة ماهو مربع الشكل وماهو ثُماني^[3]، ولما كان للأبراج دورًا هامًا في الدفاع عن المدن؛ فقد شيّد الحاجب رضوان أربعين منها في عهد السلطان يوسف الأول، وذلك على امتداد طول الساحل بين "بيرة" وغرب مملكة غرناطة^[4].

والغالب أنّ بناء الأبراج قد اتَّخذ الشكل الأسطويّ كحصن "موكلين" بغرناطة، وقد عمد النَّصريّون على بناء أبراج عالية؛ حيث وصل ارتفاعها في سور "البيازين" 14 مترًا، وفي السور المجاور لباب "مُنْتيا" بلغ الارتفاع 10,50 مترًا، وفي بؤابة "إيرانان" بلغ ارتفاع البرج من 7,70 م إلى 8 م، و برج "باب مُنتيا" إلى 16.36 مترًا^[5]، ومن الأبراج البرانيّة التي لعبت دورًا في الحروب الدائرة بغرناطة، برج السلاح بالحمراء الممتدّ

[1] ابن هذيل التجيبي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص 69

[2] أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، المرجع السابق، ص 254

[3] السيد عبد العزيز سام، العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها. مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثامن، العدد الأول، ماي-جوان، 1977م، ص 128-129

[4] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأول، ص 517

[5] باسيلوبايون مالدونادو، العمارة في الأندلس -عمارة المدن والحصون-المجلد الأول، ترجمة:علي إبراهيم منوفي، مراجعة وتقديم: محمد حمزة الحداد، المجلس الأعلى للثقافة، ط2005، م1، القاهرة، ص 479-480

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التَّعبئة العسكريَّة والتَّكتيك الحربيِّ

بين بؤابة "ألبيرة" وبؤابة الرَّملة **bibarrambra** ويظهر في إحدى الصُّور في الإسكوريال من صورة معركة الشَّجرة **Higueruela**^[1]،

بالإضافة إلى أبراج أخرى وهي برج "الببلا" أو المراقبة، برج البيعة، البرج المكسور، برج مخدع الملكة، برج المرء، برج "قمارش" وفي العموم فقد بلغت أربعين برجًا، ومن الأبراج التي بُنيت في عهد السُّلطان يوسف الأوَّل (723-755هـ/1233-1354م)، برج الأسيرة، حيث يُشتهر بالحصانة والمنعة، وتوجد به نقوش كثيرة، بعضها عبارات تسبيح وتحميد، وبعضها حكم سائرة، والبعض آيات قرآنية أو سور قصار والبعض الآخر قصائد^[2]. تتوزع الأبراج على مساحات غير متساوية، فمتوسط المسافة بين برج وآخر قرابة خمسين مترًا^[3]، وقد ضُمَّت أبراج الحمراء طبقات تضمّ قاعات ضخمة فسيحة مثل قاعة العرش، أو قاعة السُّفراء، يُنظر عبر نوافذها على غرناطة وعلى البرج نفسه^[4].

أمَّا الأسوار فقد شُيِّدت حول المدن والقصور وقد تميَّزت بالمنعة؛ تتألف من جدار واحد تقسمه أبراج بلغ عددها ثلاثة وعشرين برجًا، يحيط بتلّ البيازين ثمّ يتجه شرقًا ليمر بالمجرى القديم لنهر "حدره"، إلى أن ينتهي عند مجرى نهر "شنيل" في الشرق^[5].

في عهد "ألفونسو السادس"، أصبحت الأسوار تضمّ دربًا يسير عليه المتحاربون، يُسمّى بممشى السُّور، يضمّ شُرفات تُقذف منها السُّهائم، وذروات يحتمي بها المجاهدون دون أن يُصابوا بسهام العدو، واستمرّ هذا النوع من الأسوار حتّى نهاية دولة المسلمين، وبقيت أجزاء مهمّة من هذه الأسوار في أغلب المدن الأندلسية في "غرناطة" و"المرية" و"قرطبة" و"اشبيلية" و"طليطلة" و"مالقة" و"بلبوس"^[6]. ليس فقط الملوك التّصريين من اهتموا بتشبيد المنشآت الدِّفاعية، بل شارك النَّاس بذلك، فنستدل على ذلك فيما قام به الشّاعر "أبو البركات بن الحاج البلفيقي" (ت: 773هـ/1371م)، حيث أنّه شارك في بناء أحد الأسوار حول أحد الحصون

[1] باسيلوبايون مالدونادو، العمارة في الأندلس - عمارة المدن والحصون - المجلد الأوَّل، ص 507

[2] محمّد كمال شبانة، يوسف الأوَّل ابن الأحمر سلطان غرناطة، المرجع السابق، ص 185

[3] عبد الرحمن زكي، غرناطة وآثارها الفاتنة، شركة نوابغ الفكر، ط 2011م، القاهرة، ص 52

[4] نفسه، ص 49

[5] أحمد ثاني الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة في عصر بني الأحمر (635-897هـ/1238-1492م)، المرجع السابق، ص 92

[6] السيد عبد العزيز سالم، العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، المرجع السابق، ص 158

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التَّعبئة العسكريَّة والتَّكتيك الحربيِّ

وحفر الآبار من ماله الخاصّ، ويدكّرنا هذا بما قدمه "الحاجب أبو رضوانا" خدمةً للتَّصريِّين، وقد ترك لنا "ابن البلفيقي" مجموعة من الأبيات في ذلك يقول^[1]:

في أفبخار الأساس والآبار	وانتقال التراب والجياز
وُفُودِي ما بين رملٍ وأجرٍ	وجصّ والطوب والحجّاز
وامتهان يُردى بالطينِ والماءِ	ورأسِي وحجّيتي بالعبّاز

والسُّور الأعظم حول ربض البيازين، حيث يروي "ابن الخطيب" أنّ من آثار الحاجب "أبي النعيم رضوان" بأمر من السلطان أبي الحجاج أنّه "أدار السور الأعظم على الربض الكبير المنسوب للبيازين، فانتظم منه التّجد والغور في زمان قريب، وشارف التّمام إلى هذا العهد"، وما تزال بقية من هذا السُّور قائمة وراء هذا الربض بغرناطة، ولاسيما في الجهة الشماليَّة الغربيَّة، حيث يمتدّ نحو كيلو متر، وتنقطع قبل باب "البيرة" بقليل، وهي أسوار عتيقة متينة كثيفة، تتألّف من صقّين، خارجيّ وداخليّ^[2] ولما كان للأسوار دور هامّ في حماية الحصون؛ وجب إصلاحها والاهتمام بتمتين بنائها أمام آلات هدم العدو، فنجد أنّ المسلمين في موقعة "المكّين" 19 من شهر شعبان 890هـ/1484م، بقيادة الأمير "محمّد بن سعد" وقبل الدخول في حرب مع التّصاري خرجوا لإصلاح بعض أسوار الحصن ما تهدّم منه لأنّه بلغهم أنّ العدوّ قادم للاستيلاء عليه^[3].

3- الأبواب والقصبات: كانت البوابات تمثل نقاطاً مهمّة للغاية في أسوار المدن الأندلسيَّة، حيث كانت تتلاقى عندها الطّرق الحضريَّة والطّرق بين المدن الأخرى، غير أنّ البوابات كانت في المقام الأوّل مناطق مُحصّنة تحصيناً قويّاً، لدرجة أنّه أحياناً يكون من السّهل الاستيلاء على المدينة من الأسوار وليس عبر البوابات المزوّدة بوسائل دفاعيَّة من كل نوع، مثل: البرج أو الأبراج والفتحات العلويَّة والباب المتحرّك والشّرفات الناتئة والسُّور الأماميِّ أو البربخانة، ولهذا تقرأ في أحد كتب "ألفونسو العاشر" *las paratidas*: "أثما أشياء مقدّسة تلك التي تسمى أسوار وبوابات المدن والبلدات"^[4].

من بين أهمّ الوسائل الدّفاعيَّة لحماية المدن والمساكن وتحصين المسلمين من الهجمات التّصرائيّة، قد اهتمّ التّصريُّون ببناء أبواب تقيهم من القاذفات والمجانيق التي تُسلّط عليها أثناء الحروب، وقد سُمّيت في العادة

[1] ديوان أبي البركات الحاج البلفيقي، عناية: عبد الحميد عبد الله الهرامة، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط 1، 1996م، أبو ظبي، ص 44-45

[2] محمّد كمال شبانة، يوسف الأوّل ابن الأحمر سلطان غرناطة، المرجع السابق، ص 104

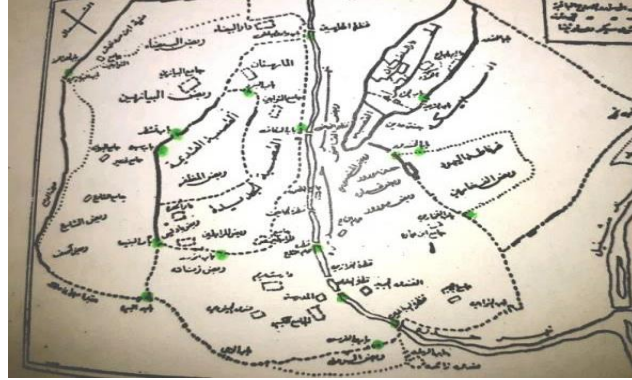
[3] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 14

[4] باسيلوبابون مالدونادو، العمارة في الأندلس (عمارة المدن والحصون)، المجلد الثاني، ط 1، 2005م، القاهرة، ص 5

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التّعبيّة العسكريّة والتكتيك الحربيّ

بأسماء المدن، وفي الصّورة^[1] أهمّ أبواب مدينة غرناطة والتي تبلغ عشرين بابًا، هذا وإن دلّ على عمليّة تطويق المدينة من كلّ مخارجها ومدخلها.

أبواب مدينة غرناطة في عهد بني الأحمر



ومن نماذج الفنّ المعماريّ النَّصْرِيّ للأبواب، "باب الشريعة"، ويُعتبر هذا الباب المدخل الرئيسيّ للحمراء، في الطريق الصّاعد إليها، يطل على ميدان صغير حوله، وهو عبارة عن بوّابة عربيّة هائلة يبلغ ارتفاعها نحوًا من خمسة عشر مترًا، قد أُقيم عقده الزخرفيّ على مثال حدوة الفرس، منقوش عليه سطران بالخطّ الأندلسيّ المتشابك، وقد أنشئ في شهر ربيع الأوّل 749هـ-1348م، ومن أمر بنائه هو السّلطان "أبو الحجاج يوسف الأوّل"^[2].

ومن أهمّ الأبواب أيضًا "باب البيرة" الذي يبلغ ارتفاع سوره حوالي اثني عشر مترًا لا يزال باقيًا. وقد جرّد لنا "باسيلو بابون مالدونادو" كلّ أبواب غرناطة واصفًا لنا ارتفاعها مدقّقًا على أهمّ تفاصيلها^[3]. أمّا القصبات فهي الحصن بمعنى الكلمة في المدن الأندلسيّة المهمّة، فقد كانت رمزًا للسلطة، وكانت تُجسّد المركزيّة السياسيّة إضافة إلى الأغراض العسكريّة، والقصبّة عبارة عن مدينة صغيرة بها اكتفاء ذاتيّ وعادة ما نجد فيها القصر أو قصور الحاكم، وورد مصطلح القصبّة في "مذكرات عبد الله"، حيث أطلقه على حصن "ريانا Riana"،

[1] الصورة عبارة عن مخطط لمدينة غرناطة من مرجع: محمّد كمال شبانة، يوسف الأوّل ابن الأحمر سلطان غرناطة، ص 106 قمنا بوضع نقاط خضراء عند كل باب بجانب اسمه.

[2] محمّد كمال شبانة، يوسف الأوّل ابن الأحمر سلطان غرناطة، المرجع السابق، ص 171 وما يليها. عبد الرحمن زكي، غرناطة وآثارها الفاتنة، المرجع السابق، ص 54

[3] ينظر إلى: باسيلو بابون مالدونادو، العمارة في الأندلس (عمارة المدن والحصون)، المجلد الثاني، ص 90 وما يليها .

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التَّعبئة العسكريَّة والتَّكتيك الحربي

و"جوترون" Jotron حيث يُعتَبَران من دفاعات "مالقة"، كما يذكر الحميري لفظة قصبة عند حديثه عن "وادي آش" Guadix قصبة مشيِّدة من الحجر، بمعنى حصن حصين عند ابن عذاري، ومدينة عند الإدريسي وعن "لوجة" Loja. أمَّا "ابن الخطيب" فقد وصف لنا قصبة "مارتوس" Martos^[1].

وفي عاصمة غرناطة توجد قصبة الحمراء وهي ثلاثة أقسام: القصبة الجديدة أو القسم العسكريِّ شماليِّ شرق القصر، وهي عبارة عن قلعة تحرس الحمراء، ولها بُرجان عظيمان أحدهما يُسمَّى برج الشَّمعة أو الحراسة الَّذي يسهر على رقاد المدينة، وفي وسط الحمراء يقع القصر الملكيِّ، ثمَّ الحمراء العليا التي تضمَّ مجموعة من البيوتات كانت مُخصَّصة للخدم والحرفيين علاوة على المسجد ودار السُّكة^[2].

و"قصبة "مالقة""، التي صمدت عبر الأزمنة ولقيت التَّجديد من ملوك بني الأحمر، فمنذ أواخر القرن السابع والثَّامن الهجريِّين / الثالث عشر والرَّابع عشر الميلاديِّين، لعبت "مالقة" دورًا هامًا كحصن قويِّ أمام هجمات القشتاليِّين قبل سقوطها عام 892هـ/1487م بأيديهم^[3]، ونفس الحال بالنَّسبة لقصبة "وادي آش" فهي تقع فوق ربوة بها برج كبير، وبرجان صغيران قبالتها، يتَّصلان لسور ذي مشارف عربيَّة، كما يوجد برج رابع في زاوية منعزلة منها، وهذه الأبراج تشرف على المدينة كلّها، وربَّما كانت القصبة أعلى بناء للمسلمين بـ "وادي آش"^[4]،

وكان من أهمِّ الأسباب التي أدت بدخول النَّصارى إلى مدينة "الحامة" وذلك في مُحرم 887هـ/1482م، أنّ القصبة كانت خاليةً من الجند فتملَّكوها بينما أهلها نيام، فلم يشعر أحدٌ إلَّا والنَّصارى هبطوا من القصبة على البلد بالسَّيف والقتل والسَّبي الشَّديد^[5]، من هنا تكمن أهميَّة القصبات في تحصين المدن ومنعتها في حمايتها .

3- الرَّايات ولباس الجند:

ما يُميِّز كل طائفة في الحرب، هو لباسها ونوع الرَّاية التي يحملها، وقد نظَّمت الدولة النَّصريَّة جيوشها على هذا الأساس، فقدَّمت على كلِّ فرقة من الجند نوعًا خاصًّا بهم حتَّى يتم التَّمييز بينهم، والغالب أنّ الجيوش

[1] باسيلوبابون مالدونادو، العمارة في الأندلس (عمارة المدن والحصون)، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص 183-184

[2] يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، المرجع السابق، ص 189

[3] محمَّد عبد الله عنان، الآثار الإسلاميَّة في الأندلس، المرجع السابق، ص 243

[4] نفسه، ص 216

[5] مجهول، بُدَّة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 6-7

الفصل الثاني / الجيش الغرناطي بين التَّعبئة العسكريَّة والتَّكتيك الحربيِّ

الغرناطيَّة قد اختلفت مع الكتيبة الخاصَّة بفرقة الغزاة من حيث نوع اللباس والسلاح، وهذا ما سنفصله كالآتي:

أ/ **الرَّيات والألوية النَّصريَّة:** توحدت الفرق النَّصريَّة تحت شعار واحد وهو "لا غالب إلا الله"، وهو شعار مملكة بني الأحمر وقد كانوا يحملون الرَّيات في عَصِيَّهم^[1] (أنظر الملحق رقم: 04)، واختلفت الرَّيات من حيث الحجم واللون، فالمجموعة التي يقودها "أمير" لها راية كبيرة، والتي يقودها "قائد" سيكون علمها أصغر من الرَّاية، والتي يقودها "نقيب"، يحمل لواءً للفرقة، أما التي يقودها "عريف" يحملُ بندًا مميَّزًا، والتي يقودها "نظير" فيربط في رأس رحه قطعة قماش تُسمَّى العقدة^[2]. وكانت راية الدَّولة وأعلامها حمراء اللون متنوِّعة الزَّخارف والأشكال، ومنها المربَّع والمثلث والمستطيل، مرسوم عليها دوائر أو مسدَّسات متقاطعة وتنتهي أطرافها بزوائد مستقيمة^[3].

ب/ **لباس الجنود:** كما سبق أن ذكرنا أن جيوش غرناطة قد تباينت من حيث نوع اللباس الخاصَّ بالجنود أمَّا عن الفرسان الأندلسيين، فيمكن تمييزهم بأقبيتهم المختلفة الألوان وبالفراتيل التي على رؤوسهم،... كما تميَّزهم عن غيرهم بالشَّواشي والقلائس المذهبة^[4]، فالأمراء والجنود الفرسان قلَّدوا لباس النَّصارى العسكريِّ، فكانوا يرتدون معطفًا مقلنسًا قرمزيًا فضفاضًا، وبدون أكمام^[5]، كانوا يضعون على رؤوسهم العمام أو الخوذات ذات المغافر لوقاية الرِّقبة، كذلك كانوا يلبسون الجباب ذات الأكمام القصيرة، ويتمنطقون عليها واضعين أطراف الجبَّة تحت المنطقة من أمام، وقد يرتدون قمصانًا، ولهم سراويل طويلة تصل إلى الكاحل، ويضع بعضهم الحرامل على كتفه كما يلبس الجميع في أرجلهم الأحذية أو الخفاف^[6].

بهذا يمكننا الخلوص بفكرة أن الجيش النَّصريِّ على قدر قوَّته وتنظيم صفوفه باتخاذ أساليب وطرق منظمة في تسيير الحملات العسكريَّة، والتي أشادت بها المصادر القشتاليَّة، إلى جانب تحصين المدن والقلاع من ردِّ ضربات النَّصارى حيث أن أغلب مدن المملكة النَّصريَّة بقيت صامدة حتَّى آخر نفس من عمرها، فلولا

[1] ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد: محمَّد ابن شقرون، دار الغرب

الإسلامي، ط1990، م1، بيروت-لبنان، ص 106

[2] علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، المصدر السابق، ص 129

[3] أحمد مختار العبادي، صورة من حياة الجهاد والحرب في الأندلس، المرجع السابق، ص 239

[4] ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، المصدر السابق، ص 106

[5] شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، المرجع السابق، ص 78

[6] أحمد مختار العبادي، صورة من حياة الجهاد والحرب في الأندلس، المرجع السابق، ص 229

الفصلُ الثَّاني / الجيشُ الغرناطيُّ بين التَّعبئةِ العسكريَّةِ والتَّكتيكِ الحربيِّ

ضُعبُ السُّلاطينِ لكانت قلعة الإسلام باقيةً، ثمَّ إنَّ القوَّةَ البحريَّةَ من سفن وأساطيل قويَّة استطاعت تحقيق الغلبة في أكثر المعارك شهرةً، والواضح أنَّ أساطيل النَّصارى لم تكن بقوَّة ومنعة الأساطيل الإسلاميَّة، لكنَّ الأقدار شاءت أن تسقط المملكة بالرَّغم من ذلك، فكثرة المعارك حصدت أرواحَ الجنود بين القتل والأسر وبقي الجيش في تناقص أمام تطوُّر تركيبة جيش النَّصارى المتَّحد فيما عُرف بالحملة الصَّليبيَّة، كما أنَّ تقلُّص المساحة الإسلاميَّة ولجوء المسلمين لغرناطة، نظرًا لسقوط المدن الأندلسيَّة وضرب البنية التَّحوية في إطار سياسة (الأرض المحروقة) بإتلاف المحاصيل ونهب الغلات كان من شأنها التأثير على المجتمع النَّصريِّ الَّذي سيعاني ويلات الحروب، وتتأزَّم أوضاع الرِّعيَّة من كلِّ الجوانب الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والنَّفسيَّة لترتبط ذهنيَّة هذا الشعب بمظهر الخوف والحرمان من الممارسة الطَّبيعيَّة المرهونة بظاهرة "الحرب".

الفصل الثالث: انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

أولاً: أوضاع الأنشطة الإنتاجية في ظلّ الحروب

1- الزراعة

2- الصناعة

3- التجارة

ثانياً: انعكاسات الحرب على الاقتصاد النصري

1- المغارم فرض المكوس

2- ارتفاع الأسعار وزيف العملة

3- المجاعة والقحط

ثالثاً: الانعكاسات الاجتماعية والديمغرافية

- الحرب والهجرة

- الحرب والأسرة

- الأسر والقتل.

رابعاً: انعكاسات الحرب على ذهنيات وسلوكيات النصريين

- الخوف من الموت

- الحرب ونفسية الجندي الغرناطي.

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

إن إنهاك المشهد الاقتصادي والاجتماعي للمملكة النصرية أثناء الحروب، كان لا محال منه، فلا يمكننا النظر إلى الجانب المشرق لكل دولة في رواج سلعتها وكثرة منتجاتها، ثم اتساع أراضيها وطيب نعمها، فهي في ظل الحروب نقمة، فالطرح الموضوعي لمشكل حاضرة غرناطة الغنية يُظلل حقيقة غرناطة الفقيرة، غرناطة الملجأ والمنفى التي أثقلها واجب الجهاد وضربات النصرانيتين القشتالية والأراغونية؛ أصبحت أراضيها مسرحاً للحروب وخراباً دمر البيوت، وأقعد الحصون تراباً، فغدت بتراء عن أخواتها بكرًا، وذهب الرخاء وعمّ البلاء والضراء، وحلّ الغلاء وجاء الوباء، والشعب صابراً محتسب. وما زاد الطين بلّة الفتن الداخلية، التي ما رامت تفتأ في داخل البيت النصري بين ابن وأبيه وخاله وعمّه، لتُتيح للنصارى الفرصة السانحة للحصول على الحصون وقتل المسلمين وسبيهم، وما نتج عن هذا تشتيت الأسر، وكثرة الأرامل، حرمان اليتامى والعيش بحرمان وبؤس، وما ترتب عن ذلك على ذهنيات الشعب الغرناطي مخاط الأزمات التسليم والرضوخ لعمليات التنصير والتهجير القسري.

أولاً: الحرب والأنشطة الإنتاجية

1- الزراعة:

أ/ تخريب المحاصيل ونهب المواشي:

ظلت مملكة بني نصر تجاهد في الارتقاء باقتصادها، والحيلولة دون اللجوء إلى التبعية في استيراد المنتجات الزراعية، ذلك بتحقيق اكتفائها الذاتي، لكن الحروب التي خاضتها ضد قشتالة قد أضعفتها، وإلزامية أداء الجزية لها عندما يحل السلم محل الحرب، ورغم أن نقص الوثائق لا يسعفنا في تقييم اقتصاد مملكة غرناطة بشكل مضبوط، فإن بعض الدراسات الأكاديمية التي نشرت في السنوات الأخيرة تساعدنا على الاقتراب من الصورة. لاشك أن الأوضاع الحربية ستشكل منحنى خطيراً في تغيير الأوضاع، خصوصاً وأن الخطة القشتالية كانت واضحة المعالم في ضرب الاقتصاد النصري، فقد أفادتنا إحدى الدراسات الإسبانية بمعطيات مهمة من شأنها رسم صورة واضحة على أن النصاري، كان هدفهم تخريب البنية التحتية للمسلمين عبر سياسة تدمير الزراعة الغرناطية بضرب المدن وحرق الأراضي^[1] والراجح أن الفلاحة وإيراداتها شكلت نسبة كبيرة بالنسبة للمملكة، ثم إن الفلاحين كانوا يساهمون بنسبة كبيرة في أداء الضرائب، فالإيرادات الضريبية كانت في الغالبية العظمى من أداء المزارعين بينما نسبة إيرادات الأنشطة التجارية لم تكن بالكاد تتجاوز 15%^[2]

تعرضت المزارع الموجودة خارج الأسوار من جراء الصراعات بين المسلمين أنفسهم إلى التدمير، وكان دافعاً مألوفاً للنهب، وتارةً أخرى لغارات الجيوش المسيحية التي كانت تقطع وتحرق القمح؛ أو بالأحرى مزروعات الحبوب والأجمت، وتضرم النار في القرى والمزارع التي لا تحميها الأبراج والأسوار المنبوعة^[3]، فكانت كل تلك الثروات من رياض وبساتين ومحاصيل، مُعرضة باستمرار لخطر الدمار، إذ تروي "مدونات الأخبار" التوغلات المتكررة للمحاربين القشتاليين في فحص غرناطة من أجل القتال، وتخريب القرى المسلمة، وإتلاف الزرع، والكروم، والبساتين، وأشجار الزيتون القريبة من المدينة^[4] وما وُطد من فكرة سياسة قشتالة

^[1]Luis Suarez Fernández, Op.Cit., P : 70-71

^[2]Antonio Malpica Cuello, La vida Agrícola y la Ganadería En Al-Ándalus y En El Reino Nazari De Granada (Farminglife and livestock in al-Ándalus and theNasridKingdomof Granada), Universidad de Granada 2012, p:217

^[3]ليوبولدو طريس بالباس، الحواضر الأندلسية، الجزء الأول، دار أبي الرقاق، ط1، 2007م، الرباط، ص 227

^[4] Fernando del Pulgar, crónica de los Reyes católicos, por su secretario Fernando del Pulgar, vol 2, Guerra de Granada, edic.yest, por Juan de Mata carriazo ; Madrid,1943, p : 237

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

التجوية للرعايا الغرناطيين بصفة عامة، عملية الحصار في آخر عمرٍ من تسليم غرناطة، فأتت على الأخضر واليابس ومنعتهم الحرث والزرع^[1]، كما أنّ القشتاليين بعد علمهم بالحالة المزرية التي عاشها الغرناطيون في ظل نقص الغذاء والمؤن وذلك سنة خمسة وتسعين وثمانمائة، كتب ملك الروم إلى السلطان بأنه يجب على المسلمين أن يعينوه بالزرع في كل سنة بما توجب عليهم من الأعشار والزكاة وألا يأكله المسلمون أو يكونوا على تأهب للحرب^[2]

بدأت سياسة النصارى في عملية تدمير القرى وإهلاك المحاصيل منذ زمنٍ بعيد، ذلك أنّ مسألة استنجد المسلمين بالأندلس جاءت بعد تواتر الرسل وتتابع الكتب سنة 662هـ/1229 م، حيث أنّ النصارى كانوا قد أغاروا على المدن الأندلسية وقاموا بإهلاكها^[3] فكان ردّ الفعل ما حدث من جانب بني مرين حيث أنهم أثناء جوازاتهم إلى الأندلس قاموا بإلحاق خسائر جسيمة بأراضي النصارى؛ فأثخنوا الأراضي وأفسدوا الزرع لسنون كثيرة وإن غاب دور بني الأحمر الذين توجّسوا الخيفة من أهل المغرب مغبّةً في إحكام قبضة سلاطين بني مرين على لأندلس وإعادة زمان يوسف بن تاشفين وابن العباد، فضلاً عن النمائ التي بثّها النصارى على مسامع السلطان الفقيه حول قضية استحواذ السلطان "أبي يعقوب المريني" على السواحل الأندلسية وبالتالي إحكام قبضته على الأندلس^[4].

يكشف صاحب "نبذة العصر" أخبار مهمّة تُفيدنا في رفع الستار عن أساليب النصارى في إجلاء أهل المواضع التي استولوا عليها، فقبيل تسليم غرناطة وأثناء حملات الاسترداد المتتالية على الحصون الأندلسية، كان النصارى ينصبون آلة رمي "النفط" الحارقة في الهواء لتسقط على الأراضي فتحرق كلّ ما تصادفته. وهو ما ألزم أهالي الحصون بطلب الأمان والهروب بأنفسهم^[5]، ثمّ إنّ النصارى كان سعيهم وراء استرداد الحصون الإسلامية واضحاً في أمرين: تخريب الحصون والتضييق على المسلمين لإجلائهم من الأندلس، وحرق أراضيهم؛ أو أخذ أهل الحصون كأسرى لبيعهم أو الاستفادة من خدماتهم أو حتى قتلهم والتنكيل بهم، ففي شهر صفر

[1] مُجّد عبده حتاملة، محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها، مطابع دار الشعب، ط1، 1977م، عمان-الأردن، ص 53

[2] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر (تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب)، المصدر السابق، ص 47

[3] ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنّية في تاريخ الدولة المرينيّة، المصدر السابق، ص 98

[4] لتفصيل أكثر حول الغزوات التي شنتها المرينيين على الأراضي النصرانية راجع: أبي الزرع الفاسي، الذخيرة السنّية في تاريخ الدولة المرينيّة، ص 98، ص. 143-144، ص 145 ومايليها، عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، المجلد 7، المصدر السابق، ص.ص 252-260، 266-271، 273-276، 284-287، 329-331. راجع: أحمد بن مُجّد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الرابع، المصدر

السابق، ص 385-386

[5] نفسه، ص 18

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

من عام 888هـ/ 1488م، بموقعة "بلش" أراد النصارى تطبيق هذا الأمر على المسلمين لكنهم حُذِلوا بنصرٍ ساحقٍ من المسلمين بشرق "مالقة" Malaga^[1].

وفي ربيع 889هـ/ 1484م، شنَّ الملك الكاثوليكي "فرناندو" حملة إغارة على الأراضي الغرناطية فكان الهجوم على سهل غرناطة الخصب، قبل حلول فصل الصيف لزراع الهلع وسط السكان، فدمروا حقول الذرة والبساتين، وكذا بساتين الزيتون وكروم العنب حول "ألورا" Alora، وحاصروها لمدة عشرة أيام حتى تمَّ غزوها... واستمروا في حرق، وقطع، وتدمير حقول الحبوب وأشجار اللوز، وتدمير المروج والمراعي ونهب الغلات، فلم يتركوا بقعةً خصبةً إلى وأهلكوها^[2] وفي سنة 895هـ/ 1490م لما خرج ملك قشتالة يُريد مرج غرناطة، وحين سمع بأمر إجماع المسلمين على الدفاع عمَّا تبقى من غرناطة، ساءه ذلك وخرج رفقة جيشه إلى "مرج غرناطة"، وراح يتلف الزرع ويفسده للضغط على المسلمين وتخويفهم^[3]، وفي نفس السنة من شهر شوال أُقبل ملك قشتالة رفقة طائفةٍ من المدجنين والمرتدين من المسلمين بعد سماعه بخبر حصار "شلوبانية"، وعاد مرةً ثانيةً لمرج غرناطة وأخذ يُتلف ويفسد الذرة والكروم الموجودة في الفحص وبقي المسلمون يقاتلونهم على قلتهم، حتى منعوهم من إفساد الكثير من الغلة^[4].

لم يتوقف ملك قشتالة عن سياسة حرق الأراضي وإتلاف الغلات، في سياسته لتجويد الأهالي الغرناطيين، فقبيل تسليم غرناطة في جمادى الآخرة/ أبريل من عام 896هـ/ 1491م، قام ملك قشتالة باستئناف القتال وخرج هذه المرة يُريد حصن "غرناطة" Granada، فأفسد زرعها الأخضر، ثمَّ سار إلى قرى الإقليم وأفسد زرعها هي الأخرى^[5]، وأثناء حصار مملكة غرناطة سنة 897هـ/ 1492م، اشتدَّ الغلاء وأدرك الجوع الرعيَّة، فاستنفذ منهم الطعام، ومنع عنهم النصارى الحرث والزراعة^[6]، فأرغم هذا الوضع أعيان غرناطة وسلطانها على تسليم المدينة لتكون غرناطة آخر معقلٍ يسقط في الأندلس وتنتهي الخلافة الإسلامية..

^[1] أحمد بن مُجدِّ المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الرابع، المصدر السابق، ص 11

^[2] Magdalena Lasala, Boabdil (Tragedia Ultimo Rey De Granada), Ediciones Temas de Hoy, Madrid, 2004, P:279.280

راجع أيضاً: مجهول: نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 37، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولة المرينية-القسم الثاني)، الجزء الرابع، تحقيق: جعفر الناصري، مُجدِّ الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م، ص 103.

^[3] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 29.

^[4] نفسه، ص 34.

^[5] نفسه، ص 39.

^[6] نفسه، ص 40.

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والإقتصاد النصرى

لم تكن عمليات تخريب المحاصيل وحرق الأراضي الزراعية محصورةً على النصارى فقط، بل إنّ المسلمين كانوا أنفسهم يقومون بتخريب الأراضي الزراعية التابعة للنصارى، حتى تُصبح خرابًا صفيًا يستحيل العيش فيها، وقد أفادتنا المصادر الإسلامية بمعلومات مهمّة، ففي عهد السلطان النصرى "أبي الجيوش" (708-713هـ/1308-1313م) بالضبط في العاشر من شهر رجب من عام خمسة وعشرين وسبعمائة، حين تحرّك للغزو بعد أن أعد العدة وأكثر من متطوعين متأهبين للجهاد، وقصد "مرتش" "Martos"، فصوّب جيوشه إليها فأتلّفوا زرعها وعاثوا فيها فسادًا^[1]

كما أنّ الغزوات التي شنّها السلطان النصرى "أبو الحجاج" (733-755هـ/755-1354م) على الجهات الشرقية مكان تواجد النصارى، كانت من أقوى الغزوات، فقد خلّف الجيش النصرى أضرارًا جسيمة على تلك الأراضي؛ ويصف لنا ابن الخطيب غزو جيش غرناطة مدينة "إستجة" "Ecija" إحدى المدن الخطيرة، ودار حامية النصارى، بقوله: "... وبآخره لاكت النار زروعها، وسكنت حُلّة البوار ربوعها، وانصرف عنها المسلمون، وقد تخلّف من بها في عداد الأموات، لما ساءهم من إهلاك الغلات، وانتساف الأقباط"^[2]. كما أنّ السلطان "أبا الحجاج" غزا بجيشه "مدينة قيجاطة" "Quesada"، من قواعد الثغر "فاستباح ربضها، ودوّخت سراياه ما وراءها من الحصون العلام والقلاع، والأقطار الزراعية الأصقاع، وسُلّطت النار على ما دنا وتآ من تلك البقاع"^[3].

ب- مشكل الحدود والنهب:

ظلّت مسألة الحدود البرية المفتوحة مشكلًا بين المسلمين والنصارى، وأكثر فئّة وقع عليها الحديث هم رعاة الماشية، حيث اضطربت الأوضاع بين المسلمين والمسيحيين حول المرعى؛ كلّ طرف يتهم الآخر باستغلال أرضه وانتهاكها، وعليه نجد عدّة مراسلات حول الموضوع منها ما جاء في الوثائق الأراغونية المؤرخة في 14 ذي القعدة سنة 714هـ/الخميس 5 مارس 1315م، من سلطان غرناطة "إسماعيل الأول بن فرج بن نصر" إلى ملك الأراغون جاقمو الثاني (خامي الثاني)، حيث أن ملك الأراغون أبدى استياءه من المسلمين الذين

[1] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 391

[2] لسان الدين بن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المتأب، الجزء الأول، المصدر السابق، ص 132

[3] نفسه، ص 132

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

أغاروا على الحدود، وسرقوا قطع الغنم من الأرغونيين، فجاء الطلب بضرورة إعادة المسروقات^[1]، مثل هذه القضايا كان من شأنها تعكير صفو العلاقات الودية بين الطرفين خصوصاً أن النصريين والأرغونيين قد كانت تربطهم مصالح سياسية؛ يستفيد منها الجانب المسلم أكثر في إطالة فترات الهدنة والتحالف ضد قشتالة في كثير من المرات.

وفي مرّات أخرى كانت سرقة الماشية من الحيل التي خطط لها النصاري، من أجل الظفر بعدد كبير من الأسرى وهو ما حدث في منطقة "سييرا" Sierra بين غرناطة ووادي آش^[2]، كما حدث في عهد السلطان "مُحمّد الأيسر" حيث قام "صاحب أنتقيرة" بالإغارة على "أحواز تاجرة" فاكنتسح ما بها من الماشية وأسر من وجد هناك من رعاة وصيادين وأكّرة واستحوذ على غنيمة كبيرة^[3] والهدف من ذلك ضرب الاقتصاد النصري إذما نقصت الماشية التي ينتفع بها الإنسان النصري، ومن ثم تضيق الخناق على السلاطين النصريين بدفع الفدية مقابل أرواح الأسرى، هذا طبعاً من شأنه زعزعة الاستقرار خاصة على طول المناطق المحاذية لمدين النصاري والتي ستعاني من الضغط.

كما أن الأسر قد كان يحدث على مستوى الموانئ وتفيدنا إحدى حكايات الرحالة ابن بطوطة التي شهد فيها أسر النصاري للمسلمين وذلك عندما كان متوجّهاً من "زندة" نحو "مريلة" وذلك في عهد السلطان "أبي الحجاج يوسف"^[4]، ويبدو أن الوثائق الرسمية القشتالية قد حملت مجموعة من المعاهدات بين القشتاليين والمناطق الحدودية بين المملكتين والتي عُقدت منذ سنة 1218م، فحواها إقامة حاجز طبيعي للمراعي الخصيبة التي ترعى فيها الماشية، لكن الانتهاكات وخرق القوانين ترتب عنه مشاكل اقتصادية، ذلك أنه في الغالب كانت تُسرق الماشية، ففي 17 فبراير 1459م قُدمت شكوى مفادها سرقة ماشية^[5].

[1] عمر سعيدان، العلاقات الاسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر الميلادي (دراسة وإعداد وثائق -معاهدات ورسائل -تحاليل وتعليق، وسقوط غرناطة، الجزء الأول، - عمر سعيدان، العلاقات الاسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر الميلادي (دراسة وإعداد وثائق -معاهدات ورسائل -تحاليل وتعليق، وسقوط غرناطة، الجزء الأول، منشورات سعيدان، الجمهورية التونسية، 2003، ص 51-52

[2] Emilio Cabrera, Op.Cit, : p 140

[3] مُحمّد بن عاصم الغرناطي، حنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، المجلد الثاني، حققه وعلّق عليه، بشار عواد معروف، صلاح جرار، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2010م، مصر، ص 217

[4] شمس الدين أبو عبد الله مُحمّد بن عبد الله اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأبصار)، المجلد الرابع، قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه، عبد الهادي التازي، 1997م، المغرب، ص 218

[5] Antonio Miguel Peláez Rovira, Op.Cit, p:442-441

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

يبدو أن ظاهرة سرقة الماشية كانت قد استفحلت أوقات الفتن، حيث أننا وجدنا في إحدى القضايا التي طرحت على القاضي حسن بن الحسن الجذامي النباهي بمالقة في "كورة رية" سرقةً للماشية، فأفتى القاضي بشهادة أن كل من ثبت عنه أنه أكل من ذلك اللحم المغصوب، وهو عالمٌ بعينه، سواءً كان شارباً له من الغاصب أو أكله دون عوض حرام^[1].

والدراسات التي تناولت موضوع تربية المواشي لا تزال محدودة مقارنة مع تلك التي تتحدث عن الإنتاج الزراعي، لذا نضطر في العديد من الحالات إلى اللجوء إلى المصادر غير المباشرة لمعرفة المزيد عن هذا النشاط، ويسمح البحث في موضوع إنتاج الملح، بأخذ فكرة عن النشاط الرعوي، وكانت توجد أهم ملاحات مملكة غرناطة بمنطقة مضيق جبل طارق، لذا ستعرف المملكة خصوصاً في هذه المادة بعد احتلال قشتالة لتلك المنطقة. وبسبب الحاجة إلى الملح، اضطرت مملكة غرناطة إلى استيراده من المغرب^[2].

وبما أن الغرناطيين كانوا أثناء خروجهم للحصاد أو العصر يخشون الإغارة عليهم من المدن النصرانية، خاصة على طول الحدود البرية، فقد كانوا يحملون السلاح مخافة الهجوم عليهم^[3] هذا ما يفسر معاناة الغرناطيين من مشكلة الحدود.

جدول يوضح حالات السرقة بين المسلمين والنصارى وتدخل السلطة للحد من الظاهرة

نوع السرقة أو الحجز	مكان السرقة والمسئول عنها	الوثائق المتبادلة في شأن وضع حلول بين الطرفين
سرقة غنم القطلانيين	سرقة غنم تابعة لقطلانين من طرف غرناطيين	وثيقة مؤرخة بتاريخ: 18 ذو القعدة سنة 714هـ/الخميس 5 مارس 1315م رداً على رسالة جاقمو الثاني ملك الأراغون، من السلطان إسماعيل الأول بن فرج. عمر سعيدان، العلاقات الإسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر الميلادي، ص.ص 50-52

[1] أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط5، 1983، بيروت، ص 138

[2] خوسيه راميريث ديل ريو، الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية في مملكة غرناطة، مجموعة من الباحثين، قصر الحمراء ذاكرة الأندلس، منشورات مركز الدراسات وحوار الحضارات سلسلة ترجمات -1- ط1، 2015م، الرباط، ص 42

[3] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 138

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

<p>وثيقة مؤرخة في 17 ذي القعدة سنة 714هـ/ الموافق لـ 24 مارس 1315م من السلطان إسماعيل الأول إلى السلطان جاقمو الثاني ملك الأراغون. عمر سعيدان، العلاقات الإسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر الميلادي، ص.ص 54-57</p>	<p>سرقة غنم تابعة لقطلايين من طرف مغاورين من الجيش النصري بمدينة بيرو "Vera".</p>	<p>سرقة غنم القطلانيين</p>
<p>وثيقة مؤرخة في 12 شوال 716هـ/28 ديسمبر 1316م، من طرف السلطان إسماعيل الأول إلى دون بيدرو لوبيز والي "لورقة" "Lorca" وسائر منطقة مرسية "Murcie". عمر سعيدان، العلاقات الإسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر الميلادي، ص.ص 65-68</p>	<p>حجز مجموعة من غنم تابعة لقطلايين من طرف غرناطينين بمدينة "أريولة" "Orihuela"</p>	<p>حجز غنم القطلانيين</p>
<p>وثيقة مؤرخة في 3 محرم 723هـ/12 يناير 1323م، من إسماعيل الأول إلى جاقمو الثاني ملك الأراغون. عمر سعيدان، العلاقات الإسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر الميلادي، ص.ص 91-95</p>	<p>سرقة مجموعة من القراصنة القطلانيين في مدينة "موترايل" "Motril" لجفن تابع لأهالي "بلنسية" "Valencia" فيه سلع لهم، كان متجهًا هُتُن كما أنه تمت الإغارة على مركب بحري تجاري بـ "المرية" "Almeria" من طرف قراصنة بمرسى "لقنت" "Alicante" وأخذت كل ما فيه من الوسق "السلع المحمولة".</p>	<p>سرقة سلع من مركب بحري خاص بالمسلمين</p>
<p>وثيقة مؤرخة بتاريخ 17 جمادى الثانية سنة 723هـ/ 23 جوان 1323م، من السلطان إسماعيل الأول إلى الملك جاقمو الثاني. عمر سعيدان، العلاقات الإسبانية</p>	<p>انتهاك قراصنة "لورقة" "Lorca" لمعاهدة الصلح والخروج على المسلمين واستئصال أموالهم</p>	<p>سرقة أموال المسلمين</p>

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

<p>الأندلسية في القرن الرابع عشر الميلادي، ص.ص 103-100</p>		
<p>وثيقة مؤرخة في 23 جمادى الثانية 724هـ/7 جوان 1324م من السلطان إسماعيل الأول إلى نائب ملك أرغون جاقمو أندرو البندلي. عمر سعيدان، العلاقات الإسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر الميلادي، ص.ص 142-139</p>	<p>الحجز على مشتريات الوفد الغرناطي الذي توجه لعقد الصلح مع ملك الأراغون.</p>	<p>الحجز على سلع وبغال المسلمين.</p>
<p>وثيقة مؤرخة في 30 جمادى الأولى 728هـ/ 12 أبريل 1328م، من السلطان مُجد الرابع إلى ألفونسو الرابع بن جاقمو ملك الأراغون عمر سعيدان، العلاقات الإسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر الميلادي، ص.ص 182-180</p>	<p>حجز سلع وأموال تجار مسلمين أخذها حاكم "قربيليان".</p>	<p>حجز سلع خاصة بالمسلمين</p>
<p>وثيقة مؤرخة في 4 ذي الحجة 735هـ/ 26 جويلية 1335م، من السلطان الغرناطي يوسف الأول إلى الملك ألفونسو الرابع ملك الأراغون. مُجد كمال شبانة، يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004م، القاهرة، ص 466-465</p>	<p>أخذ المسلمون من أهل "المرية" غليوط محمل بالسلع بيعت بـ "المرية" وقد قام السلطان يوسف الأول بتعويض ثمن السلع لصاحبها. بالإضافة إلى سطو ابن الأحسن صاحب شيطى على جفنين خاصين بالنصارى أحدهما استقر بـ "البيرة"، " "Vera" والآخر بـ "مالقة" "Malaga" بالإضافة إلى 17 جفني آخر أعيد للنصارى .</p>	<p>سرقة سلعة من غليوط" جفن سريع" تابع للأراغون</p>

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصرى

<p>وثيقة مؤرخة في 10 شعبان 745هـ/17 سبتمبر 1344م من سلطان غرناطة يوسف الأول إلى ملك الأراغون بيدرو الرابع. مُجَّد كمال شبانة، ص 506-507</p>	<p>اعتراض جفن محمل بالقمح والطعام من العدو "شاطئ أنفة" متوجه لـ "مالقة" "Malaga" وصاحب الجفن نصراني يُدعى "بُونُ نَاطُ بشك" من أهل "بلنسية" واستولى على الجفن النصراني "إقْلِيم قحالة" من أرض "برجلونة" "Barcelone" فترة الصلح فقدم تجار "مالقة" شكواهم للسلطان بإثبات وثائق ملكية وسق القمح مطالبين بإعادته أو قيمته.</p>	<p>سرقة جفن فيه طعام وحبوب خاصة بالمسلمين</p>
<p>وثيقة مؤرخة في 10 شعبان 745هـ/17 ديسمبر 1344م، من سلطان غرناطة يوسف الأول إلى ملك الأراغون بيدرو الرابع. مُجَّد كمال شبانة، ص 508-509</p>	<p>تعرض جفن "بون ناط باشا" من أهل "بلنسية" يحمل القمح للسرقة من قبل البواخر الأراغونية وعليه طالب السلطان يوسف الأول بإعادة حق كل تاجر على التوالي: -التاجر علي بن إبراهيم بن قاسم من أهل مالقة:أخذ له من ذلك قفيزان من أفقرة أنفا، كل قفيز منهم فيه مائة قدم من قمح، وواحدة وعشرون قدحًا من أقداح الأندلس، يجب للقفيزين مائتين واثنين وأربعون قدحًا. - قاسم بن عبد الله السقاء، من أهل مالقة، أخذ له في ذلك الطعام ستمائة قدح من القمح وأربعة عشر. -موسى بن مُجَّد الكواب، من أهل مالقة أخذ له من ذلك الطعام ثلاثمائة وواحد وستون قدحًا القمح. -مُجَّد بن مُجَّد الغرطشي، أخذ له من ذلك القمح ألف قدح وأربعة وخمسون. - مُجَّد بن يحيى بن حميد الأمين، أخذ له من ذلك القمح ألف قدح وواحد وستمائة وثمانون.</p>	<p>سرقة قمح من المسلمين</p>

ج-تراجع النشاط الفلاحي وتقلص المساحة المزروعة:

لا شك أن الواقع الفلاحي سيعرف متغيراتٍ جديدةٍ فترات الحروب، فقد عرفت مملكة غرناطة في الفترة الأخيرة من عمرها حملات استرداد واسعة من طرف النصارى خصوصاً بعد ضم مملكتي قشتالة والأرغون بعد عقد المصاهرة بين "فرناندو" و"إيزابيلا"، تراجعت مساحة الأرض المزروعة، وتقلصت المراعي، وأصبحت أغلب الأراضي الزراعية جرداء قاحلة بعد التخريب الذي طال المدن. يمكن لنا أن نربط سبب سقوط الحصون بسهولة في أيدي النصارى بنقص المنعة وإقامة أسوار حول الحصون المحاذية لغرناطة، حيث أن "ابن الخطيب" أثناء رحلته التفتيشية رفقة السلطان "أبي الحجاج" أفادنا بمعلومات حول أحوال المدن التي تعرضت للإبادة، نستدل بذلك في وصفه لوادي "المنصورة" حيث يقول: "... وأطلالها بالية. وبيوتها خاوية خالية، ومسجدها بادي الاستكانة خاضع للبلبي على سموّ المكانة"^[1] "أسطبونة" "Esebona" "ذهب رسمها، وبقي اسمها، وكانت مظنة النعم الغزيرة، قبل حادث الجزيرة."^[2] كما وصف لنا حال المدن المعرّضة لخطر مدهمة النصارى لنقص حمايتها، "دلّاية" "Dalias" "... إلا أنها لسرايا العدو البحر مجرّ العوالي، ومحل الفتكات على التوالي"^[3]، "بيرة" "Vera"، "... مُقيمة على الخطر، مثلومة الأعراض والأسوار، مُهطعة لدواعي البوار"^[4] "بلش" "Velez"، "... ثغر قصي، على الأمن عصي، ويتيمّ ليس عليه غير العدو وصي... بلدة منقطعة بئنة، بأحواز العدو كائنة... وسبيل الأمن إليها غير سبيل"^[5] "أشكر" "Huescar" "... معقلها لا يُمنع، ومكانها يحوم عليه الحادث الأشنع"^[6] "بسطة"، "Baza" "... فالعدو فيها شديد الفتكات، مُعمل الحركات"^[7] يتضح لنا جلياً من حديث ابن الخطيب أن الأمن والتحصين كانا منعدمين في الكثير من المدن هذا ما سهّل على النصارى دخولها رغم إقامة رباطات وحاميات إلا أنها ظلّت مفتوحة أمام الهجمات المتتالية. لم يقتصر القتال فقط على مستوى القرى وأقاليم غرناطة، بل نقلت الحرب أوزارها إلى قلب غرناطة، لكن ليس بين الكفار والمسلمين، بل بين المسلمين أنفسهم، حيث أن المصادر تُفيدنا بالفتنة التي وقعت بين "الزغل"، و "أبي عبد الله"، فالأول يدعمه أهل غرناطة، والثاني يدعمه أهل ريبض البيازين، والملك القشتالي

[1] لسان الدين بن الخطيب، خطرة الطيف، من كتاب مشاهدات، المصدر السابق، ص 43

[2] نفسه، ص 73

[3] لسان الدين بن الخطيب، معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، من كتاب مشاهدات، المصدر السابق، ص 79-80

[4] نفسه، ص 82

[5] نفسه، ص 83

[6] نفسه، ص 84

[7] نفسه، ص 84

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

يقف موقف المتفرّج المثير للفتنة حيث أمّد "أبا عبد الله" بالرجال، الأنفاط، والبارود، والقمح، والعلف، والبهائم، والذهب والفضة، إلى غير ذلك^[1]؛ هذا وإن دلّ على شيء إنما يدل على مساهمة سياسة الإغواء في إذكاء نار الفتنة، بالتالي أصبحت أراضي غرناطة مسرحًا للحروب والخراب لا محالة.

2-الصناعة:

- التراجع في الإنتاج واحتكار الحرف بيد الجنوبيين: يرجع سبب تراجع المنتج الصناعي في المملكة بالدرجة الأولى إلى واقع الحروب وتقرّم المساحة، فأمام حملات الاسترداد في الشق الثاني من عمر "الوجود الغرناطي" سقطت العديد من مراكز الإنتاج الصناعي، لتتحصّر آخر المطاف في إقليم "غرناطة"، فلاشكّ أنّ الحرفيين سيعانون الأمرين أمام واقع الحروب وواقع البطالة، إلّا الفئة التي اختارت "الدّجن" فبقيت داخل المدن النصرانية تزاوّل نشاطها الحرفي تحت حكم القوانين المسيحية التي فرضت عليها دفع الضرائب مقابل ذلك.

لما كانت مملكة غرناطة في أوج ازدهارها وذلك في الفترة ما بين القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين زاول الحرفيون نشاطهم الصناعي بصورة طبيعيّة، حتى أنّ سلعتهم قد لاقت رواجًا وأصبحت حديث العالم من حيث الإتقان والجودة، في فترة ما قبل التراجع والكساد. سنقدّم عينة لأهم الصناعات الغرناطية التي لاقت شهرةً كبيرة في (السوق العالمية) على سبيل الحصر لأنّه كما نعلم أنّ "الأندلس" عامّةً و"غرناطة" خاصّةً كانتا ذواتا طابع متنوع في الصناعات الأساسية والكمالية.

- صناعة الحرير: لا حرير يُضاهي جودة الحرير الغرناطي في الأندلس وما وراء الأندلس، حيث تغنى به "ابن الخطيب" بوصفه مفتخرًا بجودته وغلّته وفضائله التي لا يشاركه فيها سوى العراق^[2] كما عُرفت برجة بعلّتها للحرير^[3] وحرير دلالية Delias تُرفع عن الثمن^[4] أندرش حريها ذهب^[5] شُبّالش معدن حرير خلقت سبائكها، وأثرى بزازه وحائكه^[6] كما اشتهرت فنيانة بالحرير^[7] أما "مالقة" Malaga فطرّاز الديداج المذهب^[8] أمّا "المرية" Almeria فيُنسج بها الحرير ثمانمائة نُؤل (حرفة)، وللحلل النفيسة والديداج الفاخر

[1] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 21

[2] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 99

[3] لسان الدين بن الخطيب، معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، من كتاب مشاهدات، المصدر السابق، ص 79

[4] نفسه، ص 79

[5] نفسه، ص 85

[6] نفسه، ص 85

[7] عبد المنعم الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 441

[8] لسان الدين بن الخطيب، مفاخرات مالقة وسلا، من كتاب مشاهدات، المصدر السابق، ص 59

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

ألف نَوَّل^[1] وقيل بها مائة طراز، وتعمل بها الحلل والديباج والسقلاطون والأصبهاني والجرجاني والستور المكلمة والثياب المعينة والعنابي والمعاجر وصنوف أنواع الحرير^[2] واشتهرت بصناعة الحلل الحريرية المواة، وساهم في تصديرها للخارج موقعها البحري^[3] يقول ابن الرازي في المرية: "المرية مفتاح الرزق والكسب، وموطن الحذاق من أصحاب الصناعات... وفيها تُصنع الحلل الموشية"^[4]

تأثر إنتاج الحرير بفعل المناخ، حيث أنه عندما تُغطي الثلوج المنحدرات في جبال البشرات Sierra Nevada يقل إنتاج الحرير بينما يصل ثلثي الإنتاج في فصل الصيف، وفي القيسرية كان الحرير يعهد به للملاحظين الذين كانت مهمتهم التأكد من النوعية والعيار قبل البيع بالمزاد^[5]

عمل الكثير من سكان غرناطة في صناعة الحرير وتألّقوا في ذلك كبارًا وصغارًا فكان أطفالهم يستخدمون أصابعهم لتعمل أفضل ما يمكن لفك خيوط الحرير الرقيقة، وكذا النساء كن يعملن في مجال نسج وغزل منسوجات الحرير والكتان^[6] ولما كان لغرناطة شهرة في صناعة الحرير كانت مدينة فلورنسا الإيطالية تستورد منها كميات كبيرة من الحرير الخام منذ القرن الرابع عشر وحتى أواخر القرن الخامس عشر^[7] كما صُدّرت ثياب الخز والمنسوجات الحريرية التي كانت تنسج في "أندرش" Andarax و"نارجة" إلى المغرب ومصر، وإلى الأمراء المسيحيين بشبه الجزيرة^[8].

يبدو أن لبس الحرير كان يُصاحب مظاهر الأبهة والترّف، فقد وصل بالغرناطيين الحال إلى لفّ موتاهم وأشيائهم الثمينة في قماش الحرير^[9]. وفي القرنين 8-9هـ/14-15م تفردت غرناطة بصناعة نوع من المنسوجات الحريرية والموشاة، تتكون من أشرطة بها زخارف نجمية ونباتية وطيور وزخارف كتابية، أطلق عليها "طراز الحمراء" لتشابه زخارفها بخزف الحمراء^[10]. لكن كما أشرنا فإن الأوضاع ستتغيّر وستعرف "صناعة

[1] المقرئ، نفع الطيب، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 163

[2] عيد المنعم الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 538

[3] لسان الدين ابن الخطيب، خطرة الطيف، المصدر السابق، ص 43

[4] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعد أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، 1984م، ص 156

[5] عبده بن مُجّد عواجي عبد القهار، علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، المملكة العربية السعودية، 1998م، ص 305

[6] عبده بن مُجّد عواجي عبد القهار، علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية، المرجع السابق، ص 305

[7] مُجّد كمال شبانة، يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة، المرجع السابق، ص 218

[8] جهاد غالب مصطفى زغلول، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير في التاريخ بكلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1994م، ص 81

[9] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعد أسطول الأندلس، ص 163

[10] جهاد غالب مصطفى زغلول، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ص 80

الحرير" تراجعًا بفعل سقوط مراكز إنشائها بيد النصارى خصوصًا بعد سقوط "المرية" "Almeria" 895هـ/1489م، وسقوط "مالقة" "Malaga" 892هـ/1486م . لتصبح في الأخير "جنوة" الإيطالية البلد المحتكر للصنعة بعدما كان المروج للحرير الغرناطي في الدول المجاورة^[1].

-صناعة السكر: من بين أهم الصناعات التي نالت الحظوة في مملكة غرناطة صناعة السكر، وقد كان النصيب لمملكة غرناطة كبيرًا في تصدير هذه المادة وفي المعاملات التجارية مع الدول النصرانية، وقد انتشرت زراعته في المترايل^[2]، كما انتشرت زراعة قصب السكر في ألمرية ويقارب في انتشاره بمدينة المنكب... ويحمل السكر من المرية إلى البلاد^[3] أما مدينة المنكب فيقول ابن الخطيب: " غصت بقصب السكر أرضها واستوعب فيها طولها وعرضها^[4]

كما أن المسائل الفقهية تعرضت لزراعة قصب السكر حيث سئل ابن لب عن جنة في باب الإقالة حيث أن رجلين كانت لهما شراكة في جنة مزروعة بقصب السكر، ولما أراد أحدهما بيع نصيبه اشترط أن يبيعهما ويكتري الأرض التي بها جذرة القصب، فأجاز ابن لب بجواز عقد الشراء والبيع^[5] كما جاءت مسألة ثانية حيث اشترى شخص قصب السكر ودفع نصف ثمنه، ثم تقابلا في المبيع على أن آخر المشتري البائع بما كان دفع له من الثمن لانقضاء شهرين عن تاريخ الإقالة فهل يجوز ذلك؟ والجواب من ابن لب بالإيجاز^[6]

واستمر إنتاج السكر في الأندلس حتى سنة (897هـ-1492م) لدرجة أن الإسبان سمحوا لعدد من الموريسكيين العاملين بزراعة قصب السكر بالبقاء في إسبانيا، لكن برحيلهم تضاءلت كمية إنتاجه^[7] والغالب أن إنتاج السكر قد لاقى شهرةً كبيرة من خلال تصديره نحو المدن الأوروبية، لكن صناعة السكر ستتضاءل،

^[1]Antonio Palàez Rovira, Balance historiográfico del emirato Nazari de Granada (Siglos XIII-XV) desde los estudios Sobre-alÁndalus :institucionnes, Sociedad y economía, Estratto da RetiMedievali Revista, IX, Firenze University Press, 2008, pp., 46-48

^[2] لسان الدين بن الخطيب، معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، من كتاب مشاهدات، المصدر السابق، ص 78

^[3] شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ص 124

^[4] لسان الدين بن الخطيب، معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، من كتاب مشاهدات، المصدر السابق، ص 77

^[5] أبو سعيد بن لب الغرناطي، تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص 76

^[6] نفسه، ص 77

^[7] جهاد غالب مصطفى زغلول، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، المرجع السابق، ص 152

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

سرعان ما يقوم "الجنويون" باحتكار الصنعة لأنفسهم بعدما كانوا مروجيها في مملكة غرناطة^[1] خاصة بعد سقوط مراكز صناعتها بيد النصارى أثناء حركة الاسترداد.

-الصناعة الحربية: تحتاج الزراع إلى صنائع! فمن غير المعقول أن تقوم زراعة بدون مادة الصناعة، فالامتزاج بين المهن المكملة لبعضها يخلق الاكتفاء وبالتالي قيام نهضة صناعية متكاملة.

إنّ ما حدث للأراضي الزراعية الخصبة من تدمير وتراجع المحصول الزراعي لا شك سيُسبب عقبةً في وجه التصنيع والتصدير. لم تكن كلّ الصناعات في غرناطة معرضةً إلى الزوال، بل راجت صناعات عديدة أهمها الصناعة الحربية؛ والتي صاحبت المملكة في كلّ أطوارها، فوجّه سلاطين بني نصر عنايتهم للجهاد والدفاع عن مدنهم، وأقاليمهم، وكرّسوا جهودهم للعناية بهذه الصنعة، فبدلوا الأموال المتطلبات في سبيل إنتاج السلاح.

قام السلاطين الغرناطيون بإنشاء مصانع خاصة بصناعة الأسلحة التقليدية الخفيفة كالسيوف، والدروع، والدروق والجواشن، والبيضات والقسيّ والرماح والأمداس^[2] و"حققت النصال المصنوعة في "غرناطة" و"المرية" شهرةً فائقة لدى الفرسان الإسبان فنجد في قوائم ثروات ذوي اليسار من الإسبان في القرن الخامس عشر أنه قد جاء ذكر السيوف الغرناطية الفاخرة كثيرا، وقد أعطانا "فرانديس" Ferrandis وصفاً لعشرة أمثلة رئيسة منها^[3]

كما اشتهرت غرناطة بصناعة الخناجر حيث بلغت شهرتها كلّاً من فرنسا وإيطاليا^[4] فالخناجر كانت تلازم الغرناطي طيلة يومه ذلك خوفاً على حياته، كما أن السلاطين الغرناطيين كانوا يحملون هذه الخناجر المرصّعة بالحلي من باب الزينة وقد ذكر لنا ابن الخطيب أبياتاً شعرية يصف فيها ما كُتِب على الخنجر السلطاني^[5]:

إِنْ شَهَرْتَ نَصْلِي بَدَا "يُوسُفِ"
رَبِعْتُ لِقَتَكِي مُهَجَّةً اللَّيْسُ
وَلَحْتُ مِثْلَ الْبَرْقِ فِي كَتْفِهِ
لَا يَنْكُرُ الْبَرْقُ عَلَى الْعَيْسُ

[1] Adela Fábregas, Azúcar E Italianos en El Reino Nazari De Granada, Del Éxito comercial, A l'intervencions Económica, Universidad de Granada, Cuadernos Del Cemyr, 22, 2014, p:135-136

[2] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأول، ص 136

[3] أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، المرجع السابق، ص 235

[4] محمد كمال شبانة، يوسف الأول بن الأحمر سلطان غرناطة، المرجع السابق، ص 201

[5] لسان الدين بن الخطيب، الديوان، الجزء الأول، المصدر السابق، ص 191-192

كما راجت صناعة التروس كسلاحٍ دفاعي في مملكة غرناطة، والمعروف أن مادة صنع الترس كانت من الخشب والجلد، وقد وقّرت المملكة المادة الخام لصناعة الأسلحة^[1]، فراجت صناعة الجلود المزخرفة في "غرناطة" حتى اشتهرت في أوروبا، وفي مدينة "مالقة"، فعرفها ابن الخطيب بـ "معدن الصنائع الجلدية"^[2] وعُرفت "باجة" بدباغة جلود الحيوانات خاصة الأدم^[3] ومن الجلود صنعت الأحزمة، والأحذية، والسروج، وأعماد السيوف، وسائر الأوعية الحديدية.^[4] "المرية" فتصنع منها صنوف آلات النحاس والحديد ما لا يجد^[5] وفي "مُرسية" تُصنع آلات الصفر والحديد من السكاكين^[6]

كما راجت مدينة "مالقة" بصناعة السكاكين والمفاتيح والمقصات^[7] كما اشتهر "وادي آش بصناعة" الحديد^[8] و"المرية" بصناعة آلات الحديد^[9] وكذا "برجة"^[10]، ناهيك عن الأسلحة الثقيلة التي رافقت الجيوش الغرناطية من أكبش، وقاذفات، وسلاليم، وحاصدات... كما ساعدت الغرناطيين في حروبهم مادة البارود، وقذائف النفط أو القذائف النارية التي وجدنا أنّ النصرى في مرحلة الإطاحة بالحصون المتبقية من الأندلس، كثفت استعمال هذا السلاح حتى أنّ الأهالي من خوفهم على أرواحهم طلبوا الأمان.

-صناعة السفن: اهتمت مملكة بني نصر بإنشاء دورٍ لصناعة السفن على مستوى السواحل كمراكز حيوية، أهمها "مالقة"، "المرية"، "المنكب"، "شلوبانية" والعديد من دور الصنع، وكانت صناعة السفن تعتمد في مادتها الأولية على مادة الخشب، التي شاع غلاؤها في مملكة غرناطة^[11] وقد جاء في إحدى المسائل الفقهية سؤال عن (صانع يحتاج في صناعته إلى دراهم يشتري بها ما يعمل به صناعته كالخشب للتجار والجلد للخراز، فيعود

[1] يقدّم لنا بن هذيل الأندلسي شرحاً مفصلاً للسلاح الأندلسي من حيث الوصف وفضل كل سلاح على الجندي وقت الحروب، في الأبواب ما بين العاشر، والتاسع العشر، وقد تجنّبنا الإطناب في الحديث عنها في تبيان ذلك في موقعها (المبحث الخاص بعدة الجيش في الفصل الثاني)، راجع: عبد الرحمن بن هذيل، حلية الفرسان وشعار الشجعان، المصدر السابق.

[2] لسان الدين بن الخطيب، مفاخرات مالقة وسلا، من كتاب المشاهدات، ص 59

[3] القلقشندي، صبح الأعشى، الجزء الخامس، المصدر السابق، ص 215

[4] شكري فرحات، غرناطة في ظلّ بني الأحمر، المرجع السابق، ص 123

[5] الحميري، روض المعطار، المصدر السابق، ص 538

[6] أحمد بن محمد المقرئ، نفع الطب، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 201

[7] محمد كمال شبانة، يوسف الأول بن الأحمر سلطان غرناطة، المرجع السابق، ص 199

[8] لسان الدين بن الخطيب، معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، المصدر السابق، ص 85

[9] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، المرجع السابق، ص 166

[10] نفسه، ص 166

[11] لسان الدين بن الخطيب، معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، من كتاب مشاهدات، المصدر السابق، ص 88

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والإقتصاد النصري

إلى يده من ذلك ما تجب فيه الزكاة من أجرة صناعة ومن ربح في الخشب، ويضيف عليه حصر ما كان بيده منها لكثرة تقلب ذلك في يده ولأنه ينفق من ذلك فيبقى بيده ما تجب فيه الزكاة بعد ذلك كله؛^[1]

-ارتبط الضعف الصناعي في المملكة في المرحلة الأخيرة بطغي الصناعة الكمالية على الصناعة الأساسية والتي أساسها الفلح، والراجح أنّ الكساد الذي أصابها يرجع بالتحديد إلى سقوط أقاليم البادية، التي في الأساس معاشهم من الفلاحة، فغرناطة الحاضرة غلب عليها الترف فراجت الصناعة الكمالية قُبيلاً سقوطها، تتوفر عندنا الدلائل في شرح ما حدث في عهد السلطان النصري "أبي الحسن" حيث أنه اتخذ له مطربات ووسائل اللهو واشتغل بالملذات^[2]؛ فاتخاذ آلات الطرب، والإسراف في دواعي اللهو والسمر، والشرب والرقص، والآنية من مظاهر الترف؛ والترف يعجّل بسقوط المصائر^[3]

3-التجارة:

امتازت غرناطة بموقع استراتيجي مهم على البحر المتوسط، وهو ما خولها التصبّح محطة عبور ومحجّ قوافل تجارية محمّلة بالسلع المختلفة الموجهة للتصدير، فكان عقد الاتفاقيات مع الدول المشرقية والمغربية وخاصة النصرانية، ما يخدم مصالحها الاستراتيجية. لكن واقع الحروب سيغيّر من الأوضاع، فروج السلع وعمليات التبادل التجاري يقومان في جوّ يسوده الأمن، فنرى أنّ "غرناطة" في فترات سلمها انتعشت عكس أوقات الحروب التي ساد أثناءها الركود وتعطلت الطرق، وتوقفت المرافق، لكن عمليات المبادلات التجارية الداخلية لاقت وقت الحروب نوعاً من النشاط، حيث أنّ الأسواق كانت تُنقل لأماكن الحصار، حيث تصاحب الجيوش والأهالي لنقل المؤن والغذاء وكل المستلزمات اللازمة إلى أرض المعركة، هذا ما سينتس عن الفلاحين المتضررين وعن الحرفيين يبيع ما جادت به أراضيهم ومواشيهم وحرفهم، هذا ما حدث أثناء حصار المسلمون لمدينة "الحامة" سنة 887هـ / 1482م، يقول صاحب نبذة العصر: "... فتحوا (الغرناطيون) الأسواق للبيع والشراء وجلبوا لأسواقهم كلّ ما يحتاجون إليه من الأطعمة، والعلف، والزاد، وغير ذلك" ^[4]

^[1] أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي، فتاوى الشاطبي، حققها وقدم لها: محمد أبو الأجناف، مطبعة الكواكب، ط2، 1985م، تونس، ص 132

^[2] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 5

^[3] أبو عبد الله بن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، الجزء الثاني، تحقيق وتعليق: علي سامي النشار، دار السلام للطباعة، ط1، 2008م، القاهرة، ص 763

^[4] أبو عبد الله بن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، الجزء الثاني، المصدر السابق، 8

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

أ/ أهم موانئ "غرناطة" التي تتم فيها حركة المبادلات التجارية [1]

المدن التابعة لـ "المنصورة" Almanzora	المدن التابعة لـ "مالقة" Malaga	المدن التابعة لـ "المرية" Almeria	المدن التابعة لإقليم غرناطة Granada
موخاكار "Mojacar" إحدى مدن نهر المنصورة	مدينة "نرجا" Nerja من أعمال مالقة	كابو ناسو "Cab Naco"	مدينة أغيلاس "Aguilas" الواقعة بمنطقة "مرسية" "Murcie"
مدينة "بيرا" "Vera" أيضاً إحدى مدن نهر المنصورة	مدينة "مور" Maure من أعمال مالقة	كاربونيراس "Carboneras" التابعة لـ "المرية"	مدينة "المنكب" Almunècar
	Torros من أعمال مالقة	ومدينة "Mesa de Roldàn" بـ "المرية"	مدينة "مرسية" Murcie
	مدينة Torre del Mar من أعمال مالقة	بورتو جينوفيز "Porto Genovese"	مدينة "شلوبانية" "Salobrena"
	Cabo de Malica من أعمال مالقة	كابو دي جاتا "Cabo de Gata" بـ "المرية"	Feroode من أعمال غرناطة Castell
	Fuengirola مدينة "سهيل" من أعمال مالقة.	"Bahia de San Pedro" الواقعة أيضاً بـ "المرية"	

[1] Raúl González Arèvalo, La Costa del Reino de Granada en la DocumentacionnàuticaItalianan (Siglos XIV-XVI), En La España Medieval, Vol : 31, Universidad de Malaga, 2008, P.P : 15-28

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والإقتصاد النصري

	Marbella مدينة "مربله" من أعمال مالقة	مدينة "Palatino" التي تبعد عن "المرية" بحوالي 18 كلم	
	Estepona مدينة "أسطونة" من أعمال مالقة.	مدينة "Beuar" من أعمال "المرية"	
	Arroyo مدينة ريو دي جانيرو من أعمال مالقة	مدينة "جروفا" La " Garrofa الواقعة بالقرب من "المرية"	
	Vaquero من أعمال مالقة.	مدينة Choraggio	
		رابطة البينول RabitadeLaAlbunol	
		مدينة "عذرة" من أعمال "المرية" Adra	
		مدينة قرطاجنة Guardias Viejas من أعمال "المرية"	
		La lianos de "Almeria" من أعمال "المرية"	
		Lianos de Adra من أعمال "المرية"	
		Cabo Sacratif من أعمال "المرية"	

		Cautor من أعمال "المرية"	
--	--	--------------------------	--

تعقيب: من خلال الجدول نستنتج أنّ موانئ "المرية" كانت مركزاً تجارياً مهماً في فترة حكم "بني الأحمر" بغرناطة، وتليها "مالقة" وستوضح لنا وثائق التبادل التجاري أهمية كل مدينة.

ب- احتكار الغرناطيين لطرق التجارة القشتالية من أجل خنق الإشبيليين اقتصادياً ودفعهم إلى التفاوض من أجل الصلح:

أظهرت لنا وثائق الأرشيف الآراغوني مجموعة من المعاهدات المتبادلة بين سلاطين "غرناطة" وملوك "الآراغون" سعياً إلى ربط صفقات تجارية بين الطرفين، لكنّ المتعمّق في بنود المعاهدات وما نصّت عليه سيكتشف أنّ "البعد السياسي" كان حاضرًا، ففي الغالب كانت البنود الأساسية تقضي فرض المسلمين على ملوك الآراغون قطع علاقاتهم مع مملكة "قشتالة"، وسيظهر البعد السياسي في محاولة "تضييق الخناق على القشتاليين" وبالتالي محاولة إعادة ربط علاقات حسنة مع الجانب المسلم، ليضمن فترات سلام أطول في بلاده. والواقع أنّه من خلال قراءتنا للوثائق التجارية المبدولة، نجد أنّ الطرف الغرناطي كان من خلال رسائله حكيماً في اختيار الرسل المحبين أحياناً في البلاط الآراغوني، فيما عدا ذلك نجد أن السلاطين كانوا أحياناً يُبدون استياءهم في حالات نقض الصلح، ذلك أنّ عمليات القرصنة وقطع الطريق أمام السفن التجارية يقلق المملكة الغرناطية، فيتجه الرعايا إلى تقديم شكاوى كما سبق وأن أشرنا، لكن أحياناً كان ملوك الآراغون يديرون ظهرهم لتلك الشكاوى، حيث فرض ذلك الوضع تهديد المسلمين للآراغونيين بالتدخل العسكري في حال عدم الاستجابة^[1] ثمّ إنّ الجانب الآراغوني كان على وفاقٍ في أغلب الأوقات مع المسلمين، لا لشيء فقط من أجل ضمان اقتصاد مملكته فكما نعلم أنّ "الأندلس" عامّة و"غرناطة" عرفنا انتعاشاً اقتصادياً جعلها محطّ قوافل السفن التجارية. ثمّ إنّ علاقة الآراغونيين مع القشتاليين كانت تتسم في أغلب الأحيان بالتوتر، لكن في آخر المطاف ستفق الأطراف المسيحية تحت غطاء القومية الدينية بمباركة من القساوسة، لينقلب الوضع على المسلمين.

[1] عمر سعيدان، العلاقات الإسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر الميلادي، المرجع السابق، ص 141

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

جدول يوضح أهم البنود التي اتفق عليها سلاطين "بني الأحمر" وملوك "الأراغون" تجارياً

تاريخ المعاهدة	الطرفان المتعاقدان	قرارات وبنود الاتفاقيات
آخر ربيع الثاني 701هـ/31 ديسمبر 1301 وعرة 1302	بين السلطان عبد الله محمد بن محمد سلطان "غرناطة" و"مالقة" ومايليها، وملك الأراغون و"بلنسية" و"مرسية" وأقماط برجلونة (برشلونة) في إطار معاهدة الصلح.	نص من رسالة سلطان غرناطة: "...ننعملكم بأن يصل إلى بلادنا كل من يريد الوصول برسم التجارة من بلادكم، بما شاءوا من أنواع التجارات، ويسرّح لهم ما أرادوا من ذلك، ويكونوا مؤمنين في نفسهم وأموالهم، على أن ينصفوا من الحقوق الواجبة على العادة، من حقوقهم الواجبة لهم في الدواوين على العادة، وعلى أن يكون أيضاً كلّ من يتوجه من بلادنا إلى بلادكم من التجار مؤمنين في نفوسهم وأموالهم، ويسرّح لهم في بلادكم ما شاءوا من أنواع المتاجر... وعلى أن تمنعوا أهل بلادكم من الدخول بالتجارة إلى "اشبيلية" وغيرها من بلاد أعدائنا في البرّ والبحر وإن دخل أحد منهم إليها يكون حكمه حكم الأعداء الذين يكون معهم". شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الجزء الثاني، مطبعة الرحمانية، ط1، 1936م، مصر، ص 287-288
يوم السبت 17 ربيع الثاني 721هـ/16 ماي 1321م	بين مبعوث السلطان "إسماعيل الأول" "أبو علي حسن الغوّاف"، ورسول "جاقمو الثاني" ملك الأراغون "شيمون ذي طينينة". في إطار معاهدة الصلح.	نص من رسالة سلطان غرناطة: "...لا يلحق أرضكم ولا ناسكم ولا أجفانكم ضرر من جهتنا بوجه، ولا على حال، كما أنه لا يلحق ناسنا، ولا جميع أرض المسلمين بالأندلس، ولا أجفاننا ضرر م جهتكم، ولا شيء يقدح في الوفاء، وعلى شروطٍ تتفسّر، فمنها أن يتردد كل من يريد التجارة من أهل بلادنا إلى بلادكم، آمنين في البرّ والبحر، في النفوس والأموال وجميع الأحوال، وأن يباح لهم بيع ما يريدون بيعه، وشراء ما يريدون شراءه، وإخراج ما يشترونه إلى بلادنا، وذلك على العموم في جميع الأشياء كلها إلا الخيل والسلاح،

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

<p>لا يستثنى غيرهما، لا طعام ولا بغال، ولا سائر الدوام، ولا غير ذلك، ولا يزداد على أحد منهم في سوم شيء يشترونه، بل يباع منهم بسومه بذلك الموضع، ولا يزداد عليهم في مغرم مخزني على ما جرت به العوائد" شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الجزء الثاني، ص 294-295</p>		
<p>نص الرسالة: "...فمنها أن تتردد أجفاننا إلى سواحلكم، وأجفانكم إلى سواحلنا، وناسنا إلى أرضكم، وناسكم إلى أرضينا، آمين برأً وبحراً، في نفوسهم وأموالهم، وجميع أحوالهم، محفوظين محروسين برأً وبحراً... ويباح لهم البيع والشراء في جميع الأشياء، بسوقها المعتاد هنالك، وإخراج ما يشترونه من إحدى الجهتين إلى الأخرى، من غير شيء يلزمهم في ذلك، إلا ما جرت به العادة في الحقوق المخزنية، على العادة في الصلح المتقدم، من غير زيادة ماعدا الأمور التي جرت العادة أن يمنع خروجها من إحدى الجهتين إلى الأخرى، ومنها ألا تتطرق أجفاننا لأجفانكم، ولا أجفانكم لأجفاننا في بحرٍ ولا مرسى... شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الجزء الثاني، ص 308-309</p>	<p>من مُجدِّ الرابع بن إسماعيل الأول سلطان غرناطة إلى ملك الأراغون جاقمو الثاني. في إطار عقد صلح.</p>	<p>في 721هـ/ نصف شهر ماي 1326م</p>

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

<p>نص الرسالة: "... لا يصدر من أهل البلاد والحصون والمواضع التي لنا السلطان صاحب غرناطة ومحلّ أختينا السلطان صاحب الغرب في برّ الأندلس والعدوة ولا من حُدّامنا وناسنا عيبٌ ولا فساد سرّاً ولا جهراً في برّ ولا في بحر ولا شيء من الخداع ولا ما يُفسد الصلح والمهادنة بطول المدّة ... يكون سكان البلاد والرّياسات والأرض من أي دين كانوا مسرّحين يمشون ويحيثون ويقيمون ويبيعون ويشترون بتجارهم بطول الأمد المذكور تحت الأمان التام الشامل العام، من غير تعرّضٍ، وعلى أن يُغرّموا ما جرت به العوائد في زمن الصلح. عمر سعيدان، العلاقات الاسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر الميلادي، ص 417-418.</p>	<p>من سلطان غرناطة "مُحمّد الخامس" إلى ملك الأراغون بيدرو الرابع. في إطار معاهدة الصلح (دخل طرف ثالث في هذه المعاهدة وهو السلطان المريني "أبي فاس عبد العزيز" الذي فوّض لمحمد الخامس بحضور العقد بالنيابة عنه.</p>	<p>في 8 رجب 768هـ/10 مارس 1367م.</p>
<p>نص الرسالة: "... تأمين جميع التجار النصارى والمسلمين، ولتوجهوا بجميع السلع والكسب، وجميع الأشياء المباح بيعها وشراؤها بين النصارى والمسلمين، إلى جميع البلاد وتحت الأمن والحرمة من غير خوفٍ عليهم ولا عارضٍ يعترضهم في توجههم وإياهم، لا يلزم من منهم غير الواجب الذي هو عادة بين النصارى والمسلمين". يوسف كاظم جغيل الشمري، دراسات في تاريخ الأندلس (العلاقات السياسية لسلطنة غرناطة في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي)، دار العلوم العربية، ط1، 2014م، بيروت-لبنان، ص 279</p>	<p>من سلطان غرناطة "مُحمّد الأيسر" أبو الحجاج يوسف ابن المولى، إلى السلطان "دون جوان" Don Diego de Riberas Adelatudo صاحب قشتالة. في إطار معاهدة الصلح</p>	<p>في يوم الأحد 22 جمادى الأولى 835هـ/ 27 يناير 1232م</p>

تعقيب: من خلال الجدول نستنتج أمرين مهمين؛ الأوّل أنّ الجانب الغرناطي قد اتّسمت رسائله بطابع الوُد بالرغم من انتهاكات الصلح، حيث كانت تتردد الشكاوى لانتهاكات كثيرة من الجانب الأراغوني، ولكن طابع المعاملات الحسنة كان أثره واضحاً، لسببين: عدم فتح جبهة قتال ثانية، الغرناطيين في غنى عنها، ثم أنّ

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

السياسة الغرناطية كانت تقتضي كسب حليف معادٍ لملوك قشتالة لابتزازهم في محاولة إرهابهم من عواقب التحالف الثلاثي لضرب جبهة "قشتالة" وبالتالي دفعها لعقد معاهدات صلح تكفي شرّاً الأخير. والحاصل أنّ التجارة كانت لعبةً رابحةً بيد المسلمين تضمن سلامتهم لبعض من الوقت.

ثانياً- انعكاسات الحرب على الاقتصاد النصري:

1- الضريبة المضافة في مملكة غرناطة:

أ- المغارم: يبدو أن الأوضاع السياسية التي عاشتها غرناطة منذ تأسيسها على يد سلاطين بني الأحمر، وتزامناً مع فرض الجزية السنوية لملوك قشتالة في مقابل العيش بسلام، أرهقت الحكام والرعية واستنزفت الكثير من بيت مال المسلمين، وعليه فإن المملكة قرّرت تعويض الخزينة باستحداث ضرائب على الرعية خدمةً للقطاع الحربي ولتجهيز الجيش للدفاع.

فُرضت ضريبة الخراج على الأراضي المستغلة، تبعاً للكيفية التي تروى بها الزراعة، فإن سقيت بغير مشقة فإن نسبة الضريبة قد تصل إلى عُشر قيمة المحصول في العادة، أما إن سقيت بمشقة، فلا تتجاوز الضريبة نصف العشر، ونعني بسهولة السقي أن يعتمد الفلاحون في ري أراضيهم على مياه الأمطار، أو على الأنهار الجارية المتاخمة للأرض، وأما صعوبة فتكون مثلاً في جلب الماء من أمكنة بعيدة، الأمر الذي يُكلف الجهد والإنفاق، وعلى كُُل حال يُمكن القول بأن نسبة الضريبة كانت تبلغ في المتوسط العام سُبُع قيمة المحصول الزراعي.^[1]

فلكل مرجع عملياً من الأراضي المزروعة بالكروم، تُفرض ضريبة قدرها عشرة إلى ثلاثين مرابطياً. وقد ترتفع هذه الضريبة بحسب المناطق والأقاليم الغنية فلاحياً، مثال ذلك الضريبة الجد مرتفعة المفروضة على إقليم "مالقة"، لأنه كان يُنتج كميات كبيرة من أنواع الفاكهة خصوصاً العنب والتين.^[2] يتكفل بجمع هذه الضرائب وإدارتها ديوان خاص يُعرف بـ "ديوان الخرص"، كانت ضريبة المخزن من الضرائب المعروفة في غرناطة وكانت تحصل عليها من المزارعين بعد تسليمهم قطعاً من الأرض لزراعتها في نظير دفع حُمس المحصول أو التسع أو العشر بحسب جودة الأرض^[3]، وسواءً جرت أسباب ذلك الأمر على المعتاد في الوجود، فكل شيء في قبضة

[1] مُجّد كمال شبانة، يوسف الأول بن الأحمر سلطان غرناطة، المرجع السابق، ص 202

[2] مُجّد الإدريسي الجوهري، النظام المالي بالأندلس خلال عصر ملوك بني نصر، بحوث مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، العدد 14-

15، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 2008/2007، ص 161

[3] أحمد مُجّد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، المرجع السابق، ص 267

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

قُدْرته، وإنما يبرز على مقتضى إرادته، وإلا فمن أين يُشعرُ، بأن رفع الضريبة، وفتح الحصون، واسترجاع المغصوب، وإدالة النُصرة، لا يمنحه إلا افتراق الألفة وارتكاب الثورة.^[1]

وفُرضت ضريبة الخمس على الغنائم الحربية التي كانت تُحصّل من العدو من أسرى وسبايا وأموال. كما فرضت على التجار ضريبة على إنتاج الحرير وبيعه رسم "Tartil" تارطيل وقد كان يدفع فيها قدر 8 مرابطيناً عن كل رطل من الحرير، وضريبة استيراد الزيت كانت تدفع 16%، وكانت السلطة تفرض على الحركة التجارية 10% من الدخل وسميت هذه الضريبة El Magram "المغرم"، وضريبة Tigual على صيد السمك، وضريبة "Farda" كنفقة على المراقبة الساحلية^[2] وكل هذه الزيادات تصبّ في خدمة الجانب العسكري، وعليه اضطرت الرعيّة إلى التسليم بالقدر والرضوخ للواقع، فاقتنعت أن الأوضاع الحربية حتمية والنجاة بأنفسهم حق، فالواجب دفع الضرائب دون تملّق، بمدحهم لسان الدين ابن الخطيب بقوله: "...وأخلاقهم في احتمال المعاون الجبائية جميلة"^[3]، كما أن الإمام الشاطبي أجاز ضرب الخراج على الناس عند ضعفهم وحاجتهم لضعف بيت المال عن القيام بمصالح الناس^[4]

ب- المكوس: لم يكن للدولة بُدٌ ولا مخرجٌ تلجأ له بعد تأزم الأوضاع سوى إثقال الرعية بالمغارم والضرائب، وقد التجأ المواق إلى قاضي تونس، بحثاً عن حلٍّ لمعضلة انتشرت لدى المجتمع الأندلسي، وهي تنصّل بعض الفئات من دفع المغارم والأداءات الجبائية التي تُفرض من حين لآخر، وخصوصاً عند ازدياد المخاطر الخارجية، فقد كان القضاء الأندلسي في حاجة إلى دعم معنوي، لتسيير استخلاص هذه المغارم^[5] فقد خضعت المنتجات بمختلف أشكالها لضرائب مرتفعة، لأن الدولة كانت في حاجة إلى أموال لتغطية المصاريف العسكرية^[6]، مما ترتب عنه زيادة الضرائب، وهو ما أشار إليه ابن عاصم الغرناطي في الفقرة التالية: "وسواءً جرت أسباب ذلك الأمر على المعتاد في الوجود، فكل شيء في قبضة قُدْرته، وإنما يبرز على مقتضى إرادته،

[1] أبو يحيى مُجّد بن عاصم الغرناطي، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 221

[2] شكري فرحات، غرناطة في ظلّ بني الأحمر، المرجع السابق، ص 267

[3] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 134.

[4] فتاوى الشاطبي، المصدر السابق، ص 187

[5] محمد المواق ومُجّد الرضا، الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية، الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية، تحقيق ودراسة: مُجّد حسن، دار

المدار الإسلامي، ط 1، 2007، بنغازي-ليبيا، ص 71

[6] آل خوسيه راميريث ديل ريو، الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية في مملكة غرناطة، المرجع السابق، ص 44

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

وإلاّ فمن أين يُشعَّرُ، بأن رفع الضريبة، وفتح الحصون، واسترجاع المغصوب، وإدالة النُصرة، لا يمنحُه إلا افتراق الألفة وارتكاب الثورة"^[1].

كما أنّ القدرة الشرائية تأثرت بالأوضاع الأمنية، ففي فترة حُكم السلطان أبو الحسن علي بن سعد الملقب بالغالب بالله (868-887هـ/1463-1482م) عام 882هـ/1478م، عمّ الرخاء "غرناطة" فرخصت الأسعار، وضُربت سكّة جديدة، لكن عوائد الترف والانغماس في الملذّات، تزيد في قيمة المغارم فالسلطان النصري "أبو الحسن" لما أراد الزيادة، استعرض الجيش وميّزه للرعيّة بحجّة زيادة نفقاته للدفاع عن الوطن^[2]

والواقع أنه ترك أمور المملكة والتفت لمظاهر الدعة والسّم ونسي شؤون مملكته، ثمّ إنّ الفيضانات التي ضربت غرناطة عام 883هـ/1478م، زادت الأمور سوءاً، فكثرت الضرائب في البلدان، والمكوس في الأسواق، وأثقلت المغارم كاهل الرعيّة فشُحّ العطاء^[3]، واستخلص وزير أبي الحسن المغارم، فأخذ يعطيها لمن لا يستحقها، ويمنعها عن مستحقها، خاصّة الجنود، إلى أن باعوا سلاحهم وخيلهم من شدّة الفقر^[4]، وانعكاس الأوضاع سيكون إيذاناً بحرم المملكة وبدايةً في ضعفها^[5]

2- تزييف العملة وغلاء الأسعار:

أ- تزييف العملة:

لقد حافظ الغرناطيون على نفس العملة المضروبة في عهد الموحدين، والتي اتخذت شكل المربع مضروبة من الفضّة وذهب إبريز طيب، في الأوقية منها سبعون درهماً، كُتب عليها على عهد "ابن الخطيب"، لا إله إلاّ الله، مُجّد رسول الله" وفي آخره " لا غالب إلاّ الله، غرناطة"، ونصفه هو القيراط في شق "الحمد لله ربّ العالمين"، وفي شق "وما النصر إلاّ من عند الله"، ونصفه وهو الربع، في شق "هُدى الله هو الهدى"؛ وفي شقّ "العاقبة للفقوى"^[6].

[1] أبو يحيى مُجّد بن عاصم الغرناطي، جنة الرضا في التسليم لما قدّر الله وقضى، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 221

[2] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 2-3

[3] نفسه، ص 5

[4] نفسه، ص 6

[5] يُفصّل ابن خلدون في مقدّمته في مسألة فرض المكوس على الرعيّة، وانعكاسات ذلك تتمثّل في زيادة مقدار الوظائف والوزائع، ثم يزيد الخراج

والحاجات والتدريج في عوائد الترف، للمزيد يُنظر: عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، 470-471

[6] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 137-138

حدث أن جرى تذبذب في قيمة السكّة فأخذ الناس في العزوف عن التعامل بها، وقد سبّب ذلك ركودًا تجاريًا، وأزمة اقتصادية، مما أدّى لكساد السلع وهذا ما أثبتته النوازل الفقهية طرحت على القاضي "ابن لب" حيث وقع الجدل في مسألة وزن العملة والاختلاط في الدراهم المتعامل بها^[1]

وقد عرفت غرناطة في التعامل بالنقد بثلاث عملات شرعية، الدينار الذهبي والفضي، الدينار العيني، ويقدم لنا لويس سيكو دي لوثينا دراسة مميّزة في صرف العملات في القرن (التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)، "فالوثيقة رقم 65 ب وموضوعها عقد بيع تم سنة 1491م تعرف بأن الدينار الذهبي يساوي 75 درهماً، وكان الدرهم هو وحدة العملة الفضية المتداولة، والدينار الذهبي يساوي 7½ من دنانير الفضة وعليه فإن دينار الفضة يساوي 10 دراهم فضية. ولا تذكر النقود، والنقود التي يتم بها الدفع هي: دينار فضة عشرية، دينار ذهبي جديد (أو قديم)، دينار عيني سعدي (أي التي ضربها السلطان سعد)، دينار عيني جديد من غالبية (سكة السلطان الغالب بالله)، دينار عيني جديد من سكة السلطان "أبي عبد الله" (ربما كان المقصود السلطان مُحمّد التاسع)، دنانير من سكة السلطان "أبي عبد الله الصّغير" (مُحمّد الثامن)... وكانت العملة القشتالية جارية متداولة في غرناطة في القرن الخامس عشر^[2]، وكان الدينار الغرناطي الذهبي الوافي العيار أو الدبلة (22 قيراطاً) يزن تقريباً غرامين، ويتخذ شكلاً دائرياً، وهناك عملة ذهبية أخرى تعرف "بالمثقال"، كانت رائجة في الربع الأخير من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي.

وتفيدنا إحدى الدراسات بمعلومات خاصّة بالعملة المزيفة حيث أن مسيحيي قشتالة كانوا يقومون بتزييف العملات النقدية بخلط معدن رخيص إلى الفضة والذهب من أجل افتداء أسراهم، وكانوا يتاجرون بتلك العملات المزيفة، وما يفسّر الصعوبات الاقتصادية خاصّة في الفترة الأخيرة من عمر "غرناطة" هو أنها لم تغطّ أي معدن ثمين، أي أنها كانت تخلو من أي معدن ثمين "ذهب" أو "فضة"^[3]، وشاع في الأخير تعامل الناس بالعملة الناقصة عن كره حيث وبحسب إحدى النوازل الفقهية (سأل جماعة من التجار ابن لب عن نازلة بهم وهي أنهم باعوا متاعاً بعد تسويقه بقياسيرية غرناطة كالألّاهة تعالى بدراهم فضية من دراهم السكّة الجارية^[4]

[1] أبو سعيد ابن لب الغرناطي، تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 131-140

[2] لويس سيكو دي لوثينا، وثائق عربية غرناطية، المرجع السابق، ص 18-19

[3] مُحمّد الإدريسي الجوهري، النظام المالي بالأندلس خلال عصر ملوك بني الأحمر، المرجع السابق، 155

[4] حسن الوراكلي، لمحات من حياة غرناطة النصرية في القرن 08هـ، من خلال مسائل ابن لب، مجلة كلية الآداب، العدد الأول، جامعة سيدي

مُحمّد بن عبد الله، تطوان، 1986م، ص 35-36

ب/غلاء الأسعار: يبدو أن الحياة السياسية والأوضاع الاقتصادية في مملكة غرناطة، قد شكلت نكسة كبيرة للرعية التي لا حول لها ولا قوة، فقد عاشت مملكة غرناطة أزمت مست جميع الميادين حملت في طياتها معاناة الطبقة الهشة من الفقراء خاصة أمام ارتفاع أسعار المعيشة، والغلاء الذي مسّ المواد الغذائية والعقارات. آثرت مملكة غرناطة في بداية تنشئتها وأثناء تركيز دعائمها حياة التقشف والزهد، والظاهر هذا في ملوكها الأولين. والظاهر أن نمط الحياة هذا كان من دواعي تأسيس دولة قوية. يقول ابن الأزرق: "قد يدخل في قيمة الأوقات، أمران موجبان لغلاء سعرها في الأمصار:

-أحدهما: ما يفرض عليها من المكوس والمغارم في الأسواق وفي أبواب المصّر، إما للسلطان أو لجبايتها من قبله، لاسيما في أواخر الدول، كما تقدّم، والبادية لما قلّ فيها، لذلك رخص سعرها بالنسبة للأمصار.

-الثاني: قيمة علاج فلحها إذ هو محافظٌ عليها في سعرها، يقول "ابن خلدون": كما وقع بالأندلس لهذا العهد، لأنهم لما ألجأهم النصارى إلى سيف البحر وبلاد الوعرة الخبيثة الزراعة، وملكوا عليهم الأرض الزاكية، والبلد الطيب، احتاجوا إلى علاج المزارع لإصلاح نباتها وفلاحتها بأعمال ذات قيم، فاعتبروها في السعر، وصار قطر الأندلس مخصوصاً بالغلاء لأجل ذلك^[1].

لن نجد دليلاً حول ارتفاع الأسعار في المملكة الغرناطية أحسن ممّا قدمه لنا "ابن الخطيب" في قوله: "وأسعارها يشعر معيارها بالترهات"^[2]، لكن في حالات الرخاء كانت الأسعار في متناول الرعية وهذا ما وجدناه في فترة حكم "الغني بالله" حيث وصف "ابن الخطيب" فترة حكمه بأنّ فيها "خفض عيش"^[3].

والراجح أن الزيادة سواءً في سعر المواد الغذائية، أو في ثمن بيع العقارات (الملحق رقم: 06) يعود سببه إلى زيادة عدد سكان غرناطة؛ بعد نزوح سكان المدن والقرى بعد سقوطها بيد النصارى^[4]، ثم إنّ المملكة كانت تفقد أراضيها الخصبّة الواحدة تلو الأخرى، مما يقلّص المساحة المزروعة، وبالتالي ترتفع الأسعار.

[1] أبو عبد الله ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص 706

[2] لسان الدين بن الخطيب، معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، من كتاب مشاهدات، المصدر السابق، ص، 91-92

[3] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 26

[4] يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، المرجع السابق، ص 126

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والإقتصاد النصري

أسعار العقارات ومواد مختلفة في مملكة غرناطة النصرية:

مصدر المعلومة	مكان البيع	قيمتها ببيعها	نوع العقار / مواد مختلفة
لويس سيكو دي لوثينا وثائق عربية غرناطية، ص 19	الموضع المعروف "جنة عصام" ويعرف الآن باسم حديقة لوس أنخيليس (داخل مدينة غرناطة)	مبلغ تسعة دنانير ذهبية (20 جراماً من الذهب عيار 23 قيراطاً)	مرجع من الأرض بيع سنة 1491م (المرجع مقياس تزيد مساحته على 500 متر مربع بقليل
لويس سيكو دي لوثينا، وثائق عربية غرناطية ص 20	قرية اللطاخ (مرج غرناطة)	2000 دينار من الفضة العشرية، أي مبلغ 2000 درهم من الفضة، أي ثمن المرجع الواحد كان 40 ديناراً فضية (تساوي 5, 36 ديناراً ذهبياً مجموع وزنها حوالي 13 غراماً عيار 22 قيراط	50 مرجعاً من أرض السقي
لويس سيكو دي لوثينا، وثائق عربية غرناطية ص 20	في نفس الموضع	45 ديناراً فضية أي مبلغ 450 درهماً أي ثمن المرجع الواحد 6 دراهم فضية تعادل 17, 0 جراماً من الذهب عيار 22 قيراط	75 مرجعاً من أرض تسقى بالمطر

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

Mohamm ed AliDabor Datos sobre el coste de la vida en el Magreb y al- Ándalus (Siglos VII/XIII- XV) I : Precios de los bienes immeubles p: 84	وادي آش وضواحيه	Buqunyan (البونان اليوم) بيع 200دينار Cerro de ibntabit (تل ابن ثابت) 1,400دينار Batrat (البترا) 500دينار Wadi Al Qasr القصر 300دينار	ممتلكات السلطان في منطقة وادي آش وضواحيها بيعت سنة 730هـ/1330م تأخذ بعضها على سبيل المثال
لويس سيكو دي لوثينا ص 21- 22	بغرناطة	8 دراهم	مرفعة (دولاب صغير)
نفس المرجع:ص 21	بغرناطة	18 درهماً	-تابوت (صندوق خشب)
نفس المرجع، ص 22	بغرناطة	80 درهماً	قطيفة (بساط صوف)
نفس المرجع، ص 22	بغرناطة	12 درهماً	مقلاة نحاس
نفس المرجع، ص 22	بغرناطة	40 درهماً	ملحفة سرير من الحرير

التعقيب على الجدول: يُعَلَّل لنا "ابن خلدون" سبب ارتفاع أسعار العقارات، والضياع وكثرة الطلب عليها ليس للدعة والترف وإنما هو الخشية على من يترك خلفه من الذرية الضعاف، ليتمسكوا بفوائدها ما داموا

عاجزين عن الاكتساب^[1]، يمكن ربط حديث "ابن خلدون" مع واقع ما حدث بالمملكة، حيث أنّ واقع الحروب والأزمات كان داعياً لتطبيق ما نصّ عليه "ابن خلدون" من باب الاحتياط، على سبيل المثال فرضت دواعي الأمن الغذائي على الغرناطيين زمن الحروب؛ تخزين حنطتهم في مطامير تحسباً لسنون عجاف، فلا يمكن التنبؤ بواقع مشمس في زمن الحروب، وأخذ الحيلة واجباً فرضته الأوضاع.

3- **الجماعة والقحط:** رغم أن المصادر التاريخية، لم تأت على ذكر مظاهر القحط والمجاعات التي من الجلي أنها تفشّت في مملكة غرناطة النصرية، إلا أننا نستشهد بما جاء به عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته: "إن كثرة وقوع المجاعات، إمّا من العدوان في الجبايات والأموال والفتن الحادثة من انتفاض الرعايا، أو كثرة الخوارج لهم الدولة، فيقل احتكار الزرع غالباً، وصلاحه لا يتسم على وتيرة واحدة؛ إذ طبيعة العالم في كثرة الأمطار وقتها مختلفة، والزرع والثمار والضرع على نسبة ذلك^[2]

على ضوء ما ورد يمكننا ربط أسباب حدوث المجاعات بالحروب والفتن وحصار المدن^[3] ويبدو أن غرناطة خاصة والأندلس عاقمة استطاعتا أن تقاوما الجوع والقحط، وذلك حسب نوع غذائهم الذي ربطه ابن خلدون بطول عيشهم فيقول: "...وأهل الأندلس الذين غالب عيشهم الدرة والزيت، فإنّ هؤلاء وإن أخذهم السنون والمجاعات فلا تنال منهم ما تنال من أولئك، ولا يكثر فيهم الهلاك بالجوع، بل ويندر^[4]

سجّلت لنا المصادر تواريخ لسنون مسّتها المجاعات بمملكة غرناطة، حيث أن السلطان النصري "مُجّد الخامس" لما دخل مالقة في عام 763هـ/1362م، لم يكن بها طعام ولا ماء. كما حلّ القحط عام 815هـ-1412م^[5]. واتّسمت فترة حُكم "أبي سعيد البرميجو" Bermejo (08 شعبان 761-763هـ/16 مارس 1362-24 يونيو 1360م) بالخمور على حسب قول "ابن الخطيب" فيذكر "أنّ البرميجو أعدم الغلّة وأسباب الرخاء وفتح أبواب البلاء، وأرهب الرعيّة بالمكوس فأضاق الرعيّة بشؤمه"^[6]. كما أن المسلمين قد ذاقوا ويلات الحصار في مملكة غرناطة قبل سقوطها في عام خمسة وتسعين وتسعمائة، وانقطعت عنها المؤن القادمة

[1] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 284.

[2] نفسه، ص 499

[3] أحلام حسن النقيب، نغم عدنان أحمد، المظاهر الاقتصادية والاجتماعية للأزمات الاقتصادية في الأندلس من الفتح حتى سقوط الأندلس، المجلد-19، العدد -1، مجلة التربية والعلم، كلية التربية، جامعة الموصل، 2012م، ص 5-6

[4] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق ص 198

[5] إسراء مُجّد أحمد معوض، الزراعة في مملكة غرناطة في ظل بني الأحمر (635-798هـ/1238-1492م)، مجلة البحث العلمي في الآداب،

العدد 18-الجزء الرابع- 2017م، كلية البنات، جامعة عين شمس، ص 7

[6] لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في غلالة الاغتراب، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص 183

من جهة البشرات من طريق جبل شيلر Sierra Nevada، فلما دخل الشتاء، غطى الثلج الكثيف السهول والشعاب، وازداد على غرناطة ضيق الحال، واشتدّ بأهلها الجوع والمرض، وهمّ أبو عبد الله بمفاوضة فرديناند في التسليم^[1].

ثالثاً: الانعكاسات الديموغرافية والاجتماعية:

1- الحرب والهجرة

أ- مصير أهالي الأندلس بعد سقوط مدنهم:

استمر نمو حاضرة المملكة النصرية، نتيجة وصول أعداد كبيرة من المهاجرين المسلمين الذين فارقوا مدنهم بعد استيلاء ملوك النصارى عليها، ويفيدنا كتاب *Historia de Don Jaime el conquistador* الذي ألفه نفس هذا الملك، بوصفه لسير قسم من المسلمين نحو غرناطة بعدما سقطت مدينتهم بلنسية في يد المسيحيين عام 1238م^[2]، لم تكن الهجرة فترة حروب الاسترداد صوب مدينة غرناطة لوحدها، بل هاجر الكثير من المسلمين نحو المغرب والمشرق وإفريقية، حيث أنّ الخليفة الموحدى الرشيد أصدر ظهيراً رسمياً سنة 637هـ/1240م، يقضى بإسكان جالية أندلسية مهمّة من "بلنسية" وأهل شرق الأندلس بمدينة رباط الفتح^[3] بينما بقي جزء آخر من المسلمين الذين اختاروا البقاء في مدنهم خدمةً لمصالحهم، فمنهم من يخدم أرضه، ومنهم من يشغل حرفةً، وعلى كُُلّ حال، فبعد سقوط بلنسية وشاطبة ودانية ولقنت و"أريولة" ثم "مرسية" في الشرق، وفي الوسط "قرطبة" و"جيان"، وفي الغرب "ماردة"، "ببليوس"، "اشبيلية"، "قرمونة" وغيرها، وذلك في النصف الأول من القرن السابع الهجرى، تتركز أكبر عدد من المدجنين^[4] في منطقتي "بلنسية" و"مرسية"، وقيل أن عدد اللاجئيين من "بلنسية" و"شريس" و"قادس"، قد بلغ خمسين ألفاً^[5]

وأقل ما يُقال أنهم قد نعموا بنوعٍ من الطمأنينة والراحة والأمن، فمارسوا شعائرهم الدينية بحريّة، وحتى وقت النزاعات مع النصارى كان لهم الحقّ بمحاكمة عادلة قاضيها نصراني ومسلم، وقد اشتغلت كتب الفتاوى

[1] مُجّد عبد الله عنان، أبو عبد الله آخر ملوك الأندلس، المرجع السابق، ص 57

[2] ليوبولدو طريس بالباس، الحواضر الأندلسية، الجزء الأول، المرجع السابق، ص 155

[3] مُجّد قبلي، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، ط1، 2011م، الرباط، ص 234

[4] اختلف المؤرخين في تعريف مصطلح "المدجن"، حيث قدّم المؤرخ حسين مؤنس تعريفاً مسهباً للتعريف بهذه الفئة على أنّ اللفظ مشتقٌّ من كلمة دَجَن أي خضع وبالمعنى الاصطلاحي: هم الفئة من المسلمين الذين خضعوا لحكم النصارى داخل أوطانهم التي استولوا عليها فترة حروب الاسترداد، راجع: مقدمة تحقيق حسين مؤنس لكتاب أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواج ليجي النوشريسي، ص.ص 13-20، وكذا، مُجّد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 60

[5] ستانلي لين بول، قصة العرب في إسبانيا، ترجمة: علي الجارم بك، شركة كلمات عربية، القاهرة، 2012م، ص 134

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصارى

بأوضاع المسلمين المدجنين داخل المدن القابضة تحت حكم النصارى، فقد أورد ابن طركاظ واقعة تتعلق بالرسوم الواردة من بلاد النصارى، والتي تضمنت شهادة العدول، فقد سئل مفتي حاضرة فاس عبد الله بن مُجَدَّ العبدوسي في: هل تسقط عدالة هؤلاء المدجنين، لأجل سكناهم بين أظهر النصارى أم لا؟ هل هناك فرق بين من يقدر على الخروج ومن لا يقدر؟ وهل يجوز حكم القاضي هنالك إن قدمه جماعة المسلمين، أو قدمه سلطان النصارى؟ والإجابة عن ذلك أنه من اضطرَّ على السكنى في بلد النصارى فلا تسقط شهادته والعكس، والقاضي المعين من طرف النصارى فلا يُقدِّم حكمه إلا أن ترضاه الجماعة من المسلمين^[1].

كما استفاد المدجنون من حق شراء الأراضي والعقارات، وهذا بقرار من ألفونسو العاشر سنة 1254م، لكن في أواخر القرن الثالث عشر صدر قانون يُجرِّم شراء مسلم أرضاً من النصارى، كما كان لهم الحق في تأدية الخدمة العسكرية أو تركها مقابل جزية^[2]، لم تحدد لنا المصادر عدد المدجنين في أراضي النصارى آنذاك. في سنة 1280م، وبعد الخدمات الجليلة التي قدَّمتها المدجنون للنصارى كتب ألفونسو الحكيم رسالة نوَّه فيها بأعمالهم وتعهد بآلا يتعرض لهم أحدٌ بأذى^[3]، لكن أوضاع المدجنين ظلت تراوح وتأتي بجديد كلما ترأس ملك جديد النصارى كما أن الكنيسة ومضايقاتها ظلَّت تلاحق المسلمين للتضييق عليهم محاولة إجلاءهم من مناطق نفوذ النصارى.

فبالنسبة للاتفاقيات الموقَّعة أثناء الاحتلال القشتالي للقطاع الغربي من المملكة (1484-1487)، باستثناء مالقة، فقد منح المنتصرون مهلةً تتراوح من عام إلى عامين لمن أراد من المسلمين أن يتوجَّه إلى الجانب الآخر للمضيق، وسمحوا لهم بالمرور مجاناً بأمتعتهم المنقولة، وبانتهاء تلك المهلة كان على كلِّ من أراد الهجرة أن يُسدِّد رسوماً للمرور^[4] فوتيرة السلام والعيش باطمئنان بالنسبة للمدجن قبل معاهدة التسليم وحتى بعدها بفترة وجيزة ستتغير والأوضاع ستتبدل فحلَّت بعدها سياسة التنصير ومحاكم التفتيش وأخلَّت بينود الاتفاقية المتفق عليها.

من خلال بحثنا في مسألة الهجرة في مملكة غرناطة لفت انتباهنا وجود معلومات مهمة تخصَّ هجرة المسلمين الغرناطيين نحو المدن النصرانية، بحجَّة الهروب من واقع الحرب والفتن، فلا يمكننا الجزم بذلك في ظل

[1] عبد الرزاق وورقية، قراءة في نوازل القاضي ابن طركاظ الغرناطي، مجلة دعوة الحق، العدد 407، الدار البيضاء، 2014م، ص 164

[2] مُجَدَّ عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 56-57

[3] حسين يوسف دوزيار، المسلمون المدجنون في الأندلس، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، ط1، 1993م، ص 15

[4] مريديس غارثيا أرينال، شتات أهل الأندلس (المهاجرون الأندلسيون)، ترجمة: مُجَدَّ فكري عبد السميع، مراجعة: جمال عبد الرحمن، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط1، 2006م، القاهرة، ص 104

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

نُقص المادة الإخبارية خاصة العربية، يذكر الإسباني مرثيديس غارثيا أرينال أن المدجنون وفدوا إلى المناطق المسيحية واستقروا بها إما باعتبارهم أسرى حرب، وإما بصفتهم مهاجرين وفدوا من جنوب شبه الجزيرة، بسبب الاضطرابات السياسية العميقة هناك، أو هرباً من ويلات الحروب الأهلية، أو نتيجة الظروف الاقتصادية القاسية^[1] فهل من المعقول الأخذ بمثل هذه المعلومات والتسليم بمصادقيتها، في حين أنّ المصادر الإسلامية لم تُشر إلى أنّ المسلمين فرّوا من ديارهم نحو دار الكفر تحت أي ضغط، والواقع أنّ ما لفت انتباهنا أيضاً في ذات المسألة.

في صفر 895هـ/يناير 1490م بعد دخول فرديناند إلى وادي آش عرض على الزغل حكم بعض القواعد من غرناطة باسم ملك قشتالة ويقدم له دخلاً سنوياً كبيراً، لكن الزغل رفض وباع ممتلكاته لفرديناند وقرر أن يهاجر نحو المغرب الأوسط، بالضبط كانت وجهته تلمسان، رُفقة عدد من القوم الغرناطين.^[2] وبعد سقوط الكثير من القواعد: "مالقة"، "المرية"، "وادي آش"، "الحامة"، "بسطة"، وتعيين حكام نصارى عليها، اختلفت توجهات المسلمين فمنهم من اختار التدجن، ومنهم من ارتد ليظفر بحياته، ومنهم من هاجر إلى المغرب، والكثير اختار الفرار إلى غرناطة^[3]، وهذا ما يُفسّر الكثافة السكانية الهائلة التي عاشتها غرناطة قبيل التسليم وبعده.

وفي أول سنة سبع وتسعين وثمانمائة وبعد أن اشتدّ الحصار على "غرناطة" وحصل العدو على الكثير من المدن، انقطعت المؤن وفاق الجوع فهتك بالرعية، ولم يبق أمام المسلمين سوى الفرار بأرواحهم نحو المناطق التي أمنت من حصار النصارى فاتجه خلقٌ كثيرٌ نحو البشرات التي كانت تمدّهم بالطعام، بعد أن انقطعت الطريق أمام الإمدادات بسبب الثلج^[4] وبعد الإطاحة بكامل حصون وقواعد المملكة بقيت غرناطة تموج بالخلق الكثير من المسلمين الفارين من بطش النصارى ماهي أعدادهم؟ هذا ما سنتطرّق له بالتفصيل.

[1] مرثيديس غارثيا أرينال، شتات أهل الأندلس (المهاجرون الأندلسيون)، المرجع السابق، ص 69

[2] محمد عبد الله عنان، أبو عبد الله آخر ملوك الأندلس، المرجع السابق، ص 56

[3] نفسه، ص 56

[4] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولة المرينية-القسم الثاني)، الجزء الرابع، المرجع السابق، ص

ب- التهجير القسرى لمسلمي الأندلس بعد سقوط آخر معقل "غرناطة"

1/ أوضاع المسلمين المدجنين بعد سقوط غرناطة:

مارست السلطة القشتالية سياسة الاستمالة والعطف مع أهالي غرناطة بعد سقوط مملكتهم التي قاومت زهاء ثلاثة قرون من الزمن، ولم تكن هذه السياسة في سبيل التعايش مع المسلمين، ولكن خوفاً من فتيل الثورات والفتن داخل غرناطة، فأجبرت الأهالي على ترك السلاح والخروج من غرناطة نحو الأرباض والقرى بحيث لا يبقى بها إلا أولاد السراج خاصة!^[1]

باركت الكنيسة الكاثوليكية قرار طرد المسلمين وإجلائهم من الأندلس بصفة عامة، فأقنعت الملكين الكاثوليكين بضرورة تنصير المسلمين كافة، لكن رأى الملك أن الوقت ليس في صالحهما لإرغام المسلمين، فانتهجها سياسة اللين^[2] بصفة مؤقتة في السنوات الأولى بعد سقوط غرناطة، وما فسّر الرضوخ للمواثيق والعهد المبرمة قبل التسليم جاء بغرض طمأنة آخر سلاطين بني الأحمر وبموافقة من الفقهاء والأعيان، فجاء التنازل في ظرفية حتمية أرغمتها الأوضاع المعاشة.

مرّت فترة الهدوء وجاء وقت العاصفة، أصعب مراحل القهر والاضطهاد، وتلقّى شتى أنواع العذاب؛ فقد قضت سياسة الملكين الكاثوليكين فرديناند وإيزابيلا بتنصير أهالي غرناطة المغلوب على أمرهم وممارسة الكاردينال سيسنيروس سياسة قاسية مع الأهالي بعد توليه مهمة الإشراف على محاكم التفتيش بغرناطة، فالبعض منهم اختار أن يرتد عن الإسلام والتنصر بالديانة المسيحية، والبعض اتبع مبدأ الثقة (عدم إظهار الدين والتستر في أداء الشعائر) والتظاهر باعتناق الدين المسيحي، لكن النصارى في آخر المطاف تفتنوا لخدعة المسلمين في سبيل النجاة بأرواحهم، كما أن حقد النصارى ظلّ يتوجس باستقصاء أخبار المسلمين وترصدهم من حين لآخر.

لم تكن نيّة النصارى واضحة بشأن الإبقاء على المسلمين في مملكة غرناطة؛ إلا لفترةٍ وجيزةٍ خدمةً لمصالحها وتوفيراً للوقت من أجل غرس أظافرهم وبسط سلطانهم، لكن في الفترة التي عقبت التسليم، ظلّ الملك النصرانيان أنّ المسلمين لن يُعمّروا طويلاً في غرناطة خاصّةً وأنهم سيختارون اللجوء إلى الضفة الأخرى من المضيق، أو يختارون بلدان المشرق وإفريقية، لكن الظروف التي أحاطت بالمغرب الأقصى آنذاك حالت دون هجرة المسلمين؛ فقد تعرضت مدينة فاس لما جازها الأمير مُحمّد بن علي وقضاته وحاشيته وأهله وبقية المهاجرين

[1] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 44

[2] مُحمّد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 312

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

من المسلمين، للجوع والطاعون، فاشتدّ الغلاء وفرّ الكثير من المسلمين الذين هاجروا من الأندلس مولّين أديارهم نحو بلدانهم الضائعة^[1].

يبدو أن ظروف العيش في العُدوة المغربية، لم تلائم بعض المهاجرين إليها، والظاهر أنهم اختاروا الهجرة هرباً بأنفسهم وحمايةً لأرواحهم، ولما ضاقت بهم الأوضاع، اختاروا العودة للأندلس بأمر من النصاري، نحن لا ندري الظروف التي أحاطت بهم حتى اختاروا دار الكُفر على بيت الإسلام، لكن بيان تحريم أو كراهته قد بينته فتاوى الفقهاء، فجاءت الإجابة عن إحدى هاته المسائل في قضايا الهجرة، فأفتى الونشريسي بالهجرة من دار الكُفر باعتبارها فريضةً، فإن لم يوجد بلد إلا كذلك (أي دار كُفرٍ)، فيختار أقلها إثماً؛ فيكون في بلدٍ فيه جور خير من بلدٍ فيه كُفر، وبلدٌ فيه جور وحلال، خيرٌ من بلدٍ فيه عدلٌ وحرام^[2].

عانى المدجنّ في غرناطة من القهر والحرمان، فأن يعيش في بلاده أسيراً متحرّراً من الوقوع في خطأ يودي بحياته ويُعرضه لأشد أنواع التعذيب والتنكيل، لم يكن بالأمر الهين عليه، لكنه بالرغم من خضوعه للظروف وتسليمه للقدر إلا أنه وفي بعض الأحيان كان لا يتمالك نفسه عن الدفاع عن إسلامه والتمسك بعقيدته، تروي إحدى الروايات التي جاءت في دواوين التحقيق، أخبار أحد الموريسكيين الذي رفض شتم الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، ففي طريقه لاقتناء قنينة خمر وعند مدخل الحانة وجد نصرانياً يقول: "التحرق النار الخالدة محمداً، غير أن الموريسكي لم يتمالك نفسه عن الردّ: "إن محمداً يعد رجلاً خيراً وطيباً"^[3]، طبعاً نحن لا نعلم ملابسات القصة وما إن كان الموريسكي فعلاً قد ذهب ليقطني خمرًا، أو أنه التقى بالنصراني خارج الحانة، ولكن الذي يهمّ أن الموريسكي في كلّ الظروف كان مدافعاً عن دينه متمسكاً بعروبه. بيد أنّ أعداداً من هذه الجماعات من المدجنين قد بدأت تتغيّر أوضاعهم وتقلّ، ومستواهم يهبط بتوالي الأجيال، وانقطاع الصلة بمواطن العروبة والإسلام، فنجدهم يفقدون لغتهم قليلاً قليلاً، ولا يحتفظون منها إلا برسم الحروف العربية، يكتب بها القادرون على الكتابة منهم ما يريد تدوينه من عقود ووثائق^[4].

[1] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 44

[2] أحمد بن يحيى الونشريسي، أسنى المتاجر، المصدر السابق، ص. ص 26-29

[3] لويس كاردياك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون (المجاهدة والجدلية 1492-1640)، تعريب وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات المجلة

التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، 1983م، تونس، ص 23

[4] حسين مؤنس، مقدمة تحقيق كتاب: أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصاري ولم يُهاجر، لأحمد بن يحيى الونشريسي، المصدر

السابق، ص 19

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصرى

وفعلًا حدث هذا مع المدجنين الذين تنصّروا وأصبحوا موريسكيين، حيث استعملوا اللغة القشتالية (الاسبانية) مكتوبة بحروف عربية بدلاً من اللغة العربية التي حرمت عليهم وهي لغة الخيمادو Aljamiades أي الأعجمية^[1].

وينقل لنا صاحب بُدّة العصر صورةً عن الأوضاع المتأججة، والأحوال المتردّية للمُدجنين، وإكراههم على التنصر بقوله: "فخرجوا أدلّة صاغرين (الغرناطين)، ثم بعد ذلك دعاهم إلى التنصر وأكراههم عليه وذلك سنة أربع وتسعمائة، فدخلوا في دينه كُرْهاً وصارت الأندلس كلّها نصرانيّة ولم يبقَ من يقول فيها: "لا إله إلا الله محمّد رسول الله (صلى الله عليه وسلّم)"، جهراً إلا من يقولها في نفسه وفي قلبه أو خفيةً من الناس^[2].

كما تحكي بعض الروايات صعوبة التعايش بين الطرفين المسلم والنصراني، حيث إن النزعة الدينية والعصبية حلت محل السلام والتعاون، ولو أننا شهدنا في بعض الأحيان حالات المصاهرة بين المسلم الموريسكي والمرأة النصرانية، فمن الصعب خلق علاقة انسجام بين الاثنين بغضّ النظر عن جدّيتها، يقول لويس كاردياك: "إنّ من الصعب على موريسكي وسيدة مسيحيّة من سلالة عريقة أن يتعايشا معاً تحت سقف واحد ولو كانا مُتّحدين برباط الزواج، ذلك أنّ الجانب المسيحي يعرف جيّداً المعتقدات السريّة لقرينه، وسوف لن يتردّد تحت ضغط دواوين التحقيق الأخلاقي، أن يكشف عن جريمة (الكفر)^[3] طبعاً لن يكون هناك أي مجالٍ للشكّ أن الدراسات الاستشراقية لن تُنصف الإسلام والمسلمين، إلاّ من كان منهم موضوعي الطرح فالباحث لويس كاردياك هنا قد وصف الإسلام وتطبيق العقائد الدينية بجريمة كُفّر. من المعلوم أن ذهنية المسلم وتعصّبه الفُح لدينه يغلبان على أي نوع من العلاقات، فلا جدال في الدين، ولو جئنا لمسألة العلاقات بين المرأة المسيحية والرجل المسلم لضربنا أمثلةً كثيرةً حيّة، فنضرب مثل آخر بني سراج (أبي حامد) في رواية الفيكونت دو شاتور بريان^[4]، حيث إنه لما زار غرناطة مسقط رأس آبائه وأجداده، فُتن بفتاةٍ إسبانية (بلانكا)، هام بها وهامت به لكن النصرانية والمسلم حالت عقيدتيهما دون جمعهما، فلا هي أسلمت، ولا هو تنصّر فكلّ منهما بقي متمسّكاً بدينه وحلّ الفراق مكان الأشواق. من كلام أبي حامد آخر بني سراج يبدو أنه كان متمسّكاً بدينه وبرسوله الكريم.

[1] حسين يوسف دوزار، المسلمون المدجنون في الأندلس، المرجع السابق، ص 14

[2] مجهول، بُدّة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 44

[3] لويس كاردياك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، المرجع السابق، ص 20

[4] الفيكونت دو شاتور بريان، رواية آخر بني سراج، ترجمة، شكيب أرسلان، مطبعة المنار، مصر، 1925 م، ص 4 وما يليها

2/ تهجير المدجنين المفتعلين للفتن مع الإبقاء على فئة النبلاء (المتنصرين) والعمال والفلاحين:

بعد استلام الملكين الكاثوليكين فرناندو وإيزابيلا لمقاليد الحكم في مملكة غرناطة، أصبح يشغل بالهم بقايا الأسرة الحاكمة في الأندلس، وجالت في خاطرهم المخاوف من محاولة خلق انقلابات وفتن داخل الأندلس، فلم يكن وجود أبي عبد الله وأسرتة وحاشيته مطمئناً بالنسبة لهم.

- **بيع الذمم:** يقول الله تعالى في مُحكم كتابه الكريم: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ فَلِإِنَّ هَٰذَا اللَّهُ هُوَ الْهَادِ وَلَيْسَ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (الآية: 120 من سورة البقرة)، فالحقيقة أن أكثر من شجع النصارى وساعدهم على الاستقرار هم عدد من نبلاء غرناطة المتعاونين، فقد اعتنق الكثير منهم المسيحية، وتعايشوا مع السلطة الجديدة، واشتركوا في بعض الأمور من بينها عمليات توزيع الأراضي على النبلاء والمستوطنين المسيحيين. بقيت في مملكة غرناطة (الجديدة) مجموعة من الأسر المسلمة وحصلت على الامتيازات التي كانت تتمتع بها طبقة النبلاء، وذلك مقابل ما قدمته من خدمات إلى التاج... من بين هذه الأسر: أسرة بنيغاس، والثغري، ونونيت مولاي... إلخ، وتمتعت بكافة الامتيازات والجبليات... وتزوج أفرادها من أسر الفاتحين أو المستوطنين^[1] من كان يُصدّق أن أنبل الفرسان في البلاط النصرى الذين شاركوهم حروبهم وحملوا راية الإسلام والجهاد سيأتي عليهم يومٌ يبيعون فيه ذممهم ويرتدون عن دينهم مقابل دنياهم!

الحال هو مع الوزير السابق للسلطان النصرى أبي عبد الله، "يوسف بن كُماشة الحضرمي" comixaBen، فقد ربطته مع سلطانه "أبي عبد الله" علاقة وطيدة لكنه خان العهد والوعد، بعد أن كان مدافعاً ووسيطاً من طرف السلطانة عائشة الحرّة إلى ملك قشتالة فرناندو الخامس، ذلك سنة 890هـ/1485م، لتحرير سلطانه أبي عبد الله مُحمَّد^[2] وعمل جاسوساً لصالح الملكين الكاثوليكين، وكان يتصل سرّاباً أمين سرّهما فرناندو دي تافرا "Fernando de Zafra" الذي كان يسكن في مدينة غرناطة، ويبلغه بكلّ شيء عن تحركات أبي عبد الله، فُسحاته عبر الوادي، محادثاته، وكل ما شدّ وفدّ... وعلاوة على هذا تفاوض هذا الوزير مع الملكين الكاثوليكين حول بيع ممتلكات "أبي عبد الله" في البشترات، وذلك دون علم ولا توكيل خاص من عاهله السابق^[3] وأصبح ابن كُماشة راهباً وتنصّر.

^[1] مرثيديس غارثيا أرنال، شتات أهل الأندلس، المرجع نفسه، ص 105

^[2] أحلام حسن النقيب، المراسلات والمعاهدات والاتفاقيات بين مملكة غرناطة ومملكتي أرغون وقشتالة 695-897هـ/1296-1492م، مجلة دراسات تاريخية-العددان 115-116، جامعة دمشق، ص 241

^[3] مُحمَّد عبده حتاملة، محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها، المرجع السابق، ص 65

وجاء اليوم الموعود برحيل أبي عبد الله محمد بن علي النصرى وذلك في أواخر ذي الحجة من عام 898هـ/1493م رفقة أولاده ووالدته وأخته وكلّ حاشيته صوب أرض المغرب، وكذا ذهبت في نفس الاتجاه بعض الأسر من البشرا^[1] ويبدو أنّ الطائفة الدينية قد لعبت دوراً مهماً في إثارة الملكين في عملية إجلاء المسلمين من الأندلس كافةً. فكان للأحبار والرهبان دوراً أساسياً في عمليات التنصير وقمع بقايا المسلمين وإبادتهم، بقي على المسلمين الاختيار بين التنصير أو بيع أملاكهم والعبور إلى المغرب^[2].

لم يكن الإبقاء على فئة العمال والفلاحين حباً فيهمبل للاستفادة من خدماتهم الدؤوبين عليها، ذلك أن الموريسكيين حذقوا في خدمة الأرض والصناعات المتعددة التي مسّت ميادين البناء والتصليح، فقد اقتدى الإسبان بهم في مجال الزراعة والصناعة والعلوم والفنون^[3]، وتشيد المصادر الإسبانية التي تعود للقرن الثامن عشر بمهارة الفلاحين الغرناطيين، كما تشيد بتقنيات الإنتاج الفلاحي التي استعملوها والتي استمرت في إسبانيا المسيحية بعد زوال حكم المسلمين^[4] ففجأ بنفسه من معه صنعةً ومعرفةً كبرى بالزراعة والتجارة^[5] ووقعت على عاتق الكثيرين منهم أعمال شاقة لصالح النبلاء والكنيسة بأجور زهيدة وربما بلا مقابل في بعض الأحيان^[6]. ومن الرعيّة من اختاروا الهجرة، فبيعت أراضيهم وممتلكاتهم بأرخص الأثمان^[7] وبيعت جنان، وأرض، وحرث، وكرم وفدان المسلم بأقلّ من ثمن الغلّة التي كانت فيها، فمنهم من اشتراها من المسلمين الذين عزموا على الدّجن، ومنهم من اشتراها من النصارى وكذلك جميع الحوائج والأمتعة^[8].

3- دور الحرب في النمو السكاني: لقد شكّلت "أزمة الرقم"، تحبّطاً في المعطيات لتحديد عدد السكان القاطنين بمملكة غرناطة أمام تأزم الأوضاع وتقزّم المساحة الأندلسية بعد حملات الاسترداد في الأندلس، فلا يمكن الجزم بالعدد وضبط الكثافة، ذلك أن مملكة غرناطة كانت دار حرب، تفقّد رعاياها المجاهدين في الله وتستقبل النازحين الذين فقدوا أوطانهم.

[1] محمد عبده حتاملة، محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها، ص 69

[2] جمال مجايوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين (1492-1610م)، دار هومة، 2004م، الجزائر، ص 91

[3] محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 312

[4] خوسيه راميريث ديل ريو، الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية في غرناطة، المرجع السابق، ص 41

[5] علي المنتصر الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ص 195

[6] حسين يوسف دوزار، المسلمون المدجنون في الأندلس، المرجع السابق، ص 16

[7] شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ، أزهار الرياض في أخبار عيّا، الجزء الأول، ضبطه وحققه وعلّق عليه: محمد السقا، إبراهيم الأبياري، عبد

الحفيظ شلي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939م، القاهرة، ص 67

[8] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 43

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

تتم عملية حساب عدد سكان المدن الأندلسية بكيفية تقريبية، وخصوصاً تلك التي لا تتوفر على الإحصائيات، فتستعمل وسيلة لا تقدر قيمتها بثمن، وهي توسع مجال المدينة المحاط بسور، الذي نستنتج منه وضعيتها الديموغرافية، بطرح معادلة تتضمن مساحتها المعروفة والعدد المجهول لسكانها^[1] وينطبق ذلك على مملكة غرناطة فمسألة تحديد عدد السكان بقيت محل اختلاف في الكتابات التاريخية الإسلامية وحتى الإسبانية. خصوصاً في الفترة ما قبل بناء الأسوار حول المدينة، فقد لعبت هذه الأسوار دوراً مهماً في حماية المدينة بالإضافة إلى تحديد عدد السكان داخل كل ريبض. أهم هذه الأسوار نذكر سور ريبض نجد^[2] الجنوبي (Bibalachar)؛ الذي تم تشييده في فترة حكم السلطان محمد الفقيه (671-701هـ/1237-1302م)^[3] وسور البيازين، ويرجع الفضل في إدارة سور البيازين (Las Murallas de Albayzin) إلى الحاجب رضوان النصري^[4]. وقد عرفت غرناطة تطوراً ديموغرافياً كبيراً في القرن 13 وبداية القرن 14 الميلاديين، وهذا التوسع راجع لضم ريبضين محصنين: البيازين (في الشمال)، ونجد (في الجنوب)، فلا يمكننا الجزم في مسألة الكثافة السكانية بدقة مما يُرغمنا على تعريض الأرقام إلى النسبية ونقارب بين الأعداد، ونعقد المقارنة بينها لنخلص إلى رقم أقل ما يُقال عنه أنه قريب للرقم الحقيقي، نأخذ على سبيل المثال سنة 711هـ/1311م، في تصريحات البابا "كليمنت" على لسان دون "خايمي الثاني" ملك الأراغون في مجلس فيينا، صرّح بأن عدد سكان "غرناطة" قد بلغ في ذلك الوقت 200.000 شخص، منهم 500 مُدجّن، و50.000 من المرتدّين للديانة المسيحية، و30.000 من الأسرى المسيحيين^[5]، ويؤكد الباحث الإسباني فرانسيسكو بيرموديس هو الآخر أن عدد سكان غرناطة قد بلغ 200.000 شخص^[6].

^[1] ليوبولدو طريس بالباس، الحواضر الأندلسية، الجزء الأول، المرجع السابق، ص 167

^[2] وهو ريبض يقع خارج غرناطة متصل بجبل السبيكة، شمس الدين اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأبصار)، المجلد الرابع، المصدر السابق، ص 227

^[3] Manuel Gómez Moreno, Guía de Granada, Op. Cit. P:17-16

^[4] من بين الأعمال التي قام بها الحاجب رضوان النصري بالإضافة إلى السور الأعظم على الريبض الكبير المنسوب للبيازين، إنشاء المدرسة النصرية وأوقف عليها الرباع المغلّة وجلب إليها الماء، كما بنى ما ينيف عن أربعين برجاً منيعاً لحماية غرناطة من خطر الهجمات النصرانية، راجع: لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأول، ص 508-509

^[5] Esteban de Garibay, compendio historial de las crónicas y universal historia de todos los reynos de España (Ambres 1571), cap. XL, p : 1368

^[6] Francisco Bermúdez de Pedraza, Historia Eclesiástica, principios y progresos de la ciudad y reliquia católica de Granada, cap. XX, primera parre, Granada, 1638.

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

يُضيف الباحث الإسباني لويس سواراز فرناندز في كتابه "حرب غرناطة" إحصاءات حول عدد سكان غرناطة، فيذكر أن مدينة غرناطة ضمت 50,000 ساكن، ويُشير أن عدد سكان مدينتي "غرناطة" و"مالقة" بلغ 20,000 ساكن^[1]، وكان في بلش/مالقة عشرة آلاف نسمة 10,000 عند فتحها^[2] وذلك في بداية القرن الخامس عشر الميلادي، كما بلغت الكثافة السكانية لمدينة "مرسية" أكثر بقليل من 2 نسمة لكل كيلومتر مربع^[3]

أما في نهاية القرن الخامس عشر، فقد ارتفعت نسبة الكثافة السكانية بشكل مطرد، ولم يكن هذا بسبب ثراء مملكة "غرناطة" أو ازدهار اقتصادها، لكن النمو جاء بسبب نزوح عدد كبير من المسلمين المطرودين والهاريين من الأماكن التي كان الملك الكاثوليكي يغزوها، فمنذ عام 867هـ/1462م غادر المسلمون جبل طارق باتجاه مدينة غرناطة لحماية أرواحهم والاحتماء خلف أسوارها^[4]

أما الباحث الإسباني "لاديرو كيسادا" (Ladero Quesada) فيجعل عدد سكان مدينة "غرناطة" في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي حوالي 50 مليون نسمة، وعدد السكان في المملكة برمتها حوالي 300 ألف نسمة.^[5]

كما كشفت الوثائق الأراغونية التي يعمل عليها "أنطونيو سيرانو مونتالبو" (Antonio Serrano Montalvo) إحصاءً لعدد السكان المدجنين (الذين لم يكونوا قد أصبحوا بعد موريسكيين)، بعد سقوط غرناطة وقُدِّر عددهم بـ 50,000، وهذا العدد سيتناقص بعد هجرة المسلمين في فترة التنصير القسري^[6] وقُدِّر

^[1] Luis Suarez Fernández, Op.Cit, P : 118-119

^[2] مُجَّد عبد حتاملة، موسوعة الأندلس والمغرب العربي، (الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة)، الكتاب الأول-الجزء الثاني-دار المدار الثقافية، ط1، 2009م، البلدة، ص 696

^[3] Juan García Latorre, La Inmigración Norte-sur y el *pecado Original De la Demografía Española, La colección Mediterráneo Económico :precessos migración, Economía y personas, Vol 1, Cajamar, p 8

^[4] José Antonio conde afirma, Historia de la Dominación de los árabes en España, cuarta parte, cap, VI, Madrid, 1874, p:269

^[5] Ladero Quesada, *Datos demográficos sobre los musulmanes de Granada, en el siglo XV*, en Granada después de la Recoquista Repobladores y mudéjares, Granada, 1988, P.P : 235-243

^[6] أنطونيو دومينغيث أورتيت وبيرنارد فانسون، تاريخ الموريسكيين (حياة ومأساة أقلية)، ترجمة: مُجَّد بنباية، مراجعة: زينب بنباية ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط1، 2013م، أبو ظبي، ص122

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

بعض المؤرخين عدد من عُذّب من المسلمين بعد سقوط غرناطة بثلاثة ملايين نسمة، قُتل من قُتل وحُرق من حُرق^[1]

- كما أفادنا الأرشيف الإسباني، عن طريق رسالة الملك فرناندو بكشف إحصاء يُفيد فيه بعدد المهاجرين الذين أُجروا من مدينة المنكب باتجاه المغرب وقد بلغوا 1166 شخصًا^[2] بينما بلغ الذين هاجروا مع السلطان أبي عبد الله من حاشية وقضاة وغيرهم من أصحاب البلاط، 2.919 شخصًا^[3]

سجّلت الدِّراسات الإسبانية إحصاءاتٍ خاصّةً بسكان مملكة "غرناطة" أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، فقد بلغ سكّان المنطقة الحضريّة مائة وخمسين ألف شخصٍ، وقُدِّر عدد السُّكّان القاطنين بأحوال 'غرناطة' كمدينة "وادي آش"، "وادي لكرين"، "المرية"، "البشرات"، و"وادي نهر المنثورة"، ثلاثمائة ألف نسمة، أما المنطقة الرِّيفيّة فقد قُدِّر عدد سكانها بعشرة آلاف شخصٍ^[4]، طبعًا من المؤرخين الإسبان من اتفق على إحصاءٍ واحدٍ، ومنهم من ضخّم الأرقام، نحن لا نعلم أي رقم هو الرقم الحقيقي للسكان والأصعب أن الأرشيف الإسلامي المدوّن للتأريخ الغرناطي قد حُرق من طرف الإسبان في محاولةٍ لطمس الإسلام ومخلفات المسلمين، وبهذا لم يبق لنا سوى الاعتماد على الدراسات الإسبانية وعلى الأرشيف الإسباني في تقدير الأعداد والمساحات

- ولمعرفة الأعداد التقريبيّة للسكان في مملكة غرناطة، وجب الإحاطة بعدد المساكن، وبالمساحة داخل كل مسكن، حيث بلغت المساحة الإجمالية خلال القرنين 11-12 هـ حوالي 557.875 متر و75 هكتارًا حسب إحدى الدراسات الإسبانية والتي يقابلها وجود 4.406 بيتًا، وحوالي 264.36 فردًا^[5]، وفي القرنين 13-14 م بلغت مساحة المدينة في ضواحي البيازين 419,737 مترًا، و"منطقة الفخارين" و"ريص نجد" فبلغت 421,400 مترًا، ومجمع الحمراء 105,850 مترًا، والملاحظ أن منازل البيازين صغيرة جدًا وضيقة، حيث بلغ فيها عدد البيوت 2623 بيتًا، وبلغ عدد السكان 157,40 نسمة^[6]. (انظر الملحق رقم: 05)

[1] علي المنتصر الكتاني، انبعث الإسلام في الأندلس، دار الكتب العلمية، ط1، 2005م، بيروت، ص 195

[2] مُجَّد رَزُوق، الهجرة الأندلسية إلى المغرب، مجلة دراسات أندلسية، عدد16، المطبعة المغاربية، تونس، 1996م، ص 22

[3] نفسه، ص22

[4] مُجَّد عبد حتاملة، موسوعة الأندلس والمغرب العربي، المرجع السابق، ص 703

[5] Antonio María Fabiè. Viajes Por España, Libros de Antano., Madrid, 1879, p:559

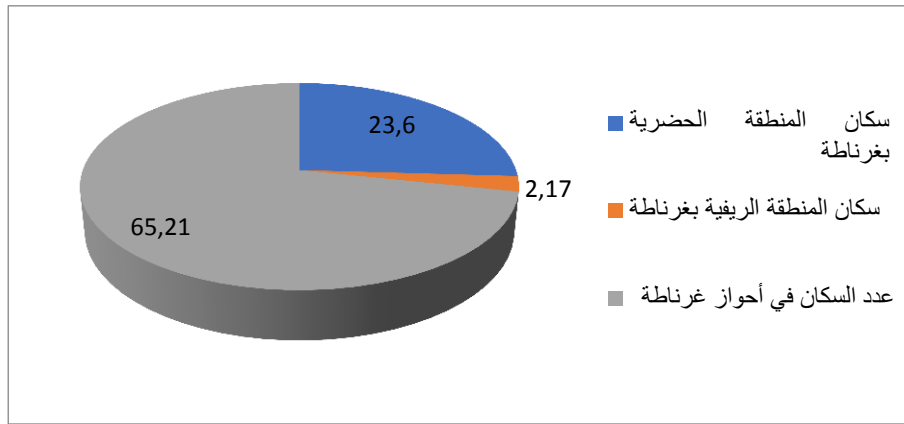
[6] Atienza Miguel Garrido, Las capitulaciones para la entrega de Granada. Granada: Estudios preliminar por José Enrique López. 1992.p :27

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

وفي منتصف القرن الرابع عشر، وبالضبط في عهد السلطان يوسف الأول، بلغ عدد البيوت في غرناطة 60 ألف بيت وذلك حسب إحصاءات الباحث الإسباني زريتا، كما يُصرّح أن عدد البيوت في فترة ازدهار غرناطة قد بلغ 80 ألف بيت^[1] ويذكر الباحث الإسباني (الفوينتي الكانتارا) أن غرناطة تربعت على مساحة 170 هكتارًا، خلال القرنين 14-15م وضمت 8,165 منزلًا يُؤوي حوالي 50,000 شخص^[2].

أما الباحث (ميجال قاريدو)، فيفيدنا بمعطيات عدد البيوت في مدينة غرناطة قبيل تسليمها فيقول: "ضمت غرناطة أكثر من 50 ألف بيت صغير"^[3] وفي نهاية القرن (15م) يُرجّح "منزر" أن عدد البيوت في "البيازين" كان (500) منزل، ويصل إلى (14.000) بيت في "غرناطة"، وقد يتجاوز عددها (1000.000)، ويُرجّح أن ذلك ممكنٌ بسبب صغرها وذلك في نهاية القرن 15م^[4].

الكثافة السكانية في مملكة غرناطة أواخر القرن 15م^[5]



التعقيب:

[1] Jerónimo Zúrita, « El principio de la Guerra y conquista del Reino de Granada y de la toma de Alhama », Anales de la corona de Aragón, lib XX. Cap XLII, Zaragoza, 1610, p : 210

[2] Alcántara M. Lafuente, El libro del viajes o en Granada, Op.Cit, p: 12-13

[3] Atienza Miguel Garrido, Op.Cit.:p:317

[4] Jerónimo Münzer, Viaje por España y Portugal Reino de Granada, Ediciones Método, 2008. Granada, p : 43

[5] اعتمدنا في الإحصاءات المبينة في شكل دائرة نسبية على إحصاءات قدمها الدكتور: مُجد عبده حتمامة، ينظر: مُجد عبده حتمامة، موسوعة الأندلس والمغرب العربي، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص 703

يبدو من خلال الإحصاءات المقدّمة أن نصل إلى استنتاجات حول أعداد السكان القاطنين في مملكة غرناطة، حيث أن الجزء الكبير من عدد السكان كان قد تركز بأحواز غرناطة خاصةً المدن الحيوية كـ "وادي آش"، "المرية"، "مالقة"... أما المنطقة الحضرية تأتي في المرتبة الثانية من حيث السكان، ونقصد بها "غرناطة" و"البيازين" والأرباض والقرى المحاذية لها، أما المنطقة الريفية فقد تكون شبه خاوية من السكان، ذلك لانعدام الأمن فيها فأغلبها إما أفقر تفتقر لحاميات، وإما صحاري يصعب العيش فيها، إلا من وجد صنعةً يجترفها كالفلاحة إن توفرت الظروف، أو للانتجاع، وهو الغالب على سكان البدو.

2: الحرب والأسرة:

عاش المجتمع الغرناطي على وقع الحروب واقفًا مريدًا ترجمه سوء الأوضاع الذي أدى إلى حرمانه من الجو الأسري باعتبار أنّ ربّ الأسرة خاصّة المسبّل نفسه في صفوف الجيش الغرناطي كان دائم الغياب عن أهله، وهذا ما سبب شرخًا في الأسرة، وترتب عن غياب ربّ الأسرة آثار سلبية، فتحملت الزوجة مسؤولية البيت في وجود أطفال، وغالبا ما كان الأمر ينتهي باللجوء إلى القاضي في محاولة لإيجاد الحلول، وقد تعددت الفتاوى الفقهية وفكّت الكثير من الملابس وأزاحت العقبات لتضمن استقرار الرعية ومن هذه القضايا المطروحة سنعرض مايلي:

أ- قضايا الطلاق على الغائب:

- حكم مفقود الحرب في المسائل الفقهية:

لم تكن الأسرة الغرناطية بمنأى عن واقع الحروب الذي ترتب عنه أزمات نفسية كانت الزوجة المتأثر الأول لوجود أطفال، فقد كانت المسؤولية ملقاةً على عاتقها فعانت الأمرين؛ بفقد زوجها ربّ الأسرة وعمود البيت، ثم حرمانها من مواصلة حياتها الطبيعية في إطار الزوجية، ومن ثمّ اختارت الانفصال والمطالبة بالنفقة أو إعادة الزواج، لكن الأطفال كانوا هم المتضرر الوحيد من الوضع، بسبب الواقع المرّ المعاش خصوصًا بعد إعادة امرأة المفقود الزواج مرة أخرى.

أتى لنا "ابن عاصم الغرناطي" في أرجوزته حكم المفقود في أرض الكُفر من غير حرب، بقوله^[1]:

وَحُكْمٌ مَّفْقُودٍ بِأَرْضِ الْكُفْرِ فِي عَيْرِ حَرْبٍ حُكْمٌ مِنْ فِي الْأَسْرِ
تَعْمِيرُهُ فِي الْمَسْأَلِ وَالطَّلَاقِ مُتَّبَعٌ مَا بَقِيَ الْإِنْفَاقِ

[1] مُجَدِّدُ بِنِ عَاصِمِ الْأَنْدَلُسِيِّ، مَجْمُوعَةُ الْحُكْمِ فِي نَكْتِ الْعُقُودِ وَالْأَحْكَامِ، تَحْقِيقُ: مُجَدِّدُ عَبْدِ السَّلَامِ مُجَدِّدُ، دَارُ الْأَفَاقِ الْعَرَبِيَّةِ، ط 2011، ص 1، الْقَاهِرَةُ،

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

وَكُلُّ مَنْ لَيْسَ لَهُ مَالٌ حَرِي	بِأَنْ يَكُونَ حُكْمُهُ كَالْمَغْسِرِ
وَإِنْ يَكُنْ فِي الْحَرْبِ فَالْمَشْهُورُ	فِي مَالِهِ وَالزَّوْجَةُ التَّعْمِيرُ
وَفِيهِ أَقْوَالٌ لَهُمْ مُعَيَّنَةٌ	أَصْحَاهَا الْقَوْلُ بِسَبْعِينَ سَنَةً
وَقَدْ أَتَى قَوْلٌ بِضَرْبِ عَامٍ	مَنْ حِينَ بَأْسٍ مِنْهُ لَا الْقِيَامُ
وَيُقَسَّمُ الْمَالُ عَلَى مَمَاتِهِ	وَزَوْجُهُ تَعْتَدُ مِنْ وَقَاتِهِ
وَدَا بِهِ الْقَضَاءُ فِي الْأَنْدَلُسِ	لِمَنْ مَضَى فَمُقْتَنِيَهُمْ مُؤَنَسِ
وَمَنْ بَأَزِضِ الْمُسْلِمِيِّينَ يُقْتَدُ	فَأَرْبَعٍ مِنَ السَّنِينَ الْأَمْسِدِ

فقبل ادعاء المرأة بوجوب الطلاق من فقيدها، لا بد من إثبات فقده في أرض القتال عند تمام السنة، فإذا لم يُسمع له خبر اعتدّت زوجته، وقُسّم ماله بين ورثته الموجودين يوم الواقعة، وإن لم يثبت حضوره في المعترك، فحكمه المفقود في أرض الشرك في غير قتال، يعمر في زوجته وماله، وقيل يعمر في المال فقط، ويُضرب له أجل أربع سنين في الزوجة، كمفقود أرض الإسلام^[1]

ومسائل حُكم طلاق الغائب تعددت بتعدد حالات الفقد، فقد جاءت في إحدى المسائل المطروحة "الأبي العباس الونشريسي"؛ عن امرأتين أرادتا القطع على زوجيهما بحُكم المغيب، وعدم النفقة، وأثبتتا المغيب وشروط القطع كلها، فهل تحلف وتطلق نفسها؟ ومعلوم أنها لم تقبض نفقةً ولا كسوةً ولا يدعي أحد عليها. وإذا قلت بحلفها، وهو الأظهر فأين يكون؟ هل في أقرب المساجد إليها أم في الجامع الأعظم؟ فأجاب: لا بد لها من اليمين لتستوي السفية من الرشيدة، والاستبراء بالحلف في الجامع.^[2]

وقد اختلف الفقهاء في تحديد عدد الشهود الشاهدين بموت المفقود، وذلك من خلال إحدى النوازل التي جاء فيها السؤال عن اعتداد المرأة يوم ذكر الشاهدين بموت زوجها وتقسيم ماله؟ فابن القاسم يذكر أن العشرين يُقبل قولهم، وعن أبي زيد حُكي أنه يقبل قول الثلاثين منهم، أما سحنون، فلا يقبل قولهم، أما أبو عمران الفاسي، فلا يُبالي كانوا رجالاً أو نساءً، عبيداً أو أحراراً، أما أهل الأصول فلا تحديد عندهم خمسة فأكثر^[3].

[1] أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج3، تحقيق جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1981، ص 338

[2] أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار، ج4، المصدر نفسه، ص 114-115

[3] أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار، ج3، المصدر نفسه، ص 268

كما طُرحت على قاضي الجماعة ابن سراج مسألة حول مجموعة من الفرسان فُقدوا في معترك القتال منذ عامين ونصف وثبت على السنة أهل العدل أنهم قُتلوا واستشهدوا فهل يجوز لنسائهن أن يتزوجن وتُقسم أموالهن؟ فإن شهد فيه بالسمع الفاشي أنه استشهد في المعركة يقع الطلاق ويرثه ورثته الأحياء يومئذٍ، كما هو الحال أيضاً في فتوى اللخمي على المفقود في بلد حل به داء سواء الطاعون أو غيره ما إن يُحمل خبر موته للزوجة الحق في الزواج ولورثته الأحياء ميراث إن وُجد^[1].

-ثبوت عدّة زوجة المفقود لإعادتها الزواج: أما من اختارت الزواج للمرة الثانية، فلا بد لها من إتمام عدّتها من زوجها المفقود بدار الحرب حتى تنكح زوجاً غيره فطُرحت مسألة على "ابن رشد" من جهة "المرية" عن الأجل المضروب للزوج المفقود فكيف يُضرب للنساء لهن من الأجل؟ وكيف إن طُلقت امرأة منهن بشرطها في المغيب كم تعتد؟ وإن كان شرطها بعد أن تحلف فطلّقت نفسها في موضع لا حاكم فيه وتزوجت دون أن تحلف؟ فيُرفع أمرها بعد سنة كاملة من البحث، تأخذ شرطها وتطلق وعدّتها ثلاثة أقرء إذا كانت من أهل الحيض، وثلاثة أشهر إن كانت يائسة من الحيض^[2].

-مطالبة زوجة المفقود بالنفقة: لم تكن مسألة فكّ العصمة الزوجية وحدها محلّ اختلاف وجدل في المسائل الفقهية، بل أن مسألة النفقة عُدّت أهم قضية طُرحت في النوازل، فمن الجلي أن حالات زواج المرأة للمرأة الثانية لم تكن استثناءً زمن الأزمة الأندلسية المتجسّدة في الحروب والفتن وفي المجاعات والأوبئة، مما تنجر عنه اختلافات عدّة حول الإنفاق على الأبناء وتربيتهم^[3] أو الاستفادة مسبقاً من ميراث من الزوج المفقود فتُسقط النفقة. فجاءت مجموعة من الأسئلة في باب نوازل الطلاق والنفقة بدعوى من الزوجات لرفع الضرر، ذلك أنّ الحاجة لكفالة الأطفال كانت تقتضي بحصول المطلقة على مالٍ معلوم لإعالمتهم، ثم إن الشرع أقرّ بوجود تقديم النفقة لرفع الضرر عن المرأة.

سئل القاضي "ابن سراج" في امرأة فقد زوجها، ورفعت أمرها بموضعها بعد فقده بمدّة، وكانت قد أخذت نفقتها وكسوتها من مال المفقود من يوم فقد إلى يوم رفعها وكسوتها من مال المفقود وسائر فرضها من يوم رفع الأمر، ولم يثبت لها شيء مما قبل ذلك.^[4] ومسألة تقدمت بها الزوجة حول الأَوْلاد في النفقة حيث كان

[1] أبو القاسم بن سراج الأندلسي، فتاوى، المصدر السابق ص 153-154، أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب

عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج4، المصدر السابق، ص 240-241

[2] أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار، ج4، المصدر السابق، ص 483

[3] محمّد المواق ومُجد الرّضاع، الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية، المصدر السابق، ص 74

[4] أبو القاسم بن سراج الأندلسي، الفتاوى، المصدر السابق، ص 149

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

السؤال عمن غاب في الأندلس وترك زوجة وطفلة منها وطفلاً من غيرها مطلقة، فلما كان الآن أنفذ سبعة دنانير في المركب الأول واثني عشر في المركب الثاني ولم يترك لأولاده وزوجته نفقة، فقامت أم الطفل تريد محاسبة الزوجة والابنة بوزن ابنها، فقالت الزوجة أنا أولى. وقد كانت قبضت السبعة دنانير وأنفقتها.^[1]

وهناك من النساء من أنفقت على نفسها طول مدة فقد الأسير أو المفقود فإن كان ترك لها مالاً تتصرف به بموجب الاتفاق فلها ذلك، وأما من زعمت بإنفاقها على نفسها من مالها وطلبت تعويض ما أنفقت ففي المذهبين قولان: أحدهما أنها تحلف على أنها أنفقت من مالها، والحكم الثاني أن لا شيء لها. وإذا كانت رفعت أمرها فتجيء الأقوال ثلاثة في المدة الماضية: الثبوت، والنفي، والتفصيل بين أن تكون قد رفعت أولاً، وموضع الوفاق إذا طلبت من يوم الرفع لكن لما يستقبل^[2]، والفرق بين امرأة المفقود وأم ولده في النفقة؟ هي إحدى المسائل التي طرحت لابن أبي زيد فقيل له: "ما الفرق بين امرأة المفقود وأم ولده إذا يكن له مال. فقال: "في المرأة تطلق عليه بعدم النفقة"، وقال في أم الولد: "لا تعتق عليه بعدم النفقة."^[3]

وهناك من الأقارب من تطوع وأدى نفقة المفقود، وطرحت المسائل في ذلك ومنها ما يأتي: سُئل عن رجل غاب عن زوجته وادعت أنه لم يترك لها زوجها شيئاً ورفعت أمرها إلى السلطان وأرادت الفراق إذ لم يترك لها نفقة ثم إن رجلاً من أقارب الزوج أو من الأجانب قال لها أنا أؤدي عنه النفقة ولا سبيل لك إلى فراقه^[4] أما عن مسألة إعادة الزواج لامرأة غاب عنها زوجها وأثبتت موجبة الغيبة وطلقت نفسها ثم تزوجت؟ فبعد إثبات الفقد للزوج فإن الفتوى تأخذ بالأسباب منها الحلف والاستبراء من ماء فاسد والتأكد من أنها لم تتزوج وقت العدة فإذا طرأ أحد الأسباب فإن نكاحها باطل.^[5]

ومن بين القضايا الشائكة التي شكلت منحنى آخر في المجتمع الأندلسي، عودة المفقودين بعد إثبات الطلاق فما الحكم في استمرارية الزواج؟ وقد جاءت نازلة تسأل عن المرأة إذا قامت في مغيب زوجها بعدم النفقة فأثبتت ما يجب إثباته وضرب القاضي لها أجلاً ثم حلفت وطلقت نفسها وأباح لها القاضي النكاح فتزوجت ودخل بها زوجها ثم قدم الزوج الأول وأثبت أن نفقته كانت عليها. فالجواب بفسخ النكاح الثاني والرجوع للأول.^[6] من النساء من تقدمن بطلب للقضاة بدعوى تزويجهن بعد فقد أزواجهن فجاءت في

[1] أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار، ج4، المصدر السابق، ص 41،

[2] أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار، ج3، المصدر السابق، ص 232

[3] أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار، ج4، المصدر السابق، ص 20

[4] نفسه، ص 19

[5] أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار، ج3، المصدر السابق، ص 230

[6] أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار، ج4، المصدر السابق، ص 19

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

إحدى النوازل امرأة تذكر أن لها زوجًا غائبًا عنها في بلدها غيبة منقطعة، وأخرجت صداقها مجهول الشهود، واسم زوجها مجهول، ولا يُعرفُ صدقها من كذبها. وقد شكّت الضيعة، وأنها إن بقيت خافت على نفسها وحالها الفقر، فهل تطلق عليه بما تقدم؟^[1]

- **مسألة إرث المفقود وتقسيمه:** من أهمّ القضايا الشائكة التي تُطرح على القضاة مسألة الإرث وتقسيم التركة، حيث أنّ الأطراف الوارثين كانوا يتخاصمون على الميراث، جاءت دعوى في ميراث مفقود توفي له ولده، هل يرث أباه المفقود أم يرثه المفقود؟ فالجواب يُضرب للمفقود الأجل سنةً من يوم الرفع، فإن لم تثبت حياته وحكم القاضي بموته يوم الكائنة فيورث منه ولده الذي مات بعد فقده. وإن لم يحكم بموته يوم الكائنة، وهو البين، فلا يورث منه^[2].

كما جاءت مسألة في جواز بيع القاضي على الغائب بعد تقصي الموجبات، حيث سُئل عن قاضي أراد أن يبيع على غائب رباعه في حق عليه بعد تقصي الحكم الواجب في ذلك. فامرأة المفقود إذا تم أمر إباحتها للأزواج وقدم زوجها بعد بناء الثاني بما فهذا أحق بها لأنه حكم نفذ، وقد فاتت بالبناء المستند فيه إلى الحكم، وإن لم يبين بما فقد اختلف في ذلك، والأكثر أنها فاتت، فتقدير انتقال الملك من التقادير التي لا تقدر لأنه المقلد في الحكم الغائب، وتقدير موت الغائب أرجح من تقدير حياته، لأن امرأته التي لم يبين بما اختلف في تكميل صداقها، والمشهور إكمالها.^[3]

كما اختلف في الفتاوى حول الشراكة في الميراث، فكان التقدير على حسب ما يلحق بالدار مثلاً من بئر محفور أو غرس وزرع فعلى حسب ما قُدّم من عمل ونفقة الإصلاح^[4] وفي الغالب كانت الأراضي الموروثة تشكل أكثر المسائل المطروحة على القضاء الأندلسي، وكانت الأراضي في أغلب الأحيان تُقدّم كمهر للمرأة قبل الزواج^[5]

[1] أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار، ج3، المصدر السابق، ص 112

[2] أبو القاسم بن سراج الأندلسي، الفتاوى، المصدر السابق، ص 155

[3] أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار، ج5، المصدر السابق، ص 52

[4] نفسه، ص 52-53

[5] نفسه، ص. ص 406-408

ب- قضايا الأطفال اليتامى بمملكة غرناطة:

1- كفالة يتيم الحرب:

آلت وصاية الأطفال بعد فقدان الآباء؛ للأُم والأقربين في مسألة الزواج وقد أنصفت المسائل الفقهية هذه الفئة باعتبارها فئة ضحية فالواجب إثبات البلوغ لعدم إلحاق الضرر، ثم الكفاءة أي كفاءة الزوج والمساواة في المنزلة والمركز الاجتماعي والمستوى الخُلقي والمالي، وأمثلة الصداق المبذول لها، فَعُرِضَتْ عِدَّةُ أسئلة على القضاة فيما يخص تزويج بنت المفقود ومنه السؤال الذي طُرح على "أبي سعيد بن لُب" في رجلٍ فُقد في أرض العدو وتَرَكَ بنتًا بالغًا وأمها وعمها يريدان تزويجها فما الحكم في ذلك؟ وما تحتاج في زواجها من الموجبات؟^[1]

كما جاءت مسألة أخرى من باب وصاية الأم على بنتها البكر التي فُقد أبوها بأرض العدو، وقت عقد البنت كانت الأم هي الوصية، وأنها تُزَوِّج بدون استثمار فزوجها عمّها وشهد على الأم بالإذن له لاحتمال وفاة الأب، واستؤمّرت البنت لاحتمال حياتها، وكتب بذلك إيجاب، ونَحَلَّتْها الأم من مالها جميع ما يظهر ببيت بنائها، وظهر بعد ذلك من البنت الرضا لمن كان يراها من النساء، وقبضت لها الأم المذكورة النقد بعد أشهر، طلعت للحضرة وحرصت عليها للضم، ثم بدا للأُم والعم في ذلك، وأفسدا البنت، وادعيا أن لم تُستأمر ولا حضرت، وقالوا إن البنت قد أحرقت الإيجاب المذكور، فسئل الشهود عن الشهادة فقالوا أنهم لم يعاينوا البنت وقت الإشهاد، وإنما عرفهم بها العم المذكور، فالسؤال كان ما يكون الحكم على البنت، هل عليها يمين أنها لم تعلم ولا رضيت، وهل يجب على الأم شيء من إضاعة الإيجاب، وفي إنكار الإيضاء المذكور، وفي النحلة التي نَحَلَّتْ إن امتنعت منها الآن؟ وهل على العم أو على الشهود حيف أم لا؟ وأبوها إلى الآن لم يُسمع له خبر.^[2]

- أحياناً ما كان الآباء يوصون بمن يكفل أبناءهم بعد وفاتهم فكان منهم من لا يحفظ الأمانة ويرعاها فيبدد ممتلكاته من دور ومحاصيل وكروم وغيرها، وتجدر الإشارة إلى أن كفالة اليتيم من قبل أحد الأشخاص لا بد أن تكون موثقة وكان على الوصي أن يكتب براءة لهذا اليتيم إذا وصل إلى حد البلوغ، وقد عرف اليتامى حزنهم الدائم وتعرضهم للغبن وهو ما سجلته أمثال العوام.^[3] ومن بين العقود الغرناطية التي وُجدت كوثائق بعد

[1] أبو سعيد ابن لب الغرناطي، تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص 20-21

[2] أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار، ج3، المصدر السابق، ص 188

[3] نجلاء سامي النبراي، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية للطفل بالأندلس، رُفِعَ الكتاب من شبكة الألوكة، الموقع الإلكتروني،

www.j4know.com، بتاريخ 20-10-2015، ص 20

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والإقتصاد النصري

سقوط المملكة وثيقة حكم بإقامة وصاية على الأيتام، ووثيقة تقديم، وشهادتان بتقدير نفقات وصاية، وشهادة عشرة عدول على حاجة يتامى صغار إلى وصي، وشهادتان بثبوت أو إعلام^[1]

- كانت فئة "الصبيان"، غير البالغة تعاني نفسيًا بفقد الأب رب العائلة، فالصبي اليتيم شبّ عوده في أسرة ينقصها الأب، وفي الأحيان كان يشبّ ويكبر في كنف زوج أمه إذا ما أعادت الزواج من شخص آخر، وكان موضوع إعالة وكفالة اليتيم تلقين اهتمام الفتاوى لما لهما من أثر على المجتمع .

2-الطفل الأسير في دار الحرب:

اتسمت فترة حكم السلطان النصري "يوسف الأول" (733-755هـ/1333-1354م)، بسن قوانين للرعية جاء في إحداها؛ حظر قتل رجال الجيش النصري للأطفال والنساء ، هذا وإن دلّ على شيء إنما يدل على سماحة الإسلام والمسلمين ورافتهم بهذه الفئة من المجتمع^[2] كما أنّ الدراسات الإسبانية تحدثت عن هذه الفئة، فذكر أن ملوك النصارى كانوا يستنون فئة الشيوخ الكبار الطاعنين في السن والنساء والأطفال المسلمين من القتل، لكن يتمّ سبيهم ويمكن استخدامهم كسجناء أو عبيد عند النصارى، أما الفقهاء فقد أزموا سلاطينهم بافتداء هذه الفئة، وأنه لا ينبغي إطلاق سراحهم إلا برفقة والديهم إن وجدوا، ثم لا ينبغي بيعهم مقابل المال، بل يتمّ استخدامهم في عملية تبادل الأسرى^[3].

- عاشت فئة الصبيان فترات صعبة في كنف دولة بني نصر، ذلك أن غرناطة كانت بؤرة حرب فالخطر على أرواحهم كان يلوح دائمًا، وقد شبّت هذه الفئة منذ الصغر على حمل السلاح^[4] للدفاع عن الإسلام فمسؤولية الجهاد كانت على الصغير والكبير، ويبدو أن الجنود الغرناطيين كانوا يصطحبون صبيانهم في الحروب، ذلك من أجل تهيئتهم نفسيًا لجو الحرب وتدريبهم على طرق واستراتيجيات الجيش الغرناطي في صدّ النصارى والهجوم عليهم.

-ومن تداعيات الحرب على فئة الأطفال عقب قرار الطرد بعد سقوط مملكة غرناطة، ذلك القرار الذي نصّ باصطحاب المسلمين أطفالهم مهما كانت أعمارهم هذا إن اختاروا الهجرة إلى بلدان كاثوليكية، أما إذا كانت هجرتهم إلى المغرب العربي فلن يسمح لهم باصطحاب أطفالهم، الذين تتراوح أعمارهم ما بين سن 5 إلى 12

[1] لويس سيكو دي لوثينا، وثائق عربية غرناطية، المرجع السابق، ص 9

[2] مُجد كمال شبانة، يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة، المرجع السابق، ص 122

[3] Raúl Gonzalez Arèvalo, cautivarío y esclavitud en el Reino de Granada, Op.Cit, p : 118-119

[4] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 33

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصرى

سنة، وعليهم تركهم في إسبانيا، ليربوهم تربيةً خاصّةً في المعاهد المسيحية، ويلقنوهم النصرانية، ليزرعوا في قلوبهم التعصب ضد ذويهم، وبعد نضجهم يستعملوهم أداةً للتجسس عندما يُعادون إلى أهاليهم، وينقلوا أخبار أهاليهم للأسبان^[1] ويبدو أن فئة الصبيان لم تسلم من مضايقات النصارى من خلال الشروط التي أنزلتها على المسلمين، حيث أنه في سنة 890هـ/1490م أصدر الملك "فرديناند" أمرًا بمنع المدجنين من الخروج من مملكته ومعهم أولاد دون الأربعة عشر من العمر ذلك خوفًا من فرارهم إلى دار الإسلام^[2].

آلت الأوضاع إلى السوء، ولم يبق بيد المسلمين من وسيلة للهروب من واقع التنصير سوى قتل أبنائهم^[3] من البديهي أن البنية الذهنية للصبى تتعرض للضغط والانهيار، فليس من السهل أن تتكون شخصيتهم على أسس سليمة تزامنًا والعيش في أرض الحرب، فالخوف والفرع يُلازمان هذه الفئة على مرّ السنون، تُفقدنا إحدى الأخبار عن حالة الصبي المدجن بأرض النصارى، حيث أنه أيام حكم الملك القشتالي جان الأول صدرت منه أوامر بأن كل مسيحي يُربى في بيته مدجنًا له الحقُّ كلُّ الحق أن يؤدبه بالسياسة^[4].

وفي سنة 826هـ/1423 أضافت المحاكم المسيحية شرطًا ثقيلًا، وهو تسليط العذاب الشديد على المسلم الذي يمنع ابنه من التنصّر واعتناق الدين المسيحي^[5] ويبدو أنّ النصارى قد استمالوا أذهان هذه الفئة بتوفير العيش الرغد ويمكن تبرير ذلك بالقرار الذي أصدره الدون جان سنة 780هـ جاء فيه أنّ من تنصّر من أبناء المدجنين ومات أبوه فله نصيبه من الإرث كما لو بقي مسلمًا^[6] يبدو في تحليلنا للمعلومات المقدمة أن إرث المسلم المدجن كان يتعرض للسلب من طرف النصارى فلا يستفيد منه الأعقاب، وهذا يُعدّ شرعًا حرام، وإن دلّ هذا على سياسة التضييق على المسلمين محاولةً منه في تنصيرهم وصهرهم في المجتمع المسيحي.

- تذكر المصادر الإسلامية دور السلاطين في الرأفة بفئة اليتامى والأرامل، فلا غرو أن نجد مؤسس المملكة يعقد للناس مجلسًا عامًا يومين كل أسبوع فترتفع إليه الظلامات^[7] وحذا حذوه أعقابه فشُغلوا بأمر الرعية فالسلطان "مُجدّ الفقيه" ثاني سلاطينهم انجلت في عهده الظلمات^[8] "مُجدّ بن نصر"، ثالث سلاطينهم كُتب على قبره "...

[1] مُجدّ عبد حتاملة، موسوعة الأندلس والمغرب العربي، المرجع السابق، ص 671

[2] شكيب أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس، المرجع السابق، ص 169

[3] حسين يوسف دوزار، المسلمون المدجنون في الأندلس، المرجع السابق، ص 17

[4] شكيب أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس، المرجع السابق، ص 167

[5] نفسه، ص 168

[6] شكيب أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس، المصدر السابق، ص 169

[7] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 95

[8] لسان الدين بن الخطيب، اللحمة البدرية في الدولة النصرية، المصدر السابق، ص 79

المتوسّل بما أسلفوه من أعمال البرّ والجهاد، ورعاية البلاد والعباد^[1] في عهد السلطان " أبي الجيوش " نصر ابن مُجّد، أحاطت الأزمات بالمسلمون في عهده لكنه كان محبًا للخير... قليل الشرّ^[2] السلطان يوسف الأول " أبو الحجاج " نسيج وحده" كما قال ابن الخطيب عرف عصره الازدهار وبلغت المملكة أوج قوتها " سدد الله أمور المسلمين على يده، وراخى محنّ الشّدّة على يده^[3] وبحسب ابن الخطيب فإن السلطان "إسماعيل بن يوسف" كان مذموماً من قبل رعيّته^[4] وكذا في عهد البرميخو " مُجّد بن إسماعيل"، فقد كان دمث الأخلاق وعانت الرعيّة في فترة حكمه^[5] أمّا السلطان مُجّد الخامس " الغني بالله" فقد كان يعيّن الصدقات في أوقاتٍ عديدة، ويقعد لمباشرة المظالم ست عشرة يوماً في كلّ شهرٍ من شهور الأهلّة، يصل إليه فيها اليتيم والأرملة، فيفرح الضعيف، وينتظر حضور الزمن^[6].

3- الأسر والقتل:

أ/ أسرى الحروب:

أكثر فئّةٍ تضررت من أوضاع الحرب، فئة الأسرى التي فرضت عليها الأوضاع الأمنية واقعاً مريئاً، والواقع أن عملية الأسر قد مسّت المسلمين وحتى النصاري، وحصلت فيما بعد عملية افتداء الأسرى كما سنفضّله. امتلأت بيوتات المسلمين وسجونهم في المملكة بالعديد من هؤلاء الأسرى النصاري، حتى وصل الأمر ببعض أن يذكر أن عُشر سكان غرناطة فقط كانوا مسلمين من الأصل، وأنه من بين مائتي ألف من سكان غرناطة لم يكن يوجد سوى خمسمائة من أصل عربي خالص، أمّا الباقي فقد كانوا من نسل الذين تحولوا عن المسيحية إلى الإسلام.^[7] ردّاً على مثل هذه التهكمات النصرانية في حق أصل المسلمين العربي الخالص والذي عمّر بقوّة مملكة غرناطة نذكر قول لسان الدين ابن الخطيب: " وأنسأهم عربية وفيهم من البربر والمهاجرة كثير "^[8].

من البديهي ألا نأخذ كلّ ما تواترت الأخبار الإسبانية على محمل الجدّ، وأن نأخذ الوقائع بمحمل طرح اجتماعي، بعقدنا للمقارنة بين الروايات العربية والإسبانية، وتُفيد القرائن الموجودة من وثائق تابعة للأرشيف

[1] لسان الدين بن الخطيب، اللوحة البدرية في الدولة النصرانية، ص 94

[2] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثالث، المصدر السابق، ص 334

[3] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الرابع، المصدر السابق، ص 319

[4] لسان الدين بن الخطيب، اللوحة البدرية في الدولة النصرانية، المصدر السابق، ص 152

[5] لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في غلالة اغتراب، المصدر السابق، ص 183-184

[6] لسان الدين بن الخطيب، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 35

[7] حميدو عبد المنعم، الدور السياسي والحضاري للمرتزقة والأسرى منذ قيام الخلافة الأموية في الأندلس وحتى سقوط غرناطة(316-897هـ/1492-1492م)، مؤسسة شباب الجامعة، 2014م، الإسكندرية، ص 445

[8] لسان الدين بن الخطيب، اللوحة البدرية في الدولة النصرانية، المصدر السابق، ص 63

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

الأراغوني، والذي أحاطنا بمجموعها الأستاذ عمر سعيدان وجود معاهدات بين الطرفين الغرناطي، والأرغوني في مسألة تحرير الأسرى سواءً المسلمين أو النصارى. فالوثيقة تحت الرقم 4 المؤرخة بتاريخ 18 جمادى الثانية 716هـ/ 8 من سبتمبر 1316م، كتاب من والي قسبة البيرة يوسف بن مُجَّد بن كُماشة من قبل السلطان مُجَّد بن الأحمر النصري، إلى دون "أرتو طراش" والي "أوريولة"، حيث يورد في قسمها الثاني من الرسالة موافقة السلطان على طلب والي أوريولة بإطلاق سراح النصارى و"بِطْرُ دُو لَازِمَةُ" الفكّك، وإذنه بإطلاق سراحهم وإعادة تمّ سالمين^[1]

كانت مسؤولية تحرير الأسرى لزاماً على المسلمين، فقد بذل سلاطين بني نصر جهودهم في ربط العلاقات مع النصارى من أجل الحوار واللجوء لحلول وسطية في عملية الافتداء، إمّا عن طريق شن غارات واسترجاع الأسرى من السجون، أو عن طريق إبرام المعاهدات في سبيل تبادل الأسرى المسلمين والمسيحيين مقابل مال معلوم، وتُفيدنا المعلومات الرقمية حول افتداء الأسرى بغرناطة بأثمان باهظة إذ وصل ثمن بيع حكيم عربي عام 695هـ/1296م بمبلغ مالي قدره (100 جنيه)^[2] كما أشار الإسباني لويس سيكو دي لوثينا إلى الثمن الباهظ الذي دُفع في سبيل افتكاك أسير ما بين 130 إلى 200 درهم.^[3]

في تحليلنا لموضوع الأسرى يتوضّح لنا جلياً الوضع العام المتأزم للمملكة؛ فهي ملجأ الألوفا من الفارين للاحتماء داخل أسوارها، وهي التي أثقلتها ضريبة الجزية وأرهقتها طول سنوات صمودها، وهي التي تُحرر أسراها مقابل أموال باهظة، الواقع أن المملكة النصرانية ستلجأ إلى تكثيف غزواتها للحصول هي الأخرى على أسرى مسيحيين محاولةً في خلق التوازن والتفاوض في عملية التبادل لإنقاذ خزينتها من الإفلاس.

هنالك تفسير آخر لسببية الزيادة في سعر عملية فداء الأسرى، تُفيدنا المعلومات بوجود فئة من الأطباء والعلماء المسلمين المأسورين عند النصارى، ونحن نعلم أنّ هذه الفئة شاركت في عملية الجهاد واقتيدت للحروب، من نافلة القول نستنتج أنّ النصارى قد استفادوا من خدمات هذه الفئة في عملية تحصيل المعلومات، سواءً (كجواسيس)، يحتفظ بهم الملوك للتزود بأخبار الطرف الآخر^[4] أو الاستفادة من خبراتهم حيث أنه في وثيقة مؤرخة بعام (743هـ/1342م)، استفاد ملك الأراغون "بيدرو الرابع" "Pedro IV" من

[1] عمر سعيدان، العلاقات الإسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر الميلادي، المرجع السابق، ص. 60-64

[2] عدنان خلف سرهيد، التأثير الحضاري المتبادل بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، دار حميثرا للنشر والترجمة، 2018م، ص 71

[3] لويس سيكو دي لوثينا، وثائق عربية غرناطية، المرجع السابق، ص 23

[4] Raúl Gonzalez Arévalo, cautivar y esclavitud en el Reino de Granada, (Siglos XIII-XVI), Vínculos de Historia, VOL 3, Universidad de Granada, 2014, p: 237

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

خدمات طبيب عيون من المسلمين الأسرى في معالجة أحد أعوانه، كما أنه خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، استفاد النصاري من الأسرى المسلمين في عمليات نسخ المخطوطات العربية وبالتالي نقل المعارف إلى أوروبا المسيحية^[1].

إنّ عملية الأسر كانت تُؤتي أكلها في كلِّ مرّة يكون الأسير شخصيةً من النبلاء، هذا من شأنه أن يجعل أحد الطرفين في حالة ضِعف، من الأمثلة ما يكفي للاستشهاد به؛ في عهد السلطان النصري "أبي عبد الله مُحمَّد الثالث" الذي غزا بالجيش الغرناطي مدينة المنظر وسيقت في جملة أسرى المدينة "العلجة" إحدى السبايا ليتضح أنّها صاحبة المدينة، خصّ بها فيما بعد ملك المغرب.^[2] وفي عهد السلطان النصري الغالب بالله "أبي الوليد إسماعيل"، قاد شيخ الغزاة أبو سعيد سنة تسعة عشر وسبعمئة، جيشًا لمنازلة النصاري في الجزيرة الخضراء، فأنهزم الكثير من النصرانيين، وسيق للأسر ما لا يحصى حتى قيل أنّ بيع الأسرى كان مدّة ستة أشهر، من بين السبايا اللواتي وقعن في الأسر زوجة ملك قشتالة آنذاك وأولاده، فبذلت في نفسها مدينة طريف وجبل الفتح وثمانية عشر حصنًا، فلم يقبل المسلمون!^[3] هل من المعقول أن يفوّت المسلمون فرصةً ذهبيةً كهذه؟ أم أنهم رأوا في ذلك ابتزازًا للنصاري وضربةً موجعةً حتى لو رُوّح عليهم ذلك فرصةً كهذه.

حدث في سنة 1448م أن قام المسلمون باحتجاز عمدة مملكة قشتالة "خوان دي سافيدرا" لأكثر من عامين، شكّل هذا قلقًا بالنسبة لملك قشتالة ولأهالي المأسور ونظرًا لأهميته، فرض الغرناطيون مبلغًا ضخمًا لافتدائه قُدّر بـ 250.000 مرابطي أي حوالي 12000 دويلة^[4].

ولمعالجة مسألة الأسرى خصص المسيحيون مجموعة من الرجال كوسطاء بين الطرفين وأهم هؤلاء والذين ذكرتهم المراسلات والوثائق المبدولة: "بطر دو لارمه الفكّك"، *Alfaqueque*، وهذا المصطلح أُطلق على الفكّكين الذين يوظفون في عمليات افتكّك الأسرى، أما من جانب المسلمين فقد كان سليمان الإسرائيلي الطرف الأكثر تفاهمًا مع النصاري، ويبدو أن الفكّك كان يجيد اللغة العربية في التعامل مع المسلمين في سفاراته. ليخلص الطرفين بحل حول فكّ الأسرى إمّا عن طريق التبادل، أو مقابل مبالغ مالية.

[1] عدنان خلف سرهيد، التأثير الحضاري المتبادل بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرية، المرجع السابق، ص 72

[2] لسان الدين بن الخطيب، الملحّة البدرية في الدولة النصرية، المصدر السابق، ص 88-89

[3] أحمد بن مُحمَّد المقرئ، نفع الطيب، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 451

[4] Juan Torres Fontes, 'Los Alfaqueques castellons en la frontera de Granada, Homenaje a Don Agustín Millares Carlo, caja Insular de Ahorros, canarias, 1975, P.P : 99-116

في القرن الثالث عشر للميلاد، وفي القانون البلدي (كوينكا) الذي سنّه الملك القشتالي، والذي بمقتضاه قرر استخدام الأسرى المسلمين كعبيد في شتى المجالات، حتى يتم تحرير المسيحيين الأسرى من دار الإسلام.^[1] يبدو في إشارة من الدراسات الإسبانية وجود طرق أخرى للتحرر من الأسر عبر الهروب، تُفيدنا المعلومات الموجودة في الدراسة أن المسلمين المسجونين على الحدود بين مدن النصارى والمدن الإسلامية التابعة لغرناطة كانوا يفرّون ليلاً من السجون^[2] لكن القشتاليين وضعوا حلولاً على الحدود المحاذية للأراضي الغرناطية، ففي عهد ملك قشتالة خوان الأول (1379-1390) قام بتركيب منارة كبيرة على بعد ثلاثمائة متر من أراضي غرناطة في "القلعة" "Alcalá" تفادياً لمحاولات الفرار المتكررة للأسرى^[3]

أعفي المسلمون من دفع جزء من الضريبة المفروضة والتي تشكّل 20% من مداخيل المملكة كجزية للقشتاليين، مقابل تحرير رهائن مسيحيين ونجد معلومات ترجع لسنة 1439م^[4]، حيث عُقدت هدنة بين السلطان مُحمّد التاسع وخوان الثاني كان بندها الأساسي، تحرير قادة ونبلاء مسيحيين وقعوا في الأسر، وتمت العملية على ثلاث دفعات مقابل أموال كثيرة، من بين هؤلاء الأسرى مأمور أركوس "Arcos" بضواحي "قادس" ، ديجو دي زوريتا Diego de Zúñiga وخمسة وعشرون مسيحياً، فدفعوا مبلغاً قدره مليونان ومائتان وخمسون دويلة. فُدفع مبلغ 149 دويلة لفكّ ديجو دو زيرتا من الأسر، ويُذكر أن خوان الثاني طلب من مُحمّد التاسع خصم ما يدفعه من جزية مقابل تحرير هؤلاء الرهائن^[5] ويذكر نفس الباحث أن ثمن اقتداء

^[1]Diego Melo carrasco, Cautividad y Rescate en la frontera Castellano-Granadina (S.XLLL-XV) : Entre Adalides, Alcaldes, Rastreros y Redentores, Ediciones Universidad Finís Terrae, Escuela de Historia- CIDOC, 2009, P : 108

^[2]J. Fernando TincoDiaz, Among Christians and Muslims: An Approach to the captivity in the Frontier between the kingdom of Castille and the Emirate of Granada, (XLV-XV centuries), Journal –estrategica, vol: 1, p: 231

^[3]J. Fernando TincoDiaz, OP.Cit, p : 230

^[4] تذكر إحدى المصادر الإسبانية أن عدد الأسرى المسيحيين الذين أطلق مُحمّد التاسع سراحهم في سنة 1439م بموجب عقد موقع مع الملك خوان، قد بلغ 550 أسير، راجع:

Emilio Cabrera, De la nuevo sobre cautivos cristianos en el Reino de Granada, Meridies III, Universidad de cordoba, 1996, p : 139

^[5] Cristóbal Torres Delgado, Libración de cautivos del Reino de Granada, En La España Medieval III, Estudios en memoria del Profesor D. Salvador de Moxè, Vol 3, Editorial de la Universidad De Granada, P : 644

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصرى

النصارى في 30 ديسمبر من عام 1441م، قد بلغ 8.000 دوبله Dobra (عملة ذهبية)، تسلمها المرسل "مُجد عبد الحق" نيابةً عن سلطان غرناطة "مُجد التاسع".^[1]

وفي سنة 1485م تم إطلاق سراح عدد الأسرى المحتجزين بغرناطة والذي بلغ 400 شخص. كما أُطلق سراح 140 شخص في "زُنده"، وفي سنة 1487م فرض القشتاليون على سلطان غرناطة مبلغ عشرة ملايين مرابطي مقابل تحرير الأهالي من الأسر بعد الاستيلاء على المدينة.^[2]

وفي بداية سنة 1490م أُطلق المسلمون سراح 1500 شخص بين رجال ونساء من مدن "بيزة"، "المرية"، و"وادي آش"^[3].

نموذج إحصائي لعدد الأسرى المسيحيين المحررين فترة حُكم مُجد التاسع

تاريخ وسنة الافتداء	عدد الأسرى المسيحيين
21 نوفمبر 1440م	90 أسيرًا
31 ديسمبر 1440م	43 أسيرًا
6 يناير 1441م	21 أسيرًا
2 فبراير 1441م	46 أسيرًا
المجموع	200 أسير ^[4]

تعقيب:

يبدو جليًا لنا من خلال المعطيات الإحصائية للأسرى المسيحيين في مملكة غرناطة أن المسلمين قد أسروا أعدادًا كبيرةً من النصارى؛ وما يفسر ذلك أيضًا اكتظاظ أسواق بيع الأسرى فقد بيع هؤلاء في "أنتقيرة"، "قمارش"، "مريلة"، وغيرها من المدن التابعة لغرناطة، ويبدو أن الأسعار اختلفت في نقاط البيع بحسب العمر والبنية الجسدية، حيث أن الكثيرين كانوا يبتاعون الأسرى ذوي قوة بدنية للاستفادة منهم في الأعمال، كما بيعت الحسنات الجميلات بأثمان مرتفعة، زد على ذلك فئة النبلاء والعلماء كما ذكرنا كان ثمن بيعهم مرتفعًا جدًا لمكانتهم في المجتمع.

[1] Cristóbal Torres Delgado, op.cit : p 650

[2] Raúl Gonzalez Arèvalo, Op.Cit : p 241

[3] Emilio Cabrera, De la nuevo sobre cautivos cristianos en el Reino de Granada, Op.Cit : p141

[4] Emilio Cabrera, Ibid : p 650

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصرى

- لكن في بعض الأحيان كان يباع الأسرى بأسعارٍ زهيدة؛ يرجع ذلك إلى قوة عدد الأسرى المسيحيين في المملكة، ففي "مالقة" مثلاً بلغ ثمن البيع 11,5 دوبله للأسير، وفي الحدود الغربية من "غرناطة" بلغ الثمن 10 دوباتل للأسير، لكن ثمن بيع الأسرى في موانئ المملكة عرف ارتفاعاً كبيراً.^[1]

بحسب ما قدمه الباحثون الإسبان فإن عدد الوثائق الخاصة بالأسرى الموجودة في بروتوكولات مدينة "قرطبة" بلغ حوالي 200 وثيقة كما وُجدت أيضاً وثائق في "مرسية" و"قرطبة" والعديد من المدن الإسبانية، ويبدو أن هذه الوثائق المحفوظة في الأرشيف تحوي شهادات الوصايا الموجهة لتحرير الأسرى؛ يظهر فيها أسامي وألقاب الأسرى مع اسم الموصي، ومبلغ الافتكاك من الأسر^[2]

ومن الحالات التي صادفتنا في مسألة الأسر بقاء الأسير في أرض المأسور، فالمعلومات تُفيدنا عن إسلام العديد من النصارى المسيحيين وبقائهم في المملكة دون الإشارة عن دورهم داخل المجتمع، ففي سنة 1340م ومن خلال ما جاء في إحدى الرسائل إلى رئيس أساقفة الأراغون بعث البابا "هونيروس إيل" برسالة تُفيد إسلام مجموعة من البحارين الواقعين تحت أسر المسلمين^[3] في حين حدث الشيء نفسه مع المسلمين فمنهم من ارتدّ عن دينه لأسباب يُمكن إرجاعها إلى الشخصية؛ بدليل أننا وجدنا في إحدى المسائل الفقهية سؤالاً لقاضي الجماعة أبي القاسم بن سراج عن رجلٍ تنصّر وتزوج في أرض العدو نصرانية، وأقام معها سنين، ثم عاد إلى الإسلام وأسلم وأسلمت هي معه في زمان واحد وخرجا إلى بلاد المسلمين، هل يُقرّان على نكاحهما أو يُفسخ بطلاق، وبعد ذلك يُشئان عقداً آخر، وعلى أنه يفسخ فما يكون الحكم فيهما اليوم؟ إذ هما باقيا على ما كانا عليه لم يفرق بينهما، وهل يؤدب كل واحدٍ منهما أم لا؟ وكان جواب القاضي: أنه لا يقرّ نكاحه^[4] حتى أن مسألة استفادة المرتد من الميراث بعد عودته للإسلام بينتها إحدى فتاوى الشاطبي فأجاب بأنّ الورثة مخيرين في هبة هذا الشخص، فإذا رفضوا إعطائه أو استلافه، فكانت استفادته من زكاة، أو من بيت مال المسلمين.^[5]

أما عن حالة الأسرى أثناء الأسر يُمكننا القول إن المصادر الإسبانية كانت سبّاقة بدراسة هذا الوضع. ونحن بدورنا نفنّد هذا الطرح، فحالة الأسير في كلا الجانبين بقيت مُبهمةً خاصّة من جانب المؤرخين المسلمين، وعليه يبقى لنا الأخذ بالحيلة في الوصف لاحتماله الصدق أو الزيف؛ يذكر أحد الباحثين الإسبانين أن حالة

[1] Raúl Gonzalez Arèvalo, Op.Cit : p: 238

[2] Emilio Cabrera, Ibid, P : 137

[3] loc.cit.

[4] أبو القاسم بن سراج الأندلسي، الفتاوى، المصدر السابق، ص 140-141

[5] فتاوى الشاطبي، المصدر السابق، ص.ص 175-177

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

الأسرى المسلمين في مملكة النصارى كانت مزرية، حيث يفيدنا بمعلومات عن أعمالهم في البناء والحرف، بينما عمل النساء والأطفال داخل منازل النصارى (خدمات منزلية)، وعند انتهائهم من العمل يتم حبسهم داخل الأبراج المحصنة أو السجون أو داخل أماكن مهجورة مغلولين بسلاسل على اليدين والقدمين ومربوطة بأشياء أخرى^[1] وهو ما جاء أيضًا على لسان ابن الخطيب في إحدى رسائله لملك المغرب بعد غزو مدينة "القرنيطرة" 'la Frontera' حيث يصف حالة المأسورين المسلمين بـ "المقرنين بالأصفاد"^[2]، "جيء بأسرى المسلمين يرسفون القيود الثقيل، وينسلون من أجداث الاعتقال، ففكّت عن أسوقهم أسودة الحديد.."^[3] هل سماحة الإسلام تطبق على الأسرى المسيحيين ما طبقه النصارى على المسلمين؟ جاءت في إحدى المسائل التي طرحت على ابن لب عن قوم غنموا علبًا (رجل نصري)، فتبعهم النصارى فخافوا من إعانته عليهم وإخباره بحالهم فقتلوه فهل يجوز ذلك؟ فأجاب بجواز قتله مادام الأسير يشكّل خطرًا على حياتهم أمّا إذا أعطوه الأمان بالتصريح فيتركونه^[4] فالدين ليس وليس للعسر ومن المؤكد أن أوضاع الأسرى داخل بيت الإسلام ستكون أكثر رحمةً من تعامل النصارى.

جدول يوضح أسرى الحروب والمعارك

المعركة وتاريخ وقوعها	عدد الأسرى النصارى	عدد الأسرى المسلمين	مصدر المعلومة
سنة 673 هـ - 1312م (صدّ الهجوم على الجزيرة الخضراء) عهد السلطان النصري محمد الفقيه	سبعة آلاف وثمانمائة وثلاثون أسيرًا		عبد الرحمن بن خلدون، العبر، المجلد 7، ص 256
في 719 هـ - 1319م، عهد السلطان أبي الوليد إسماعيل بأحوار غرناطة	أسروا وسبوا نحو سبعة آلاف من الرجال والنساء		المقري، نفع الطيب، المجلد الأول، ص 450

[1] J. Fernando TincoDiaz, Among Christians and Muslims: An Approach to the captivity in the Frontier between the kingdom of Castille and the Emirate of Granda, (XLV-XV centuries), Barcelona, 2017, p:227

[2] لسان الدين بن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المتناهب، المصدر السابق، ص 153

[3] لسان الدين بن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المتناهب، ص 205

[4] أبو سعيد بن لب الغرناطي، تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد، الجزء الأول، المصدر السابق، ص 190-191

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والإقتصاد النصري

حميدو عبد المنعم، الدور السياسي والحضاري للمرتزقة والأسرى منذ قيام الخلافة الأموية في الأندلس وحتى سقوط غرناطة(316-897هـ/929-1492م)، المرجع السابق، ص 446		أسر من النصاري ألف وخمسمائة أسير نصراي في حصن المدور	في 734هـ/ 1331م، عهد السلطان يوسف الأول (غزو مدينة باغة، لورقة، مرسية، بقيادة الحاجب رضوان)
حميدو عبد المنعم، الدور السياسي والحضاري للمرتزقة والأسرى منذ قيام الخلافة الأموية في الأندلس وحتى سقوط غرناطة(316-897هـ/929-1492م)، المرجع السابق، ص 446		أسر ألف وخمسمائة نصراي.	في 763هـ/1361م، عهد السلطان أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البرمبخو
لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأول، ص 82-83		أسر خمسة آلاف نصراي	في شهر شعبان من 768هـ/ 1367م، غزو محمد الخامس "الغني بالله" مدينة أطريرة
ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا في التسليم لما قدّ الله وقضى، المجلد الأول، ص 322		أسر ما يزيد عن ألف نصراي	في 849هـ/ 1448م، عهد السلطان محمد الأيسر غزو البسيط مسمى بالمدينة "Magina"
J. Fernando Tinco Díaz Ibíd. : 239		160 أسيراً مسيحياً 1000 من المحاربين	حصار مدينة الزهراء 1481م
J. Fernando Tinco Díaz, Ibíd., p: 239	4000 أسير مسلم		حصار الحامة 1482م
Ibidem, p : 293	700 أسير مسلم من بينهم الأمير أبو عبد الله		معركة لوسينا 1483م عهد السلطان أبي الحسن
مجهول، نبذة العصر في أخبار بني نصر، المصدر السابق، ص 11		ألفي أسير نصراي	موقعة بلش سنة 888هـ/1483م، بقيادة الأمير محمد بن نصر

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

حصار قرية همدان رمضان سنة 890هـ / 1490م، مواجهة جيش فرديناند بقيادة السلطان أبي عبد الله مُجد الصغير	أسر حوالي 180 نصراي	مجهول، نبذة العصر في أخبار بني نصر، ص 33
--	---------------------	--

2- قتلى الحروب:

من خلال دراستنا لموضوع الحرب، تصادفنا للمرة الثانية "أزمة الرقم" ذلك أنّ المصادر التاريخية شحّت في تزويدنا بمعلومات رقمية حول عدد قتلى الحروب، والواقع أيضاً أنّ الأرقام الموجودة كانت محلّ ريبٍ وشكٍّ، فمن المعلوم أنّ النزعة الإنسانية تغلب على الكتابات الإسلامية، وحتى المسيحية حتى نكون واقعيين، فتبقى الأرقام محلّ تضاربٍ والمعلومات محطّ تقاربٍ حتى نقدّم طرحاً موضوعياً.

إحصائيات عدد القتلى في الحروب

مكان المعركة وتاريخها	أطراف الصراع	عدد القتلى المسلمين	عدد القتلى النصاري	مصدر المعلومة
في "إستجة" سنة 674هـ / 1275م	بين الأمير "أبي يعقوب" و"ابني الأشقيلولة" من جانب المسلمين، والدون "نونيو دي لارا" صهر ملك قشتالة ألفونسو العاشر	30 قتيلاً	6 آلاف قتيل	ابن خلدون، العبر، المجلد 7، ص 255. وفي حكاية ابن أبي الزرع الفاسي، يذكر أنّ عدد القتلى النصاري كان ثمانية عشر ألف ونيّف، وعدد القتلى المسلمين، وجد منهم ستة نفر من بني مرين، سبعة من العرب، وثلاثة من الأندلس، وثمانية من المتطوعين،

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

أي أربعة وعشرين رجلاً، ابن أبي الزرع الفاسي، الذخيرة السنينة في تاريخ الدولة المرينية، ص 150				
أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولة المرينية)، الجزء الثالث، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري، مجّد دار الناصري، الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ص 109-110	خمسون ألف قتيل، وقيل إنه هلك منهم بالوادي مثل هذا العدد لعدم معرفتهم الطريق، وعدد من هلك في الشعاب لا يُحصى، وقتل من الملوك المشاركين 7، وقيل 25	13 رجلاً	بين "شيخ الغزاة عثمان بن أبي العلاء" وجيوش المسلمين ضدّ "الدون بيدرو" ملك النصارى	في "مرج غرناطة" يوم 05 جمادى الأولى سنة 719هـ / 1319م
ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا، المجلد 2، ص 117-118	قتل حوالي 300 شخص		بين القائدين أبي القاسم ابن سراج، والقائد الوزير أبي السرور مفرّج بن فتوح، قواد "أشونة" "Dsuna" و"قنيط" "Canet" و"أطبية" "Teba"	جهة "اليسانة" "Lucena" سنة 851هـ / 1447م
نفسه، ص 219	قتل حوالي 260 (بين قتلى وأسرى)		بين القائد "أبي إسحاق إبراهيم بن عبد البر" ومقاتلي النصارى	851هـ / 1447م، ناحية "مالقة"
المقري، نفع الطيب، المجلد الأول، ص 514	قُتل ثلاثة آلاف نصرائي من بينهم أصحاب		بين أهل بلش ومالقة وأصحاب "إشبيلية"، "شريش"، "إستجة"، "أنتقيرة" من	في قرى "بلش" و"مالقة" سنة 888هـ / 1483م

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

	"إشبيلية"، "شريش" و"أنقرة"		النصارى.	
مجهول، نبذة العصر، ص 24	قتل من النصارى في يوم واحد اثنا عشر ألف وسبعمائة		بين نجدة فرسان "مالقة" وجيش النصارى	في "مدينة مالقة" شعبان سنة 892هـ / 1487م

تعقيب: لم تسعفنا المصادر الإسلامية بإحصاء عدد القتلى، واكتفى أغلبهم بذكر عباة "خلفاً كثيراً" وهذا ما يعيب تأريخهم، فابن الخطيب بالرغم من أنه عاصر فترة حكم السلطانين "أبي الحجاج" و"الغني بالله"، إلا أنه لم يأت على ذكر رقم إحصائي لعدد القتلى، وإن وجدنا كما وضحنا في كتاب العبر المجلد السابع "لابن خلدون" أو من كتابي الاستقصاء للسلاوي، أو كتاب الذخيرة السنية "لابن أبي الزرع"، أو من كتاب "نبذة العصر" لصاحبه مجهول"، وكتاب "جنة الرضا" "لابن عاصم الغرناطي" المعاصر لفترة حكم السلطان "محمد الأيسر" وتبقى الأرقام محل تحبط بين الحقيقة والزيغ، نظراً لانعدام القرائن.

رابعاً: انعكاسات الحرب على ذهنيات وسلوكيات النصريين:

1- الخوف من الموت: لم يكن الشعب الغرناطي بمنأى عن المخاطر بسبب الحروب، فقد سببت الأزمات في نفسية الرعية هاجس خوفٍ وذعرٍ، فكانت الغارات الليلية تأتي بغتة بدون سابق إنذارٍ، ليتم السفك والأسر والسبي. إنَّ البحث في ذهنية الإنسان الغرناطي أوقات الحروب تتطلب منّا دراسة طريقة العيش، ودراسة سيكولوجية الإنسان من حيث ردود فعله، طبيعته البشرية، شخصيته وأثر الضغط النفسي، فليس بالهين العيش في جو الحروب، لو أننا تعمقنا في الموضوع سنجد أنّ سكان القرى الأحواز الواقعة خلف أسوار غرناطة الأكثر تضرراً، لماذا؟ لأن العيش داخل أسوار محصنة وأبراج عالية، وأبواب مؤصدة كان من شأنه بثّ الطمأنينة والسكينة بالنسبة لسكان مدينة "غرناطة"، فتجدهم أقلّ خوفاً من بقية سكان المملكة خارج الأسوار. من خلال مشاهدات "ابن الخطيب" أثناء رحلته التفتيشية نحو الثغور الشرقية رفقة سلطانه "أبي الحجاج يوسف" بن نصر (733-755هـ/1333-1354م)، من خلال تتبعنا لمسار الرحلة استنتجنا على ضوء العبارة التالية الأوضاع المتردية التي عاشتها المناطق الشرقية من المملكة حيث يقول ابن الخطيب: "...البلاد الشرقية قد أخلفتها الغيوث وعدت عليها للعدو الليوث، فحيتنا على الشحط وشكت إلى سعادة مقدمنا معرّة

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

القحط"^[1]، طبعاً فهذه الأوضاع ستؤثر على نفسية الإنسان الغرناطي، أخذ "ابن الخطيب" في وصف الشعب الغرناطي بين مدحٍ وذمٍّ، ولعلّ أثر البيئة المحيطة الخارجية بالبيئة النفسية الداخلية كانت من بين مسببات الأنماط السلوكية للفرد داخل المجتمع. سندرج جدولاً نوضح فيه انثروبولوجية الشعب الغرناطي. تشير المصادر الإسلامية إلى مظاهر خوف أهل الأندلس من واقع الحروب وواقعها على الذهنيات، وعليه سنختار عيّنةً من الحالات في الجدول الآتي.

عيّنة لبعض المفردات وتعايير خوف الإنسان الغرناطي

المصدر والصفحة	سيكولوجية الإنسان الغرناطي المتخوف من الحروب
ابن أبي الزرع الفاسي، الذخيرة السنّية في تاريخ الدولة المرينية، ص 102	في 663هـ/1261م، عزم ألفونسو على استئصال بلاد المسلمين وعزم أن يبعث إلى كل بلدة منها جيشاً من الروم يحاصرها، "فخاف الناس" من ذلك وصبحوا لله بالدعاء في صرف ذلك عنهم
ابن أبي الزرع الفاسي، الذخيرة السنّية في تاريخ الدولة المرينية، ص 144	...وكان أهل الأندلس قد خامرهم "خوف الروم" وامتألت قلوبهم رعباً منهم، فكانوا لا يستطيعون قتالهم ولا يقدرّون أن يوافقوهم ساعةً فملك الروم أكثر بلادها.
المصدر نفسه، ص 140	في عام 673هـ/1272م، ورد كتاب ابن الأحمر لأبي يوسف بن عبد الحق يخبره بحال المسلمين "من الخوف".
لسان الدين بن الخطيب، خطرة الطيف، ص 44	مدينة "بيرة" Vera ساكنها "خائف" مترقب
لسان الدين بن الخطيب، ريحانة الكتاب ونجعة المتناهب، ج1، ص 142	حال أهل "جبل الفتح" في حوالي سنة 750هـ/1349م حسب خطاب السلطان "أبي الحجاج"، على لسان بن الخطيب: "...والمخاوف قد تجاوزت شرقاً غرباً والقلوب قد بلغت الحناجر غمّاً وعصباً"

[1] لسان الدين بن الخطيب، كتاب مشاهدات، المصدر السابق، ص 17.

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

<p>لسان الدين بن الخطيب، اللوحة البدرية في الدولة النصيرية، المصدر السابق، ص 96</p>	<p>في عهد السلطان نصر بن مُحمَّد "أبي الجيوش"، كانت كما قال ابن الخطيب: "أيام نحس" مستمرت شملت المسلمين فيها الأزمة، وأحاط بهم الذعر.</p>
<p>مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، ص 14</p>	<p>في شهر جمادى الأولى من عام 890هـ / 1485م أثناء حصار مدينة "زدة" خاف أهلها من النصارى لما رأوا ما لاطاقة لهم وطلبوا الأمان</p>
<p>نفسه، ص 15</p>	<p>أثناء استيلاء النصارى على "حصن قنبيل" في شهر رمضان من عام 890هـ / 1485م لما رأى المسلمون ما لا طاقة لهم أثناء حصار النصارى خافوا أن يدخل عليهم عنوةً فطلبوا منه الأمان والخروج.</p>
<p>نفسه، ص 17</p>	<p>لما اشتدَّ حصار النصارى لمدينة "لوشة" في 26 جمادى الأولى عام 891هـ / 10 ماي 1486م، خاف الناس على أنفسهم فطلبوا الأمان من النصارى والخروج.</p>
<p>نفسه، ص 18</p>	<p>من شدّة الحصار والقتل في مدينة "إلبيرة" و"حصن المكليين" و"قلنبيرة" في 15 جمادى الآخرة/ 18 جوان 1486م، من طرف النصارى خاف أهلها على أنفسهم وخرجوا بعد طلب الأمان.</p>
<p>نفسه، ص 25-26</p>	<p>وأثناء حصار مدينة "مالقة" في أواخر شعبان 892هـ/جويلية 1487م، أهلك الرعية الجوع وهم صابرون ومات الكثير منهم، فخاف البقية على حياتهم وأذعنوا لطلب الأمان من النصارى. وحدث نفس الشيء أثناء حصار مدينة بسطة في أواخر ذي الحجة 894هـ/ فبراير 1487م، بعد شدّة الجوع خرج الأهالي طالبين الأمان خائفين على حياتهم من النصارى لتصبح جميع الحصون الشرقية بقبضتهم.</p>
<p>نفسه، ص.ص 27-37</p>	<p>قام النصارى بتشديد الحصار على المدن المتبقية بالأندلس 10 صفر 895هـ / 24 ديسمبر 1489</p>

م حيث أن المدن المتبقية آثرت طلب الأمان خوفاً على حياتهم إلى أن سقطت غرناطة سنة 1492/897م

2- هاجس الخوف يطارد السلاطين والنخبة أنفسهم: سجّلت لنا المصادر الإسلامية التي أرّخت لفترة حكم "بني الأحمر" بغرناطة بعض الظواهر الاجتماعية التي أثّرت على ذهنية السلاطين والوزراء، سيطرت حالة الخوف على السلطان "مُحمّد الفقيه" ثاني سلاطين بني نصر، حيث أنه لم يجد بُدّاً من مواصلة الجهاد المشترك رفقة السلطان المريني "يعقوب بن عبد الحق" خوفاً من سيطرة المرينيين على الأندلس ليكرّر مشهد ما حدث مع "بني العبّاد" ويوسف بن تاشفين^[1]، وفعلاً حدث الشقاق بفعل الواشيين لتقود جيوش بني مرين، وبني الأشقيلولة الجهاد ضدّ النصاري. وكثيراً ما كان يلزم هاجس الخوف السلاطين أوقات الفتن الأسرية، من ذاك خوف الفقيه من بسط أصهاره "بني الأشقيلولة"^[2] سلطاهم على المغرب، فكان استئصال شأفتهم من الأندلس داعياً لبسط سلطان "بني الأحمر"، الحال هو مع "شيوخ الغزاة"، حيث أنه بالرغم من خدماتهم الجليلة وقيادتهم للجيوش الغرناطية وظفرهم بالكثير من الحصون مشكّلين شوكةً في عنق النصاري، إلاّ أنهم كانوا مثار قلاقل وتخوفات من قبل السلاطين.

لعلّ ما حدث للسلطان "مُحمّد بن أبي الوليد إسماعيل" قد دقّ ناقوس خطرهم في البلاد، إذ أنّ الخلاف قد شبّ بينه وبينهم فتمردوا لحدّ الاعتصام ببعض الثغور الجنوبية بالضبط في "المرية" وأعلنوا الثورة بمساعدة من الأمير "مُحمّد بن فرج" ابن أخ السلطان للظفر بالمملكة، فحدثت المناوشات بين الأطراف، فترتب عن الأوضاع اللأمنية أن اغتتم القشتاليون الفرصة للتحرك فاستولوا على الحصون وعلى ثغر "البيرة"، أمام هذه الأوضاع خاف السلطان النصري من عداوة "شيوخ الغزاة" واختار سياسة الصلح خوفاً على رعيّته، لكن غليلهم لم يشفَ حتى أودوه قتيلاً^[3] وخوفاً من تكرر المشهد، وحرصاً على الاستقرار قام السلطان النصري "يوسف الأول أبو الحجاج" قام بأسرهم في سجن "المنكب" إلى حين تهجيرهم إلى إفريقية^[4]، لسببين مباشرين: تدبير

[1] عبد الرحمن بن خلدون، ديوان العبر، المجلد السابع، المصدر السابق، ص 262

[2] أبو العباس أحمد بن خالد النصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (الدولة المرينية)، الجزء الثالث، المصدر السابق، ص 49

[3] لسان الدين بن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، (حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب في القرن الثامن)، المصدر

السابق، ص 23-24

[4] مُحمّد كمال شبانة، يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة، المرجع السابق، ص 87-88

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

المكيدة بقتل السلطان "أبي الوليد" ثم موالاتهم للقشتاليين، ولا غرو أن رسائلهم التي تبودلت مع ملوك الأراغون تدعو للخوف من دسائسهم^[1]

لم يكن الخوف يخالج السلاطين وحدهم، بل عاش الوزراء المصير نفسه، بين ذهنية الولاء والتحرّز، فالدسائس ومحاولة الغوغائيين^[2] لنشر الفتن، هذه الفئة هي نفسها من ساندت "مُجد السادس بن إسماعيل-البرميخو-" في عملية انقلابه على السلطان "مُجد الخامس-الغني بالله-" وقاموا بقتل الحاجب "أبي رضوان نصر" ففرّ باتجاه "وادي آش" ومنثم استقبله السلطان المريني "أبو سالم" وأجأه إلى قصر فاس محتفياً به. والحال هو مع "ابن الخطيب"؛ فذو الوزارتين لم يأمن بحياته من شرّ أعدائه الذين كانوا يتربصون به أشهرهم "ابن زمرك"، والأمير المريني "عبد الرحمن بن أبي يفلوسن" الذي طمع في منصب "شيخ الغزاة" بغرناطة، لكن "ابن الخطيب" جاست في خاطره مخاوف منه فأقنع سلطانه بالعدول عن تنصيبه، فلما علم الأخير بذلك حقد عليه إلى أن أجاز للأندلس، وقام بزرع الدسائس لابن الخطيب، وسلط عليه الاتهام بالزندقة فلجأ هو الآخر للبلاط المريني بعد أن أوهم السلطان وأصحاب البلاط بتفقدته للثغور الغربية من البلاد ليفر خوفاً من مصيره الذي حُتم آخر المطاف بقتله وحرق جثته^[3].

كما عاش القاضي "أبو يحيى بن عاصم الغرناطي" مدة قضائه في كنف حكم السلطان "مُجد الأيسر" حياةً طبيعية إذ كان يتحيط خيفةً من عدوّه الوزير "ابن علائق"، ولن نجد دليلاً أحسن من قوله: "... فلم تكن النفس تسكن إلى أمانٍ تامٍّ ولا تخلو عن خوفٍ مُستجدٍ، وكنت متى أُستدعيْتُ للحضور في مشاهد تلك الدولة ومحافل شُوراها ومجالس مفاوضتها أُلجأ إلى ما اعتمده أهلُ كتب الصحيح من التعوّذات الواردة في ذلك عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأضرع إلى الله في استكفاء شرِّ كلِّ ذي شرٍّ. ولم يكن إيجاز النفس للخيفة من قِبَلِ السلطان، فقد كنت أراه ميّلاً للخير بطبعه مباعداً عن شرِّ في قوله وفعله^[4]

3- نفسية الجندي الغرناطي: عاش الجندي الغرناطي على غرار بقية الجنود المدافعين عن الوطن، والذين أُلقي على عاتقهم مبدأ الجهاد تحت راية الإسلام، مسؤوليةً كبيرة، سببت له ضغوطات وأزماتٍ نفسيةً، ناهيك عن استمرارية الجهاد في الأندلس بؤرة الحروب. من خلال إلمامنا بالمادة العلمية من أخبار وروايات من المصادر

[1] عمر سعيدان، العلاقات الاسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر الميلادي، المرجع السابق، ص. 236-239

[2] يذكر ابن الأزرقي أن الحكام كانوا يسيئون الظن مع النفس فعل هذه الفئة الذين لا عبرة بهم، فتقع البغضاء، ونقلاً عن الأصمعي يعرف الغوغاء أمّا الجراد إذا ماج بعضه في بعض، قال: وبه سمي الغوغاء من الناس، وهو تشبيهه بليغ، ينظر إلى: أبو عبد الله ابن الأزرقي، بدائع السلك في طبائع الملك، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص 818-819

[3] أحمد بن مُجد المقرّي، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الخامس، المصدر السابق، ص 104 وما يليها.

[4] أبو يحيى مُجد بن عاصم الغرناطي، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 410

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والاقتصاد النصري

التاريخية، يمكن تمييز دور الجند في الجهاد بمملكة غرناطة في مرحلتين. مرحلة الركود والركون النسبي في الجهاد، إن برنا ذلك في المرحلة الأولى من الجهاد، باعتبار أنّ حصّة الأسد في الجهاد بالمملكة كانت من نصيب المرينيين القادمين من عُدوة المغرب، هذا لا ينفي تحركات الجند الغرناطيين في مرحلة الكفاح المشترك بين شيوخ الغزاة والجيش الغرناطي والذي ظهرت بوادره كجيشٍ قويٍّ خلال سنوات حكم السلطان "الغني بالله"، فقد عرفت المملكة عنفوان قوتها في الهجوم ونقل الحرب لدار العدو، فكانت غزوات السلطان المتتالية أكبر دليل: "أغزينا الجيش غزوات عظمت في العدو بما التكاية"^[1]، حيث يصف ابن الخطيب الجهود التي بذلها الجيش من دون توقف بقوله: "... من غير أن تُريح الجيش، ولا تُعيد الرأي، وأشعنا للحين نفير الجهاد"^[2]

جاءت في إحدى الرسائل في باب التحريض وإيقاظ الهمم تلك التي ألقاها ذو الوزارتين "ابن الخطيب" كخطبة، ولمسنا من خلال قراءتنا لفحواها الأثر العميق في كلمات "ابن الخطيب"، فعلاً "لكلّ امرئ من اسمه نصيب" فقد كان خطيباً مقنعاً ذو بصيرة، شحذ همم الجيش وقوى عزمهم وهياً نفسيتهم للجهاد، وهذا هو المطلوب، والأدهى أنه كان يضرب المثل بخير الأنام محمدٍ عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم حيث يقول "... وكان صلى الله عليه وسلم... شأنه الجهاد، ودأبه الجدّ والاجتهاد ومواقف صبره تعرفها الربي والوهاد، فإذا لم تقتدوا به فبمن تقتدون..."^[3]

إنّ عوامل الضغط والأوضاع المتردّية كان من شأنها إرهاق الجندي، فبالإضافة إلى تكليفه بمهتمة كبيرة في الجهاد، مقدّمًا نفسه في ساحة الوغى حامياً لثغوره، فهو إنسان له أسرة، فكثرة الحروب لاشكّ أنها ستشكّل عقبةً أمام عائلته وأطفاله وكما سبق وأن ذكرنا فإن حياته الزوجية تكون عُرضةً للمشاكل وهذا ما بيّناه من خلال جملة المسائل الفقهية، لكنّ المر والأمر ما عاناه الجندي الغرناطي من جور السلاطين. يقول الطرطوشي: "... لا يُستصلح الجنّد إلاّ بإدراّر أرزاقهم، وسدّ حاجاتهم، والمكافأة لهم على قدر عنائهم وبلائهم، وجنود الملوك وعددها وَقَفَّ على سعود الأئمة ونحوسها"^[4]

لم يوفّر السلطان "أبو الحسن" حق الجنّد؛ فتعرّض للانتكاس فأسقط الكثير من "نجدة الفرسان"، وشحّ العطاء إلى أن اضطرّ الجنّد إلى بيع سلاحهم وخيلهم ليتعيشوا به^[5] كما انتهك الأمير النصري "مُحمّد بن سعد"

[1] لسان الدين بن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المتناهب، الجزء الأول، المصدر السابق، ص 132

[2] نفسه، ص 148

[3] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 59

[4] أبو بكر مُحمّد بن الوليد الطرطوشي، سراج الملوك، المجلد الثاني، حققه وعلّق عليه ووضع فهرسه: مُحمّد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1994م، القاهرة، ص 493

[5] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 5-6

الفصل الثالث / انعكاسات الحرب على المجتمع والإقتصاد النصري

حقوق الجند من الغنيمة وآثرها لنفسه وذلك في موقعة بلش صفر عام 888هـ^[1] وفي أحيانٍ أخرى كان يتعرض القواد إلى القتل من سلاطينهم، فقد قام الأمير "مُجَّد بن سعد" في عام 892هـ، بقتل قواد غرناطة بعد تملكه لغرناطة إذ قاموا بدعوة أخيه "مُجَّد بن علي"^[2].

[1] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، ص 11-12

[2] نفسه، ص 23

الفصل الرَّابِع: أثر الحرب على المنتج الثقافيِّ "الشعر"

أولاً: رثاء المدن الضائعة

ثانياً: شعر الاستصراخ والاستنجد

ثالثاً: شعر الحماسة والوصف

الفصل الرابع/ أثرُ الحربِ على المنتوج الثقافي " الشعر نموذجاً"

عاشت الأندلس سنوات دامية، على وقع تعنت وجبروت جحافل النصارى أمام تحاذل المسلمين عن نصرتها والاستجابة لنداءات الجهاد، لتشاء الأقدار أن تسقط حصونها هاوية بيد الأذفنش (ألفونسو التاسع) وأعقابه، فلا رباط أحفاد يوسف بن تاشفين دام، ولا وحدة أحفاد المهدي استمرت على العهد، وبقي الأندلس مسرحاً لحروب طاحنة فلم تسلم قلاعها وراحت تتهاوى الواحدة تلو الأخرى، فقد استولى الإسبان على "تطيله" (Tudela) سنة 612هـ/1215م، لوشة (Loja) سنة 622هـ/1225م، مارده (Merida) سنة 626هـ/1229م، ميورقة (Mallorca) سنة 627هـ/1230م، أبدة (abda) سنة 631هـ/1233م، قرطبة (Cordoba) سنة 633هـ/1235م، بياسة (baeza)، استجه (Ecija) والمدور (Almodovar) سنة 634هـ/1236م و"بلنسية" (Valencia) سنة 636هـ/1238م. لم يرحم الإفرنج بقعة من بقاع الأندلس إلا وأغار عليها، ونكّل بأهلها أشد تنكيل، اغتصب أرضها وسبى نساءها وأطفالها، وقتل وشرد شيوخها مما ترتب عنه غلاء شديد، وتدهور البنية الاجتماعية والاقتصادية، فانتشر النهب والقحط والأوبئة في جو يكسر النفس، مما آلت إليه دار من ديار الإسلام. لكن الحال لم يدم لحاله وكُتب للأندلس عمر جديد، إذ ظهرت على أطلال المدن الهاوية منارة أشعلت ضياءها كبصيص أمل لإعادة ما غره النصارى ألا وهي مملكة غرناطة، فنزع إليها أهالي المدن بالآلاف لطلب الأمان.

لقد شكلت الأوضاع المتردية أصداء تحسر وحنن مسًا جميع الفئات وكلّ عبر عن ذلك، وبما أن تكوين المجتمعين الأندلسي عامّة والغرناطي خاصّة ثقافي فإن طبقة الشعراء نالت الحظوة في التعبير بأشعارهم: إما بطريقة الاستهجان واستصراخ همم بني جلدتهم من المسلمين للالتفاف حول الأندلسيين ومناصرتهم في مصابهم، أو رثاء أطلالهم و مدنهم المغتصبة من طرف النصارى، وإما الافتخار بملوكهم و بجنودهم وأساطيلهم أو نقدهم. وعلى العموم فإن تلك القصائد لم تكن حكرًا على فئة الشعراء فقط بل تعدتها لتشمل فئة الأمراء، الوزراء، الكتاب، الفقهاء والفلاسفة وغيرهم. فكيف أثرت الحرب في نفسية فئة شعراء غرناطة فأفاضت قريحتهم بتدوين قصائد طوال تراوحت بين الرثاء والمدح؟

أولاً: رثاء المدن الضائعة

شكّلت فترة ما بعد ضعف "مملكة الموحدين" انعراجاً حاسماً بالأندلس، وفتحت الأبواب على مصارعها أمام النصارى للظفر بالجزء المتبقي من المدن الأندلسية، أمام انعدام وجود قوّة عسكريّة تحمي الحدود البريّة والبحرية، وافتقار القبائل لنظامٍ يوحد صفوف جبهات القتال مع النصارى.

لم يكن بالسهل تحقيق انتصاراتٍ على النصارى في ظلّ تحالف القوتين القشتالية والأراغونية تعزيزاً ودعمًا من الكنيسة والسلطة البابوية. على عكس القبائل الثورية الأندلسية¹ التي انقسمت داخلياً، فأخذت كلّ واحدة تنافس الأخرى من أجل تحقيق الزعامة وإحياء حركة الجهاد من أجل استرداد المدن الواقعة تحت نفوذ النصارى. وهو الأمر الذي يُعاب في تاريخ الأندلس؛ فالصراع الداخلي كان من بين أهم أسباب سقوط الأندلس بيد النصارى. وهو ما عبّر عنه "أحمد بن مُحمّد المقرئ" بقوله "...فامتاز كلّ رئيسٍ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كلّ منهم بصقع كان مسقط رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخوف

كانت بداية ظهور "مُحمّد بن هود" من أعقاب ملوك الطوائف من بني هود على مسرح الأحداث السياسية بعد شق عصا الطاعة عن الموحدين، واستطاع الأخير أن ينتزع العديد من المدن التابعة للنصارى، وأصبح يشكّل تهديداً للملوكة، الذين استطاعوا في الأخير كسب طرفٍ مسلمٍ إلى جانبهم وهو "السيد أبا زيد عبد الرحمن بن محمّد بن يوسف بن عبد المؤمن" الذي كان قائداً على الثغور الشرقية من الأندلس، فارتدّ الأخير وانطوى تحت طاعة ملك الأراغون "خايمي الأول"³، فتراجع بذلك نشاط "ابن هود" الجهادي لتسقط عدّة مدن من شرق الأندلس؛ "شاطبة"، "لقنت"، "أوريولة"، "جزيرة شُقر"، و"قرطاجنة"⁴ ثمّ جاء الدور على مدينة "قُربطة"، حيث سقطت بيد النصارى يوم الأحد الثالث والعشرين لشوال من سنة ست وثلاثين وستمائة، وأختلف الروايات المحاكاة في ظرفية سقوطها⁵.

¹ نقصد بالقوى الثورية: شخصيات قادت الأندلس في المرحلة الانتقالية، أو ما بعد حكم الموحدين، حيث برز القائد "مُحمّد بن هود" و القائد "مُحمّد بن الأحمر" على الساحة السياسية، فصلنا أطوار الصراع والأحداث العسكرية بين الأطراف المسلمة والنصارى في الفصل الأول.

² أحمد بن محمّد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الرابع، ص 446

³ عبد الرحمن بن خلدون، المجلد الرابع، ص 216-217

⁴ محمّد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 20

⁵ تمّت الإشارة إلى الروايات التاريخية التي أحاطت بسقوط مدينة قُربطة في الفصل الأول من الأطروحة، يُنظر: ص 4-5.

الفصل الرابع/ أثرُ الحربِ على المنتوج الثقافي " الشعر نموذجاً"

بظهور شخصيّة "مُحمَّد ابن الأحمر" منافس "مُحمَّد بن هود" احتدم الصّراع بين الطرفين؛ كلٌّ يدعو الرّعية لطاعته، فكانت الخطوة لابن هود في كسب ولاء الكثير من القبائل، لكن الأوضاع سرعان ما انقلبت لصالح ابن الأحمر بعد وفاة "مُحمَّد بن هود" على يد وزيره "ابن الرّميمي"¹ هكذا خلا الجو لابن الأحمر لتأسيس مملكة بني الأحمر، فطاعت له المدن الغربية من الأندلس واتخذ "غرناطة" عاصمةً له فأخذ في بناء المملكة؛ فأقام الحصون والقلاع وبنى الأسوار، واستقبل الرّعية النازحين من المدن التي سقطت بيد النصارى، ثم ركّز دعائم المملكة بتجهيز جيشٍ يحفظ أمنها ونظامٍ يضمن سيورتها، واتجهت أنظاره إلى استرجاع بعض المدن من النصارى²، وفعلاً استطاع أن يحقق انتصاراتٍ بإلحاق الهزيمة بجامية يقودها "رودريغو ألونسو" وهو الأخ الغير شرعي لـ "فرناندو الثالث" كردّ فعلٍ؛ قرر النصارى شنّ هجماتٍ على المدن التابعة لمملكة ابن الأحمر، حتى وصلت لـغرناطة نفسها، في الأخير قرّر "مُحمَّد الأول ابن الأحمر" الرضوخ لعقد معاهدة صلح مع النصارى كان من بين أهم بنودها تقديم دعم عسكري للنصارى وتقديم جزء من الجيش المسلم كمساعدةٍ لهم أثناء حروبهم، وبالفعل حدث أن قدّم "ابن الأحمر" الدعم للنصارى في استرجاع الكثير من المدن الأندلسية بالمقابل تمكينه من الحفاظ على غرناطة كآخر معقلٍ بالأندلس، فكانت الضربة القاضية بسقوط مدينة "إشبيلية" بدعمٍ من المسلمين أنفسهم³

بعد سقوط "إشبيلية" حاز في نفس الرعيّة مشاعر الغضب والسخط على "ابن الأحمر"، فمنهم من اعتبر تواطؤه خيانةً للإسلام والمسلمين، فامتزجت مشاعر الكره والحزن في فئة الشعراء الذين أشهروا سيوف أقلامهم يدوّنون قصائدهم فطالت مرثياتهم بفقد مدّهم، ومن أشهر الشعراء الذين بكوا سقوط "إشبيلية"، "أبو البقاء الرندي"، الذي عُرف بنونيته فقدّم لنا أبياتٍ طوّالٍ كان أهمّها:

فَلَا يُعْرِ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
مِنْ سَرِّهِ زَمَنْ سَاءَتْهُ أَرْزَانُ
وَلَا يَدُوْمُ عَلَى حَالِهَا شَانُ⁴

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ تُفْصَلَانُ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتَهَا دُوْلُ
وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ

¹ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، المصدر السابق، ص 341.

² فصل ابن الخطيب لنا الأعمال التي قام بها "مُحمَّد الأول ابن الأحمر" فور تأسيسه لمملكة بني الأحمر بـغرناطة في إحاطته، وقد أشرنا لها في الفصل الأول من الأطروحة، راجع الفصل الأول من الأطروحة (ص 7-8).

³ لتفصيل أكثر يُراجع الفصل الأول من الأطروحة (ص.ص 10-12).

⁴ أحمد بن مُحمَّد المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الرابع، ص 487

الفصل الرابع/ أثر الحرب على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

كما رثاها أبو موسى هارون بن هارون في أبياته قائلاً^[1]:

يَا حَمْسُ أَفْصُدْكَ الْمُقْدُورِ حَيْثُ رَمَا	لَمَا حَقْفِيكَ الرِّدَى إِلَّا وَلَا ذِمًّا
جَرَّتْ عَلَيْكَ يَدُ اللَّذْهِرِ ظُـمَالِمَةٌ	لَا يَعْدِلُ الذُّهْرُ فِي شَيْءٍ إِذَا حَكَمَا
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ الْحَادِثَاتُ إِذَا	هَمَّتْ بِكَ السُّوءَ لَا تُثْقَى لَكَ السَّلْمَا
قَدْ كَانَ حُسْنُكَ فِتْنَانَ الشَّبَابِ فَمُذ	أَصَبَّتْ غُوضَتِ مِنْهُ القَنْبِحُ وَالْهَرَمَا
يَا جَنَّةَ زَجْرَتِنَا عَنْ زَخْرَافِهَا	ذُؤُوبَهَا فَلَزَمْنَا البَتَّ وَالنَّدَمَا

أما "بلنسية" فقد سقطت قبل "إشبيلية" سنة 636هـ/1238م ولم يُكتب لها عمرٌ طويلٌ فكانت هي الأخرى إحدى الحصون التي سقطت بيد النصارى والتي رثاها الشعراء في قصائدهم الطوال، من أهم الشعراء المتحسرين على فقْدِ بلنسية الشاعر ابن الأبار البلنسي (ت: 658هـ/1260م) والمشهور بقصيدته السينية التي قدمها إلى أبي زكرياء الحفصي يستنهضه بها لإنقاذ الأندلس من الضياع وأهم ما جاء في قصيدته يقول:^[2]

يَا حَسْرَتِي لِعَقَائِلٍ مَعْقُولَةٍ	سَمَّ الهُدَى نَحْوَ الصَّلَالِ هِدَاءَهَا
إِيهَ بِلَنْسِيَّةٍ، وَفِي ذِكْرَاكِ مَا	يَمْرِي الشُّؤُونََ دِمَاءَهَا لَا مَاءَهَا
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِحْتِلَالِ مَعَاهِدِ	شَبَّ الأَعَاجِمُ ذُؤُوبَهَا هَيْجَاءَهَا

كما رثاها أبو مطرف بن عميرة (ت: 656هـ/1258م) متسائلاً بأسفٍ وحسرةٍ عن ضياعها قائلاً:^[3]

مَا بَـالَ ذَمْعِكَ لِابْنِي مِدْرَاةٍ	أَمْ مَـالَ لِقَلْبِكَ لَا يَقْرُ قَرَاةٍ
أَلِلْوَعَةِ بَيْنَ الضُّلُوعِ لِظُّمَاعِنِي	سَارَتْ رَكَـائِبُهُ وَشَطَّطَتْ دَاةٍ
أَمْ لِلشَّبَابِ تَقَادَمَتْ أَوْطَانُهُ	بَعْدَ الدُّنْيِ وَأَحْلَقَتْ أَوْطَانُهُ
أَمْ لِلزُّمَانِ أَتَى بِخَطْبٍ فَـسَادِحِ	مِنْ مِثْلِ حَادِثُهُ خَلَّتْ أَغْصَانُهُ
بِحُرٍّ مِنَ الأشْجَانِ عَبَّ عُبَابُهُ	وَارْتَجَّ مَا بَيْنَ الحَشَى زُخْرَابُهُ

جاشت أحاسيس الشاعر عبد الكريم القيسي (ت: 897هـ/1491م)، تعليقاً منه على ضياع حصون اللقون، من حصون مدينة وادي آش في 23 ذي القعدة من سنة 836هـ، وثر "بلش" 840هـ، ولوماً لأهله على تقصيرهم في الدفاع عن الحصن وتقصيرهم في أخذه واسترداده فيقول:^[4]

يَا أَهْلَ وَادِي الآشِي لَا دَرُّ دَرِّكُمْ	وَلَا بَرَحْتُمْ لِقِي الكَرْبِ وَالكَمَدِ
ضَيَعْتُمْ سَفْهَاءَ وَادِي اللُّقُونِ وَلَمْ	تُرَاقِبُوا فِيهِ حَقَّ الوَاحِدِ الأَحَدِ

[1] مُجَّد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس. (عصر المرابطين و الموحدين)، القسم الثاني، عصر الموحدين وانحيار الأندلس الكبرى، مكتبة الخانجي 1990م، القاهرة، ط2، ص 482

[2] أبو عبد الله مُجَّد بن الأبار القضاعي البلنسي، ديوان ابن الأبار، قراءة وتعليق، عبد السلام الهزاس، مطبعة فضالة، 1999م، المغرب، ص 35

[3] لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ إسبانية الإسلامية)، المصدر السابق، ص 273

[4] ديوان عبد الكريم القيسي، تحقيق: جمعة شيحة، مُجَّد الهادي الطرابلسي، بيت الحكمة، تونس، 1988م. ص 347

الفصل الرابع/ أثرُ الحربِ على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

عَزَّوَجُمُ غَمْدَةٌ مِنْ أَفْضَلِ الْعُمَدِ حَتَّى حَوَاهُ الْغَدَا عَدْرًا وَصَارَ هُمُ
وَالْجَدُّ قَرَبِ انْقِصَاءِ الْوَقْتِ وَالْأَمَدِ فَاسْتَشْعَرُوا إِذَا أَضَعْتُمْ فِيهِ جِزْمَكُمْ
وَأَلْقَى بِأَبْيَاتٍ شِعْرِيَّةٍ عِنْدَ ضِيَاعِ جَبَلِ الْفَتْحِ سَنَةَ 836 هـ يقول: [1]

وَقَدْ كَانَتْكَ لِلتَّقْطِيبِ هُدِدَتْ بِالذَّبْحِ وَقَدْ كَانَتْكَ مَالِي أَرَاكَ مُقْطَبًا
وَعَهْدِي وَلَا أُخْفِي صِفَاتِ عَرَفْتَهَا وَعَهْدِي وَلَا أُخْفِي صِفَاتِ عَرَفْتَهَا
فَقُلْتُ دَعِينِي! الْخَزْنُ فَرَضَ عَلَى الْوَرَى فَعَلْتُ دَعِينِي! الْخَزْنُ فَرَضَ عَلَى الْوَرَى
حَرَامٌ عَلَيْنَا الْبِشْرُ وَالسَّمْحُ بَعْدَهُ حَرَامٌ عَلَيْنَا الْبِشْرُ وَالسَّمْحُ بَعْدَهُ
ومن شعره أيضًا [2]:

وَتَلَاةُ الْبَيْعِ فِي الشَّرَفِ بِلِسِّنِ جَبَلُ الْفَتْحِ بَيْعٌ بِالْغَرْبِ بِحَسْبِ
حِينَ فِيهِ يَوَاجِبُ الْحَفِظِ دُلْسِنِ وَاللُّسُونُ أَشْحَبُ بِالْجَوْفِ عُدْرًا
فِي الْجِهَاتِ الثَّلَاثِ وَاللَّهُ مَمْلَسِنِ فَأَمِيرُ الْجَزِيرَةِ الْيَوْمَ مِنْهُنَا
أَزْجَلُ عَنَّا وَالتَّمِيسُ أَيْنَ تَجْلِسِنِ يَا مَرِيدَ الْجُلُوسِ فِيهَا الْخَيْرَ أَرَا

أبدى السلطان يوسف الثالث (ت: 820هـ/1417م) تحسره على فقد الثغور وعلى أحوال الناس في الأندلس عامةً وغرناطة خاصةً ويحملهم مسؤولية عدم الدفاع عن حريمهم وممتلكاتهم يقول [3]:

هَفْتُ نَفْسِي عَلَى الثُّغُورِ تَحَلَّتْ هَفْتُ نَفْسِي عَلَى الثُّغُورِ تَحَلَّتْ
وَأُنَاسٌ عَلَى الْمَعَاصِي جَهَّارًا وَأُنَاسٌ عَلَى الْمَعَاصِي جَهَّارًا
لَسْتُ لِلصَّبْرِ مِنْ خِلَافٍ نَصْرًا لَسْتُ لِلصَّبْرِ مِنْ خِلَافٍ نَصْرًا

إنَّ ما حدث لغرناطة في عقدها الأخير من فتن أدى إلى اضطرابات داخلية؛ فبعد استلام أبي الحسن للحكم الذي دام ثلاث سنوات حدث الصراع على السلطة بين أبناء عائشة ابنة عمه الأيسر والتي اعتمدت على أسرة بني سراج المشهورة داخل المجتمع الغرناطي، وثرثريا (إيزابيلا) النصرانية، فحدث انشقاق داخلي بين مؤيد ومعارض، ثم إن سياسة الدسائس ما فتئت أن تمت بين الأب والابن ونقصد هنا بين السلطان أبي الحسن وابنه أبي عبد الله محمد الذي حاول قتل ابنه بتحريض من الزوجة النصرانية، وأصبحت غرناطة مسرحًا للفتن الداخلية حُبًّا في السلطة وهو أحد الأسباب التي عصف بالدولة إلى هُوة السقوط يقول الشاعر أبو عثمان سعد بن ليون (ت: 750هـ/1350م) في ذلك: [4]

حُبُّ الرِّيَاسَةِ يَا لَهُ مِنْ دَاءٍ حُبُّ الرِّيَاسَةِ يَا لَهُ مِنْ دَاءٍ
وَأَذَاقَ طَعْمِ الدُّلِّ لِلْكَسْرِاءِ وَأَذَاقَ طَعْمِ الدُّلِّ لِلْكَسْرِاءِ

[1] ديوان عبد الكريم القيسي، ص 348.

[2] نفسه، ص 415

[3] يوسف الثالث، ديوان ملك غرناطة، تحقيق: عبد الله كنون، مكتبة الأجلو المصرية، ط2، 1965م، القاهرة، ص 5

[4] المقرئ، نفع الطيب، المجلد الثامن، المصدر السابق، ص 122

الفصل الرابع/ أثرُ الحربِ على المنتوج الثقافي " الشعر نموذجاً"

إِنَّ الرِّبَا سَاسَةٌ دُونَ مُرْتَبَةِ التَّقَى

فَإِذَا اتَّقَيْتَ عَلَيَّ سَوَّيْتُ كُلَّ عِلَاءٍ

بوفاة أبي الحسن واعتلاء الزغل (ت:899هـ/1494م) عام 889هـ حدث أن خلق هذا شقاق بينه وبين ابن أخيه الطامح في السلطة أبي عبد الله محمد (ت:932هـ/1527م) فنشبت الخلافات ثم ما لبثت أن تحولت لصلحٍ صوري، هذا أن طموح أبي عبد الله (ت:932هـ/1527م) كان يفوق ذلك وترك عمه الزغل (ت:899هـ/1494م) في صراعٍ مع ملك قشتالة لينتهي بتقديمه العديد من الحصون وتحويل كل ممتلكات السلطان الزغل (ت:899هـ/1494م) إلى فرديناند(ت:921هـ/1516م) وتحقق لأبي عبد الله (ت:932هـ/1527م) طموحه في تربع كرسى العرش، لكن دوام الحال كان محالاً فنية فرديناند (ت:921هـ/1516م) كانت أبعد من مساعدة غيره على تولي السلطة على طبق من ذهب فالأهداف كانت مسطرة والبعد الصليبي أخذ مجراه والخطوة الأخيرة التي رسمها فرديناند(ت:921هـ/1516م) رفقة زوجته إيزابيلا (ت:910هـ/1504م) كانت واضحة وهي إحكام سيطرتهم على آخر معقل في دار الإسلام وهي الحمراء غرناطة لتكتمل حملة الاسترداد مجراها وتعلن بداية النهاية فما كان إلا الاستسلام والتسليم وبيكيها الشعراء ومنهم الشاعر أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي المشهور (بالدقون) (ت:921هـ/1515م) بأبياتٍ طوال يقول فيها^[1]:

وعشت مـا بين أعمام وأحوال
فالجسم مُسْتَعْلٍ مِنْ غَيْرِ أَشْعَالٍ
مِنْ أَرْضِ أَنْدَلَسٍ مِنْ أَجْلِ أَهْوَالٍ
لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ أَعْدَاءِ وَأَنْكَالٍ
دَرَسَتْ بِهَمْ مَعَالِمُ الْأَخْيَارِ وَأَفْيَالٍ

أَمِنْتُ مِنْ عَكْسِ أَمَالٍ وَأَحْوَالٍ
وَلَا ابْتَلَيْتَ بِمِضَا فِي الْقَلْبِ مِنْ نَكْدٍ
وَكَيْفَ لَا وَبِقَاغِ الدِّينِ خَالِيَةٍ
عَمَّتْ فَعَمَّتْ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا
جَاشَتْ بِهَا مِنْ جُيُوشِ الْكُفْرِ مَآ

يقول أيضاً متحسراً على فقدته لغرناطة^[2] :

وعشت مـا بين أعمام وأحوال
فالجسم مُسْتَعْلٍ مِنْ غَيْرِ أَشْعَالٍ
مِنْ أَرْضِ أَنْدَلَسٍ مِنْ أَجْلِ أَهْوَالٍ
لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ أَعْدَاءِ وَأَنْكَالٍ
دَرَسَتْ بِهَمْ مَعَالِمُ الْأَخْيَارِ وَأَفْيَالٍ
بَعْدَ اخْتِلَافٍ عَلَى تَأْمِينِ أَرْدَالٍ
حُبَّ الْحَصِيدِ وَنَصْرِ اللَّهِ وَالْأَلِّ
فَهَلْ عَلَى طَلْلِ تُرْمِي الْأَبْطَالُ ؟

أَمِنْتُ مِنْ عَكْسِ أَمَالٍ وَأَحْوَالٍ
وَلَا ابْتَلَيْتَ بِمِضَا فِي الْقَلْبِ مِنْ نَكْدٍ
وَكَيْفَ لَا وَبِقَاغِ الدِّينِ خَالِيَةٍ
عَمَّتْ فَعَمَّتْ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا
جَاشَتْ بِهَا مِنْ جُيُوشِ الْكُفْرِ مَآ
فَاسْتَمَكَّنَ الرُّعْبُ فِي الْأَكْبَادِ وَاتَّقَّتْ
وَاحْتَلَّ عَرْنَاطَةُ الْعَرَاءِ قَدْ عَدَمَتْ
كَأَنَّهَا الشَّمْسُ فِي أَفْقِ الْعُلَى كَسِفَتْ

^[1] المقري، أزهار الرياض، الجزء الأول، المصدر السابق، ص 105

^[2] نفسه، ص 105-106

الفصل الرابع/ أثر الحرب على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

وَهَلْ تَعُودُ لَيْسَالٍ قَدْ سَلَفَنَ بِهَا
وَهَلْ يَعُودُ لَهَا الدِّينُ الَّذِي أُنِسْتُ
فَأَصْبَحُوا لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ
قَدْ فُرِقُوا كَسْبًا فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ
فَلَا الْمَسَاجِدُ بِالتَّوَجِيدِ عَامِرَةٌ
وَلَا الْمَنَابِرُ لِلوَعَاظِ بِسَارِرَةٍ
وَلَا الْمَكَااتِبُ بِالصَّبِيانِ آيِسَةٌ
أَهْ عَلَى الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَمَا نَفَعَتْ
إِنِّي إِلَى اللَّهِ وَالرُّجْعَى لَهُ وَبِهِ
وَكَانَ مَا كَانَ وَالْأَلطَافِ شَامِلَةٌ
فَلَنُكْرَمِ الْآنَ مَنْ يَنْزِلُ بِمَنْزِلَتِنَا
وَنَحْنُ لَا نَسْتَكِي تَسْكِيَدَ ضَالَالٍ؟
بِهِ وَقَدْ أَيَسْتُ مِنْ فَتْحِ أَبْـدَالٍ؟
كَمَثَلِ عَادٍ وَمَا عَادَ بِأَشْكَالٍ
وَقَدْ سَبَا عَدَّهُ مِنْ أَيْدِ أَوْعَالٍ
إِذَا عَمَّرُوها بِنَسْفِ أَوْسٍ وَتَمَثَالٍ
لِلْأَمْرِ وَالنُّهْيِ أَوْ تَذْكَيرِ آجَالٍ
تَتَلَوُ الْقُرْآنَ بِأَسْحَارٍ وَأَصْـنَالٍ
أَهْ إِذَا صَدَرْتَ مِنْ قَلْبٍ بَطَّـالٍ
تَعْلَقُ الْقَلْبُ فِي تَصْـحِيحِ إِغْلَالٍ
لَا حَتَّ بِثِقَلَةِ نِسْوَانٍ وَأَطْفَالٍ
فَالدَّهْرُ ذُو ذُولٍ فَاسْمَعِ لِأَمْنِـالٍ

رغم أن مسلمي الأندلس تشبثوا بمدنهم حتى الرمق الأخير، لكن الأقدار شاءت أن تسلبهم إياها ليهجروا قسراً لمناطق أكثر أمناً. مع هذا لم يبق أمامهم سوى الاستغاثة والاستصراخ ببني جلدتهم من المسلمين من عودة المغرب، خاصة وأن لهم السبق في مد يد العون للأندلس وهذا ما سنقوم بدراسته.

وأمام مأساة سقوط غرناطة، كان الوضع مثيراً للأشجان خاصة وحصارها قد طال من قبل النصارى فوصف لنا الشاعر العقيلي حال سكانها يقول^[1]:

بِالطَّبْلِ فِي كُلِّ يَوْمٍ
وَلَيْسَ بَعْدَ هَذَا
يَا رَبِّ جَبْرُوكَ يَرْجُو
لَا تَسْلَبْنِي صَبْرًا
وَبِالتَّفْيْرِ زِعْ
وَذَاكَ إِلَّا الصَّـرَاعُ
مِنْ هَيْبَةٍ مِنْهُ الدَّرَاعُ
مِنْهُ لِقَائِي إِذْ رَاعُ

ويسلم الشاعر العقيلي بضرورة الإيمان بالقضاء والقدر بما حال لغرناطة وبالمسلمين يقول^[2]:
وَلَا تُعَاتِبْ عَلَى أَشْيَاءٍ قَدْ قُدِّرَتْ
جَحْمٌ مِنَ اللَّهِ لَا مَرَدٌ لهُ
وَلِحَطِّ مَسْطُورِهَا فِي اللَّوْحِ بِالْقَلَمِ
وَهَلْ مَرَدٌ لِحُكْمِ مِنْهُ مَنْحَتٌ

[1] يحي أحمد رمضان غين، دلالات الألوان في شعر الحروب والفتن في الأندلس، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، كلية

الآداب في الجامعة الإسلامية، 2017م، غزة-فلسطين، ص 66-67

[2] نفسه، ص 67

الفصل الرابع/ أثر الحرب على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

وقد احتفظ لنا المقري (ت: 1041هـ/1631م) بقصيدةٍ رثائيةٍ طويلة لشاعرٍ مجهول تصف لنا ألم ما وقع للمسلمين من إبادةٍ وتهجيرٍ قسريٍ من الأندلس فهي بمثابة انخيار قلعة الإسلام وانتهاء حضارة الإسلام والمسلمين ليتسلمها النصارى ولم يبق منها سوى الأطلال يقول^[1]:

لَنَكِيلِكَ كَيْفَ تَبَسُّمِ الثَّغْرِ	سُرُوراً بَعْدَ مَا سُبِّيتِ ثَغْرُ
أَمَّا وَأَبِي مُصْطَابٌ هُدَّ مِنْهُ	ثَبِيرُ الدِّينِ فَأَتَّصَلَ الثَّبِيرُ
لَقَدْ قُصِمَتْ ظُهُورُ حِينٍ قَالُوا	أَمِيرُ الكَافِرِينَ لَهُ ظُهُورُ
تَرَى فِي الدَّهْرِ مَسْرُوراً بَعِيْشٍ	مَضَى عَنَّا لِبَطْنِهِ السُّرُورُ
أَلَيْسَ بَهْمَا أَبِي النَّفْسِ شَهْمٌ	يُذِيحُ عَلَى الدَّوَابِّ إِذْ تَدُورُ
لَقَدْ خَضَعَتْ رِقَابٌ كُنَّ غُلْباً	وَزَالَ عُنُقُهَا وَمَضَى الثَّغْرُ
وَهَانَ عَلَى عَزِيْرِ القَوْمِ ذُلٌ	حَمَاهَا، إِنَّ دَا نَبَأَ كَبِيرُ

ثانياً: الاستصراخ والاستنجد بالمسلمين:

لم تصمد قواعد الأندلس طويلاً أمام المعارك الضارية التي شنتها الحملة الصليبية في إطار عملية الاسترداد الواسعة للمدن الأندلسية، فراح المسلمون يألفون عزاءهم في القواعد الإسلامية المتبقية وشهر منهم سيف القلم بالشعر رثاءً تارةً وعويلاً ونداءً تارةً أخرى؛ فهي بالنسبة للمسلمين حرب إسلام ضد كُفر، وهي بالنسبة للإفرنج حرب صليبٍ ضد حمل راية الإسلام، فبادرة الشعراء لاحت في الأفق تشهد أنها نادى الهمم وقصائدهم حركت الدم، من أجل نصرة الإسلام والمسلمين في الأندلس، فظهرت القصائد الطوال تحكي حال تلك القواعد وما آلت إليه مستنجدين ومستصرخين بأبناء جلدتهم لتلبية نداء الجهاد، من تلك القصائد المشهورة نذكر سينية ابن الأبار القضاعي (ت: 658هـ/1260م) حيث استغاث ابن زيان فيها بصاحب إفريقية أبي زكرياء بن أبي حفص (ت: 647هـ/1249م) حينما حاصر الإفرنج بلنسية، وأوفد عليه الشاعر يقول في أبياتٍ من نظمه^[2]:

أَدْرِكْ بِحَيْلِكَ حَيْلَ اللَّهِ أَنْدَلَسًا	إِنَّ السَّبِيلَ إِلَى مُنْجَاتِنَا دَرَسًا
وَهَبْ لَنَا مِنْ عَزِيْرِ النَّصْرِ مَا التَّمَسْتِ	فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عَزْرُ النَّصْرِ مُلْتَمَسًا

[1] المقري، نفع الطيب، المجلد الرابع، المصدر السابق، ص 483

[2] نفسه، ص 457

الفصل الرابع/ أثر الحرب على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

وَخَاشٍ مَّا تُعَانِيهِ حُشَّاشَتَهَا
فَطَالَمَا ذَاقَتْ الْبَلْوَى صَبَاحَ مَسَا
يَا لِلحَزِيرَةِ أَضْحَى أَهْلَهَا جُزْراً
لِلْحَادِثَاتِ وَأَمْسَى جُدُّهَا تَعْسَا
فِي كُلِّ شَارِقَةٍ إِمَامٌ بِسَائِقَةٍ
يُعُودُ مَأْتَمَهَا عِنْدَ الْعَدَا عُرْسَا
وَفِي كُلِّ غَارِبَةٍ إِجْحَافٌ نَائِبَةٌ
تُنْثِي الْأَمَانَ حَدراً وَالسُّرُورَ أَسَى
تَقَاسَمَ الرُّومَ لِأَنَّ تَالَتَ مَقَاسِمَهُمْ
إِلَّا عَقَائِدَهَا الْمُحْجُوبَةَ الْأَنْسَا
وَفِي بِلَنْسِيَةِ مِنْهَا وَفُرْطَبَةِ
مَا يُنْسَفُ النَّفْسُ أَوْ مَا يَنْزِفُ النَّفْسَا
مَدَائِقُ حَلَّهَا الْإِشْرَاقُ مُبْتَسِمَا
جَدَلَانُ، وَارْتَحَلَ الْإِيمَانُ مُبْتَسَسَا

يقول^[1] أيضاً معبراً عن حسرته لضياح مدينته كأنها فريسة بيد أسدٍ ضارٍ:

سُرْعَانِ مَا عَاتَ جَيْشُ الْكُفْرِ وَالْحَرْبَا
عَيْتَ الدَّبَا فِي مَعَانِيهَا الَّتِي كَسَبَا
وَابْتَزَ بَرْتَحَا مِمَّا تَحْتَفَهُ
تَحْيَفَ الْأَسَدِ الضَّارِي لِمَا افْتَرَسَا
فَأَيْنَ عَيْشٌ جَنِينَاهُ بِهَا خَضْرَا
وَأَيْنَ عَصْرٌ جَلِينَاهُ بِهَا سَلْسَا

كما وجّه أبو المطرف بن عميرة (ت: 656هـ/1258م) أبيات شعرية للاستغاثة غداة حصار "بلنسية" قائلاً^[2]:

تَدْرَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَدْمَا عَايَنَا
فَإِنَّكَ لِلْإِسْلَامِ وَالذِّينِ نَاصِرُ
وَوَجْهٌ إِلَى اسْتِنْقَاذِنَا بِكَيْسِيَّةِ
يُهِبُ مِنْهَا الرَّدَى الْمُحَاصِرُ
تُنْقَسُ مِنْ ضَيْقِ الْخَنَاقِ بِقَطْرِنَا
فَتَدْرِكُ آمَالَ وَتَرعى أَوَاصِرُ

كما نادى شاعر إشبيلية إبراهيم بن سهل (ت: 649هـ/1251م) جموع المسلمين لاستنهاض همهم نحو الجهاد لتخليص مدينته التي عانت الويلات بعد صمودها أمام الحملة التي ضربتها القوات النصرانية والحصار بالاعتماد على حليفهم ابن الأحمر (671هـ/1272م) حدث هذا في الوقت الذي بقيت فيه إشبيلية بمنأى عن المساعدات إلى أن أستنفذت قواها وخارت لتستسلم بعد مُضي 18 شهراً من حصارها فاضطرَّ الشاعر إلى توجيه نداء استغاثةٍ في أبيات شعرية من نظمه يقول^[3]:

^[1]المقري، نفع الطيب، المجلد الرابع، ص 457-458

^[2] أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ابن الأبار)، الحلة السيرة، المجلد الثاني تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، 1988

م، القاهرة، ص 269

^[3] ابن سهل الأندلسي، المصدر السابق، ص 35

الفصل الرابع/ أثر الحرب على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

بيدوا لكم بينَ الفئسا والصُّمْرِ	نَـادى الجِهادُ بكم بنصرٍ مُضمِرٍ
شيمَ الحَيِّيةِ كـابراً عن أكبرِ	يـا معشرَ العربِ الذين توارثوا
يُبعوا يهنئكم وفـاءَ المشتري	إنَّ الإلـهَ قد اشترى أرواحكم
وبكم تمهدُ في قديـمِ الأعصرِ	أنتم أحقُّ بنصرِ دينِ نبيِّكم
ألا تجبـوسَ حریمُ زهطِ الأصفرِ	والخيلُ تـضجُرُ في المرباطِ عزَّةً
من معشرِ، كم غيـثوا من مشعرِ	كم نكروا من معلّم؛ كم دةـروا
من حليّةِ التوجيـدِ صهوة منبرِ	كم أبطلوا من سننِ النبي وعطلوا
والنـصارُ تخبُرُ عن ذكاءِ العنبرِ	عند الخطوبِ النكرِ بيدوا فظلكم
عمداً بنفسِ الوامقِ المتخـيرِ	لو صوّر الإسلامُ شخصاً جاءكم
ودعاكم يا أسرتي ويا معشري !	لو أنه نـادى التصيرِ لخصكم

ما إن اقترب أجل انتهاء معاهدة التهادن والسلام بين ابن الأحمر ومملكة قشتالة، التي عقدت سنة 643هـ لمدة عشرين عام، سار ابن الأحمر في أوائل سنة 662هـ/1264م لمقابلة ملك قشتالة في إشبيلية، وهو يومئذ ألفونسو العاشر الملقب بالحكيم (ت:682هـ/1284م)، وكان قد خلف أباه فرناندو الثالث (650هـ/1252م) في الملك عقب وفاته في مايو سنة 1252م، سعياً لتجديد المعاهدة، وكان معه صهره الزعيمان: أبو مُجَّد وأبو إسحاق ابنا أشقيلولة^[1] وقوة من خمسمائة فارس. فخرج إليه ألفونسو (ت:682هـ/1284م) ودعاه لزيارته، فاستجاب ابن الأحمر (ت:671هـ/1272م) ودخلا إشبيلية مع صهره وثلة من فرسانه، ونزل بالعبادية من أحيائها، ولكنه سرعان ما نوى إليه أن النصارى قد سدوا الدروب الموصلة إلى مكانه ليلاً بالخشب المسمره وذلك لكي تعيق سير الخيل، فخشي البادرة على نفسه، وخرج في الحال مع صحبه، واقتحموا تلك الدروب، وغادر ابن الأحمر (ت:671هـ/1272م) إشبيلية مغاضباً، وقد شعر بنية الغدر والخيانة، ولم يقتنع بما أبداه له ألفونسو العاشر من أعدار وإيضاحات. ومر في طريقه إلى غرناطة

[1] اسم أشقيلولة ليس عربيًا بل من أصل اسباني، اختلفت المصادر في كتابته حيث يرجح البعض أنه بكسر الألف، والبعض يقول بفتحها والبقية لا يكتبونها، وبني الأشقيلولة أسرة غرناطية عريقة ذات أصل نصراني قديم ارتبطت بأسرة بني الأحمر عن طريق المصاهرة وهم من أهل الرياسة بالأندلس، لسان الدين بن الخطيب السلماني، كتاب أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، المصدر السابق، ص 287-

الفصل الرابع/ أثرُ الحربِ على المنتوج الثقافي " الشعر نموذجاً"

بـ"شذونة" وغيرها، وهو يوصي أهلها بالأهبة والتحرز من غدر النصارى، وكان هذا الحادث سبباً في فساد العلاقات بين غرناطة وقشتالة^[1].

لما أحس ابن الأحمر (ت: 671هـ/1272م) بدنو خطر ألفونسو العاشر (ت: 682هـ/1284م) خاصة بعد واقعة سبته،^[2] لم يكن له بد سوى الاستنجاد ببني مرين الذين اشتد عودهم في تلك الفترة وقويت جيوشهم، كان ملكهم آنذاك يعقوب بن عبد الحق (ت: 706هـ/1306م) فكانت أول استغاثة من بني الأحمر، لكن السلطان يعقوب المريني ظل منشغلاً بحروبه ضد يغمراسن بن زيان (ت: 680هـ/1282م) وانشغلوا عن الدفاع على الأندلس، ولم تتحقق الاستجابة إلا بعد سنتين بعد وفاة الغالب بالله (ت: 671هـ/1272م) وتولي ابنه محمد الفقيه (ت: 701هـ/1302م) الحكم الذي بعث من جديد برسلاً للاستغاثة، ومن الشعراء الذين تأثروا لبني جلدتهم وأثروا بقصائدهم على نفوس ومسامع المسلمين دعوةً للجهاد ونصرةً من العدو النصارى: الشاعر أبو الحكم مالك بن مرحل (ت: 699هـ/1300م) في جامع القرويين بفاس يوم الجمعة سنة 662هـ والتي أثرت في مشاعر المسلمين فبكوا الأندلس، ومما جاء فيها^[3]:

إِسْتَصْرَ الدِيْنِ بِكُمْ فَاسْتَقْدِمُوا	فِيكُمْ إِنْ تُسَلِّمُوا ———— وَهُ يُسَلِّمُ
لَأَذْتُ بِكُمْ أَنْدَلَسَ نَاشِرَةً	يُرْحَمُ الدِّيْنُ وَنِعَمَ الرِّجْمِ ————
فَأَسْرَحْتَكُمْ فَارْحَمُوا ———— وَهِيَ إِيَّاهُ	لَا يُرْحَمُ الرِّجْمُ مَنِ لَا يُرْحَمُ
مَاهِي إِلَّا قِطْعَةً مِنْ أَرْضِكُمْ	وَأَهْلَهُ ———— مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنْهُمْ

وفي سنة 669هـ بعث الفقيه لأبي يعقوب (ت: 706هـ/1306م) يستصرخه بالجهاد ضد ألفونسو العاشر (ت: 682هـ/1284م)، قرأها على مسامع أشياخ قبائل مرين وأمراء قبائل العرب فأجازوا الجهاد وبعث ليغمراسن بن زيان (ت: 680هـ/1282م) بالصلح والجهاد في عدوة الأندلس لكن الأخير أذعن وصارت بينهم حروب^[4]، لم يكتب لابن الأحمر الأب أن يعيش لحظة الجهاد إلى جانب إخوانه المرينيين فقد شاء الله أن يتوفاه بعد سقوطه عن جواده سنة 671هـ، ليعقبه على الحكم ابنه محمد بن يوسف بن

[1] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس. (عصر المرابطين والموحدين)، القسم الثاني، المرجع السابق، ص 434

[2] طلب صاحب غرناطة من ملك قشتالة الجديد ألفونسو العاشر أن يساعده على احتلال سبته، المرفأ المهم على الشاطئ الغربي، بعدما جدد له العهود التي عقدها لأبيه فقبل ملك قشتالة بمد يد العون شرط أن يحصل بالمقابل على مدينتي "طريف" و"الجزيرة"، عندئذ تراجع ابن الأحمر عن طلب العون بحجة أن الفقهاء رفضوا التخلي عن المدينتين المذكورتين. وهاجم السلطان سبته بما لديه من مقاتلين، ولكنه ارتد عنها بعد معارك عنيفة وخسارة عدد من مرابه سنة 660هـ/1262م، يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضارية)، المرجع السابق، ص 22

[3] ابن أبي الزرع الفاسي، الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، المصدر السابق، ص 98-99

[4] نفسه، ص.ص 126-129

الفصل الرابع/ أثر الحرب على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

نصر(ت:701هـ/1302م) الذي أعاد الاستصراخ ببني مرين بكتاب سنة 674هـ، لبني المرينيين دعوة بني نصر في الجهاد، فجاء في أبيات الاستصراخ:^[1]

مَرِيْنٌ جُنُودَ اللَّهِ أَكْبَرَ عُصْبَةٍ
فَهُمْ فِي بَنِي إِعْصَارِهِمْ كَالْمَواسِمِ
مُتَّفِقَةٌ أَسْمَاءٌ غَاهُمُ لِمَدَائِحِ
مُسَوَّرَةٌ أَيْمَانُهُم بِالصَّوَارِمِ

جاز أبو يوسف يعقوب (ت:706هـ/1306م) للجهاد في الأندلس ووصل حتى إشبيلية وقتل قائدها العسكري دون نونيودي لارا NUNIO DE LARA. وبعد انتصارات المرينيين اتخذوا من "جبل طارق"، "الجزيرة الخضراء"، وطريق "رندة" قواعد للجهاد، ومن الجدير بالذكر أن هذه القواعد قد اشترطها أبو يوسف يعقوب (ت:706هـ/1306م) على ابن الأحمر حين استنجد به^[2]، لبث أبو يوسف في "الجزيرة الخضراء" بين مد وجزر في حروب مع النصارى، لكن نوايا مُحمَّد الفقيه (ت:701هـ/1302م) تغيرت اتجاه المرينيين ذلك أنه حدث صراع بينه وبين أصهاره من بني أشقيلولة الأمير أبي مُحمَّد، وأحس الفقيه أن أبا يوسف يعقوب يحاول التحالف معهما ضده^[3]، هذا ما خلق الشحنة والعتاب وجالت القصائد الشعرية بين الطرفين وفي الأخير بعث ابن الأحمر بقصيدة استغاثة من إنشاء كاتبه أبي عمر بن مرابط وهي قصيدة للاستنجد والدعوة للجهاد، جاء فيها:^[4]

أَفَلَا تَذُوبُ قُلُوبِكُمْ إِخْوَانَا
نَمَا دَهَاتَا مِنْ رَدِّي أَوْ مِنْ رَدِّي
أَفَلَا تُرَاءُونَ الْأَذْمَةَ نَبَيْنَا
مِنْ حُرْمَةٍ وَمِحْمَةٍ وَتَوَدِّدِ
أَكْذَا يَعِيْشُ الرُّومُ فِي إِخْوَانِكُمْ
وَسِيْئُهُمْ وَفِكْمُ اللَّئَارِ لَمْ تَتَقَلَّدِ
بِأَخْشَرِيْ لِحَمِيَّةِ الْإِسْلَامِ قَدْ
حَمَدْتِ وَكُفَرْتِ قَبْلَ ذَا تَتَوَقَّدِ
أَبْنِي مَرِيْنٍ أُنْتُمْ جِيرَانَا
هَلْ يَفْطَحُ طَعْمَ الْهِنْدِيِّ غَيْرُ مَجْرِدِ
فَالجَارُ كَانَ بِهِ يُوصِي المِصْطَفَى
وَأَحَقُّ مِنْ صِرْحَةٍ بِهَمِّ أَيْتِدِي
أَتْبِي مُرِيْنٍ وَالْقَبَائِلُ كُلُّهَا
جَبْرِيْلُ حَقًّا فِي الصَّحِيْحِ الْمُسْنَدِ
فِي الْمَغْرِبِ الْأُذُنُ لَنَا وَالْأَبْعَدِ

^[1] ابن أبي الزرع الفاسي ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، ص 141

^[2] نفسه، ص 148 وما يليها

^[3] في رواية صاحب الذخيرة السنية أنه تم عقد الصلح بين الطرفين لكنهم ولوا أديبارهم غاضبين لمالكهم ينظر: ص 146

^[4] عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، المصدر السابق، ص263-264

الفصل الرابع/ أثر الحرب على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

منه في الفرض الأحمق والأوكد

كُتِبَ الجهادُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّرُوا

جاء الرد عليها من إنشاء مالك بن المرحل (ت: 699هـ/1300م)^[1]:

أَنَا أَجْبِنَا صَرْخَةَ الْمُسْتَنْجِدِ

شَهِدَ الْإِلَهَ وَأَنْتَ يَا أَرْضُ الشَّهِدِي

فَمَنْعًا لِنُصْرَتِهِ

لِمَادَعَا الدَّاعِي وَرَدَّدَ مُعَلِنًا

فلا ليلٌ ولا ظلامٌ الدُّجى يمنع المرينيين في نجدة إخوانهم المسلمين في الأندلس واستجاشة جيشٍ عرمرم يقول

ابن مرحل (ت: 699هـ/1300م)^[2]:

مِنْ عَضْبِهِمَا وَالصُّبْحَ لَمْ يَتَجَرَّدِ

نَسْرِي لَهُ بِأَسِنَّةٍ قَدْ جُرِدَتْ

مِنْهَا وَفَوْقَ السُّحْبِ نَحْوَ الْمُقْصَدِ

وَالشُّهُبُ فَفَوْقَ التُّرْبِ أَسْرَعُ نُقْلَةً

أَحَدٌ بِسَيْلِ حُيُولِنَا فِي الْفَرْقَدِ

لَوْلَا الْأَسِنَّةُ وَالسَّنَابِكُ مَا رَدَى

لِلغَيْنِ غَيْبًا فِي الْعِيَانِ الْأَزِيدِ

حَتَّى إِذَا بَسَّاحَتْ بَنَاتُ شَمْسِ الضُّحَى

كَانَتْ تَطِيرُ بِنَا وَوَلَمْ تَنْزِدْ

لَوْ أَنَّهَا عَلِمَتْ بِنَا فِي قَصْدِنَا

لم تكن العلاقات بين "بني مرين" المنجدة و"بني الأحمر" مستقرة، بل لاحت في الأفق دسائس الغدر من كلا الطرفين خاصة في ربط العلاقات مع النصارى سواءً مع ألفونسوا العاشر (ت: 682هـ/1284م) أو ابنه سانشو (شانجه)، هذا لا ينفي تلبية نداء الاستغاثة والجهاد فقد تواصلت. نذكر استنجد السلطان يوسف أبي الحجاج (ت: 755هـ/1354م)، فمنذ أن جلس على عرش غرناطة وهو يوطد العلاقات مع المغرب، فقد كان معاصره في أول الأمر من المرينيين السلطان أبو الحسن علي بن عثمان المريني (ت: 749هـ/1348م)، الذي كتب^[3] -تحت ضغط النصارى- يستنجده ويستظهره على الأعداء، فكان أن أرسل إليه النجدة والمساعدات تحت قيادة ولده الأمير أبي مالك^[4].

وقد أرسل محمد بن إسماعيل بن الأحمر سنة (732هـ) لأبي الحسن المريني (ت: 749هـ/1348م) مستصرحًا ومستدعيًا له للجهاد في الرابع والعشرين من ذي الحجة عام اثنين وثلاثين وسبعمئة، ذلك بداعي

^[1] الدايدة محمد رضوان، المختار من الشعر الأندلسي، دار الفكر المعاصر، ط3، 2012م، بيروت-لبنان، ص 260

^[2] أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي (ابن القاضي)، درة الحجال في أسماء الرجال، ج3، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدى أبي النور، دار التراث،

1970 م، مصر، ص 21

^[3] عن ما جاء في كتاب يوسف أبي الحجاج لأبو الحسن المريني، ينظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى

-الدولة المرينية- ج3، المصدر السابق، ص. ص 166-169

^[4] لسان الدين بن الخطيب السلماني، كُناسة الدكان بعد انتقال السكان، (العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب -القرن الثامن

الهجري) المصدر السابق، ص 5

الفصل الرابع/ أثر الحرب على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

استرجاع جبل الفتح (جبل طارق) من يد ألفونسو الحادي عشر (ت: 751هـ/1350م) الذي سيطر عليه قرابة نيفٍ وعشرين سنة، فعبّر ابن الأحمر البحر مستصرحاً ومستدعيًا للجهاد فأجاز معه ولده^[1].

ومن الشعر الذي نظمه ابن الخطيب^[2] (ت: 776هـ/1374م) بغرض الدعوة للجهاد:

هَذِي الْجَزِيرَةَ لَا تَزَالُ عَزِيْرَةً
مُحْفُوْطَةً بِكَ يَا إِمْرَأَةً وَلَا يَبِيْهَا
فَلِيْهِنِي أَنْدَلُسُ قَدْ وَوَمَكَانُهُ
جَزْرَ لَهَا مِنْ عَادِيَاتِ غَنَاتِهَا

كما جاءت قصيدة استغاثة أخرى كتبها ابن الخطيب (ت: 776هـ/1374م) لكافة المسلمين بالمغرب في معنى الاستنفار للجهاد^[3]:

أِيْحَوَانِنَا لَا تَنْسُوا الْفَضْلَ وَالْعَطْفَا
فَقَدْ كَادَ نُوْرُ اللَّهِ بِالْكَفْرِ أَنْ يُطْفَأَا
وَأِذْ بَلَغَ الْمَسَاءُ الزُّبِي فَتَدَارَكُوا
فَقَدْ بَسَطَ الدِّيْنَ الْخَنِيْفُ لَكُمْ كَفَا
تَحَكَّمْ فِي سُكَّانِ «أَنْدَلُسِ» الْعِدَى
فَلَهْفَا عَلَى الْإِسْلَامِ مَا بَيْنَهُمْ لَهْفَا!

لكن صدى هذه الاستغاثة لم يلق مسامحة خصوصاً بعد هزيمة المسلمين من الغدوتين في معركة طريف^[4]، ثم انشغال المرينين بالفتح وهزيمته بالقيروان سنة 749هـ^[5]، ومن الأبيات التي عبرت عن فاجعة المسلمين بهزيمة طريف ما جاشت به أبيات ابن الخطيب في ردّه على رسالة أبي مُجَدِّد بن المرابع، فقال^[6]:

لَا كَانَ يَوْمُكَ، (يا طريف) وَطَلَمَا
أَطْلَعْتَ لِلْأَمَالِ بَرَقًا خُلْبِيَا
وَرَمَيْتَ دِيْنََ اللَّهِ مِنْكَ بِقَادِحِ
عَمَّ الْبَسِيْطَةَ مَشْرِقًا أَوْ مَغْرِبَا

حين توفي أبو الحجاج (ت: 755هـ/1354م) سنة خمس وخمسين وسبعمائة، ببيع ابنه مُجَدِّد [الغني بالله] (ت: 793هـ/1391م) وواصل بعده الاستجداد ببني مرين، اتخذ ابن الخطيب (ت: 776هـ/1374م) وزيراً له وبعثه سفيراً إلى السلطان أبي عنان (ت: 759هـ/1358م) مستمدّين منه الدعم على عدوهم... وذلك في

^[1] لسان الدين بن الخطيب، اللوحة البدرية، المصدر السابق، ص 80-81

^[2] لسان الدين بن الخطيب السلماني، الديوان، المجلد الأول، تحقيق: مُجَدِّد مفتاح، دار الثقافة، ط2، 1989م، الدار البيضاء، ص 54

^[3] لسان الدين بن الخطيب السلماني، الديوان، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 677

^[4] يذكر المقرئ أن المسلمين تكبدوا فيها الخسائر وصارت جمعهم مكسرة واشترك في القتال سلطان فاس أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق المريني في جيشٍ قدر بنحو ستين ألفاً لأندلس ووفاه أبو الحجاج وأهلها بالإمداد وذلك سنة أربعين وسبعمائة للمزيد بنظر: المقرئ، فتح الطيب، المجلد الخامس، المصدر السابق، ص 15. وعبد الرحمن بن خلدون: العبر، ج7، المصدر السابق، ص 346-347.

^[5] لسان الدين بن الخطيب السلماني، الديوان، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 54

^[6] نفسه، ص 107

الفصل الرابع/ أثرُ الحربِ على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة عام خمسة وخمسين على إثر بيعته،^[1] فتقدم الوفد الذين معه من وزراء الأندلس وفقهائها فاستأذنه في إنشاد شعره وكان منه:^[2]

لَيْسَ لَنَا مَلْجَأٌ نُؤْمِلُهُ سِوَاكَ أَنْتَ التَّمَّ سَأَلُ وَالْوَزْرُ
وَجْهَكَ فِي النَّسَائِيَاتِ بَدْرُ دُجَى لَنَا فِي الْحَلَنِ كَفُّكَ الْمَطْرُ
وَاللَّاسُ طَرًّا بَارِضٌ أُنْدَلُسُ لَوْلَاكَ مَا أَوْطِنُوا وَلَا عَمَّ رُؤَا

وفي عهد السلطان الغني بالله سنة 761هـ بعث وزيره ابن الخطيب (ت: 776هـ/1374م) لأبي سالم المريني (ت: 796هـ/1393م) للاستغاثة، فألقى بقصيدة شعرية ونص نثري على مسامع السلطان المريني، فاهتز لسماع أبياتها وقال له قبل أن يجلس: ما ترجع إليهم إلا بجميع طلباتهم، ثم أثقل كاهلهم بالحسنات وردّهم بجميع ما طلبوه... يقول القاضي أبو القاسم الشريف وكان مع ابن الخطيب في الوفد القادم: لم نسمع بسفيرٍ قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان^[3]، وسبب وفود الغني بالله (ت: 793هـ/1391م) لـ"فاس" سعي والده أخيه إسماعيل للإطاحة بالغني بالله، وذلك باستغلال ابن عمه محمد بن إسماعيل الرئيس فألفوا جيشاً من مائة، وحاصروا القلعة في ليلة الثامن والعشرين من شهر رمضان عام ستين وسبعمائة، واغتالوا حاجبه ونهبوا داره فخرج لوادي آش واحتمى بها، في الوقت الذي عقد فيه أخوه المتغلب على الحكم السلم مع ملك قشتالة، فاختار أن يرحل إلى المغرب للاستغاثة وتبعه وزيره ابن الخطيب (ت: 776هـ/1374م)^[4]، الذي وفد لأبي سالم المريني (796هـ/1393م) لمساعدة سلطانه، فقال في شعره^[5]:

فَصَدْنَاكَ يَا حَيْرَ الْمُسُوكِ عَلَى النَّوَى لِنُصِيفِنَا مِمَّا جَنَى عَبْدُكَ الدَّهْرُ
كَفَفْنَا بَكَ الْأَيَّامَ عَنْ غُلُوقِهَا وَقَدْ رَأَيْنَا مِنْهَا التَّعَسُّفَ وَالْكَبْرُ
وَعُدْنَا بِذَلِكَ الْمَجْدِ قَانَصَرَمَ الرِّدَى وَلَدُنَّا بِدَاكَ الْعَزْمِ قَانَحْرَمَ الدُّعْرُ

كما ساعد أبو سالم (ت: 796هـ/1393م) الغني بالله (ت: 793هـ/1391م) بجوازه للأندلس حينما انقلب عليه أبو سعيد البرميخو، فأنشده ابن الخطيب (ت: 776هـ/1374م) بقصيدة فيها^[6]:

[1] عن فحوى الزيارة بنظر لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 19-20

[2] شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، أزهار الرّياض في أخبار عياض، الجزء الأول، المصدر السابق، ص 206

[3] نفسه، ص 206-207

[4] ابن الخطيب، اللّحة البدرية، المصدر السابق، ص 109-110

[5] مصدر نفسه، ص 415

[6] نفسه، ص 63

الفصل الرابع/ أثرُ الحربِ على المنتوج الثقافي " الشعر نموذجاً"

جَمَعْتُ عَلَيْكَ الْعُدُوتَ— إِنْ قُلُوبَهَا
وَأَكْفَهَا وَعَلَى الْحَمَى— آيَةً غُولُوا
وَالزُّومَ لِأَسْتَرْجِعَ حَقَّكَ شَمَرْتِ
هَذَا هُوَ النَّصْرُ الْمَعْمَمُ الْمَحْـوُولُ
وَاسْتَقْبَلْتِكَ السَّـاجِدَاتِ مَوَآخِرَا
تَهْوِي إِلَى مَـا تَبْتَغِي وَتُؤْمَلُ

من أهم القصائد الشعرية لابن الخطيب (ت: 776هـ/1374م) تلك التي أنشأها مستنصرًا ومستصرحًا سنة 763هـ للسلطان أبي عنان المريني (ت: 759هـ/1358م) يقول^[1]

نَادَيْتُكَ أَنْدَلِسَ وَمَجْدَكَ ضَمَامِ
أَنْ لَا يَخِيبَ لَدَيْكَ ذُو مَطْلُوبِ
عَصَبَ الْعَدُوِّ بِلَادُهَا وَحُسَامِكِ الـ
مَاضِي الشُّبَا مُسْتَرْجِعُ الْمُغْضُوبِ

استصرخ يوسف الثالث (ت: 820هـ/1417م) ببني مرين داعيًا إياهم إلى توحيد صفوفهم في مواجهة عدوهم يقول^[2]:

إِنَّ النَّصَارَى قَدْ تَجَمَّعَ شَمْلُهَا
فَعَسَى بِبِئَاسِ سُيُوفِكُمْ تَتَبَدَّدُ
وَتَرَوَعُهُمْ مِنْكُمْ سُيُوفُ حِمَايَةِ
يَجُولُ دُجَاهَا يُوسِفُ وَمَحْمَدُ

كما أن بني زيان لم يبخلوا على بني الأحمر بالمساعدة في عهد أبي حمو موسى (ت: 791هـ/1388م)، ففي سنة ثلاثة وستين وسبعمائة، وهي السنة التي كثرت فيها الفتن بعد مقتل سلطان الأندلس أبي الحجاج (ت: 755هـ/1354م) ثم خلع ولده مُجَدُّ واستيلاء ابن عمه على الحكم، ولما تدهورت الأوضاع، آثر "أبو البركات مُجَدُّ بن إبراهيم بن المرزاس الأندلسي" "ابن الحاج البلفيقي" (ت: 771هـ/1370م) الصريخ ببني زيان ولما سمع أبو حمو (ت: 791هـ/1388م) قصيدته، قال: "لأصلنَّ حَبْلَ الأندلسِ بجبلي، ولأجعلهنَّ إن شاء الله من جملة قبيلي وأهلي"، وأمر بكتب الأوامر للسواحل ولمن ببلادها من قائد وعاملٍ، بتشريع إيساق الزرع للتجار، وأن يشتروه من أينما شاءوا من البوادي والأمصار، وأن يطلق أيديهم على شراء الخيل في بلاده، واختيارها لعدوة الأندلس على وفق مراده ثم توعدهم بأن يصلهم من زرع بلاده بما يحتاجون إليه، وبمعونة سلطانهم إذا جلب العدو عليه. ومن قصيدة ابن البلفيقي (ت: 771هـ/1370م):^[3]

هَلْ مِنْ مُجِيبٍ دَعْوَةَ الْمَسْتَنْجِدِ
أَمْ مِنْ مَجْبِرٍ لِلْعَرِيْبِ الْمَفْرَدِ

[1] المقرئ، نفع الطيب، المجلد السادس، المصدر السابق، ص 457

[2] يوسف الثالث، الديوان، المصدر السابق، ص 53

[3] مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، الجزء الثاني، تحقيق وتقديم: بوزياني الدراجي، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، 2013م الجزائر، ص 322 وما يليها

الفصل الرابع/ أثرُ الحربِ على المنتوج الثقافي " الشعر نموذجاً"

هل من وليّ ناصِرِ دينِ الهدى

أو ذي حمىٍ بحمي حنيئةٍ أحمدٍ

وعليه فقد كانت مساعدة مادية ولم تكن عسكرية حسب أبيات ابن الخطيب^[1] (ت: 776هـ/1374م)

الذي مدح فيها أبا حمو موسى (ت: 791هـ/1388م) لمساعدته للأندلس:

أنتَ الذي افتتكَ السُّفنَ وأهله
إدًا أوسعتْ سُبلَ الخِلاصِ طُموسًا
أنتَ الذي أمددتْ ثَغَرَ الله بالصّد
قات تلبس كزة إبليسًا
وأعنتَ أنـدلساً بكلِّ سبيكة
موسومةً لا تعرف التّديسًا
وشحنته بالبر في سُبلِ الرّضـى
والبر قاربَ قاعها القاموسًا

استمر هذا النوع من الشعر حتى بعد سقوط غرناطة حسب رسالة للشريف العقيلي آخر وزراء بني الأحمر، يطلب فيها من سلطان المغرب أن يقبل الملك أبا عبد الله الصغير (ت: 932هـ/1527م) وهو آخر ملوك غرناطة ويقول فيها^[2]:

مولى مُلوكِ العَرَبِ والعجم
رعيًا لمـا مثله يُرعى من الدّم
بك استنجدنا وأنتَ نعم الجار لمن
جـارَ الرّمانِ عليه جور مُنتقم

كما أن طابع الاستنجاد حذا حذوًا مختلفًا؛ ذلك أن الشعراء لما استعصت عليهم حال بلادهم توسلوا الله ورسوله خير الأنام في مصابهم، ومن حثوا على الجهاد للمسلمين من بني مرين: الشاعر مالك بن مرحل (ت: 699هـ/1300م) عهد الأمير أبي مالك بن يعقوب (ت: 706هـ/1306م) حين جوازه للأندلس سنة 662هـ، فتضرع لله في قصيدته لينصر المجاهدين في سبيله، ومما جاء في ذلك قوله^[3]:

يا ربِّ وفقنا وألهمنا لمـا
فيه لتـما الخيرُ فأنتَ الملهم
يا ربِّ أصلحْ حالنا وبـالنا
أنـتَ بما فيه الصّلاحِ أعلم
يا ربِّ وانصُرنا على أعدائنا
بـاربِّ واعصمنا فإنك تعصم

وحذا حذوه ابن الخطيب (ت: 776هـ/1374م) في استغاثة رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى

التسليم، فيقول^[4]:

[1] لسان الدين بن الخطيب السلماني، الديوان، المجلد الأول، ص 60

[2] أيمن يوسف إبراهيم جرار، الحركة الشعرية في الأندلس (عصر بني الأحمر)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية، 2007م، نابلس-فلسطين، ص 87

[3] ابن أبي الزرع الفاسي، الذخيرة السنينة، المصدر السابق، ص 100

[4] لسان الدين بن الخطيب السلماني، الديوان، المجلد الثاني، ص 549

الفصل الرابع/ أثر الحرب على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

ألا يا رسول الله ناداك ضارعٌ
على البعدِ محفوظُ الودادِ سليلُهُ
مشوقٌ إذا ما الليلُ حدَّ رواثُهُ
نعمُ به تحت الظلامِ همومُهُ
إذا ما حديثٌ عنك جاءت به الصبا
شجَاهُ من الشوقِ الحثيثِ قديمُهُ

كما استغاث ابن الخطيب (ت:776هـ/1374م) برسول الله عليه السلام بقصيدةٍ شعريةٍ في عهد الغيِّ بالله جاء فيها^[1]:

دَعَاكَ بِأَقْصَى الْمَعْرَبِينَ غَرِيبٌ
وَأَنْتَ، عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ قَرِيبٌ
مُدُّلاً بِأَسْبَابِ الرَّجَاءِ وَطَرْفُهُ
غَضِيبٌ عَلَى حَكْمِ الْحَيَاءِ مُرِيبٌ
فَإِنْ صَحَّ مِنْكَ الْحُظُّ طَاوَعَتِ الْمَنَى
وَيَبْعُدُ مَرْمَى السَّهْمِ وَهُوَ مُصِيبٌ
وَلَوْلَاكَ لَمْ يُعْجَمِ مِنَ الرُّومِ عُودُهُمَا
فَعُودُ الصَّلِيبِ الْأَعْجَمِيِّ صَلِيبٌ
وَقَدْ كَانَتْ الْأَحْوَالُ، لَوْلَا مَرَاغِبٌ
ضَمَّتْ وَوَعْدُ بِالظُّهُورِ، تَرْبِيبٌ
فَمَا شِئْتَ مِنْ نَصِيرٍ عَزِيزٍ وَأَنْعَمِ
أَثَابَ بَهْرَ الْمُؤْمِنِينَ مُنِيبٌ
مَنْ أَابِرُ عَزْرٍ أَدْنَى الْفَتْحِ فَوْقَهَا
وَأَفْصَحَ لِلْغَضَبِ الطَّرِيقَ حَطِيبٌ

وقوله أيضاً حين استدعى للإمداد وحثَّ على الجهاد بنص نثري قال فيه: "أيها الناس رحمكم الله تعالى، إخوانكم المسلمون بالأندلس قد داهم العدو قسمه الله تعالى ساحتهم، ورام الكفر خذله الله تعالى استباحتهم وزحفت أحزاب الطواغيت إليهم، ومدَّ الصليب ذراعيه عليهم^[2]"... وبقصيدة جاء فيها^[3]:

مَاذَا يَكُونُ جَوَابِكُمْ لَنَبِيِّكُمْ
وَطَرِيقُ هَذَا الْعُدْرِ غَيْرَ مَمَّهِدٍ
إِنْ قَالِ لَمْ فَرَطْتُمْ فِي أُمَّتِي
وَتَرَكْتُمُوهُمْ لِلْعَدُوِّ الْمَعْتَدِي
تَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْعُقُوبَةَ لَمْ تُخَفْ
لَكَفَى الْحَيَا مِنْ وَجْهِ ذَلِكَ الْأَسِيدِ

لم يتوقف ابن الخطيب (ت:776هـ/1374م) عن الشكوى والتضرع لله جلّ وعلا، بل ورفع يديه بخالص الدعاء لينصر الله المسلمين في محتهم بالأندلس وقد استمالت له الأنفس للاستغاثة والصريخ ومن ذاك ما رده في قوله "اللهم اعطف علينا قلوب العباد، اللهم بث لنا الحمية في البلاد، اللهم دافع عن الحرم والضعيف والأولاد، اللهم انصرنا علي أعدائك، بأحبابك وأوليائك، يا خير الناصرين، اللهم أفرغ علينا صبراً وثبت

^[1]المقري، نفع الطيب، ج6، المصدر السابق، ص 346

^[2]نفسه، ص 165

^[3]نفسه، ص 166

الفصل الرابع/ أثرُ الحربِ على المنتوج الثقافي " الشعر نموذجاً"

أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين" [1] وقد تعدى الاستنجد ليمس الأضرحة، فذاك ابن الخطيب (ت: 776هـ/1374م) قد خاطب ضريح ولي الله أبي العباس السبتي (ت: 601هـ/1204م) بمراكش، فقال [2]:

يا وليَّ الإلهِ أنت جوادٌ وقصُّدنا إلى حممناك المنيع
راعنا الدهرَ بالخطوبِ فجئنا نرتجي من غلاكِ حُسن الصنيعِ
فمددنا لك الأُكفَ نرتجى عودَةَ العزِّ تحت شَمَلِ الجميعِ
قد جعلنا وسيلةً تُربكُ الرَّاكي وزلُفنا إلى العليمِ السَّمعِ

وفي تضرع عبد الكريم القيسي (ت: 897هـ/1491م) لله في نُصرتِهِ يقول: [3]

عَسَى من قَضَى فيه بأخذٍ يُعيدُهُ ويذهب ما أشكوه من شدَّةِ القرحِ
فمنهُ تعالَى نرتجى الخبزَ كُلَّهُ وما زال أهلُ الفضلِ والمرِّ والمِنحِ

دعا السلطان يوسف الثالث (ت: 820هـ/1417م) ربَّه متضرعاً لُنصرة الإسلام والأندلس يقول: [4]

ألا حُرْجَةٌ في الله تُورثنا العلى فأما لهُـالكِ أو لعزِّ مُشيدِ

وعندما زحف التاريخ بالعرب المسلمين إلى نهايتهم، وبدأت مدن إقليم غرناطة تسقط تباعاً إلى أن سقطت عام 897هـ/1492م استمر الشعراء باستصراخهم بالرغم من العزلة التي وضعت فيها غرناطة وما حولها واستمرت حتى سقوطها، وبالتالي انقطعت المساعدات، وانعزلت الأندلس عن النجادات، إلا أن دعوة الجهاد بقيت مستمرة وهذا ما نراه في قصيدة لشاعر مجهول يقول [5]:

مَعاشِرُ أهلِ الدِّينِ هَبُوا لِصَعْفَةِ وَصَاعِقَةٍ وَأَرَى الجُسُومَ طُهورها
أَصَابَتِ منارِ الدِّينِ فَاخْذُ ركبها وَزَعَزَعَ من أكنافِهِ مُسْتَطيرها
أُنَادِي لها عَجَمُ الرِّجالِ وَعزبها نداءً سرَّاهُ القَفْرِ إذ ظَلَّ غَيرها
ألا اسْتَعِدُّوا لِلجَهِّادِ عَزائمها يُلوِّحُ على ليلِ الوَعَى مُسْتتيرها

[1] المقرئ، نفع الطيب، ج6، ص 166

[2] لسان الدين بن الخطيب السلماني، الديوان، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 658

[3] عبد الكريم القيسي الأندلسي، الديوان، المصدر السابق، ص 349.

[4] يوسف الثالث، الديوان، المصدر السابق، ص 33

[5] رانية أحمد إبراهيم أبو لبد، شعر الحروب والفتن في الأندلس (عصر بني الأحمر)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها،

بكلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، 2008م، نابلس-فلسطين، ص 81

ثالثاً: شعر الحماسة والوصف:

لم يكن شعر الاستصراخ وإيقاظ المهتم للجهد، بعد ضياع المدن التي سقطت بيد النصارى أو ما يصطلح عليه بحروب الاسترداد، وحده ما أثر على نفوس المسلمين عامة والأندلسيين خاصة، فخاض الشعراء تجربة في مجال إلقاء الأشعار الحماسية على مسامع ملوكهم وجندهم لتحفيزهم، خاصة في غمر الحروب الطوال التي خاضوها ضد النصارى. وراحوا يصفون حالة الحرب بفرحها وفرحها، وقد كان السلاطين يصطحبون الشعراء، الخطباء، الفقهاء والوعاظ، لإثارة حماس الجنود ورفع روحهم المعنوية بمواعظهم وقصائدهم^[1] ومما لاشكَّ فيه أن وجود مملكة غرناطة بين ثلاث دول مسيحية هي قشتالة، أراجون والبرتغال، جعل الشعب الغرناطي دائم الاستعداد للقتال، حتى كانوا يخرجون إلى الفحوص في أيام العيد حاملين أسلحتهم معهم لقرهم من أرض العدو، وقد أشار ابن الخطيب (ت: 776هـ/1374م) إلى الإعداد الحربي للشباب في غرناطة يقول: "والصبيان تدرّب على العمل بالسلّاح، وتعلم المشاقفة كما يعلم القرآن على الألواح"^[2]، ومن قصائد الحماسة تلك التي ألقاها ابن زمرك (ت: 793هـ/1392م) مشيداً بشجاعة المقاتل الأندلسي وبراعته:^[3]

بِــــ آلِ نَصْرِ سَرْجِ الْهَدَى	فِي كُلِّ حَظٍّ قَدْ تَهَجَّمْتُمْ مُظْلِمِ
الْفَــــاحُونَ لِكُلِّ صَعْبٍ مُقْبَلِ	وَالْفَــــارِجُونَ لِكُلِّ حَظٍّ مُبْهِمِ
الْبَــــائِثُونَ إِذَا كُــــمُــــاءُ عَوَاسِئِ	وَالْمُقَدِّمُونَ عَلَى السَّوَادِ الْأَعْظَمِ
أَبْنَــــاءُ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَحِزْبِهِ	وَدَوِي السَّوَابِقِ وَالْجَوَارِ الْأَعْظَمِ

والجند في مملكة بني نصر كانوا صنفان: أندلسي يقوده رئيس من القرابة (بنو أشقيلولة) أو أخصياء المملكة، والبربري (الغزاة: بقيت مشيخة الغزاة في أيدي بني عبد الحق زهاء قرن)، وهم قبائل: المرينية بالإضافة إلى الزيانية، التيجانية، العجيسية والعرب^[4].

وفي إظهار الحماسة بتقدير الجنود الأندلسيين ورفع معنوياتهم وعليه، فكان لزاماً على السلطان أن يتبع معهم سياسة تقتضي رفع عزيمتهم للجهد وأن يستوفوا شروط المقاتلة. حيث وجب عليهم عدم الانشغال عن جهادهم بأهلهم ومنعهم من الاشتغال بالمتاجرة، بل حسابهم أن يجب عليهم الجراية والنعمة واكتساب الغنائم

^[1] أحمد مختار العبادي، صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، المرجع السابق، ص 236

^[2] أحمد مجّد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، المرجع السابق، ص 214

^[3] ابن زمرك الأندلسي، الديوان، حققه وقدم له ووضع فهرسه، مجّد توفيق التيفر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م، بيروت، ص 112

^[4] ابن الخطيب، اللوحة البدرية، المصدر السابق، ص 27-28

الفصل الرابع/ أثرُ الحربِ على المنتوج الثقافي " الشعر نموذجاً"

في الحرب، وأن تكون غايتهم الجهاد وطاعة الملك^[1]، نذكر شعر الفقيه الحاج مُجَدِّد بن مُجَدِّد بن الشدييد أثناء مدحه للأمير أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل (ت: 755هـ/1354م)، وهو بهذا يوقظ الحماسة للحرب فيقول^[2]:

نُنَا الأيادي بِكَلِّ ضَرْبِ	يَهْرُ به لَدَى الزَّوْعِ الحَسَامِ
وَنَحْنُ اللَّأبِسُ نُؤْ لِكَلِّ دِرْعِ	يُصِيبُ الشُّمْرُ مِنْهُنَّ انْتِلاَمِ
بَأَنْدَلِسٍ لَنَنَا أَيَّامُ حَرْبِ	مَوَاقِعُهُنَّ فِي الدُّنْيَا عِظَامِ
تَوَى مِنْهَا قُلُوبُ الرُّومِ حَوْفِ	يُخَوِّفُ مِنْهُ فِي المَهْمِ العِلَامِ

ومن القصائد الشعرية الحماسية أيضاً تلك التي ألقاها ابن الخطيب (ت: 776هـ/1374م) بعد واقعة طريف 741هـ/1340م والتي وقعت فيها الخسارة على جيوش المسلمين على رأس ملك غرناطة يوسف بن الأحمر والسلطان المريني أبي الحسن (ت: 749هـ/1384م) وقاد جيوش النصارى ألفونسو الحادي عشر (ت: 751هـ/1350م)^[3]، فكانت الضربة مدوية وإيداعاً بدق ناقوس الخطر على الأندلس، جاشت مشاعر الحزن ممتزجة بروح الحماسة في خاطر الشاعر ليلقي بأبياتٍ من نظمه يقول^[4]:

حَتَّى إِذَا مَحَّصَ اللهُ القُلُوبَ بِمَا	وَلَا دَفَاعَ لِحُكْمِ الوَاحِدِ الصَّمَدِ
وَقَفَّتْ وَالزَّوْعُ قَدْ مَاجَتْ جَوَانِبُهُ	بِحَيْثُ لَا وَالدِ يَلُوي عَلَى وَالدِ
وَصُلَّتْ يَوْمَ التَّقَى الجَمْعَانِ مُنصَلْتَا	كَالصَّقْرِ فِي السَّرْبِ أَوْ كَاللَّبِثِ فِي
فَأَصْبَحَ دِينُ اللهِ لَا تُخْفَى مَعَالِمُهُ	وَأَصْبَحَ المَلِكُ مَرْفُوعاً عَلَى عُمَدِ
إِنَّ الحِزْبَ سَجَالٌ طَالَمَا وَهَبَتْ	فِي اليَوْمِ فَرَضَتَهَا وَاسْتَرْجَعَتْ فِي عَدِ
لَا يُعْرُ الرُّومَ مَا تَأَلَوْا وَمَا فَعَلُوا	فَإِنَّ ذَلِكَ إِمْلَاءٌ إِلَى أَمْرِ
فَللُّقُوبِ مِنَ العَمَاءِ مُنصَرَفٌ	بِمَا تَقَدَّمَ فِي بَدْرِ وَأُحْدِ
وَإِنْ دَوَّنَ طُلَابِ النَّارِ أَسَدٌ وَغَى	مِنْ قَوْمِكَ العِرَّ أَوْ آبَاتِكَ النَّجْدِ
قَدْ أَقْلَعُوا كُلَّ مُشْعَوِذِ العِرَارِ إِلَى	شَنْ العَوَارِ وَسَلَّوْا كُلَّ ذِي أَمْرِ
وَالعَرْمُ بَادٍ وَصُنِعَ اللهُ مُرْتَقِبٌ	وَالفَتْحُ مُنْتَظَرٌ إِنْ لَمْ يَجِن فَفَقْدِ

[1] لسان الدين بن الخطيب السلمي، الإشارة في أدب الوزارة، دراسة وتحقيق: مُجَدِّد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004 م، القاهرة، ص 89-90

[2] أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، نثر الجمال في شعر من نظمنا وإياه الزمان، تحقيق وتقديم، مُجَدِّد رضوان الدايدة، مؤسسة الرسالة، ط1، 1987م، بيروت، ص 197

[3] للمزيد من الأخبار عن واقعة طريف وأحداثها ينظر إلى: عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج7، المصدر السابق، ص 284 وما يليها.

[4] لسان الدين بن الخطيب، الديوان، الجزء الأول، ص 410-411

الفصل الرابع/ أثر الحرب على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

كما دعا ابن زمرك(ت:793هـ/1392م) إلى ضرورة الجهاد والتصدي لغارات العدو في أبياتٍ من نظمه يقول:^[1]

وَجَعَلَ طَوَاعِيَتِ الصَّلِيبِ فِدَاءَهَا جَهَّزَ جِيوشَكَ لِلجِهَادِ مَوْفَقًا
وَاللَّهِ حَسْبُكَ نَصِيرًا وَوَكِيلًا وَتُبِعِدَ الْعَارَاتُ فِي أَرْضِ الْعِدَا

وكذا دعا ابن الخطيب (ت:776هـ/1374م) بذلك في أبياتٍ يقول:^[2]

فَقُومُوا بِرِسْمِ الْحَقِّ فِينَا فَقَدْ عَفَا وَهَذَا نَحْنُ قَدْ لُدْنَا بِعِزِّ حَمَانِكُمْ
وَهُبُّوا لِنَصْرِ الدِّينِ فِينَا فَقَدْ أَشْفَا وَتَرْجُو مِنَ اللَّهِ الْإِدَالَهَ وَاللُّطْفَا

ألقى الشاعر أبو عبد الله محمد بن محمد الشَّديد المالقي بأبياتٍ حماسية من نظمه يظهر فيها بني نصر وجيوشهم المقدامة يوم الحرب يقول:^[3]

نَحْنُ اللَّائِسُونَ لِكُلِّ دِرْعٍ يُصِيبُ السُّمْرَ مِنْهُنَّ اتِّسَامٌ
بِأَنْدَلِسٍ لَنَا أَيْسَامُ حَرْبٍ مُوَافِقُهُنَّ فِي الدُّنْيَا عِظَامُ
تَوَى مِنْهَا قُلُوبُ الرُّومِ خَوْفٌ يَخَوْفُ مِنْهُ فِي الْمُهْدِ الْعُتْلَامُ
حَمِينًا جَانِبَ الدِّينِ احْتِسَابًا فَمَا هُوَ لَا يُهَانُ وَلَا يُضَامُ
وَتَحْتَ الرَّايَةِ الْحَمْرَاءِ مَنَامًا كَتَائِبُ لَا تُطَاقُ وَلَا تُرَامُ
بَنَى نَصْرٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هُمْ أَسُوذُ الْحَرْبِ وَالْقَوْمِ الْكِرَامُ

من أهم الأساليب التي اتبعتها الشعراء في إثارة الحماسة للذود عن الوطن ما خص به السلطان يوسف الثالث (ت:820هـ/1417م) بالإثارة الدينية وذلك بوضع منزلتي الكفر والإيمان في رحلة الجهاد في سبيل الإسلام يقول:^[4]

مَعَادٌ مَنْ كَتَبَ الْحُسْنَى لِأَنْدَلِسٍ مِنْ أَنْ يُجُوسَ عَدُوَّ الدِّينِ أَنْدَلِسَا
مُسْتَعَصِمُ الدِّينِ مَا كَانَتْ فُؤَارِسُهُ يَوْمًا لِيَتَرَكَ جِزْبَ الْكُفْرِ مُفْتَرِسَا
كَمْ أَتَيْتُوا قَدَمًا كَمْ جَدَلُوا صَنَمًا كَمْ شَيَّدُوا لِلْمَعَالِي أَرْبَعًا دُرُسَا

وفي إثارة للعاطفة الدينية لبني مرين ارتأى يوسف الثالث(ت:820هـ/1417م) أن يحمسهم للجهاد في الأندلس، بقوله:^[5]

إِنَّ النَّصَارَى قَدْ جَمَعَتْ شَمْلُهُنَّ فَعَسَى يَبْأَسُ سِيُوفُكُمْ تَتَبَدُّنَّ

[1] رانية إبراهيم أحمد أبو لبة، شعر الحروب والفتن في الأندلس(عصر بني الأحمر)، المرجع السابق، ص 81

[2] ابن الخطيب، الديوان، المجلد الأول، ص 105

[3] المقرئ نفع الطيب، المجلد السادس، ص 238

[4] يوسف الثالث، الديوان، المصدر السابق، ص 154

[5] يوسف الثالث، الديوان، ص 51-52

الفصل الرابع/ أثر الحرب على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

وتروعه منكم سيوف حماية
يُجَلُّ دُجَاهَا يُسُفُّ وَمَحْمَدُ
أَحْوَيْنِ قَدْ قَامَا بِنُصْرَةِ دِيَمِهِ
فَالدَّهْرُ يَبْلَى وَالنَّسَاءُ يُخَلِّدُ

ورأى السلطان النصري يوسف الثالث (ت:820هـ/1417م) الجهاد كواجب ديني يسمو " إلى المعالي يقول: [1]

طِلَابُ الْمَعَالِي بِالرِّقَاقِ الْقَوَاضِبِ
وَرَاخَةُ نَفْسِ الْحَرِّ فَتَكَّةُ بَسَاتِرِ
فَأَيُّهُ نَفْسٍ لَمْ يَكُ الْمَجْدُ هُمُهَا
فَلَا مَنِيَتْ يَوْمًا بِإِدْرَاكِ سَوْهَا
وَنَيْلُ الْأَمَانِي فِي اقْتِنَادِ الْمَقَانِبِ
وَأَنْفَعُ جَبَّارٍ وَعَطْفَةُ وَاهِبِ
وَبَدَلُ اللَّهْيِ وَالْعُرْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَأَعْقَبَهَا الرَّحْمُنُ شَرَّ الْعَوَاقِبِ

كما يصف لنا أبو يوسف الثالث (ت:820هـ/1417م) الحماس الذي يلقيه في قلوب فرسانه للإجابة لواجب الجهاد، فيقول: [2]

إِذَا رَاعَتْ الْأَهْوَالُ آرَاءَ فِكْرَةٍ
يُرِدُ صُدُورَ النَّسَائِيَّاتِ بِصَدْرِهِ
نَضَّتُهُ عَلَى الْبَيْضَاءِ عِزْمُهُ يَوْسُفَ
فَلَا مُفْرَعٌ إِلَّا الْحُسَيْنُ الْمَصْمُومِ
وَيَقْضِي بَمَا شَاءَ الْجَلَادُ وَيَحْكُمُ
فَعَادَاتُ وَوَرْدُ الصَّافِنَاثُ هَادِمُ

ومن شعر الحماسة ما بثته فئة الشعراء في قلوب ملوك بني الأحمر وهو ما أثار في نفوسهم روح الذود والقتال ضد أعدائهم النصاري لرفع راية الإسلام والدفاع عنه، وكان للشاعر ابن فركون (وُلد حوالي: 781هـ/1380م) الخوض في التجربة بأن ألقى قصيدته الحماسية على مسامع ملكه يوسف الثالث (ت:820هـ/1417م) وفيها [3]:

خَفَقَتْ بِمِيدَانِ الْجِهَادِ بُنُودُهُ
رُمِيَ الظَّلَالُ بِنَافِذٍ مِنْ عِزْمِهِ
وَلَسَوْفَ يَفْتَحُ وَائْتِقَاً مِنْ رَبِّهِ
وَيَبْتُ شَمْلُ الْكُفْرِ سَيْفُ جَهَادِهِ
وَيُجِيلُ خَيْلَ اللَّهِ تَمْرُخَ مِثْلَمَا
فُهُبُ سَوْبِ رِيحِ النَّصْرِ أَنْ أُوَانِهِ
حَكْمَتْ مِيَامِينُهُ بَعْرَ جَنُودِهِ
يَا صُفْعَ أَنْدَلِسٍ حَيِّتَ بِنَاصِرِهِ
وَاسْتَرْسَلَتْ فِيهِ سَوَابِقُ خَيْلِهِ
وَدَمُ الْعِدَى بِمَبِيحِهِ وَمَحْلِهِ
كُلُّ الْبِلَادِ بِعَوْنِهِ وَبِحَوْلِهِ
حَسْمًا لِكُنْزِ فَرِيْقِهِ وَلِقَلْبِهِ
عَرَضَ الْفُتُوحِ يُصِيبُ صَائِبُ ثُبُلِهِ
وَوُصُولُ وَقْتِ الْفَتْحِ دَانَ بِوَصْلِهِ
وَقَضَتْ بِمَوْنِ عَدُوِّهِ وَبَدَلِهِ
لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا مَجْرَدُ نَصْلِهِ

[1] يوسف الثالث، الديوان، المصدر السابق، ص 12

[2] نفسه، ص 109

[3] أبو الحسين بن فركون، مظهر النور، إعداد: محمد ابن شريفة، مطبعة الجديدة، 1991م، الدار البيضاء. ص 82-83

الفصل الرابع/ أثر الحرب على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

ألقى الشاعر ابن فركون (وُلد حوالي: 781هـ/1380م) بقصيدة شعرية حماسية للسلطان يوسف الثالث يقول: [1]

والسَّلْمُ إِنْ جَنَحَتْ لَهَا هَيْمُ الْعِدَى فَالْحَرْبُ تُؤَدُّنُ بِاقْتِرَابِ أَوَانِهَا
لَا يَسْتَكْرَهُ الرُّوْحُ الْمَسْلُومُ بِأَرْضِيهِمْ حَتَّى تَرَى الْإِسْلَامَ مِنْ سُكَّانِهَا

كما وصف ابن الخطيب (ت: 776هـ/1374م) حالتي الفوضى والاستسلام التي وصلت إليهما البلاد، فأمر بشد العزائم وضرورة التسليم بخطر النصارى على ثغر الأندلس يقول: [2]

تَحَكَّمْ فِي سُكَّانِ الْأَنْدَلُسِ الْعِدَا فَلَهْفًا عَلَى الْإِسْلَامِ مَا يَبْنَهُمْ لَهْفًا
أَحَاطَ بِنَا الْأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَلَا وَزَرَ عَنْهُمْ وَ لَا حُدًّا وَلَا لَهْفًا
فَهَلْ مِنْ نَاصِرٍ مُسْتَبَصِرٍ فِي يَقِينِهِ يُجِيرُ مِنْ اسْتِعْدَا وَيَكْفِي مِنْ اسْتَكْفَى

كما ألقى رئيس كتاب الملك يوسف الثالث (ت: 776هـ/1374م) "أبو بكر بن عاصم" (ت: 829هـ/1426م) عام 811هـ قصيدة شعرية حماسية يقول: [3]

أَخْلَصْتُ لِلَّهِ الْجَهَادَ فَأَصْبَحْتُ بِإِلَادِ الْعِدَى مِنْ خَوْفِ بَأْسِكَ تَرْجُفُ
وَرُغْتُ قَلُوبَ الرُّومِ قَبْلَ قَتَالِهِمْ فَلَيْسَ لَهُمْ عَنِ مَطْلَبِ السَّلَامِ مُصْرِفُ
فَمَا نَوْهُهُمُ بِالذَّعْرِ إِلَّا تَهْمُومٌ وَلَا شَأْنُهُمْ فِي الدَّهْرِ إِلَّا تَخَوُّفُ
فَكَيْفَ إِذَا قُدَّتِ الْجَيْشُوشَ لِأَرْضِهِمْ تَزَلْزَلُ مِنْهَا مَا اطمَأَنَّ وَتَسُوفُ

أما عن شعر الوصف ويخص بالذكر وصف المعارك والجيش النصرية التي كانت على أهبة استعداد للحرب، وهي التي تتكون من فرق مختلفة منها: رجل الأندلس وناشبتهم المعودين منازل الحصون والمثاغرة بالرباط، رجل البدو، فرق الرماة، فرق الرجال الراححة والفرسان [4]، الذين لقوا باعًا من قبل الشعراء وراحوا يكتبون قصائدهم بالثناء عليهم ورفع همهم، من هؤلاء نذكر: عبد الله بن رضوان البخاري في أبياته والذي يصف فيها حالة العدو وخوفه عند رؤية أسطول المسلمين، وقد جهّزه السلطان يوسف بن إسماعيل بن فرج النصري (820هـ/1417م) قائلاً: [5]

وَلَمَّا اسْتَقَامَتِ بِالرِّقَاقِ أَسَاطِينُ ثُمَّ اسْتَقَلَّتْ لِلسُّعُودِ مَحَافِيزُ
رَأَاهَا عَدُوُّ اللَّهِ فَانْقَضَ جَمْعُهُ وَأَبْصَرَ أَمْوَاجَ الْبَحَارِ اسَاطِينًا
وَمِنْ دَهْشِ مَا ظَنَّ السَّوَاحِلَ أَمْجَرًا وَمَنْ رُعِبَ خَالَ الْبَحَارِ سَوَاحِلًا

[1] ابن فركون، الديوان، المصدر السابق، ص 62

[2] رانية أحمد إبراهيم أبو لبة، شعر الحروب والفتن في الأندلس (عصر بني الأحمر)، المرجع السابق، ص 55-56

[3] أبو الحسين ابن فركون، مظهر النور، المصدر السابق، ص 55-56

[4] أحمد مجد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، المرجع السابق، ص 221

[5] يمن يوسف إبراهيم جرار، الحركة الشعرية في الأندلس (عصر بني الأحمر)، المرجع السابق، ص 80

الفصل الرابع/ أثرُ الحربِ على المنتوج الثقافي " الشعر نموذجاً"

وصف لنا أبو عبد الله اليحصبي الواقعة التي حدثت في "مرج غرناطة" والتي حدثت في عهد السلطان إسماعيل بن فرج أبي الوليد (ت: 807هـ/1405م) وقام على إثرها بهزيمة النصارى يقول: [1]

وَبَسْفَحِ خَيْرٍ لَقُوا شَرَّ الوَعَى
فَصَدُّوا العَرِينَ لِيَغْلِبُوا آسَادَهُ
وَهِيَ عَلَيْهِمُ بِالْمُنُونِ سُحَابٌ
فَقَضَى عَلَيْهِمُ بِأَسْكَ العُـلَابِ
أَجْرِيَتْ أَهْمَارُ السُّيُوفِ عَلَى تَرَى
أَعْنَأْفُهُمْ فَلَهَا الرُّؤُوسُ حُبَابٌ

كما وصف لنا ابن الخطيب (776هـ/1374م) النصر الذي حققه أبو الحجاج (ت: 755هـ/1354م)، فيقول: [2]

وَاهْتَأ (أَبَا الحُجَّاجِ) بِالْفَتْحِ الَّذِي
وَأَنعمَ بِمَوْعِهِ الجَمِيـلِ فَإِنَّهُ
يُهْدَى إِلَيْكَ مِنَ الفُتُوحِ ضُؤِباً
يُشجِي عَدُوّاً أَوْ يَسُرُّ حَيِيـباً
وَالدَّهْرُ مَحْتَفِلٌ بِمُلُوكِكَ مَحْتَفِ
يُبْدِي عَلَى أَثَرِ العَجِيبِ عَجِيـباً

ويصف ابن الخطيب (ت: 776هـ/1374م) انتصار أبي الحجاج (ت: 755هـ/1354م) أيضاً في إحدى معاركه يقول: [3]

وَمَا أَمَى الأَعْدَاءُ إِلَّا لَجـُـسَاجَةً
مُقِيماً بِمَا اسْتَرَعَاكَ فَرَضُ جَهَادِهِمْ
نَهَضَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ أَحْسَنَ مَا نَهَضُ
وَلَمْ تَأَلْ فِي نَدَبِ إِلَيْهِ وَفِي حَضْ
وَأَعَدَدْتُ مِنَ عُرِّ الجَيَادِ صَوَافِئاً
مَطْهَمَةً مِنْ كَلِّ أَجْرَدٍ مُنْقَضِ

ويقول أيضاً في وصف انتصار آخر لإحدى المعارك [4]:

هُوَ النُّصْرُ تَادٍ لِلْعُيُونِ، صَبَاحُهُ
حَدِيدٌ تَهَادَاهُ الرِّكَائِبُ فِي السُّرَى
فَمَا عُدُّ صَدْرٍ لَيْسَ يَبْدُو إِنْشِرَاحُهُ
وَيَجَلَى عَلَى رَاحِ المَسْتَرَةِ رَاحَتُهُ
وَأَيَّةٌ بَشِيرَى هَزَّ مِعْطَفُهُ المَهْدَى
وَأَصْبَحَ دِينُ اللَّهِ قَدِ عَزَّ جَسَارُهُ
لَهَا وَتَبَدَّى لِلزَّمَانِ ارْتِيـسَاحُهُ
بِمَوْعِهِ وَالكُفْرِ هِيضَ جَنَاحُهُ

يصف لنا السلطان يوسف الثالث (ت: 820هـ/1417م) المعارك الحربية ويعلم نفسه مسؤولاً على الجهاد يقول: [5]

لَقَدْ عَلِمْتُ نَصْرَ بَأَنِي كَفِيـلِهَا
أَذَافِعُ عَنْهَا بِالصَّوَارِمِ وَالقَنَـسَا
إِذَا هَاجَتِ المِهْجَاءُ وَاحْمَرَّتِ الأَرْضُ
وَأَحْمِي جَمَاهَا أَنْ يَنَالَ لَهْ عَرْضُ

[1] رانية أحمد إبراهيم أبو لبد، شعر الحروب والفتن في الأندلس (عصر بني الأحمر)، المرجع السابق، ص 91

[2] لسان الدين بن الخطيب السلماني، الديوان، المجلد الأول، ص 105

[3] نفسه، ص 33

[4] نفسه، ص 105

[5] نفسه، ص 134

الفصل الرابع/ أثرُ الحربِ على المنتوج الثقافي " الشعر نموذجاً"

يقول أيضاً: [1]

ألا في سبيل الله طوع رشاده
حيطة هَذَا الثغر أضحت ملاءه
تجاني جنابي عن وتير مهاده
وتهميه ما قد عصى من بلاده

وُلع وشغف السلطان يوسف الثالث (ت: 820هـ/1417م) بتخصيب يديه بدماء الأعداء في المعركة ووجد في ذلك متعة فهو جريء لا يخشى القتال لأن الله مؤيده وناصره في حروبه يقول: [2]

وَلَوْعُ بِتَخْضِيبِ الْبَنَانِ لَدَى الْوَعَى
جَرِيءٌ عَلَى قَبْضِ النُّفُوسِ مُؤَيَّدٌ

وصف يوسف الثالث (ت: 820هـ/1417م) المعارك ووقعها على الأعداء يقول: [3]:

وَاللَّيْلُ أَنْجُمُهُ نُصُورٌ ذَوَابِلُ
وَالجَوَائِحُ حَمْرَةٌ لَا تُنْطَفِئُ
وَالْيَوْمُ يُجْتَمِعُ بِالْجَلَدِ وَيَبْدَأُ
وَمِنَ الْجُنُودِ مَوَارِدٌ لَا تَنْطَمَأُ
وَالجُرُودُ لِلْعَوَارِ كَأَنَّهَا
تَعْشَى الْبُرُوقُ إِذَا انْتَبَزَتْ تَنَلَا
تُرْذَى الْعِدَا وَمَا حَوَتْ أوطانها
فَالْمَالُ هَبَّ وَالْحَرِيدُ مُرْزَأُ
نَحْنُ الْأَوْلَى قَهْرُوا الْمُلُوكَ فَمَلِكُنَا
بَصَنَائِعِ الْفَتْحِ الْقَرِيبِ يُهِنَا

وصف لنا ابن فركون (وُلد حوالي: 781هـ/1380م) أهبة الملك يوسف الثالث (ت: 820هـ/1417م) في إحدى معاركه لتحرير جبل الفتح من قبضة النصارى في إحدى قصائده يقول: [4]

إلى جبل الفتح ابتدرت بعزمي
طَرَقَتْ حَمِي أَفْصَى الْبِلَادِ تَمْنَعَا
يَخِيبُ مَنَاوٍ عِنْدَهَا مُنْـفَافِي
وَسَيِّفِكَ صَلَّتْ حَيْثُ بَأْسُكَ كَامِنِ
بَمَا لَمْ يَحْزُ فِي الْفَتْحِ مُوسَى وَطَارِقُ
تُفُوقُ بُرُوجِ الْأَفْقِ أَبْرَاجُهُ فَمَا
وَقَلْبِكَ نَبَتْ حَيْثُ بُنْدُكَ حَافِقُ
وَمَا لَا تَبَاهِي أَفْقُهُ وَجُومُهُ
بَمَا لَمْ يَحْزُ فِي الْفَتْحِ مُوسَى وَطَارِقُ
وَلَكِنْ بِهِ قَوْمٌ أَبْـحَاوَا دَمَائِرُهُ
قَلَائِدُ فِي لَبَاتِهَا وَمَنْـطَاطِقُ
يَبْغِي قَنَاعٍ فِي دَرَاهِ وَنَاعِقُ
لَقَدْ كَفَرُوا نِعَمَكَ لَا دَرَّ دَرَاهِمُ
فَجَلَّتْ بِهَمِّ طَوْعِ الْبَوَادِرِ الْبِسْوَائِقُ

[1] لسان الدين بن الخطيب السلماني، الديوان، المجلد الأول، ص 48

[2] هبة إبراهيم منصور اللبدي، الوصف في شعر الملك الأندلسي يوسف الثالث، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، لغة عربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2012م، ص 121

[3] نفسه، ص 122

[4] ابن فركون، الديوان، المصدر السابق، ص 309

الفصل الرابع/ أثرُ الحربِ على المنتوج الثقافي " الشعر نموذجاً"

ولو قد أجابوا دعوةً يــــوسفيّةً
لمدّ من السرى الجميــــل سرادقُ
إذا ما دجى ليلُ الخطايا يــــوسفُ
لصُبح الرضى والعفو والحلمُ فالقُ
يقولُ لسانُ الفتحِ في عرصــــاتِهِ
ألا ســــارِعوا للعزّ طوعاً وسابقوا

وصف يوسف الثالث (ت:820هـ/1417م) تاهبه مع جنده في الحرب قائلاً:^[1]

راقَ الرّيمانُ وجرّنا ميقــــاتُهُ
بالبصحة العراء من أيبــــامه
وتقدّم الأُمّ الملمّ مُقوّقــــاً
ما شاءهُ من مرهقات ســــهاميه
فتخالها في الجسمِ بئزّ مُقوّضِ
لرجالِهِ ومُطنّبِ لخيــــاميه
كم مرّجفٍ بالله أقسَمَ خــــانئاً
واللفظُ لم يخف اتضاح قــــاميه

وصف لنا ابن فركون (وُلد حوالي:781هـ/1380م) في ديوانه أحداث معركة "شقورة" بين السلطان يوسف

الثالث (ت:820هـ/1417م) و النصرارى يقول:^[2]

لما التقى الجمعان في أرض العدى
ورميت جمعهم بيأس مُعجــــلِ
نادى بأبطال الجهاد ألا أقدموا
وأجــــال فيهم نظرة المتأملِ
فتســــارِعوا إلى داعي الهدى
والرُوم عن سبيل النجاة بمغزّلِ
صــــاقث عليهم أرضهم فتوقّفوا
والماء يجمع نفسه في الجدولِ
وتجمّعت فرق العدا ثم انبثت
مــــابا بين مُنهزم وبين مجدلي
وتسلّوا طوع الفرار وجمعهم
قد رنّع بين مدللٍ ومُضللِ

وذكر السلطان يوسف الثالث(ت:820هـ/1417م) مجابته للقشتاليين في حصن "مشاقر" وانتصاره عليهم

يقول:^[3]

ما بينَ زرقة لحظه وحُساميه
يلتأخِ بدرُ الأفقِ عنه تمــــاميه
لما وثقنا بالتّي المجــــبتي
في نقضه التّبوي أو إبرامــــيه
لم ينتظم للكُفر عدّ جُنــــوده
إلا أقرّ العين نثر نظــــاميه

[1] يوسف الثالث، الديوان، المصدر السابق، ص 125

[2] العنزي سعد بن ماشي بن عودة، التجليات الحضارية في الشعر العربي عصر بني الأحمر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، كلية الدراسات

العليا، 2012م، جامعة عمان الأردن، ص 94

[3] يوسف الثالث، الديوان، المصدر السابق، ص 125-126

ويقول أيضاً^[1]:

هَذَا كَمِ مِنْ ضَارِعِ مُتَوَسِّلِ بِجِهَادِهِ وَصَلَاتِهِ وَصِيَّامِهِ
يَدْعُـوْا بِنَا لِلْحَرْبِ مِنْ شُهَدَائِهِ وَمَا أَصَابَ النَّغْرَ مِنْ اهْتِمَامِهِ
وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ مَتَكْفِـلِ بِالنَّصْرِ وَالْمَعْهُـُودُ مِنْ انْعِدَامِهِ

كما نظم السلطان يوسف الثالث(ت:820هـ/1417م) شعراً بعد محاصرة (الإفنت) فرناندو ثغر (انتقيرة) عام 1410م حتى سقط بأيديهم وهو بذلك يعاتب المنافقين الذين لم يدافعوا عنه ويحملهم مسؤولية ذلك يقول:^[2]

وَيَا عَجَباً مِنْ تـــــــَارِكِ حَقِّ رَبِّهِ تَعَرَّفْتُ الْبَعْضَ لِمَنْ كُنْتُ حُبِّهِ
فَلَمْ يَنْتَشِقْ رُوحَ الرِّضَايِ مِنْ مَهَبِهِ وَمَهْمَا دَعَا دَاعِيَ الْهَدَى لَمْ يُلْبِهِ
فَأَنْقِ لَهُ بِالْفَحْرِ وَالْفُؤْزِ بِالْأَجْرِ

يصف ابن زمرك (ت:793هـ/1392م) جيوش غرناطة يقول:^[3]

سَأَلْتُ بِهِ تَحْتَ الْعِجْبَاجِ سَفِينَةَ لَقَحَتْ بِرِيحِ الْعَرِّ مِنْ أَنْصَارِ
أُرْسَتْ بِجُودِيِّ الْجُودِ فِي يَوْمِ النَّدَى وَجَرَتْ بِيَوْمِ الْحَرْبِ فِي تَيْسَارِ

يقول أيضاً:^[4]

فَهِيَ الْعَرَابُ انْبَرَتْ يَوْمَ الْوَعَى قَدْ أَعْرَبَتْ عَنْ لُطْفِ صُنْعِ الْبَارِي

كما يصف لنا النميري (وُلد:713هـ/1313م) جيوش الغني بالله (ت:793هـ/1391م) يقول:^[5]

وَاللَّهُ جَيْشٌ أَهْجَتْنَا خِيـــــــوْلَهُ بِمَا رَاقَ مِنْ كَرٍّ وَشِيـــــــكٍ وَمَنْ فَرَّ
وَمَرُّوا صَبَاحاً وَالسَّبِيـــــــكَةُ كَاسْمِهَا بِمَا بَدَلَتْ تَجْرِي لِتُرْبِيخِ لِي تَجْرِي

وفي وصف الجيش يصف لنا ابن فركون(وُلد حوالي:781هـ/1380م)صورة القائد الشجاع بقوله:^[6]

^[1] يوسف الثالث، الديوان، ص 126

^[2] نفسه، ص71

^[3] المقرئ، نفع الطيب، المجلد السادس، المصدر السابق، ص233

^[4] المقرئ، نفع الطيب، المجلد السادس، ص 233

^[5] إبراهيم بن الحاج النميري، الديوان، تقديم وضبط: د. عبد الحميد عبد الله الهرامة، المجمع الثقافي، 2003م، أبو ظبي، ص 110

^[6] ابن فركون الأندلسي، الديوان، دار الكتب الوطنية ، ط1، 2009م، أبو ظبي، ص 54

الفصل الرابع/ أثر الحرب على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

وما ذاك إلا حيث أنت مُملِكٌ وقواعدها طَوْعاً وكُفَّـارها فَهْرًا

تلُّ عليهم في لظى الحربِ مُرَهَفًا فتورُدُّهم منه على ظمًا نحرًا

وصف الشاعر يوسف الثالث(ت:820هـ/1417م) فرسانه في ساحة المعركة ببطوليتهم حيث أن لباسهم من

الحرير أصبح من الحديد فدروعهم أغلى من الحرير وهي حاميتهم في الوعى من بطش النصارى يقول:^[1]

تَعَوَّضَ من لیسِ الحریرِ دُرُوعًا وَأَبْدَلَ من كأسِ المِدامِ نُجُيعًا

ومن ظلِّ خَفَّافِ الضَّلَالِ مُهَدَّلٍ هجيراً يضلُّ السَّربُ فيه مروعًا

كما يصف شجاعتهم (فرسانه) وقوة تحملهم في ساحة المعركة يقول:^[2]

قد عُوِّدَتِ أجسامُهُم وَقَعَّ الأيْسَنَّةُ والسَّيِّبُ وف

قد أُشْرِبُوا حُبَّ الوعى مُتَصَرِّفِينَ مع الصُّروفِ

ويقول أيضاً أثناء وجهته إلى مدينة "المنكب"، أول شهر ربيع الأول من عام تسعة عشر وثمانمائة:^[3]

وللغارةِ الشَّعْواءِ من أنْجُمِ الدُّجى مَلاحِمُ في آفاتِها وهزائِمُ

إذا خَفِقَتْ من صَادِقِ الفَجْرِ رايَةٌ يُصارِغُ بعضٌ منها ويُصَادِمُ

يقول أيضاً⁴:

لَهَا الغارةُ الشَّعْواءُ يَفْعَلُ حدَمَها بِأفئدةِ العُشاقِ فَعَلَّ صَبَاحُ

وَتَقْصُرُ عَنْهَا المُرَهَفاتُ إذا انْبَرَّتْ إلى مُلْتَمَى الأبطالِ يَوْمَ كِفَاحُ

لَوَاحِظُ غَيْدِ نَوْمَةٍ وتَيْقِظُ لَوَاحِظُ غَيْدِ نَوْمَةٍ وتَيْقِظُ

وعلى حين غرة، ودون استعداد من النصارى، كان يوسف الثالث (ت:820هـ/1417م) يباغت على بكرة

صبح حصونهم كنوع من التكتيك الحربي ونبوغ، وفطنة، وبهذا يمنعهم من الاستعداد والتهيؤ ليصبحوا جثثاً

هامدةً وهو بهذا ينجح في هزيمتهم يقول:^[5]

طَرَفْتُ حَمَاهُم على جِبِنِ غَرَّةٍ وَكَمْ سَرَّ ليلٍ وساءَ صَبَّاحُ

وكم من كَسُولِ نُؤُومِ الضُّحى تصبَّحها وهي دُونَ اصْطَبَّاحُ

[1] يوسف الثالث، الديوان، المصدر السابق، ص 136

[2] نفسه، ص 136

[3] نفسه، ص 112

[4] نفسه، ص 29

[5] نفسه، ص 25

الفصل الرابع/ أثرُ الحربِ على المنتوج الثقافي " الشعر نموذجاً"

يصور لنا ابن فركون (وُلد حوالي: 781هـ/1380م) الشاعر للواقع الحربي الذي عاشه المسلمون في ذلك العصر أي عصر "بني الأحمر" فيصف لنا الأرض وقد كسا الثلج ثمارها بهيئة الفرسان في ساحة القتال فيقول:^[1]

سَنَهَضُ لِلغاراتِ حَيْلٍ مُغَيَّرَةٍ تُطِيلُ ارتباحتها وهي ما قازبت خمراً
تَساقطُ فيه الثلجُ للأرضِ مثلَما تنائرُ عقدُ الدُرِّ من كَفِّ نَماظِمِ
تَحْمالُ ثَمارَ الأرضِ فيه فوارِسًا يَحْضُرُ ثيابِ نَحْتِ بيضِ عَمائمِ

أما عن المقاتلين وغاراتهم على العدو فالسلطان يوسف (ت: 820هـ/1417م) يصف هؤلاء بالنجوم في الليل تتلألأ، وتلك هي حالة وميض رماحهم وأسننتهم المشهورة في وجه أعداء الإسلام يقول:^[2]

يُحسُّ غَماراً صادعاً جُنحَ ليله وشهبُ الدِّياجي حَزْبُهُ ورفافُهُ
يُجيدُ تَسامِي حَوْها مُتَطَلَعاً على مَـارِدٍ يَزِيدُ عَنْهُ اسْتِرافُهُ

نجدُ السلطان يوسف الثالث (ت: 820هـ/1417م) يصفُ شخصه بالمقاتل الصنديد ناصر الإسلام حامل رايته المقدام يوم الحروب بدون منازع يصف نفسه في أبيات شعرية من نظمه يقول:^[3]

إِذا شِئتُ أن تُعطيَ المِقادَةَ أهلهَا ونَلقى حُسامَ النَّصرِ في كَفِّ ضارِبِ
تَجِدُنِي مقداماً على المَـوَلِ لم أبلِ بما جَمَعوا أو عَدَدُوا من مَقانِبِ
يُصـاحِبُنِي حَزْمٌ يَحونُ هوَاجِسِي وعَزْمٌ كما سَلَّتْ رِقاؤُ المَضارِبِ

يصف نفسه أيضاً بالمقاتل الشجاع الذي لا يأبى بالهزيمة يقول:^[4]

أنا الهُمَامُ الذي تُحشى عِزائِمُهُ في الحَرْبِ إن كَتَبَ الأجنادُ أو كَتابا
أنا الإمامُ الذي تُرجى مَكـارِمُهُ لله مِنها خِلالُ فاقَتِ السُّحُبا

كما يصور يوسف الثالث (ت: 820هـ/1417م) تهديده للإفنت ووصفه لجيشه المحب للجهاد، الذي حرر "حصن الصخرة" من النصارى ومن دهائه أنه رضي بعقد هدنة لتضليلهم بقوله:^[5]

بَكَرُ الفُتوحِ وصنَعُ اللهِ مُرتَقِبِ نَملى عَجائِبُهُ الأيِّـامِ والحِقَبِ

[1] ابن فركون، المصدر السابق، ص 285

[2] يوسف الثالث، الديوان، المصدر السابق، ص 153

[3] نفسه، ص 5

[4] نفسه، ص 13

[5] ابن فركون، الديوان، ص 29

الفصل الرابع/ أثرُ الحربِ على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

والمليحون بما قالوا وما فعلوا
والمليحون بما قالوا وما فعلوا
فيمًا مبينا لِمَا يُلقِيهِ من حُجَجٍ
فيمًا مبينا لِمَا يُلقِيهِ من حُجَجٍ
مَنْ الَّذِي يَصِفُ الْأَمْلَاقَ قَاطِبَةً
مَنْ الَّذِي يَصِفُ الْأَمْلَاقَ قَاطِبَةً
وَلَا يَزِي حَقًّا الْحَقَّ الَّذِي يَجِبُ
وَلَا يَزِي حَقًّا الْحَقَّ الَّذِي يَجِبُ

وجاء في وصف الحصون الغرناطية أيام "بني الأحمر" ما وجدناه في ديوان ابن فركون فيقول:^[1]

وإِنَّ "إفنت" الروم يجهدُ كلِّما
وإِنَّ "إفنت" الروم يجهدُ كلِّما
وَكَانَ وِلْيُ الشَّرِكِ وافي مُطـاوعاً
وَكَانَ وِلْيُ الشَّرِكِ وافي مُطـاوعاً
فَفَارَ بِهَا طَوْعاً وَخَلَّ بِأَفْقِهِ
فَفَارَ بِهَا طَوْعاً وَخَلَّ بِأَفْقِهِ
وَسَارَ إِلَى أوطـانِهِ وَهُوَ ظَافِرٌ
وَسَارَ إِلَى أوطـانِهِ وَهُوَ ظَافِرٌ
وَكَانَ إِلَيْهِمُ الآنَ بَأَيِّ بَزْعِمِهِ
وَكَانَ إِلَيْهِمُ الآنَ بَأَيِّ بَزْعِمِهِ
يُقـودُ لَهَا جَيْشُ الصَّلَاةِ قَاصِداً
يُقـودُ لَهَا جَيْشُ الصَّلَاةِ قَاصِداً
إِلَى أَنْ أَمَى مَولى الخَلائِقِ يُوسُفُ
إِلَى أَنْ أَمَى مَولى الخَلائِقِ يُوسُفُ

كما وصف لنا يوسف الثالث (ت: 820هـ/1417م) في ديوانه حصن المكلين الواقع شرق غربي غرناطة والذي بنى سوره سنة 812هـ وهو من الحصون المنيعة التي لعبت دوراً مهماً في العمارة الحربية التي بناها بنو الأحمر لتحصين مدينتهم من ضربات النصارى فيقول عنه^[2]

إِذَا مَا عَدَّوْ اللَّهِ جَاسَ خِلالَهُ
إِذَا مَا عَدَّوْ اللَّهِ جَاسَ خِلالَهُ
تَمُرُّ بِهِ هَوَجُ الرِّتَاحِ فَتَنْتَنِي
تَمُرُّ بِهِ هَوَجُ الرِّتَاحِ فَتَنْتَنِي
تُرُومُ سَمَوًا فَوْقَهُ وَهِيَ دُونََهُ
تُرُومُ سَمَوًا فَوْقَهُ وَهِيَ دُونََهُ
دَعَوَتْ لَهُ أَهْلَ الجَهَادِ فَاهْطَعُوا
دَعَوَتْ لَهُ أَهْلَ الجَهَادِ فَاهْطَعُوا
وَدَارَتْ حَوَالِيهِ الجُنُودُ كَأَنَّهَا
وَدَارَتْ حَوَالِيهِ الجُنُودُ كَأَنَّهَا

ومن رسائل الشعر التي شهدت على نيّة السلطان يوسف الثالث في إبقاء العلاقات الودّية مع السلطان المريني "السعيد" بعد خلافات بين الطرفين ما أرفده سلطان بني الأحمر في أبياتٍ من نظمه جاء فيها:^[3]

مِنَّا الخِطـابُ وَعِقدُهُ المنتَظَدُ
مِنَّا الخِطـابُ وَعِقدُهُ المنتَظَدُ
يَهْدِي إِلَى قَصْدِ السَّيْلِ وَيُرْشِدُ
يَهْدِي إِلَى قَصْدِ السَّيْلِ وَيُرْشِدُ

^[1] ابن فركون، الديوان، ص 27

^[2] نفسه، ص 32

^[3] يوسف الثالث، الديوان، المصدر السابق، ص 52

الفصل الرابع/ أثرُ الحربِ على المنتوج الثقافي " الشعر نموذجاً"

وَكُنَائِبُ مِنْ كُنَيْبِنَا نَصَبُ السُّرَى

تَدْعُو لِيـــــ وَرِثْمُهُ يَبْجَدُّ

وَأَسْتَرْسَلْتُ رُسُلَ الْجِهَادِ وَقَصَدْنَا

مَرْجُوُّ نُصْرَتُنَا وَنِعَمَ الْمَقْصِدِ

جهز يوسف الثالث جيشاً بقيادة السعيد المريبي لاسترجاع "جبل طارق" يقول في شعره:^[1]

وَسَائِلُ بِهَا الْقَشْتُورُ إِذْ عَزَّ مَطْلَبُ

فَهَا هُوَ مِنْ أَسْرِ السُّيُوفِ عَيْبُ

نَحْدَنَا إِلَيْهِ بَعْدَمَا هـــــ يَوْمَ الدُّجَى

وَنَادَى فَتَجَيَّبَـــــ هَاهُ وَهُوَ عَرِيقُ

وَإِنَّا لَنَرْجُو مِنْ تَنَاهِي ضَلَالَةٍ

عَسَى سُكْرُهُ يَصْحُو بِنَا وَيَفِيـــــ

دعا السلطان "يوسف الثالث" إلى ضرورة توحيد صفوف المسلمين الغرناطية والمرينية للتصدي لهجمات

النصارى على حصون الإسلام في الأندلس بعد أن جمع شملهم (النصارى) في أبياتٍ من نظمه^[2]:

يَقْضِي السَّعِيدُ بِمَا اقْتَضَتْ عَزَمَاتُنَا

وَالْمَلِكُ مَنصُورُ اللَّـــــ واءِ مُؤَيِّدِ

(فَأَسْرُ الْجَدِيدِ) يَخْلُهَا مُتَعَلِّبٌـــــ

وَوَلِيُّهُ نِعَمَ الْمَعِيـــــ مِنَ الْمُنْجِدِ

إِنَّا لَهُ الرِّدَّةُ الَّذِي يَكْفِي الْعَدُوَّ

وَيَحْوَطُ جَانِبَ مَلِكِهِ وَيُؤَيِّدُ

ووصف لنا الشاعر أبو العلاء بن سماك العاملي(ت:750هـ/1349م) أحد الحصون المنيعه التي كانت عرضةً

للكرّ والفرّ بين جيوش المسلمين والنصارى في عهد سلاطين بني الأحمر وهو حصن "كيركول" الذي استولت

عليه جيوش النصارى فهبّ الغني بالله لنجدته واستطاع أن يسترده، فيصف لنا الشاعر ذلك الاسترداد ويعده

فتحاً عظيماً يقول^[3]:

فَتَحَّتْ سِيـــــ وَوَفِكَ كِرِيكُولُ وَإِنَّهُ

فِي الْفَتْحِ عُنْوَانُ مَا هُوَ أَكْبـــــ

تَعَزَّ عَلَى الْأَرْضِ الْفَضَاءِ طَلْبِعَةٌ

فَلَهُ عَلَى كُلِّ الْبَسِيـــــ طَةً مَظْهَرُ

يَرْتُـــــ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ كَاتَهُ

لِحَظٍّ يُضَمُّ عَلَيْهِ مِنْهَا مَحْـــــ جَرُ

مَا إِنَّ يَبِيئُ الْكُفْرُ يَوْمًا غـــــ آرَةً

إِلَّا الْمَغْوَارُ مِنْهُ مُنْـــــ نِيرُ

صُعِدَ الْعِدَاةُ عَلَيْهِ أَمْنَعُ مَعْـــــ قِلِ

مُتَمَثِّلِينَ بِأَنَّهُ لَا يُجْـــــ صَرُ

فَسَمَتِ جِيوشكُ مِنْهُ أَعْلَى شَاهِقِ

يَرْتَدُّ عَنْهُ الطَّرْفُ وَهُوَ مَحْيـــــ

^[1] يوسف الثالث، الديوان، ص 146

^[2] نفسه، ص 51

^[3] لسان الدين بن الخطيب، الكتيبة الكامنة لما لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، 1983م، بيروت، ص

الفصل الرابع/ أثرُ الحربِ على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

من دونه قطر الغمام الممطر

في رأس سن لا تُقمام سماؤه

كما ذكر أبو العلاء محمد بن سماك العاملي (ت: 750هـ/1349م) الواقعة البحرية التي قام بها الغني بالله (ت: 793هـ/1391م) وانتصر على جيوش النصارى يقول^[1]

لم تأت قط بمنله الأرمم

فتح قضاة الملك الرمم

ذلت بعزة نصره الصلب

فلاي يوم سعاده اولاه

واقتر عن أزهاره البست

بشرى كما فغم العبر لن

وجاء في وصف الجيش أيضاً^[2]:

نفخت بريح العزم من أنصار

سالت به تحت العجاج سفينة

وجزت بيوم الحرب في تيار

أرسث بجودي الجود يوم الندى

تخللت المناسبات والأعياد والاحتفالات في مملكة غرناطة أيام بني الأحمر، مجموعة من الاستعراضات للجيش والأسلحة فأقدم الفرسان على إبراز مهاراتهم الدفاعية في القتال وتصوير بطولاتهم الحربية أمام أهل الحضرة وقد وصف لنا الشعراء أعمال الفروسية والرماية وغيرها من فنونهم، ونذكر منها قصيدة عن الخيل والفرسان فيقول النميري فيها^[3] (وُلد: 713هـ/1313م):

كما طار في البيداء سرب القطا الكدر

ويوم سباق الخيل أبصرت ضمراً

شهدت اختلاط الشهب منهم بالصفر

وقلت بروق في ديباج وإتماً

أر شققاً قبلها زين بالفجر

وكزروا بممراً جملة فلم

وصوت هذه الخيل بالحرب شبيهة بصوت الرعد المنزل، يخيف الأعداء بصوتها ويثير الرعب في نفوسهم يقول: ^[4]

ومن مائل لج أو ترنج ناعم

تحال صهيل الجرذ زواعداً

كما خص ابن زمرك (ت: 793هـ/1392م) سرعة الجياد بقصيدة يصفها فيها يقول: ^[5]

لم تجز في خلد ولم تتوه

وأريتنا فيه عجايب جمّة

^[1] لسان الدين بن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص 198-199

^[2] شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص 144

^[3] ديوان النميري، المصدر السابق، ص 111

^[4] يوسف الثالث، الديوان، ص 114

^[5] المقرئ، نفع الطيب، المجلد السابع، ص 187

الفصل الرابع/ أثر الحرب على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

أرسلت سُرْعَانَ الحَيِّـيَــادِ كَأَنَّمَا أُسْرَابُ طَيْرٍ فِي النَّوْفَةِ حُـومٌ

يصف لنا أيضاً ابن زمرك (ت:793هـ/1392م) الخيل في المعارك بأبياتٍ شعريةٍ عن قوتها في حجمها واختلاف ألوانها فهي كالليل الحالك في سوادها، حمراء كاللهب وجمرة حارقة للعدو يوم الوغى يقول:^[1]

من أشهبِ كالصُّبحِ يعلو سرجه صُبحُ بهِ نَجْمِ الضَّلَالَةِ يَأْتِي
أَوْ أَدْهَمِ كَاللَّيْلِ قَلْدِ شَهْبُهُ حَاضِ الصَّبَاحِ فَأَنْتَبَتْهُ الْأَرْجُلُ
أَوْ أَشَقَّرِ سَـالَ النَّصَارُ يَعْطِفُهُ وَكَسَّاهُ صِبْغَةَ بَهْجَةٍ لَا تَنْصِلُ
أَوْ أَحْمَرِ كَالجَمْرِ أَضْمَرِ بَأْسُهُ بِالرَّكْضِ فِي يَوْمِ الحَفِيظَةِ يُشْعَلُ

له أيضاً وصفٌ آخر في أبيات شعرية من نظمه في تبيان أنواع الخيل التي شاركت في حروب بني الأحمر يقول:

وَأَحْمَرٌ قَدْ أَذَكِيَ بِهِ الْبَأْسُ جَمْرَةٌ وَقَدْ سَلَبَ الْيَاقُوتِ وَالوردِ فَجِنَّةٌ
أَدَارَ بِهِ سَاقٍ مِنَ الحَرْبِ حَمْرَةٌ وَأَبْدَى حُبَاباً فَوْقَهَا الحُسْنُ عُرَّةٌ

يُرَيْنُ بِهَا جُنْدًا أَسِيلاً مُورِداً

وَأَشَقَّرُ مَهْمَا شَعْنَعِ الرُّكْضِ بَرْقُهُ أَعَارَ جَوَادِ البرقِ فِي الأفقِ تَسْبِقُهُ
بَدَا شَفَقاً قَدْ جَلَّلَ الحُسْنَ أَفْقُهُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أُنْدَعَ خَلْقُهُ

فَسَالَ عَلَى أَعْطَافِهِ الحُسْنَ عَسَجِدَا

وَأَصْفَرُ قَدْ وَدَّ الْأَصْبِيلُ جَمَالُهُ وَقَدْ قُدَّ مِنْ بُرْدِ العِشِيِّ جَلَالُهُ
إِذَا أُسْرُجُوا جَنَحَ الظَّلَامِ ذِبَالُهُ فَعَرَّتُهُ شَمْسٌ تُضِيءُ جَمَالُهُ

وَفِي ذَيْلِهِ ذَبِيلُ الظَّلَامِ قَدْ ارْتَدَى

وَأَدْهَمُ فِي مَسْجِ الدُّجَى مُتَجَرِّدُ يَجِيئُ بِهَا بِحَرْ مِنْ اللَّيْلِ مُزِيدُ
وَعُرَّتُهُ نَجْمٌ بِهِ تَتَنَسَّلُ وَقَدْ لَهُ البدرُ سُرْجٌ وَالتَّجْمُومُ مُقْلِدُ

وَفِي فَلَقِ الصُّبْحِ المَبِينِ تَقِيدَا

وَأَبْيَضُ كَالقَرُطِ لَاسٍ لِأَخِ صَبَاحُهُ عَلَى الحُسْنِ مَغْدَاهُ وَفِيهِ مَرَاخُهُ
وَلِلطَّيِّبَاتِ الْآنِسَاتِ مَرَاخُهُ تَرَاهُ كَنَشْوَانٍ أَمَانَتُهُ رَاخُهُ

وتحسبُهُ وَسَطَ الجمالِ مَعْرِبَا^[2]

كما يصف ابن زمرك (ت:793هـ/1392م) الخيل الأندلسية قائلاً^[1]:

^[1]المقري، نفع الطيب، المجلد السابع، ص 174

^[2]نفسه، ص 202

الفصل الرابع/ أثرُ الحربِ على المنتوج الثقافي " الشعر نموذجاً"

لله خيلك، إهمسا لسوايح
بحر القتام وموجه متهب
من كل برق بالثرى ملجم
بالدر سرج والأهلة تبع
أوفى بما كالظليم وحلقه
كفل كما ماج الكئيب الأهيل
هنّ البوارق غير أنّ جيادها
عن سبق خيلك يا مؤيد تُنكـل

كما وصف لنا ابن زمرك (ت: 793هـ/ 1392م) الخيل التي أشركها أبو الحجاج (ت: 755هـ/ 1354م) في معاركه الضارية ضدّ النصارى بقوتها كأنها النجوم والبروق وكواكب يقول:

وأجريت فيها الخيل وهي سوابق
وإنّ طلبت في الزرع فهي لأوحق
نجوم وأفنائ الطراد مشارق
يغوت التماخ الطرف منها بوارق
إذ ما تجاري الشهب تشبّق المدى
وتطلع في ليل القتام كواكبنا
تعود إلى الأعداء منها كواكبنا
فترسّم من فوق الثراب محاربا

تحوّز رؤوس الزوم فيها سجدا^[2]

يقول أيضاً ابن زمرك^[3] (ت: 793هـ/ 1392م) في وصفه لسرعة الجياد في الحرب كأنها برق:

أرسلت سرعان الجياد كأنها
من كل منحفر بخطفة ببارق
أسراب طير في التئوفة حوم
قد كان يسبق لمحّة المتوهّم
طرف يسلك الطرف في استتباته
فكأنه ظلّ بصدّر مُرجم

وصف لنا السلطان يوسف الثالث (ت: 820هـ/ 1417م) السيف فهو أداة مهمة في الحروب ويحتاج من صاحبه بسالة وعزيمة فالسلطان يبرز أن سيوف بني الأحمر تُشهر في وجوه الأعداء يقول^[4]

مواقفنا مشهورة وسيوفنا
لظعن يظل الطير فيه جوانحاً
مشهورة والنضو ولها هائم
وضرب لما لبثت عليه العمائم

^[1] المقري، نفع الطيب، المجلد السابع، ص 174-175

^[2] نفسه، ص 201

^[3] نفسه، ص 187

^[4] هبة إبراهيم منصور اللبدي، الوصف في شعر الملك الأندلسي يوسف الثالث، المرجع السابق، ص 116

الفصل الرابع/ أثرُ الحربِ على المنتوج الثقافي " الشعر نموذجاً"

من أدوات القتال التي استخدمها النصريون في معاركهم "النبال" فهي تتطاير فوق رؤوس أخيلتهم وكأنهم دراهم لامعة منثورة فوق رأس العروس، ووجه الشبه بين الرماح وهي متطايرة يشبه الشرر المتطاير دلالة على سرعتها يقول^[1]:

يُرى النبالُ عن لَبَاطِهَا متطــــايراً
كَمَا تُثِيرُتُ فَوْقَ العُرُوسِ الدَّرَاهِمُ

يصفُ ابنُ زمرك (ت: 793هـ/ 1392م) الأسنّة والسيوف النصرية قائلاً^[2]:

وللأَسِنَّةِ شُهْبٌ كَلَمَةً عَزَبَتْ
في الدَارِعِينَ بَجَلَتْ عَن عَوَالِيهَا
وللسُّيُوفِ بُرُوقٌ كَلَمَةً لَمَعَتْ
تُزجِي الدِّمَاءَ وَرِيحُ النَّصْرِ يُرْجِيهَا

يقول أيضاً في أبياتٍ من نظمه عن الأسنّة:

رِيحٌ لَهَا مَثْقَى البُرُوقِ أَعِنَّةٌ
ظِيَاءٌ فَإِنْ جَنَّ الظَّلَامُ فَجِنَّةٌ
تَقْبَهُهَا مِنَ البَدْرِ المَيِّمِ جُنَّةٌ
تُشْرِعُ من زُهرِ النُّجُومِ أُبَيِّنَةُ

فَتَقْدَفُ شُهْبَ الرَّجْمِ في أَنْعُرِ العِدَا^[3]

في سنة 739هـ ألقى الشاعر أبو عبد الله محمد بن محمد الشديد المالقي أبياتاً يصف فيها الأسنّة والرماح التي رافقت جنود غرناطة عصر بني الأحمر يقول^[4]:

إِذَا شَرَعُوا الأَسِنَّةَ يَوْمَ حَرْبٍ
فَحَقَّقُوا أَنَّ ذَاكَ هُوَ الحِمَامُ
كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ فِيهَا نَجْمٌ
إِذَا مَا أُشِبَّ اللَّيْلُ القَتَامُ

ظهر فنُّ الرماية بالسهم النَّارِيَّةِ، جسدها جنودُ النصريين في احتفالاتهم وعرفت بالطلبة^[5] وهي دائرة خشبية تقام في الهواء ويأخذ الفرسان في قذفها برماحهم أثناء ركضهم بالخيول فيقول ابن الخطيب^[6] (ت: 776هـ/ 1374م):

تَقُودُهُمُ الرُّلْقَى وَيَدْعُوهُمْ الرِّضَا
وَطَاعِيَةَ نَحْرِ السِّكَاكِ أَعْمَانَهَا
وَيُجَوِّدُهُمُ الخَصْبُ المِضَاعِفُ والعَيْطُ
عَلَى الكَوْنِ عِرْقٌ وَاشْجُجْ وَلِحَى سَبْطُ

^[1]المقري، نفع الطيب، المجلد السابع، ص 118

^[2]نفسه، ص 174

^[3]المقري، المجلد السابع، المصدر السابق، ص 201

^[4]المقري، نفع الطيب، المجلد السابع، ص 237

^[5] تعد رياضة الطلبة عند الأندلسيين إحدى ألعاب الفروسية التي غايتها التدريب على الرماية من أجل الاستعداد للجهاد، انظر: جزار صلاح

، رياضة الطلبة في الشعر الأندلسي في عصر بني الأحمر، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 50، عمان، 1996م، ص.ص 29-62

^[6]العنزلي سعد بن ماشي بن عودة، التجليات الحضارية في الشعر العربي عصر بني الأحمر، المرجع السابق، ص 16-17

الفصل الرابع/ أثر الحرب على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

تَلَفُّفُ حَيَّاتِ الْعَصِيِّ إِذَا هَوَتْ
فَتَعْبَاهُ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ سِرْطُ
أَزْرَتْ بِهَا بَحْرُ الْهَوَاءِ سَفِينَةً
عَلَى الْجَوِّ لَا الْجَوْدِيَّ كَانَ لَهَا حَطُّ

ووصفها ابن زمرك (ت: 793هـ/1392م) كأنها شهبٌ مضيئة بقوله: [1]

وَمُسْتَأْفِرٍ فِي الْجَوِّ تَحَسَّبُ أَنَّهُ
يَرْقَى إِلَى أَوْجِ السَّمَاءِ بِسَلْمٍ
رَامَ اسْتِرَاقُ السَّيْمِ وَهُوَ مُنْعَمٌ
فَأَصِيبُ مِنَ قُضْبِ الْعِصِيِّ بِأَسْهُمٍ
رَجْمَتُهُ مِنْ شُهْبِ الْبُضَالِ حَوَاصِبٌ
لَوْلَا تَعْرُضُهُ لَهَا لَمْ يَرْجَمِ

وصفها أيضاً في أبياتٍ أخرى من نظمه يقول:

وَأَرَاهَا عَمُودُ الصُّبْحِ غُلُوَ الْمِصَاعِدِ
فَقَاتَتْهُ سِبْقًا فِي جِجَالِ الرُّوَاعِدِ
وَأَوْهَمَهَا قُرْبَ الْمَدَى الْمَتَبِّعِ
وَأَحْتَقَبَتِ الْكُفَّ الْحَضِيْبِ بِسَاعِدِ

فَطَوَّقَتِ الرَّهْرَ النُّجُومَ بِمَا يَدَا

وَقَدْ قَدَفَتْهَا الْعِصِيُّ حَوَاصِبٌ
فَقَدْ انْتَشَرَتْ فِي الْجَوِّ مِنْهَا دَوَائِبُ
تَزَاوَرَ مِنْهَا فِي الْقَضَاءِ حَبَائِبُ
فَبَيْنَهُمَا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ مُنَاسِبُ

لأنهما في الروض قبل تولدا [2]

كما يصفها النُميري (وُلد: 713هـ/1313م) في ديوانه يقول: [3]

وَأَنْخُو عَلَيْهَا بِالْعِصِيِّ كَأَنَّهَا
بُزُوقٌ وَلَكِنْ بِالْبُرُوقِ عَدَّتْ تُزْرِي
مِنْ الطَّبَلَاتِ اللَّائِي مَا زَالَ كَثْرُهَا
لَدَى الْبَطَلِ الْأَحْمَى يُعَدُّ مِنَ الْجَبْرِ
وَضَارِبُهُمْ يَوْمَ الْوُفُودِ عَقُوفُهُ
وَإِنْ كَانَ لَا يَخْفَى يُعَدُّ مِنَ الْبِرِّ
فَدَلِيكَ مِنْهُ لِلجَهِّ سَادٍ تَدْرُبُ
سَبَشَقِي بِهِ الْحَزْبِ الَّذِي كَانَ بِالْكَفْرِ

كما يصف لنا ابن زمرك (ت: 793هـ/1392م) في شعره لأراجيح مركبة على مدارة تدور بسرعة خاطفة،

حاملة لرجال في جوفها ولعل هذه التقنية كان قد استخدمها جنود غرناطة في حروبهم، يقول ابن زمرك: [4]

وَمَدَارَاهُ الْأَفْلَاكِ كُنْهَهُ
إِيْدَاعُ كَلِّ مُهَنْدِسٍ وَمُهْمٌ سَتَدَمُ

[1] المقرئ، نفع الطيب، ج7، المصدر السابق، ص 187

[2] نفسه، ص 203

[3] ديوان النُميري، المصدر السابق، ص 110-111

[4] المقرئ، نفع الطيب، المجلد 7، ص 187

الفصل الرابع/ أثر الحرب على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

عَنْ مُسْتَوَى قَدَمَيْهِ لَمْ يَنْتَهْ دَمٌ

بِمَشِي الرِّجَالِ بِجَوْفِهَا وَجَمِيعُهُمْ

كما وصف لنا الشاعر ابن فركون (وُلد حوالي: 781هـ/1380م) في ديوانه استخدام النصرين لمعدن البارود في حروبهم فقال: [1]

بَدَتْ فَالْتُهُى فِىهَا يَطُولُ اِغْتِبَارَهَا

وَفِى مَعْدِنِ البــــازودِ اَعْظَمُ آيَةٍ

يُضَاهِي بُرُوجَ التَّيْرَانِ جِدَارَهَا

نُصِبَتْ بِهَا لِلنَّقْطِ اَبْرَاجَهَا الَّتِى

فَفِى القَدْرِ مِنْهُ مَا اِلَيْهِ اِنْتِقَارَهَا

فَكَيْفَ مِنْهُ اللهُ لِلحــــرِّبِ عُدَّةٌ

ويصف لنا ابن الخطيب (ت: 776هـ/1374م) سلاحاً جديداً استخدمه بنو الأحمر لأول مرة في حروبهم عهد إسماعيل بن الأحمر وهي آلة النفط حيث هي عبارة عن خليط من النفط وملح البارود أو النشادر وهي الحديد في درجة عالية من الحرارة تكون على شكل كرة فيلقى بها على الحصن فلا تبقى من آثاره شيئاً محدثاً دويماً متفجراً يشبه صوت الرعد، وقد استخدمه السلطان في حصار مدينة "أشقر" جنوب الأندلس سنة 824هـ/1324م، يقول أبو زكريا ابن هذيل: [2]

كَنَائِبُ سَكَانَ السَّمَاءِ لَهَا جُنْدٌ

بَحَيْثُ البُنُودِ الحمرِ والأسدِ الورْدُ

فَخَافَ بِهِنَّ مَن دُونَهَا الصَّعْقُ والرَّعْدُ

وَظَنُوا بِأَنَّ الرَّعْدَ وَالصَّعْفَ فِى السَّمَاءِ

مُهَنْدَمَةٌ تَأْتِى الجِبَالَ فَتَنْهَدُ

غَرَائِبُ أَشْكَالٍ سَمَا هَرَمَسَ بِهَا

وَمَاضِى القُوَى مِنْهَا فَلَا يُدُّ أَنْ يَبْدُو

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا تُرِيكَ عَجَائِبَهَا

يصف لنا النيميري (وُلد: 713هـ/1313م) للترس وسيلة قتال بني الأحمر في حروبهم يقول: [3]:

لَيَوْمِ جِهَادٍ مُطَلَعٌ غُرَّةَ النَّصْرِ

أَنَا التُّرْسُ قَدْ أَنْشَفْتُ بِالأَمْرِ عُدَّةً

تُبَالُوا بِقِرَعِ الزُّرْقِ والبَيْضِ والسَّمْرِ

فَلَأَقُوا بِي الأَعْدَاءَ فِى رَحْفِهِمْ وَلَا

فَفِى إِسْمِي شَاهَدْتُمْ أَحْرَفَ السَّيْرِ

وَلَا تُنْكِرُوا سِرِّي لِمَقْتَلِ حَامِلِي

أما عن السفن الحربية فقد استفادت الأندلس من موقعها البحري كمنه جزيرة تتصل بالأطلسي والمتوسط، فعرف الأندلسيون ركوب البحر وحره كما عرفوا حروب البر، واشتهرت المرية بأنها كانت مرسى للأسطول الإسلامي وكانت فيها دار للصناعة [1] فيصفها ابن الخطيب (ت: 776هـ/1374م) في أبياته قائلاً: [2]

[1] ديوان بن فركون، المصدر السابق، ص 76

[2] لسان الدين بن الخطيب، الملحمة البدرية، المصدر السابق، ص 111

[3] ديوان النيميري، المصدر السابق، ص 116

الفصل الرابع/ أثر الحرب على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

هُنَّ الْجَوَارِي الْمُنشَاتُ وَقَدْ عَدَّتْ
تَحْتَالُ فِي بُرْدِ الشَّبَابِ وَتَرَفُّلِ
مِنْ كُلِّ طَائِرَةٍ كَأَنَّ جَنَاحِيهَا
وَهُوَ الشَّرَاحُ بِهِ الْفِرَاحُ تَطَلَّلِ
جَوْفَاءُ يَحْمَلُهُمَا وَمَنْ حَمَلَتْ بِهِ
مَنْ يَعْلَمُ الْأُنْتَى وَمَاذَا تَحْمَلُ

كما وصف ابن الخطيب (ت: 776هـ/1374م) بحارة الأسطول الغرناطي ومدى اهتمام الدولة بهم، بزيادة أجورهم تشجيعاً لهم على أعمالهم الشجاعة فيقول:^[3]

وَبِحَرِي تَلَاعَبَ فِي شَرِيحِ طِ
وَحَى الْفِعْلَ مُتَّصِلُ الصُّمُوتِ
تَدَلَّى وَارْتَقَى وَسَمَى وَأَهْوَى
وَأَعْجَبَ فِي التَّمَاشِكِ وَالْتُّبُوتِ
وَقُلْنَا إِنْ يَكُنْ بَشَرًا سَوِيًّا
فَفِيهِ غَرِيَّةٌ مِنْ عَنكَبُوتِ

ويصفها ابن الأبار البلنسي (ت: 658هـ/1260م) فيقول:^[4]

سَوْفَ تَعَشَّاهُ الْجَوَارِي مَلُوءَةً
مَلَأَ كَالْأَسَدِ دَاتِ اللَّيْلِ بَدِ
كُلُّ شَيْخَانٍ تَمَطَّى مِنْ مَطَّاسِي
أَذْهَمَ الصَّبِغَةَ سَهْلَ الْمُتُودِ
يَحْسَبُ الْبَحْرَ طَرِيفًا يُسَا
فَهُوَ يُجْرِبُهُ كَطَرْفِ أَجْرَبِ

ونذكر أيضاً شعر ابن زمرك (ت: 793هـ/1392م) واصفاً أسطول بني مرين القادم لنصرة الأندلس فيقول:^[5]

مِنْ كُلِّ خِصْفَةٍ الشَّرَاحِ مَصْفِقِ
مِنْهَا الْجِنَاحُ تَطِيرُ كُلُّ مَطَّارِ
أَلْقَتْ بِأَيْدِي الرِّيحِ فَضْلَ عِنَانِهَا
فَتَكَادُ تَسْبِقُ لِحَّةَ الْأَبْصَارِ
مِثْلَ الْجِيَادِ تَدَافَعَتْ وَتَسَابَقَتْ
مِنْ طَافِحِ الْأَمْوَاجِ فِي مِضَارِ

ولعبد الله بن رضوان النجاري أبيات يبيِّنُ فيها حالة العدوِّ وخوفه عند رؤية أسطول المسلمين، وقد جهزه السلطان يوسف بن فرج النصرى (ت: 820هـ/1417م) يقول:^[6]

وَلَمَّا اسْتَقَامَتْ بِالزَّقَاقِ أَسَاطِيهِ
لُ اسْتَقَلَّتْ لِلْعُودِ مَحَافِيهِ

[1] محمد سعيد الدغلي، الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي، منشورات دار أسامة، ط1، 1984م، الإسكندرية، ص 64-65

[2] لسان الدين بن الخطيب السلماني، الديوان، المجلد الثاني، ص 196

[3] عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، 1969م، بيروت-لبنان، ص 308

[4] ابن الأبار البلنسي، الديوان، المصدر السابق، ص 42

[5] المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص 29

[6] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثالث، المصدر السابق، ص 447

الفصل الرابع/ أثر الحرب على المنتج الثقافي " الشعر نموذجاً"

رَأَى عَادُوا اللَّهَ فَنَقَضَ جَمْعُهُ	وَأَبْصَرَ أَمْوَاجَ الْبِحَارِ أَسْطِطِيلًا
وَمِنْ دَهْشِ ظَنِّ السَّوَاجِلِ أَبْحَرًا	وَمِنْ زُعْبِ حَالِ الْبِحَارِ سَوَاجِلًا
يَا رَبِّ مُنْشَأَةً عَجِيبًا لَشَأْنَهُمَا	وَقَدْ احْتَوَتْ فِي الْبَحْرِ أَعْجَبَ شَأْنِ
سَكَنَتْ بِجِيحِهَا عَصَابَةَ شِدَّةٍ	حَلَّتْ مَحَلَّ الرُّوحِ فِي الْجُثْمَانِ
فَتَحَرَّكَتْ بِإِرَادَةٍ مَعَ أَتْهِمَا	فِي حُسْنِهَا لَيْسَتْ مِنَ الْحَيَوَانِ
وَجَرَّتْ كَمَا قَدْ شَاءَهُ سُكَّانُهَا	فَعَلِمْتَ أَنَّ السِّرَّ فِي السُّكَّانِ

يقول أيضًا: [1]

-بات الشعر من بين أهم الفنون التي لعبت دورًا في تجسيد وتشخيص ونقل حالة الأمم خاصة في أزمنة الحروب، ولا غرو أن نجد السلاطين بأنفسهم كانوا شعراء، من ذلك كان تشجيعهم لهاته الفئة، تقريبيهم إلى بلاطهم وإكرامهم، كذا وتقديمهم كرسل وواسطات في أوقات الحرج. لقد لعبت هذه الفئة أدوارًا رئيسة في مضمار الأوضاع التي سادت الأندلس على إثر النكبات التي لاحت بها، جراء حروب الاسترداد التي شنها النصارى على المدن الإسلامية الأندلسية والتي شكلت هاجس دعر في نفوسهم وهاجس استنفار وغضب من طرف الشعراء، فراحوا يكون مدغم بقصائد طوال يرثون سقوطها، ولعل أهم من أثر في نفسياتهم أشعار أبي البقاء الرندي بنونيته كردد على تحالف ابن الأحمر مع ألفونسو التاسع والسماح له باغتصاب أراضيهم، كما لا ننسى ابن سهل الإشبيلي الذي تأثر بسقوط إشبيلية، لكن الأندلسيين استبشروا خيرًا بميلاد مملكة أو قلعة حامية للإسلام أسسها بنو الأحمر.

لم تنعم هذه الدولة بالأمن بسبب الحروب الداخلية والخارجية، إلا أنها نعمت بعمر مديد دام قرنان ونصف من الزمن، استطاعت فيه أن تنعم رغم ذلك بسنوات من الاستقرار، ساندتها خلالها جارتها بنو مرين التي استنفرت قواها لنصرة جارتها حين استنجدتها، غير أن الأوضاع بين العُدوتين كانت متقلبة والدسائس موجودة، خاصة ما تعلق بعقد الطرفين معاهدات مع العدو النصراني تارة ومشكل شيوخ الغزاة المرينيين من "بني العلاء" داخل البلاط النصراني، الذين شكلوا هاجس خوف ليتم استبعادهم في عهد الغني بالله. وفي كل الأحوال لا ننسى الفضل في تلبية بني مرين نداء الاستغاثة، وممن مثل من شعراء بني نصر: الشاعر أبو عمر بن المرابط ولسان الدين بن الخطيب، كما لا ننسى الشاعر أبا الحكم مالك بن مرغل المريني الذي دعا للجهاد

[1] لسان الدين بن الخطيب، الكتيبة الكامنة، المصدر السابق، ص 258

الفصلُ الرَّابِعُ/ أثرُ الحربِ على المنتج الثقافيِّ " الشعر نموذجاً"

ضد النصارى، أما عن الوصف والحماسة ونخص هنا الجانب العسكري كوصف المعارك والجيش والسفن الحربية، وكذا حماسة السلاطين في دفع جنودهم لحمل الراية والخوض في المعارك بالتأثير في نفسيتهم وإعطائهم الدفع القوي في الذود عن عرينهم، وممن برعوا في تدوين قصائدهم خدمةً في ذلك الشاعر ابن زمرك، ابن الخطيب، ابن فركون وكذا عبد الكريم القيسي.

من هذا وذاك اتضحت لنا صورة أهمية الشعر في التأثير والتأثر في مجال الحروب والنكبات كمنبر لتجسيد المآسي وترجمة لحالة الرعية ومنتوج ثقافيٍّ في مملكة بني نصر.

الخاتمة

الخاتمة:

تمحورت الدراسة حول جانب مهم في فهم المنعطفات الحضارية التي كانت نتاج علاقة الحرب بالمجتمع، وما ترتب عن ذلك من آثار ومخلفات مسّت القطاعات العامّة والخاصّة، باعتبار الحرب موضوعاً شاملاً، فلم تختصّ دراسته بفتة معينة من المجتمع، بل عنت جميع الفئات، فمنها من عبّرت عن الجهاد بلغة السيف، والإشهار بالجهاد كمبدأ في التشريع وغاية للسلام، ومنها من قابلتها بلغة القلم وأسالت الخبر في التعبير عن نفسية الإنسان، بين فرح الانتصار، وفرح الاندثار، وبين هذا وذاك، عاش الإنسان بين مُتغيّري؛ الرخاء والبلاء، فدار الحرب معلومٌ أنّها لن تستقرّ على حالٍ إلّا إذا طبعت الصراعات العسكرية فترات سلم، بعقد الهدن التي من شأنها أن تطيل في عمر المملكة، وبالتالي توفير الوقت من أجل خدمة القطاع الحربي وتجهيزه. ولعلّ الاستعراضات العسكرية التي قام بها الجنود الغرناطيون في فترات الرخاء، خير دليل على التنظيم المحكم، كما أنّ الدراية بالفنون الحربية والخطط الدفاعية كان من أهمّ ما يطبع الجيش النصري، وهو ما أشادت به المصادر الإسبانية، ثمّ أنّ العمارة الحربية كانت تلقى اهتمام السلاطين؛ من تحصين للقلاع والحصون، وتكثيف الرباطات والحاميات على الحدود، حيث أنّ مشكل الحدود البريّة قد أحدث شقاقاً بين النصاري والمسلمين، ذلك أنّ عمليات النهب والأسر قد توالى وكان من شأنها خلق قلاقل ستكون لها تأثيرات على سير العلاقات.

- فرضت الطبيعة الحربية في الطور الأول من تأسيس المملكة تعدد تركيبة الجيش الإسلامي بضمّ قبائل إضافية إلى الجيش الغرناطي، دخلت هذه التركيبة في الجيش المريني في فترة الجهاد المشترك فلعبت فئة المولدين، والنصاري، وحتى اليهود كفتاتٍ أجنبية كانت بمثابة العيون والجواسيس التي تأتي بأخبار النصاري وتحركاتهم. كما كان لمنصب "الغزاة"، كقوّة زناتية دائمة داخل الجيش الغرناطي دوراً هاماً من شأنه أن يلعب دوراً هاماً في تحقيق انتصارات أمام جيوش النصاري، إلّا أنّ الامتيازات الواسعة، والتدخلات في شؤون المملكة الداخلية والخارجية، قد خلقت طموحات لهذه الفئة في مجاورة السلاطين والحل والعقد، إلى حدّ الاغتيال، مثلما حدث مع السلطان النصري "أبي الوليد إسماعيل"، ثمّ إنّ الرسائل المبدولة بين "عثمان بن أبي العلاء" وملك الأراغون كانت مدعاة للشكّ.

وحتى ينقطع دابهم من الأندلس قرر "مُجد الخامس" الغني بالله تهجيرهم من الأندلس بشكل نهائي، لكن خطر الزناتيين لم يكن لوحده الهاجس الأكبر للمملكة، فقد خلقت الفتن الداخلية بين أفراد الأسرة الأحمريّة

الخاتمة

شرحًا انتهز النصارى تصدّعه للظفر بأكبر عدد ممكن من الحصون، وهو ما سبب في آخر عمر المملكة في سقوطها، خاصّةً الصراع بين أبناء يوسف الثاني، على غرار ما حدث من انقلابات قبل هذا الصراع.

-لم تكن ظاهرة الحرب مجرد حادثة ترتبط بزمانٍ ومكانٍ، وتنتهي بفوزٍ أو خسارةٍ فقط، بل كانت تداعياتها واضحةً على المجتمع، وأضرارها جليةً على الاقتصاد، فبالنسبة للجانب السوسيو-اقتصادي فقد ظهر من خلال دراستنا لهذا الجانب تركيز النصارى والمسلمين على ضرب البنية التحتية وهدم اقتصاد كل واحدة للأخرى، من خلال حرق الأراضي الزراعية، ثم نسف الغلات، أو قطف الثمار ونهب المحاصيل، وبما أنّ المملكة النصرية تعتمد في نشاطها الاقتصادي بالدرجة الأولى على الزراعة، فإنّ مما لاشكّ فيه أنّ هذا سيؤثر على بقية القطاعات من صناعة وتجارة، فالمنتوج الصناعي سيتذبذب؛ خاصّةً ما تعلق منه بالصناعة النباتية، في حين أنّ المنتجات الصناعية الخاصة بالقطاع الحربي لاقت رواجًا واسعًا على غرار الصناعة الحديدية: كصناعة السيوف والدروع، والخناجر، والجواشن والبيضات، بالإضافة إلى الصناعة الجلدية: كصناعة الأحذية والملابس الجلدية، بالإضافة إلى الصناعة الخشبية التي تدخل في إنشاء السفن الحربية.

أما عن التجارة فقد لعبت دورًا مهمًا، أما داخليًا: فقد راجت تجارة المحلات المصاحبة للجيش أثناء حصاراتهم، وتنوعت المنتجات المسوّقة، بين أكليّ وعلفٍ وغيرها، أمّا عن التجارة الخارجية فلاغرو أنّ نجد مملكة غرناطة الذائع صيتها في مجال التبادل الخارجي للسلع قد نالت شهرةً كبيرةً بين الدول الإسلامية وحتى الأوروبية وما ساعدها في ذلك موقعها الإستراتيجي المطلّ على البحر المتوسط، والمحيط الأطلسي، ثمّ أنّ السلاطين الغرناطين بفضل حنكتهم ودهائم استطاعوا أن يربطوا علاقات سياسية تجارية مع ملوك الأراغون، لا لداعي رواج سلعتهم، لكن من أجل خدمة مصالحهم الحربية، حيث أنّ أغلب البنود الموقّعة كانت في الأساس تنصّ على إبرام الصفقات مقابل قطع العلاقات مع مملكة قشتالة، وهذا الأمر سيكون له أبعاد في تضيق الخناق على قشتالة بالتالي إعادة النظر في ربط العلاقات مع الغرناطين.

-أما بالنسبة للمجتمع فقد كانت الأسرة النصرية في فترات الحروب تعاني الأزمات على كافة الأصعدة، فربّ الأسرة والكفيل، سيصبح مجاهدًا في صفوف الجيش النصري، وسيلقي بحمله على الأم التي بدورها ستعاني، وفي الغالب ستطالب بطلاق الغائب، وهذا ما أثبتته كتب النوازل، حيث أفقّ القضاة بمسائل تتعلق بالطلاق والميراث، ومسائل النفقة وما ترتّب عنها، ثمّ تطرّقت لليتميم أو الريبب وما له من حقوق.

ومن المواضيع الشائكة التي مسّت فئة المجتمع النصري، مسألة الأسر، ذلك أنّ المملكة كان شغلها الشاغل العمل على فتح الحوار مع النصارى في مسألة تحرير أسرى الحرب عن طريق التبادل، أو دفع الفدية من أجل تخليصهم من السجن أو البيع في أسواق العبيد، وغالبًا ما كانت تدرّ عملية فداء الأسرى ذوي النفوذ والجاه الأموال الطائلة على الطرفين، وقد تفوق الفدية المبذولة الأموال، كافتداء الأرواحهم مقابل التنازل عن الحصون،

الخاتمة

وهو ما حدث فعلاً لزوجة ملك قشتالة الأسيرة التي رفض المسلمون تقديمها مقابل تنازلها عن الحصون التابعة لأراضي النصارى.

-أما تأزم الأوضاع وتقلص المساحة الإسلامية، فلم يجد المسلمون بُدًا من البقاء داخل أراضيهم التي استحوذ عليها النصارى سوى النزوح والهجرة نحو غرناطة وأحوازها، بينما قرر البعض البقاء تحت سلطة النصارى لبعض الوقت قبل صدور قرار التهجير وإجلاء بقايا المسلمين، بمعيتة من الكنيسة، واصطلح على الفئة من المسلمين القابعين داخل أراضي النصارى باسم "المدجنين"، وكانت لهم حقوق وامتيازات في بداية أمرهم، وعُرفوا بتفانيهم في العمل بالزراعة والصناعة، والبناء، وهذا ما يبرِّح سبب بقائهم في كنف حكم النصارى.

أما المهاجرون نحو غرناطة فقد توافدوا منذ حروب الاسترداد، وكانت هجرتهم سببًا في تغيير المعطيات الحضارية داخل غرناطة، حيث أنّ الكثافة السكانية الغرناطية ارتفعت وتيرتها في الفترة ما بين القرنين الرابع عشر و الخامس عشر، فمن جهة، كان توافدهم يشكل نقطة إيجابية في استقطاب عدد كبير من الصناع والحرفيين، ومن جهة أخرى، كان على المملكة توفير حاجياتهم، هذه الأخيرة كانت تواجه ضائقة المال في أغلب أوقاتها، ذلك أنّ القطاع الحربي كان يستنزف الكثير من الأموال، فاضطر السلاطين في بعض الحالات إلى جمع الأموال من المسلمين من أجل عملية تحصين الأسوار والأبراج مثلما حدث في عهد الغني بالله، لكنّ ظاهرة الترف وعوائد البذخ بدت في فترة حكم السلاطين النصريين الأواخر، حيث أنّ في فترة حكمه السلطان "حسن الزغل"، أو مولاي حسن كما تعرفه المصادر، انغمس في ملذاته واتخاذ الجوارى والسهر وليالي السمر، وأهمل الرعيّة والجيش لدرجة أنّ الجند باعوا سلاحهم وثيابهم من أجل العيش، وهذا ما سبّعجل بهرم المملكة، وكانت الفتن الداخلية تستفحل بين أبناء الأحمر فتقاتلوا وانشقّ البيت النصري لطائفتين، من ساندت "أبا الحسن"، ومن ساندت "أبا عبد الله"، في الوقت الذي جمع فيه النصارى شملهم عن طريق عقد مصاهرة بين الأراغوني فرناندو الثاني، ومملكة قشتالة وليون وإيزابيلا الأولى، وبمباركة من الكنيسة التي بثت فكرة "إجلاء المسلمين" من الأندلس منذ بداية حركة الاسترداد، فقد طفحت الصبغة الدينية على الجهاد تحت راية الصليب وأظهرت حقيقة إيديولوجية استرجاع الحصون والصراعات العسكرية، كردّ فعلٍ عن كره الإسلام والمسلمين، وكنتيجة، تحركت القوات المشتركة بين قشتالة والأراغون لتقوم بإعلان حربٍ مباشرة على الحصون الإسلامية، في الوقت الذي كان فيه الصراع محتدماً داخل بيت بني الأحمر، فخرج الأهالي مؤمّنين على أنفسهم، مقدمين الطاعة خوفاً على حياتهم، لتبقى آخر قلعة من بيت الإسلام في الأندلس "غرناطة" والتي لم تصمد أمام حصار النصارى لتتقدّم وتسلم مفاتيحها بيد النصارى في سنة 897هـ/1492م، وهكذا لم يبق للمسلمين حلّ سوى البقاء وتطبيق عليهم قوانين فرديناند وإيزابيلا من خلال "محاكم التفتيش" بعد إلزامهم بقرار التنصير قسراً، أو إجلائهم من الأندلس نحو المغرب والمشرق.

الخاتمة

- ما حدث في الأندلس من حروب وفتن حرك قرائح فئة الشعراء التي جاهدت بالقلم، ودوّنت قصائد طوال تبكي مدن الإسلام الضائعة تارةً، وتمدح السلاطين والجيوش الظافرين بالمجد، والمدافعين عن أرضهم وعن إسلامهم، وتوقظ تارةً أخرى الحماسة في أنفس المجاهدين حتى النفس الأخير من عمر مملكة غرناطة التي قاومت زهاء ثلاثة قرون عاشتها في صراعٍ وحروبٍ دامية، سقطت في ميدانها الكثير من أرواح المسلمين.

يُمكننا أن نُجمل الحديث عن موضوع الحرب والمجتمع بمملكة غرناطة بنقاط أهمها:

1- أن المملكة الغرناطية قد أسست في ظروف صعبة طبعها الصراع بين ابن الأحمر وابن هود تارة، ثم بين ابن الأحمر والنصارى تارة أخرى

2- أن الدور الجهادي الذي لعبته مملكة بني مرين بالأندلس كان حافزاً لصدّ ضربات النصارى وإبعاد خطرهما لفترةٍ من الزمن.

2- أنّ فترات السلم وعقد الصلح مع النصارى كان من شأنها إطالة عمر المملكة، وإعطاء الوقت للسلاطين في تنظيم أمور مملكتهم الداخلية.

3- أنّ شيوخ الغزاة المرينيين كان لهم دور رئيسي داخل الجيش النصري في صدّ هجمات النصارى وإبعاد خطرهم.

4- أنّ الفتن الداخلية والدسائس بين أفراد أسرة بني الأحمر كان لها الأثر في تعجيل سقوط المملكة.

5- أنّ سوء التسيير ودخول المملكة في مرحلة الهرم بعد انغماس سلاطينها في الملذات وإهمال الجند والرعية دافع لخلق شرخ داخل المجتمع النصري.

6- أنّ تجزء القوى وانقسام المملكة إلى جبهتي قتال داخلي، واسناد القيادة لمناصب غير كفؤ كان السبب المباشر في سقوط المملكة.

7- أنّ بنية الجيش الغرناطي قد جمعت تركيبات بشرية مختلفة اتسمت بحسن التسيير والقيادة، وتنظيم محكم ضمّن لها الفوز في العديد من المعارك.

8- أنّ التنظيم الإداري للمملكة كان محكماً وتوفير العدة والعتاد كان أحياناً كافياً، وأن العمارة الحربية كانت كصخرة دفاع أمام هجمات النصارى.

9- أن آثار الحرب على الاقتصاد النصري وعلى المجتمع كانت وخيمة، ونتائجها كانت نتاج خطة محكمة حاكها النصارى في محاولة لتهديم البنى التحتية للمملكة ومحاولة إخضاعها للاستسلام.

الخاتمة

10- أنّ الصبغة الدينية كان لها الأثر في سقوط مملكة بني الأحمر، حيث عملت الكنيسة جاهدة لتوحيد صفوف النصارى خاصة بعد توحيد مملكتي الأراغون وقشتالة.

11- أنّ واقع الحرب جسّدته لغة السيف ولغة القلم، فالشعر أسمى وسيلة للتعبير عن آهات الحروب، والشعر بمملكة بني الأحمر جاء مكملاً لوصف مشهد الحرب برثاء المدن، ووصف الحروب والعدّة والعتاد، وإلقاء الحماسة وهو واجب.

الملاحق

الملحق رقم (01):

-عقد معاهدات الصلح والهدن بين المسلمين والنصارى:

طبعت العلاقات السياسية بين المسلمين والنصارى بالإضافة إلى الصراعات العسكرية، علاقات ودية شهدت لها مجموعة من العقود والعهد السلمية المبرمة، يمكننا القول أن هذه المعاهدات كان من شأنها إعطاء عمر جديد للأندلس، تزامنت وبداية تأسيس المملكة الغرناطية، وتواصلت في أعقاب بني الأحمر وبالرغم من أن النصارى لم يلتزموا بتطبيقها وخرقوها في الكثير من المرات، إلا أنها أتت أكلها في الكثير من الأحيان، وسنفضّل في جدولٍ خاص بهذه المعاهدات الأطراف المتعاقدة، ملقنين الضوء على أهم البنود التي وقّعت عليها الأطراف معقّبين في الأخير على هذه العقود ومستخلصين أثرها على سير الأحداث السياسية بمملكة غرناطة.

تاريخ ومكان إبرام المعاهدة	الأطراف المتعاهدة	أهم بنود المعاهدة	مصدر المعلومات
666هـ/1266م	معاهدة موقعة بين السلطان الغرناطي مُجَد الأول ابن الأحمر "العالم بالله" والملك القشتالي "ألفونسو العاشر"	-تقديم جزية سنوية للملك القشتالي قدرها 200000مرايطي -فتح الطرق التجارية السريعة أمام القشتاليين.	Luis Suarez Fernandez, Op.Cit, p: 34
11 رجب 695هـ/15 ماي 1296م	معاهدة موقعة بين السلطان الغرناطي "مُجَد الثاني" الفقيه، والملك الأراغوني "جيمس الثاني"	محافظة غرناطة على الوعود المقطوعة في معاهدة 1266م، ومن ذلك فتح طرق التجارة أمام المسيحيين خاصة تجارة "الذهب"، "الحزير"، "التوابل"	Suarez Fernandez, Ibid., p.p : 56-57
آخر ربيع الثاني	عقد صلح بين السلطان	تنص المعاهدة على	عمر سعيدان، العلاقات الإسبانية الأندلسية في

الملاحق

<p>القرن الرابع عشر، وسقوط غرناطة) دراسة وإعداد وثائق(رسائل ومعاهدات وتحليل وتعليق)، الجزء الأول، منشورات سعيدان، سوسة-تونس- 2003، ص.ص 32-39</p>	<p>ضرورة التعاون بين المسلمين والغرناطيين ضد العدو المشترك "قشتالة" وهو أهم بند بين الطرفين؛ على أن يساعد المسلمون الأراغونيين في حربهم ضد قشتالة حول "مُرسية" والعكس، كما تشير المعاهدة على تكفل "جاقمو الثاني" بفيلق الفرسان والعساكر الذي يُقدم له من المسلمين ، كما تسمح لكلا الطرفين بحرية الإِتِّجار مع توفير سبل الحماية والأمن، كما تحرم أحد البنود تجارة القطلانيين مع القشتاليين في محاولة تضيق الخناق</p>	<p>"مُجد الثاني" الفقيه وملك الأراغون "جاقمو الثاني"</p>	<p>701هـ/31ديسمبر سنة 1301م غرة جانفي 1302م</p>
<p>Luis Suarez Fernandez, Op.cit, p.p: 64-65.</p>	<p>تعد بنود الاتفاقية المبرمة بين الطرفين امتداد لاتفاقية سنة 1246م، وبعد ثلاثين عامًا، وتقرر بموجب هذا العقد</p>	<p>بين مفوض قشتالة "ميغيل أنجيل لاديرو" و"مُجد نصر الثالث" سلطان بني الأحمر، بقصر الحمراء</p>	<p>709هـ / 1310م</p>

الملاحق

	<p>ضمان إعادة "غرناطة" للحصون الخمسة من الأراضي القشتالية التي فتحت في عهد "الفقيه"، كما ألزمت السلطان النصري بدفع جزية قدرها 11.000 (دوبلاس) من الذهب للبلاط القشتالي، فتح معبر "جيان" لتسهيل التبادلات التجارية.</p>		
<p>شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الجزء الثاني، المطبعة الرحمانية، ط1، 1936، مصر، ص 295- 296، عمر سعيدان، العلاقات الإسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر، وسقوط غرناطة (دراسة وإعداد وثائق) رسائل ومعاهدات وتحليل وتعليق، الجزء الأول، منشورات سعيدان، سوسة-تونس- 2003، ص.ص 77-83.</p>	<p>بعث الملك الآراغوني "جااقمو الثاني" بكتاب قدمه رسوله "شمون دي طبنية" من أجل الصلح الذي تقررت مدته بخمسة أعوام نسّت بنوده على مايلي: - لا يلحق كلا الأرضين ضرر في ناسها أو أجفانها. - يتردد كل من يريد التجارة برًا وبحرًا في كلا البلدين مأمنين</p>	<p>بين السلطان النصري "إسماعيل الأول" وملك الآراغون "جااقمو الثاني"</p>	<p>السبت 17 ربيع الثاني 721هـ / 16 ماي 1321م</p>

الملاحق

	<p>في النفوس والأموال، وأن يباح لهم بيع وشراء ما يريدون وإخراج ما يشترون عدا السلاح والخيول.</p> <p>- لا يزداد في سوم شيء متفق عليه بمال معلوم، ولا يزداد عليهم في مغرم مخزني.</p> <p>- معاداة من يعادي كلا الطرفين ولا يجوز التعامل معه.</p> <p>- تكون أجفان ومراسي المسلمين آمنةً والعكس بالنسبة لأجفان ومراسي الأراغونيين.</p> <p>-ضمان تنقل المدجنين المتواجدين ببلاد النصارى إلى بلاد المسلمين مع ضمان سلامتهم وسلامة أهلهم وأولادهم.</p>		
<p>شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الجزء الثاني، المرجع السابق،</p>	<p>بعث الملك الأراغوني "جاقمو الثاني" برسول يدعى "جوان</p>	<p>عقد صلح بين السلطان النصري "مُجد الرابع بن إسماعيل الأول" والملك</p>	<p>أواسط شهر جمادى الأول عام 726هـ/17ماي</p>

الملاحق

<p>ص 308-309.</p>	<p>إنريق" "Juan Enric" ورافقه صاحب "قلعة أيوب" "جيمس" من أجل تجديد الصلح مع السلطان النصري بعد مرور خمس سنوات من توقيع العقد مع والده، فكانت الموافقة على التوقيع بعد قراءة البنود التي ضمنت: -عدم إعانة العدو المشترك "قشتالة" برًا أو بحرًا -إن خرج أحد عن طاعة بلده فلا يضم إلى ذلك البلد ولا يقدم له العون في قوت أو أي شيء آخر. -أن لا يمنع المسلمون المدجنون بمملكة آراغون من الخروج إلى أرض "غرناطة" بأموالهم وعيالهم من غير أن يتعسف عليهم في</p>	<p>"جاقمو" الآراغوني الثاني"</p>	<p>1326م</p>
-------------------	---	--	--------------

الملاحق

	شيء، ولا يطلب منهم مغرمًا إلا وفق ما جرت به العادة .		
	تم عقد صلح بين السلطان النصري "يوسف بن أبي الوليد- أبي الحجاج-" (فوض السلطان "أبو الحجاج نائبه الحسن بن كماشة لحضور مراسم التوقيع بالنيابة)، رفقة سلطان بني مرين "أبي الحسن" من طرف المسلمين، ومن جهة النصاري "ألفونسو الحادي عشر" صاحب قشتالة، و"ألفونسو الرابع" ملك الأراغون.	موفى ذي القعدة سنة 735هـ/ موفى جويلية 1333م.	
عمر سعيدان، العلاقات الإسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر، وسقوط غرناطة (دراسة وإعداد وثائق) رسائل ومعاهدات وتحليل وتعليق)، الجزء الأول، ص.ص 185-190.	اتفقتا لأطراف المتعاقدة على الصلح لمدة أربع سنوات، من بين أهم شروط العقد سياسة حسن الجوار بين النصاري والمسلمين وضمنان السلم بين الرعية، كما نصت على السماح بالتجارة بين البلدان الأربعة والتنقل بحرية دون التعرض إلى أي خطر.		
عمر سعيدان، العلاقات الإسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر، وسقوط غرناطة (دراسة وإعداد وثائق) رسائل ومعاهدات وتحليل وتعليق)، الجزء الأول، ص.ص 415-425.	تنص المعاهدة على إبرام صلح مدته ثلاث سنوات، وأهم الشروط المتفق عليها كانت: - يتم تسريح المختجزين والساكين بأرض آراغون. - احترام الأراغونيين للنازلين ببلادهم من المسلمين من	معاهدة صلح بين السلطان النصري "محمد الخامس (الغني بالله)، و"أبي فارس بن أبي الحسن المريني" من جانب المسلمين، والملك الأراغونيين "الرابع"	8 رجب سنة 768هـ/ 10 مارس 1367م

الملاحق

	<p>الأندلس والمغرب في أنفسهم وأموالهم سراً أو جهراً، براً أو بحراً. وكذا بالنسبة للمسلمين ينطبق البند.</p> <p>- يدفع التجار النصارى والمسلمون المتعاقدون الغرامات كالمعتاد بدون زيادات جديدة أو غرامات إضافية</p> <p>- عدم إعانة الطرفين لعدوّ الطرف الآخر أو التعاون معه.</p> <p>- عدم السماح للبلدين بحمل أشياء ممنوعة للبلد الآخر كالسلاح مثلاً.</p> <p>- التزام ملك الآراغون بحرية التجارة وأمان التجار المسلمين.</p>		
<p>مُحَمَّد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 149-150</p>	<p>كتب السلطان النصري إلى ملك قشتالة بطلب هدنة وعقد الصلح بالمقابل تسريح الأسرى النصارى</p>	<p>بين السلطان النصري "يوسف أبي الحجاج" (يوسف الثاني) والملك القشتالي "هنري الثالث"</p>	<p>في الفترة ما بين 793- 797هـ/1391- 1394م</p>

الملاحق

	<p>وعودتهم مكرّمين إلى بلادهم، وبعد حادثة "مرج غرناطة" تقرر السلم وعودة الصلح بعد صراعات عسكرية بين المسلمين والنصارى.</p>		
<p>تقررت مدة هذا الصلح خمس سنوات، ومن أهم البنود التي نص عليها: -يحق لرعايا كلا الفريقين أن يتردد على أراضي الفريق الآخر آمنين في أنفسهم وأموالهم للتجارة والبيع والشراء.</p> <p>مُجّد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، المرجع السابق، ص 152-153.</p>	<p>تقررت مدة هذا الصلح خمس سنوات، ومن أهم البنود التي نص عليها: -يحق لرعايا كلا الفريقين أن يتردد على أراضي الفريق الآخر آمنين في أنفسهم وأموالهم للتجارة والبيع والشراء.</p> <p>-متى احتاج ملك الأراغون أو ملك صقلية إلى معاونة ضد أعدائهما، فإن سلطان غرناطة ينجدهما بأربعمائة أو خمسمائة فارس على أن يتكفلا بنفقاتهم.</p> <p>شرط ألا يكون العدو صديقاً لغرناطة؛ على أن</p>	<p>عقد صلح بين السلطان النصري "مُجّد السادس بن يوسف الثاني المستعين بالله" وبين "مرتين" ملك الأراغون وولده "مرتين" ملك صقلية.</p>	<p>في سنة 808هـ/1405م</p>

الملاحق

	<p>يقوم الملكان بالمثل أي بإعانة غرناطة بأربعة أو خمسة سفن مشحونة بالرجال والسلاح ويتكفل هو بنفقتها وألا يكون هذا العدو صديقاً لملك الأراغون.</p> <p>-ألا يساعد أحد من الفريقين الثوار الذين يخرجون على الفريق الآخر بأي نوع من أنواع المساعدة.</p> <p>- أن يسمح لسفن كلا الفريقين أن ترسو في موانئ الفريق الآخر وتزاول البيع والشراء.</p> <p>-تسريح الرعايا الأسرى مأمنين في أنفسهم وأموالهم.</p>		
<p>Luis Suarez Fernandez, Op.Cit, .p : 105.</p>	<p>اتفق الطرفان من المسلمين والنصارى على عقد الهدنة مدة سنتين على أن المصادر لم تكشف لنا عن بنود</p>	<p>عقد الصلح بين "مُجد السادس بن يوسف الثاني المستعين بالله" والوصي على ملك "قشتالة" "فرديناند" " Fernando de</p>	<p>في سنة 809 هـ / 6 أكتوبر 1406م</p>

الملاحق

	الاتفاقية.	"el Antequera	
Lafuente Alcantara, Inscriptions Arabes De Granada, p : 42	تقرر عقد الصلح بين الطرفين بعد صراعات عسكرية دامية، ومن أهم القرارات الموقع عليها؛ تحرير الرعايا المسيحيين بأرض الإسلام.	عقد الصلح بين السلطان النصري "مُحَمَّد الثالث" والوصي علي ملك قشتالة "فرديناند Fernando de " "elAntequera	في سنة 812هـ/ 1412م.
يوسف كاظم جغيل الشمري، دراسات في تاريخ الأندلس (العلاقات السياسية لسلطنة غرناطة في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)، دار العلوم العربية، ط1، 2014، بيروت- لبنان، ص.ص 276-280.	فوض الملك القشتالي لعقد الصلح النائب "دياكة غومس ذي الريرة" " Diego Gomez de Elvera" من أهم البنود المتفق عليها والتي نصها ملك قشتالة: -تأمين جميع التجار النصارى والمسلمين، ولتوجهوا بجميع السلع والكسب، وجميع الأشياء المباح بيعها وشراؤها بين	عقد صلح بين السلطان "مُحَمَّد الأيسر" مع الملك "دون جوان" صاحب قشتالة.	الأحد 22 جمادى الأولى 835هـ/ الأحد 27 سبتمبر 1431م

الملاحق

<p>النصارى والمسلمين. -معاونة القشتاليين للمسلمين على الخارجين عليهم في حروبهم سواءً من النصارى أو المسلمين.</p> <p>-لا يُبيح الملك القشتالي جواز المسلمين للشرق أو لغرب بلاد النصارى بدون شفعة السلطان النصري.</p> <p>-تكفل الملك القشتالي بمرتبات ألف وخمسمائة فارس لمدة ثلاثة أشهر على أن يعينوه في حروبه.</p>		
---	--	--

الملاحق

<p>Luis Suarez Fernández, Op.Cit, p.p 126-125</p>	<p>ألزم "المجلس القشتالي" الكورتيس "ابن المول" مقابل دعمه بتربع العرش بأربعة شروط هي: تقديم الولاء الكلي بأداء اليمين والالتزام بالدعم العسكري والاقتصادي، تحديد جزية سنوية قدرها 20000 دينار دويلة من الذهب ويسلمها على الفور للمجلس، إمداد النصارى بقوات مساعدة من الجيش الغرناطي عند الحاجة، وكذا الالتزام بالعلاقات التجارية بين المسلمين والنصارى.</p>	<p>بين "أبي الحجاج يوسف ابن المول" والملك القشتالي "خوان الثاني" "Juan II"</p>	<p>27 /هـ835 1431م</p>
<p>Lafuente Alcántara, Historia de Granada, Comprendiendo la De Sus cuatro Provincias, Almería, Jean, Granada y Málaga, Tomo III, p: 264.</p>	<p>قرر السلطان النصري بعد الحملات العسكرية في هذه السنة مهادنة الملك القشتالي الذي وافق بعدما هبت عاصفة الفتن بين الممالك النصرانية</p>	<p>بين السلطان "مُجد الأيسر" والملك القشتالي "خوان الثاني"</p>	<p>841/هـ1438م</p>

الملاحق

<p>José Antonio Conde, Op.Cit, p : 308</p>	<p>لم يتم إطلاق سراح السلطان "أبو عبد الله الصغير" من الأسر إلا بعد إمضاء تعهد ينصّ على اعترافه بطاعة الملكين الكاثوليكين، ثم دفع جزية سنوية، مع التعهد بإطلاق سراح 400 أسير نصراني بالإضافة إلى تسريح سبعين أسيراً كل سنة مدة خمس أعوام، وحتى يضمن الملكان ذلك اشترطوا على "أبو عبد الله" أن يترك ابنه الأكبر رهينة لهم، وكذا أن يساعدهما في مخططاتهم الرامية بضم الحصون الإسلامية لمملكتهم.</p>	<p>تعهد بين السلطان النصرى "أبو عبد الله الصغير" والملك القشتالي "فرناندو الخامس"</p>	<p>888هـ/1483م</p>
--	---	---	--------------------

الملاحق

الملحق رقم (02)

- معاهدة تسليم غرناطة المعقودة بين أبي عبد الله الصغير و الملكين الكاثوليكين بتاريخ 21 محرم 897 هـ / 25 نوفمبر 1491م

المادة الأولى:

على ملك غرناطة و القادة و الفقهاء و الحجاب و العلماء و المفتين و الوجهاء، بمدينة غرناطة و البيازين وضواحيها، أن يسلموا إلى صاحبي السمو أو من ينتدبانه للنيابة عنهما في مدة أقصاها ستون يوما، اعتبارا من 25 تشرين الثاني، عام 1491م. معاقل الحمراء، والبيازين، وأبواب تلك المعاقل، وأبراجها، وأبواب المدينة المذكورة والبيازين وضواحيهما وأبراج أبواب المدينة المذكورة، وضمن هذه الشروط يأمر صاحب السمو بأن لا يصعد أي نصراني السور القائم بين الحمراء والبيازين؛ لئلا يكشف عورات المسلم في بيوتهم، وإن خالف أحد هذه الأوامر، يعاقب عقوبة شديدة، و ضمن هذا الشرط، سيقدم المسلمون الطاعة والإخلاص والولاء كأتباع لصاحبي السمو.

و ضمنا لسلامة تنفيذ هذه البنود، يقدم أبو عبد الله الصغير ملك غرناطة إلى صاحبي السمو، خمسمائة شخص من أبناء وبنات علية القوم في المدينة، والبيازين وضواحيهما، وذلك قبيل تسليم الحمراء بيوم واحد، مصطحبين معهم الحاجب يوسف بن كماشة، ليكونوا جميعهم رهائن، لدى صاحبي السمو، لمدة عشرة أيام يتم خلالها ترميم المعاقل المذكورة، شريطة أن يعامل الرهائن إلى حين انتهاء هذه الفترة معاملة حسنة. وفي نهاية الأجل يرد الرهائن إلى ملك غرناطة ويراعي هذه الاتفاقية صاحب السمو وبنهما دون خوان و سلالتهما. ويعتبر أبو عبد الله الصغير وسائر قاداته، وجميع سكان غرناطة، والبيازين، وضواحيهما، وقراها وأراضيها والقرى والأماكن التابعة للبشرات رعايا طبيعيين، وبيقون تحت رعايتهم ودفاعهم. وتترك لهم جميع بيوتهم، وأراضيهم، وعقارهم، وأملاكهم حاليا ودائما دون أن يلحق بها أي ضرر أو حيف. وأن لا يؤخذ أي شيء منها يخصهم بل بالعكس سيتم احترام الجميع ومساعدتهم، و يلقون المعاملة الطيبة، من قبل صاحبي السمو، وشعبهما كخدم وأتباع لهما.

المادة الثانية:

في الوقت الذي يتسلم صاحب السمو قصر الحمراء، يأمران أتباعهما بالدخول من بابي العشار و نجدة، ومن الحقل القائم خارج المدينة. وعلى من يعين لاستلام الحمراء، أن لا يدخل من وسط المدينة.

المادة الثالثة:

الملاحق

في اليوم الذي يتم فيه تسليم الحمراء والبيازين، وشوارعهما وقلاعهما وأبوابهما، وغير ذلك، يقوم صاحب السمو بتسليم ابن الملك أبي عبد الله الصغير، المحتجز في قلعة مكين، مع سائر الرهائن الموجودين معه وسائر الحشم والخدم الذين كانوا برفقته، ولا يكرهون على التنصر أثناء احتجازهم.

المادة الرابعة:

يسمح لصاحب السمو، وسلالتهما للملك أبي عبد الله الصغير وشعبه أن يعيشوا دائما ضمن قانونهم (أي بممارسة الشعائر الإسلامية) دون المساس بسكناهم وجوامعهم ومناراتهم. وسيأمران بالحفاظ على مواردهم وسيحاكمون بموجب قوانينهم وقضائهم، حسبما جرت عليه العادة، وسيكونون موضع احترام من قبل النصارى. كما تحترم عاداتهم وتقاليدهم إلى غير حين.

المادة الخامسة

لن تصدر من المسلمين أسلحتهم أو خيولهم، أو أي شيء آخر حاضرا وإلى الأبد، باستثناء الذخيرة الحربية التي يجب تسليمها لصاحب السمو.

المادة السادسة :

يسمح لمن يرغب في الجواز إلى العدو أو أي مكان آخر، من أهالي غرناطة، والبيازين، والبشرات، والمناطق الأخرى التابعة لمملكة غرناطة، ببيع ممتلكاتهم وأراضيهم لمن شاءوا. ولن يحاول صاحب السمو وذريتهما منعهم من ذلك أبدا. وإذا ما رغب صاحب السمو بشرائها من أموالهما الخاصة، فشأنهما في ذلك شأن سائر الناس ولكن الأولوية تكون لهما.

المادة السابعة:

الأشخاص الذين يرغبون في العبور إلى العدو (أرض المغرب) تجهز عملية نقلهم في غضون ستين يوما من تاريخه، على متن عشر سفن كبيرة تتوزع على الموانئ القريبة منهم حسب رغبة المبحرين ليحملوا أحرارا، وطوع إرادتهم إلى المكان الذي يرغبون النزول إليه فيما وراء البحر (أرض المغرب) خاصة الموانئ التي كانت ترسو بها تلك السفن.

أما الأشخاص الذين يرغبون في العبور في غضون الأعوام الثلاثة القادمة، فتتهيأ لهم السفن الخاصة من الموانئ القريبة لمكان إقامتهم، شريطة أن يقدموا طلباتهم قبل موعد الرحيل بخمسين يوما. و ينقلون برعاية تامة إلى الميناء الذي يرغبون النزول فيه.

الملاحق

ولا يترتب على من يريد العبور إلى العدو - خلال الأعوام الثلاثة هذه - أجر أو نفقة. أما الذين يرغبون في العبور بعد انتهاء الأعوام الثلاثة فعليهم دفع دوابه واحدة فقط عن كل شخص. أما الذين لا يتمكنون من بيع أملاكهم الموزعة في جميع أنحاء مملكة غرناطة قبل سفرهم فيحق لهم تفويض أي شخص من أجل تحصيل حقوقهم وليقوموا مقامهم ويتولوا بعد ذلك إرسال هذه الحقوق لأصحابها أينما كانوا وبدون أي عوائق.

المادة الثامنة:

لا يرغم صاحب السمو وسلالتهما حاضرا وإلى الأبد المسلمين وأعقابهم على وضع أية شارة مميزة لملايسهم.

المادة التاسعة:

لا يحق لصاحبي السمو لمدة ثلاث سنوات من تاريخه تحصيل الإتاوات من الملك أبي عبد الله الصغير وسكان غرناطة، والبيازين وأرباضهما، وهي الإتاوات التي يترتب أداؤها عن دورهم و أملاكهم الموروثة، بل يكفي أن يدفع المسلمون لصاحبي السمو عشر الخبز والذرة، وعشر المواشي خلال شهري أبريل ومايو.

المادة العاشرة:

على الملك أبي عبد الله وسائر سكان المملكة الذين شملتهم هذه الاتفاقية، أن يطلقوا سراح جميع الأسرى النصراري الذين في قبضتهم، أو في أي مكان آخر طواعية دون أية فدية، وذلك حين تسلم المدينة.

المادة الحادية عشر:

على صاحبي السمو أن لا يستخدموا أي رجل من أتباع أبي عبد الله، أو سكان المملكة، أو أن يسخرروا دوابهم في أي غرض دون إرادتهم ودون أن تدفع لهم أجورهم.

المادة الثانية عشر:

لا يسمح لأي نصراني بدخول المساجد أو أي مكان لعبادة المسلمين دون إذن من الفقهاء. ومن يخالف ذلك يعاقبه صاحب السمو.

المادة الثالثة عشر:

الملاحق

لا يجوز لأي يهودي أن يتولى الجباية أو تحصيل الضرائب من المسلمين بشكل مباشر أو أن يمنح أية سلطة أو ولاية عليهم.

المادة الرابعة عشر:

يعامل صاحب السمو الملك أبا عبد الله الصغير وسائر رعاياه الذين شملتهم هذه المعاهدة معاملة شريفة، وتحترم عاداتهم وتقاليدهم، وتمنح للقادة والفقهاء الحقوق وتبقى الحقوق التي كان يتمتع بها هؤلاء زمن أبي عبد الله الصغير على حالها ويعترف لهم بتلك الحقوق.

المادة الخامسة عشر:

يجب أن يقضي في أية دعوى أو مشكلة تقع بين المسلمين القضاة وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية كما جرت عليه العادة.

المادة السادسة عشر:

يصدر صاحب السمو وأمرهما للمسلمين بعدم إيذاء الضيوف من النصارى أو إخراج الثياب أو الدواجن أو الدواب ويشمل ذلك صاحبي السمو وجماعتهما، إذ يمنع على هؤلاء النصارى دخول بيوت المسلمين واستعمال مضايقتهم لإقامة الحفلات.

المادة السابعة عشر:

إذا دخل نصراني منزل مسلم قسرا، يطلب صاحب السمو من العدالة إيقاع العقوبة عليه.

المادة الثامنة عشر:

فيما يتعلق بقضايا التركات عند المسلمين يجب أن ينظر فيها القضاة المسلمون وفق النظم الإسلامية المتبعة.

المادة التاسعة عشر:

تشمل هذه المعاهدة قاطني الأحياء المجاورة لمدينة غرناطة، وسكان القرى، والأرجاء التابعة للمدينة والبشرات، وأماكن أخرى بما في ذلك الأشخاص الذين قد يقبلون المعاهدة بعد مرور ثلاثين يوما من تسليم غرناطة و يتمتع هؤلاء بجميع الإعفاءات الممنوحة خلال السنوات الثلاث.

الملاحق

المادة العشرون:

يتولى الفقهاء إدارة إيراد الجوامع والحلقات الدراسية فيها وما يرصد من أجل الصدقة، أو عمل الخير، بما في ذلك إيرادات المدارس التي تنفق في تعليم الصبيان. ولا يحق لصاحبي السمو التدخل بأي حال من الأحوال في شأن هذه الصدقات أو الأمر بمصادرتها في أي وقت في الحاضر أو فيما بعد.

المادة الحادية والعشرون:

لا يجوز لمن يتولى القضاء إصدار قرارات ضد أي مسلم بذنب اقترفه آخر؛ فلا يؤخذ الأب بذنب ابنه، ولا الولد بذنب والده، ولا الأخ بذنب أخيه، ولا القريب بذنب قرابته، بل تقع العقوبة على من يقترب الجرم.

المادة الثانية والعشرون:

يقرر صاحب السمو العفو عن المسلمين من أتباع القائد حميد أبي علي الذين كانوا يذودون عن حصونهم ضد هجمات النصارى، ولا يطلب أي تعويض عمّن قتل من النصارى أثناء اصطدامهم مع المدافعين من المسلمين أو عمّا أخذه المسلمون من المكاسب في ذلك المكان في الحاضر أو فيما بعد.

المادة الثالثة والعشرون:

يغفر صاحب السمو لمسلمي مدينة الكابطي هجماتهم واعتداءاتهم التي كانت تستهدف حرس الملكين وتمنح لهما حرية العيش كبقية إخوانهم الذين شملتهم هذه المعاهدة.

المادة الرابعة والعشرون:

يعتبر صاحب السمو جميع أسرى المسلمين أو الفارين من الأسر إلى مدينة غرناطة والبيازين وأرباضهما، أو إلى أي ناحية تابعو لمدينة غرناطة أحرارا، ولا تصدر العدالة بحقهم أي حكم كان لكن هذا الامتياز خاص بمسلمي الأندلس ولا يشمل أسرى الجزر المشرقية أو الخالدات.

المادة الخامسة والعشرون:

لا يدفع المسلمون لصاحبي السمو أكثر مما كانوا يدفعونه لملوكهم المسلمين من الإتاوات.

المادة السادسة والعشرون:

الملاحق

يسمح لجميع من عبروا العدو (المغرب) من سكان غرناطة، والأرحاء التابعة لها والبيازين، وأرباضهما، والبشرات وغيرها، بالعودة خلال ثلاثة أعوام من تاريخ إبرام الاتفاقية، والتمتع بالامتيازات التي تمنحها لهم هذه الاتفاقية.

المادة السابعة والعشرون:

لا يجبر أي مسلم حمل معه بعض الأسرى النصارى إلى العدو، وجعلهم في قبضة سلطة أخرى على إرجاع هؤلاء الأسرى أو إعادة الأجر الذي تقضاه لقاء تسليمهم.

المادة الثامنة والعشرون:

يحق للملك أبي عبد الله أو أي من قواده، أو سكان القرى، والأرحاء المجاورة لغرناطة والبيازين والبشرات وغيرها، ممن عبروا إلى العدو (المغرب) ولم تطب لهم الإقامة هناك أن يعودوا خلال الأعوام الثلاثة ولهم الحق بان يتمتعوا بكافة نصوص الاتفاقية المبرمة.

المادة التاسعة والعشرون:

يحق لتجار مدينة غرناطة والبيازين وأرباضهما والبشرات وغيرها، أن يحملوا سلعهم إلى العدو ويعودوا بها آمنين مطمئنين كما يحق لهم دخول سائر الأرحاء التي في حوزة الملكين الكاثوليكين دون أن تترتب عليهم أية إتاوة مترتبة على النصارى.

المادة الثلاثون:

لا يجوز إرغام أية نصرانية تزوجت من أحد المسلمين واعتنقت الدين الإسلامي على العودة إلى النصرانية، إلا طائعة و بعد أن تُسأل في ذلك أمام جمع من المسلمين والنصارى. وفيما يتعلق بأبناء النصرانيات وبناتهم، فلهم نفس الحقوق المنصوص عليها في هذه الفقرة.

المادة الحادية والثلاثون:

إذا سبق لنصراني ذكرنا كان أو أنثى، اعتناق الديانة الإسلامية قبل إبرام هذه الاتفاقية فلا يحق لأحد من النصارى أن يهدده أو ينال منه بأية صورة ومن يفعل ذلك يعاقب.

المادة الثانية والثلاثون:

الملاحق

لا يجوز إرغام مسلم أو مسلمة على اعتناق النصرانية.

المادة الثالثة والثلاثون:

إذا رغبت امرأة مسلمة متزوجة، أو أرملة، أو بكر، في اعتناق النصرانية بدافع العشق فلا يستجاب لها حتى تُسأل وتوعظ وفقا للشريعة الإسلامية. وإذا حملت معها خفية بعض الحلي أو غيره من دار والدها أو أقاربها، أو أي شخص آخر، فيجب إعادة هذه الأشياء إلى ذويها وتعتبر اختلاسا وتتولى العدالة اتخاذ الإجراءات الصارمة بحقها.

المادة الرابعة والثلاثون:

لا يرغم صاحب السمو أو أي واحد من عقبهما حاضرا أو مستقبلا، أبا عبد الله الصغير أو جماعته أو حاشيته أو أي أحد من سكان المملكة أو خارجها مسلمين ونصارى ومدجنين، برد ما غنموه أثناء الوقائع التي جرت بينهم من الثياب، والمواشي، والأنعام، والفضة، والذهب، وغيرها من الأشياء التي وضع المسلمون أيديهم عليها. ولا يحق لأحد أن يطالب بشيء يكتشف انه كان له وإذا طالب به فإنه يعرض نفسه لأقصى العقوبات.

المادة الخامسة والثلاثون:

إذا سبق لمسلم أن أهان أسيرا نصرانيا -ذكرا كان أو أنثى- أو جرحه، أو قتله، أثناء احتفاظه بهو فلا يُسأل عن شيء مما كان.

المادة السادسة والثلاثون:

بعد انتهاء السنوات الثلاثة المنصوص عليها في الاتفاقية، تدفع ضريبة الأملاك والضياح الأميرية وفقا لقيمتها الحقيقية شأن سائر الأملاك والأراضي.

المادة السابعة والثلاثون:

تعامل أملاك الفرسان والقادة المسلمين المعاملة المنصوص عليها في البند السابق؛ فلا يدفع عنها أكثر مما يدفع عن الأملاك العادية.

المادة الثامنة والثلاثون:

الملاحق

وتشمل هذه الاتفاقية أيضا اليهود من مواليد غرناطة والبيازين وأرباضهما، والأراضي التابعة لهما واليهود الذين كانوا من قبل نصارى، ويسمح لهؤلاء اليهود بالعبور إلى العدو خلال شهر من تاريخه.

المادة التاسعة والثلاثون:

أن يعامل الحكام والقواد والقضاة الذين يعينهم صاحب السمو على مدينة غرناطة والبيازين والكور التابعة لهما، الناس بالحسنى وأن يحافظوا على امتيازاتهم الممنوحة لهم في المعاهدة وإذا أخل أحدهم بذلك أو ارتكب خطيئة يصدر صاحب السمو أوامره بمعاقبته على قدر جرمه، و عزله من منصبه وتولية غيره ممن يحسنون معاملة المسلمين كما نصت عليه الاتفاقية.

المادة الأربعون:

لا يحق لصاحبي السمو أو أي من أبنائهما وأحفادهما منذ الآن، التعقب على شيء ارتكبه الملك أبو عبد الله الصغير، أو أحد من رعاياه إلى حين تسليم الحمراء أي بعد مرور ستين يوما من توقيع هذه الاتفاقية.

المادة الحادية والأربعون:

أن لا يولى على جماعة أبي عبد الله الصغير واحد من الفرسان أو القادة أو الخاصة الذين كانوا موالين لمولاي الزغل ملك وادي آش عم أبي عبد الله الصغير، الذي كانت بينه وبين أبي عبد الله عداوة قديمة.

المادة الثانية والأربعون:

يتولى النظر في الخصومات التي قد تقع بين مسلم ونصراني أو مسلمة ونصرانية مجلس مؤلف من حكيم أحدهما مسلم والآخر نصراني؛ تحاشيا للتظلم من الأحكام القضائية.

المادة الثالثة والأربعون:

وبالإضافة إلى جميع ما نصت عليه الاتفاقية، يأمر صاحب السمو بمنح أبي عبد الله الصغير كل الامتيازات المنصوص عليها في الاتفاقيات الموثقة بخاتم الأمير (نجل صاحبي السمو) والموقعة من قبل كردينال إسبانيا والكهان، والأساقفة، ورؤساء الأديرة، والشرفاء، والدوقات، والمركيزات، والكونتات، وأصحاب المراتب الجليلة وكتاب العدالة في مدينة غرناطة اعتبارا من يوم تسليم الحمراء والبيازين وأبوابهما وأبراجهما وتعتبر جميع محتويات هذه الاتفاقية نافذة وسارية المفعول في الحاضر وفيما بعد.

المادة الرابعة والأربعون:

الملاحق

يصدر صاحبها السمو أوامرهما بالإفراج عن أسرى المسلمين -ذكورا و إناثا- من أهالي غرناطة والبيازين وأرباضهما، والكور التابعة للمملكة، إفراجا غير مشروط بنفقة أو فدية أو غيرها. وذلك بغية إرضاء الملك أبي عبد الله الصغير وأهالي غرناطة والبيازين وأرباضهما وضياعهما كافة. و يتم الإفراج عن هؤلاء الأسرى على النحو التالي:

يفرج عن جميع أسرى مدينة غرناطة والبيازين وأرباضهما وضياعهما الموجودين في الأندلس خلال الأشهر الخمسة التي تعقب إبرام المعاهدة، ويفرج عن الأسرى الموجودين في قشتالة خلال الأشهر الثمانية التالية وبعد انقضاء يومين من تسليم أسرى النصارى لصاحبي السمو، يتسلم المسلمون مائتي أسير مسلم، مئة من الرهائن، والمائة الثانية من غير الرهائن.

المادة الخامسة والأربعون:

يصدر صاحبها السمو أوامرهما بإخلاء سبيل ابن الدرامي الأسير عند غونثالو فرناند، وعثمان أسير كونت تنديا، و ابن رضوان أسير الكونت قبرة، وإعادة ابن الفقيه محيي الدين وخمسة أشخاص من خاصة إبراهيم بن السراج الذين فقدوا وعرف مكان وجودهم، وذلك في الوقت الذي يسلم فيه صاحبها السمو أسرى مدينة الحمراء والبيازين المائة و الرهائن المائة.

المادة السادسة والأربعون:

إذا خضعت أية ناحية من نواحي البشرات لسلطة صاحبي السمو فإنه يتأتى على المسلمين تسليم جميع الأسرى النصارى الموجودين بيدهم في مدة أقصاها خمسة عشر يوما من تاريخ الانضمام، دون أن يؤدي سموهما أي شيء مقابل ذلك التسليم كما أنه يجب على هذه النواحي تسليم أية رهينة من النصارى لديهم خلال هذه المدة. ويقوم صاحبها السمو في مقابل ذلك بإعادة جميع أسرى المسلمين المحتجزين لدى الأسبان.

المادة السابعة والأربعون:

يتعهد صاحبها السمو لجميع السفن التي تأتي من العدو (المغرب) وترسو في موانئ مملكة غرناطة بحرية التنقل جيئة وإيابا وهي آمنة شريطة أن لا تقوم بنقل الأسرى النصارى، ويصدر صاحبها السمو أوامرهما للنصارى بعدم اعتراض هذه السفن، أو الأضرار بها أو بأهلها أو بمصادرة شيء منها.

الملاحق

وفي حالة مخالفة إحدى السفن لهذه التعليمات بنقلها بعض الأسرى النصرى، فإن حقها في الحماية يصبح لاغيا و يحق لسموهما إرسال مفتش أو مفتشين يتوليان مهمة تفتيش السفن التي تعبر إلى العدو للتحقق من نفاذ هذه التعليمات.

المادة الثامنة والأربعون:

لا يُدعى ولا يأخذ أحد من المسلمين للحرب رغم إرادته، و إذا شاء جالتهما استدعاء الفرسان اللذين لهم خيول وسلاح للعمل في نواحي الأندلس فيجب أن يدفع لهم الأجر من يوم الرحيل حتى يوم العودة.

المادة الثانية والخمسون:

يجب على كل من لديه دين أو تعهد أن يؤديه لصاحب الحق ولا يجوز التحرر من أداء هذه الحقوق.

المادة الثالثة والخمسون:

أن يكون المأمورون القضائيون اللذين يعينون لمحاكم المسلمين مسلمين الآن وإلى الأبد.

المادة الرابعة والخمسون:

يكون المتولون لوظائف الحسبة الخاصة بالمسلمين أيضا مسلمين، وألا يتولاها نصراني الآن و في أي وقت آخر.

الملاحق

الملحق رقم (03)

جدول لأسماء وتواريخ حكم سلاطين بني الأحمر:

اسم السلطان	كنيته ولقبه	فترة حكمه
مُحمَّد الأول بن يوسف بن نصر	أبو عبد الله (الغالب بالله)	(635-671هـ/1238-1273م)
مُحمَّد الثاني بن مُحمَّد الأول بن يوسف	أبو عبد الله (الفقيه)	(672-701هـ/1283-1302م)
مُحمَّد الثالث بن مُحمَّد الثاني	أبو عبد الله (المخلوع)	(701-708هـ/1302-1309م)
نصر بن مُحمَّد الثاني	أبا الجيوش (نصر)	(708-713هـ/1309-1314م)
إسماعيل الأول بن فرج بن إسماعيل بن يوسف	أبو الوليد (الغالب بالله)	(713-725هـ/1314-1325م)
مُحمَّد الرابع بن إسماعيل الأول بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن مُحمَّد	أبو عبد الله (الغالب بالله)	(725-733هـ/1325-1233م)
يوسف الأول بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل	أبو الحجاج (المؤيد بالله)	(733-755هـ/1333-1354م)
مُحمَّد الخامس بن يوسف الأول بن إسماعيل بن فرج بن فرج بن إسماعيل بن فرج	الغني بالله	الفترة الأولى للحكم: (755-760هـ/1354-1359م)
إسماعيل الثاني	أبو الوليد	(760-761هـ/1359-1360م)
مُحمَّد السادس	أبو عبد الله (الغالب بالله) البرميخو	(761-763هـ/1360-1362م)
مُحمَّد الخامس بن يوسف الأول بن إسماعيل بن فرج بن فرج بن إسماعيل بن فرج	الغني بالله	الفترة الثانية للحكم: (763-793هـ/1362-1391م)
يوسف الثاني بن مُحمَّد الخامس	أبو الحجاج (المستغني بالله)	(793-795هـ/1392-1393م)
مُحمَّد السادس بن يوسف الثاني	المستعين بالله	(795-810هـ/1393-1408م)
يوسف الثالث	أبو الحجاج (الناصر لدين)	(810-820هـ/1408-1417م)

الملاحق

	الله	
-820- فترة حكمه الأولى: (1428-1417هـ/م) -833- فترة حكمه الثانية: (1436-1430هـ/م)	أبو عبد الله "الغالب بالله" (الأيسر)	مُحَمَّد التاسع بن يوسف الثالث
(1436-839هـ/م)	ابن المول	أبو الحجاج يوسف الرابع بن المول بن مُحَمَّد الخامس
-839- فترة حكمه الثالثة: (1441-1436هـ/م)	أبو عبد الله "الغالب بالله" (الأيسر)	مُحَمَّد السابع بن يوسف الثالث
(1454-1441هـ/م)	أبو عبد الله الأحنف	مُحَمَّد الثامن بن نصر
(1445-849هـ/م)	أبو الحجاج	يوسف الخامس بن أحمد بن نصر
(1445-849هـ/م)	الوصي	أبي الوليد إسماعيل
(1464-1454هـ/م)	أبو نصر	سعد بن إسماعيل
(1482-1464هـ/م)	مولاي أبو الحسن	أبو الحسن علي بن سعد
(1486-1485هـ/م)	الزغل	أبو عبد الله مُحَمَّد
(1483-1482هـ/م)	أبو عبد الله الصغير (بوعبدل)	مُحَمَّد الحادي عشر بن علي

الملاحق

الملحق رقم (04)

حملة الألوية والرايات بغرناطة¹



¹ أحمد ثاني الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة في عصر بني الأحمر (635-897هـ/1238-1492م)، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ وحدة العالم المتوسطي في العصر الوسيط، الرباط، 2002-2003، ص 138

الملاحق

الملحق رقم (05)

مخطط لمدينة غرناطة¹.



الملحق رقم (06)

¹ Archivo de la corona de Aragon WWW.aca@mcu.es

TEXTO ÁRABE

(الورقة رقم 1)

ورق: 320 - 220 مليمترا

المكتوب: 270 - 185 مليمترا

المضمون:

- (أ) الوثيقة رقم 1: وكالة تقديم.
13 ربيع الأول 802 (13 نوفمبر 1399).
(ب) إشهاد بثبوت الرسم السالف.
24 ربيع الأول 802 (24 نوفمبر 1399).
(ج) ثبوت الرسم.
(د) ثبوت الرسم.
2 ربيع الثاني 802 (2 ديسمبر 1399).
(هـ) ثبوت الرسم.
3 ربيع الثاني 802 (3 ديسمبر 1399).

(أ) الوثيقة رقم 1: وكالة تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم.

هذه نسخة رسوم بشراء حصن قولية وأحوازها قدم الجماعة أهل الأملاك بحصن قولية من نظر مدينة بسطة حرسها الله وهم سعد بن سليمان النحال وأحمد بن سعد بن فتوح وأحمد بن أحمد البريني وسعد بن يوسف القنتري وعلي بن يوسف بن حميص وعلي بن اسماعيل ومحمد بن سعد بن فتوح وسليمان بن فتوح وأحمد بن موسى الرقوطي وسعد بن علي بن ديسم ومحمد بن أحمد ابن الأديم وسعد بن ابراهيم بن عفيف وعلي بن أحمد الدقنان ويوسف بن محمد بن فتوح وابراهيم بن محمد بن زيد وابراهيم بن محمد بن حارث وابراهيم بن أحمد أبو القاسم وسعد بن سعد بن عبد الملك ومحمد بن ابراهيم بن زيد

¹ Amador Diaz Garcia; Documentos Arabes Sobre El Castillo de cùllar (Granada), Arraez Editores, Mojacar, 2015, p: 43

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المخطوطات:

1- إبراهيم الرباش بن أحمد غانم بن مُجَدِّ، العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب والمدافع، المكتبة الوطنية الجزائرية، المخطوطة رقم: 1511

ثانياً: المصادر العربية

1. ابن أبي الربيع شهاب الدين أحمد بن مُجَدِّ، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق وتعليق وترجمة، حامد عبد الله ربيع، مطابع دار الشعب، القاهرة، 1983م (د.ط.).
2. ابن أبي الزرع الفاسي، الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة، الرباط (د.ط.)، 1972
3.، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: الهاشمي الفيلاي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، (د.ط.)، 1972م.
4. ابن الأبار أبو عبد الله مُجَدِّ القضاعي البننسي (ت: 658هـ-1260م)، ديوان ابن الأبار، قراءة وتعليق، عبد السلام الهراس، مطبعة فضالة، (د.ط.)، 1999م، المغرب
5.، الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1988 م (المجلد الثاني)
6. ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، نثير الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان، تحقيق وتقديم، مُجَدِّ رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1987م.
7. ابن الأحمر يوسف الثالث، ديوان ملك غرناطة، تحقيق: عبد الله كتون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1965م.
8. ابن الأزرق أبو عبد الله، بدائع السلك في طبائع الملك، الجزء الثاني، تحقيق وتعليق: علي سامي النشار، دار السلام، الإسكندرية ط1، 2008م. (الجزء 1-2).
9. ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله مُجَدِّ بن عبد الله بن سعيد الغرناطي، الإحاطة في أخبار غرناطة، حققه ووضع مقدمته وحواشيه: مُجَدِّ عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1974م (الأجزاء كلها)
10.، الديوان، صنفه وحققه: مُجَدِّ مفتاح، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1989م. (المجلد 1-2).
11.، ربحانة الكُتَّاب وُجعة المنتاب، حققه ووضع مقدمته وشواهد، مُجَدِّ عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1980م، المجلد الأول.
12.، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، (العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب في القرن الثامن الهجري) تحقيق: مُجَدِّ كمال شبانة، حسن محمود، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط.)، 1966م
13.، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي برونفسال، دار المكشوف، بيروت-لبنان، (د.ط.)، 1956م.

قائمة المصادر والمراجع

- 14..... أعمال الإعلام فيمن بويح قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ، بيروت-لبنان، ط2، 1956م.
- 15.....الإشارة في أدب الوزارة، دراسة وتحقيق:مُجد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004م
- 16..... ، الكتيبة الكامنة لما لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق:إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1983م (د.ط).
- 17.....، اللوحة البدوية في الدولة النصرية، دراسة وتحقيق: مُجد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 2000 م.
- 18.....، خطرة الطيف، رحلات في المغرب والأندلس، حققها وقدم لها: أحمد مختار العبادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003م.
- 19.....، نفاضة الجراب في غلالة الاغتراب، الجزء الثاني، مراجعة وتعليق: أحمد مختار العبادي، مراجعة: عبد العزيز الأهواني، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د.س
20. ابن القاضي أبو العباس أحمد بن مُجد المكناسي، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: الدكتور مُجد الأحدي أبي النور، دار التراث، مصر، 1970 م (د.ط)، (ج3).
- 21.ابن خلدون عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأعظم، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر،، بيروت-لبنان، ط1، 2000م، (المجلد 4-7).
- 22.....، المقدمة، حقق نصوصه، وخرّج أحاديثه، وعلّق عليه، عبد الله مُجد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، 2004م.
- 23.ابن زمرك الأندلسي، الديوان، حققه وقدم له ووضع فهارسه، مُجد توفيق التيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م.
- 24.....، الديوان، تقديم وضبط:د.عبد الحميد عبد الله الهرامة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2003م (د.ط).
- 25.ابن زهر أبو عبد الله مُجد بن أبي بكر، كتاب الجغرافية، تحقيق: مُجد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.س.
- 26.ابن عاصم مُجد الأندلسي الغرناطي، نُحفة الحكام في نكت العقود والأحكام، تحقيق: مُجد عبد السلام مُجد، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط1، 2011م.
- 27.....،جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، تحقيق وتعليق: صلاح جرار، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2010م.(المجلد الثاني).
- 28.....،جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، تحقيق: صلاح جرار، دار البشير، عمان-الأردن، 1989م.(المجلد الأول).
29. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب(قسم الموحدين)، تحقيق: مُجد إبراهيم الكتاني، مُجد بن تاويت، مُجد زنيبر، عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1985م.

قائمة المصادر والمراجع

30. ابن فركون أبو الحسين ، مظهر النور، إعداد: مُحمَّد ابن شريفة، مطبعة الجديدة، الدار البيضاء، 1991م (د.ط).
31.، الديوان، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط1، 2009م.
32. ابن قاسم مخلوف مُحمَّد بن مُحمَّد بن عمر ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، الجزء الأول، خرَّج حواشيه وعلَّق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2002م.
33. ابن لب أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن مُحمَّد الغرناطي، ينبوع العين الثرة في تفرُّيع مسألة الإمامة بالأجرة، دراسة وتحقيق: قطب الريسوني، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1، 2005م. (الجزء 1-2).
34.، تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد، تحقيق: حسين المختاري، هشام الرامي، إشراف: مصطفى الصمدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان. ط1، 2004 (ج1-2)
35. ابن منكلي مُحمَّد، الأدلة الرسمية في التعالي الحربية، حقق الكتاب وكتب مقدّمته: محمود شيت خطاب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق، 1988م (د.ط).
36.، الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، دراسة وتحقيق: نبيل مُحمَّد عبد العزيز أحمد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 2000م (د.ط).
37. ابن هذيل علي بن عبد الرحمن الأندلسي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق وتعليق: مُحمَّد عبد الغني حسن، دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1951 (د.ط).
38.، تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، تحقيق: عبد الإله أحمد نبهان، مُحمَّد فاتح صالح زعل، مركز زايد للتراث والتوزيع، أبو ظبي، ط1، 2004م.
39. أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور: مُحمَّد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1981. (د.ط)، (ج3-4-5).
40. أبو القاسم بن سراج الأندلسي، فتاوى قاضي الجماعة أبي القاسم بن سراج الأندلسي، جمع ودراسة وتحقيق: مُحمَّد أبو الأحناف، المجمع الثقافي، أبو ظبي-الإمارات العربية- 2000. (د.ط).
41. الإدريسي الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثاني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.
42. الإسرائيلي ابن سهل، الديوان، دراسة وتحقيق: بشرى عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط3، 2003م.
43. البلفيقي، ديوان أبي البركات الحاج، عناية: عبد الحميد عبد الله الهرامة، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، أبو ظبي، ط1، 1996م.
44. الحموي ابن جماعة، مُستند الأجناد في آلات الجهاد، تحقيق وشرح: أسامة ناصر النقشدي، دار الوثائق، دمشق، ط1، 2008م.
45. الحموي ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م (ج1، 2، 3، 4، 5).
46. الحميري مُحمَّد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1975م.
47. الذهبي شمس الدين مُحمَّد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، الجزء الثالث والعشرون، حققه: بشار عؤاد معروف، يحي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985

قائمة المصادر والمراجع

48. الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي، **فتاوى الشاطبي**، حققها وقدم لها: مُجد أبو الأجنان، مطبعة الكواكب، تونس ط2، 1985م.
49. الطروشني أبو بكر مُجد بن الوليد الفهري، **سراج الملوك**، المجلد الأول، حققه وضبطه وعلّق عليه ووضع فهرسه: مُجد فتحى أبو بكر، تقديم: شوقي ضيف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1994م.
50.، **سراج الملوك**، المجلد الثاني، حققه وعلّق عليه ووضع فهرسه: مُجد فتحى أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1994م.
51. العباسي الحسن بن عبد الله، **آثار الأول في ترتيب الدول**، حققه ونصّحه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1989م.
52. الفلقشندى أبي العباس أحمد، **صبح الأعشى**، الجزء الحادي عشر، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1917م.
53. القيسي عبد الكريم الاشبيلي، **الديوان**، تحقيق: جمعة شيحة، مُجد الهادي الطرابلسي، بيت الحكمة، تونس، 1988م. (د.ط)
54. اللواتي شمس الدين أبو عبد الله مُجد بن عبد الله الطنجي، **رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأبصار)**، المجلد الرابع، قدم له وحقّقه ووضع خرائطه وفهارسه، عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، المغرب 1997م.
55. مجهول، **زهر البستان في دولة بني زيان**، الجزء الثاني، تحقيق وتقديم: بوزياني الدراجي، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م (د.ط)
56. مجهول، **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر (تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب)**، ضبطه وعلّق عليه: ألفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2002م (د.س)
57. المراكشي عبد الواحد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تقديم وتحقيق وتعليق: مُجد زينهم مُجد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994 م (د.ط).
58. **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م.
59. المقرئ شهاب الدين أحمد بن مُجد، **أزهار الرياض في أخبار عيّاض**، الجزء الأول، ضبطه وحقّقه وعلّق عليه: مُجد السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شليبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939م (د.ط)
60.، **أزهار الرياض في أخبار عيّاض**، الجزء الثاني، ضبطه وحقّقه وعلّق عليه: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شليبي، مطبعة فضالة، المحمدية-المغرب، د.س.
61.، **نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، حققه، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988. (د.ط)، (جميع الأجزاء).
62. المكناسي أحمد بن قاضي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973 (د.ط).
63. المواق محمد والرّصاع مُجد، **الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية**، الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية، تحقيق ودراسة: مُجد حسن، دار المدار الإسلامي، بنغازي-ليبيا، ط1، 2007.

قائمة المصادر والمراجع

64. الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، القسم الثاني، الجزء الرابع، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري، مُجد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م. (د.ط)
65.، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، الجزء الثالث، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري، مُجد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م. (د.ط)
66. النباهي أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي، المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط5، 1983.
67. النميري إبراهيم بن الحاج، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد: مُجد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1990م.
68. النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء السادس، تحقيق: علي بوملحم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2004م.
69. المرثمي صاحب المأمون، مختصر سياسة الحروب، تحقيق: عبدالرؤف عون، مراجعة: مُجد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة، مصر، د.س.

ثالثاً: المراجع العربية:

1. أرينال مرثيديس غارثيا، شتات أهل الأندلس (المهاجرون الأندلسيون)، ترجمة: مُجد فكري عبد السميع، مراجعة: جمال عبد الرحمن، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط1، 2006م، القاهرة
2. آل مرزوق الزهراني هياس، الجوس في المنسوب إلى دوس، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2012م، مكة المكرمة
3. أورتيث أنطونيو دومينغيث وفانسونبيرنارد ، تاريخ الموريسكيين (حياة ومأساة أقلية)، ترجمة: مُجد بنباية، مراجعة: زينب بنباية ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط1، 2013م، أبو ظبي
4. باشا ضيا ، الأندلس الذهبية، الجزء الثالث، تعريب: عبد الرحمن أرشيدات، 1989، عمان
5. بريان الفيكونت دو شاتور ، رواية آخر بني سراج، ترجمة، شكيب أرسلان، مطبعة المنار، مصر، 1925 م
6. الجيوسي سلمى الخضراء، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، ج1، 1998م
7. حتملة مُجد عبده، موسوعة الأندلس والمغرب العربي، (الأندلس التاريخ والحضارة والحنة)، الكتاب الأول-الجزء الثاني- دار المدار الثقافية، ط1، 2009م، البلدة
8.، محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها، مطابع دار الشعب، ط1، 1977م، عمان-الأردن
9. الحريري مُجد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610-869هـ/1213-1465م)، دار القلم، ط2، 1987م، الكويت
10. الداية مُجد رضوان، المختار من الشعر الأندلسي، دار الفكر المعاصر، ط3، 2012م، بيروت-لبنان
11. الدغلي مُجد سعيد، الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي، منشورات دار أسامة ، ط1، 1984م، الإسكندرية
12. دويزار حسين يوسف، المسلمون المدجنون في الأندلس، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، ط1، 1993م

قائمة المصادر والمراجع

13. دي إيتايريث، الحروب الأهلية في غرناطة، ترجمة: مروة مُجد إبراهيم، مراجعة وتقديم، جمال عبد الرحمن، المركز القومي للترجمة، ط1، 2009م، القاهرة
14. ديل ريو خوسيه راميريث، الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية في مملكة غرناطة، مجموعة من الباحثين، قصر الحمراء ذاكرة الأندلس، منشورات مركز الدراسات وحوار الحضارات سلسلة ترجمات -1، ط1، 2015م، الرباط
15. زكي عبد الرحمن، غرناطة وآثارها الفاتنة، شركة نوابغ الفكر، ط1، 2011م، القاهرة
16. سالم السيد عبد العزيز، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، 1986م، الإسكندرية
17. تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعد أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، 1984م
18. سالم عبد العزيز، العبادي أحمد مختار: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، 1969م، بيروت-لبنان
19. سرهيد عدنان خلف، التأثير الحضاري المتبادل بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرية، دار حميثرا للنشر والترجمة، 2018م
20. سعيدان عمر، العلاقات الإسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر الميلادي (دراسة وإعداد وثائق -معاهدات ورسائل - تحاليل وتعليق، وسقوط غرناطة، الجزء الأول، منشورات سعيدان، 2003م، الجمهورية التونسية.
21. سويد ياسين، الفن العسكري الإسلامي (أصوله ومصادره)، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط2، 1990م، بيروت-لبنان
22. شبانة مُجد كمال، يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004م، القاهرة.
23. شبير عثمان مُجد، حكم الاستعانة بغير المسلمين في الجهاد الإسلامي، دار النفائس، ط1، 2001م، الأردن
24. العبادي أحمد مختار، صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، دار منشأة المعارف، ط1، 2000م، الإسكندرية
25. عبد المنعم حميدو، الدور السياسي والحضاري للمرتزقة والأسرى منذ قيام الخلافة الأموية في الأندلس وحتى سقوط غرناطة (316-897هـ/929-1492م)، مؤسسة شباب الجامعة، 2014م، الإسكندرية
26. غبية طه عبد المقصود عبد الحميد، موجز تاريخ الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة، كلية دار العلوم، د.س، القاهرة
27. عميرة عبد الرحمن، الإستراتيجية الحربية في إدارة المعارك في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م، القاهرة
28. عنان مُجد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي للنشر، ط4، 1997، القاهرة .
29. نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط3، 1966م.
30. عنان مُجد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس. (عصر المرابطين و الموحدين)، القسم الثاني، عصر الموحدين واختيار الأندلس الكبرى، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1990م.
31. غاستون بوتول، هذه هي الحرب، ترجمة: مروان القنواي، منشورات عويدات، ط1، بيروت-باريس، 1981
32. فرحات يوسف شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضارية)، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993م.

قائمة المصادر والمراجع

33. قبلي مُجّد ، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، ط1، 2011م
34. كاردياكلويس، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون(المجاهة والجدلية 1492-1640)، تعريب وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات المجلة التاريخية المغربية، تونس، وديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، 1983م.
35. الكتاني علي المنتصر، انبعاث الإسلام في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م.
36. لين بول ستانلي ، قصة العرب في إسبانيا، ترجمة: علي الجارم بك، شركة كلمات عربية، القاهرة، 2012م.
37. مالدونادوباسيلوبابون ، العمارة في الأندلس (عمارة المدن والحصون)، المجلد الثاني، ط1، القاهرة، 2005م.
38. مالدونادو باسيلوبابون، العمارة في الأندلس -عمارة المدن والحصون-، المجلد الأول، ترجمة:علي إبراهيم منوفي، مراجعة وتقديم: مُجّد حمزة الحداد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005م.
39. المنوي مُجّد ، ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 2000م.
40. الوزان حسن، وصف إفريقيا، تحقيق: مُجّد حجي، مُجّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م.
41. بجاوي جمال، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين(1492-1610م)، دار هومة، الجزائر، 2004م.

رابعاً: المقالات:

1. البدوي آمنة سليمان، "تحليلات سقوط المدن الأندلسية في الشعر الأندلسي"، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب واللغات، 2013م، جامعة الأردن، المجلد 40-العدد 2-، ص ص 266-277.
2. جاسم الطيف جاسم، قتيبة محمود جميل، "بني أشقيلولة ودورهم السياسي في مملكة غرناطة(635-701هـ/1238-1301م)"، مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، المجلد الثالث، العدد الخامس، 2016م، العراق، ص ص 265-281.
3. جرّار صلاح، "رياضة الطلبة في الشعر الأندلسي في عصر بني الأحمر"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 50، عمان، 1996م، ص ص 29-62.
4. الجوهري مُجّد الإدريسي، "النظام المالي بالأندلس خلال عصر ملوك بني نصر"، بحوث مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، العدد 14-15، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 2007/2008، ص ص 145-166
5. رزّوق مُجّد، "الهجرة الأندلسية إلى المغرب"، مجلة دراسات أندلسية، عدد16، المطبعة المغاربية، تونس، 1996م، ص ص 17-30
6. سالم السيد عبد العزيز، "العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها"، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثامن، العدد الأول، ماي-جوان، 1977م، ص ص 89-166
7. عنان مُجّد عبد الله، "أبو عبد الله آخر ملوك الأندلس"، مجلة أدب ونقد، العدد 83، مصر، 1992م، ص ص 50-68.

قائمة المصادر والمراجع

8. معوض إسراء مُحمَّد أحمد، "الزراعة في مملكة غرناطة في ظل بني الأحمر (635-798هـ/1238-1492م)"، مجلة البحث العلمي في الآداب، العدد 18-الجزء الرابع- 2017م، كلية البنات، جامعة عين شمس، ص ص 1-15
 9. النقيب أحلام حسن، "المراسلات والمعاهدات والاتفاقيات بين مملكة غرناطة ومملكتي أرغون وقشتالة 695-897هـ/1296-1492م"، مجلة دراسات تاريخية-العددان 115-116، جامعة دمشق، ص ص 230-244
 10. النقيب أحلام حسن، نغم عدنان أحمد، "المظاهر الاقتصادية والاجتماعية للأزمات الاقتصادية في الأندلس من الفتح حتى سقوط الأندلس"، مجلة التربية والعلم، كلية التربية، جامعة الموصل، المجلد-19-، العدد -1-، 2012م، ص ص 1-32
 11. الوراكلي حسن، "لمحات من حياة غرناطة النصرية في القرن 08هـ، من خلال مسائل ابن لب"، مجلة كلية الآداب، العدد الأول، جامعة سيدي مُحمَّد بن عبد الله، تطوان، 1986م، ص ص 20-37 وورقية عبد الرزاق، "قراءة في نوازل القاضي ابن طركاظ الغرناطي"، مجلة دعوة الحق، العدد 407، الدار البيضاء، 2014م، ص ص 153-167
- خامساً: الأطروحات والرسائل الجامعية**
1. أبو لبدة رانية أحمد إبراهيم، شعر الحروب والفتن في الأندلس (عصر بني الأحمر)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، بكلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس-فلسطين، 2008م.
 2. بن عودة العنزي سعد بن ماشي، التجليات الحضارية في الشعر العربي عصر بني الأحمر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، جامعة عمان الأردن، 2012م.
 3. جرار أيمن يوسف إبراهيم، الحركة الشعرية في الأندلس (عصر بني الأحمر)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية و آدابها، جامعة النجاح الوطنية، نابلس-فلسطين، 2007م.
 4. حال هبه مُحمَّد عبده، النظم السياسية والحربية في مملكة غرناطة(653-897هـ/1238-1492م)، أطروحة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب جامعة بنها، مصر، 2013م.
 5. الدوسري أحمد ثاني، الحياة الاجتماعية في غرناطة في عصر بني الأحمر (635-897هـ/1238-1492م)، أطروحة دكتوراه، جامعة مُحمَّد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة التاريخ وحدة العالم المتوسطي في العصر الوسيط، الرباط، 2002-2003.
 6. زغلول جهاد غالب مصطفى، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير في التاريخ بكلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1994م
 7. عواجي عبد القهار عبده بن مُحمَّد، علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، المملكة العربية السعودية، 1998م

قائمة المصادر والمراجع

8. غين يحي أحمد رمضان، **دلالات الألوان في شعر الحروب والفتن في الأندلس**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، كلية الآداب في الجامعة الإسلامية، غزة - فلسطين، -2017م.
9. فؤاد هلال، **خطة مشيخة الغزاة**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009م.
10. اللبدي هبة إبراهيم منصور، **الوصف في شعر الملك الأندلسي يوسف الثالث**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، لغة عربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2012م.

سادساً: المواقع الإلكترونية

- 1- نجلاء سامي النبراوي، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية للطفل بالأندلس**، رُفِع الكتاب من شبكة الألوكة، الموقع الإلكتروني، www.j4know.com
- سابعاً: المصادر والمراجع الأجنبية:

1. Alcántara Lafuente, Historia de Granada, **Comprendiendo la De Sus cuatro Provincias, Almería, Jean, Granada y Málaga**, Tomo III, Imprenta y Librería De SANE, 1845
2. Alcantara Lafuente, **Inscriptions Arabes De Granada**, Imprenta National, Madrid, 1859,
3. Álvaro Machordomcomins, Granada: **Él Ultimo rey Andalusí**, Impresso en Espana, 1996
4. Ariè Rachel, **L'Espagne Musulmane au Temps Des Nasrides (1232-1492)**, Editions Brill, Paris, 1990
5. Bernáldez Andrés, **Historia de los Reyes Católicos D.ⁿ Fernando y D.^a Isabel**, Tomo 1, Imprenta que fuè de D. José María Geofrin, Sevilla, 1964
6. Cabrera Emilio, **De la nuevo sobre cautivos cristianos en el Reino de Granada**, Meridies III, Universidad de cordoba, 1996
7. Carrasco Diego Melo, **Cautividad y Rescate en la frontera Castellano-Granadina (S.XLLL-XV) : Entre Adalides, Alcaldes, Rastreros y Redentores**, Ediciones Universidad Finís Terrae, Escuela de Historia-CIDOC, 2009
8. Conde José Antonio afirma, **Historia de la Dominación de los árabes en España**, cuarta parte, cap., VI, Madrid, 1874
9. Conde José Antonio, **Historia de la Dominación De los Arabes En España**, Tomo III, Hueva Edición, Imprenta de D. Juan Oliveres, 1844, Barcelona

10. Cuello Antonio Malpica, **La vida Agrícola y la Ganadería En Al-Ándalus y En El Reino Nazari De Granada (Farminglife and livestock in al-Ándalus and theNasridKingdomof Granada)**, Universidad de Granada 2012
11. Garibay Esteban, **compendio historial de las crónicas y universal historia de todos los reynos de España** (Ambres 1571), cap. XL
12. Palencia Alonso, **Guerra de Granada**, Tomo V, Colección de Escritores Castellanos, Madrid, 1909
13. Pedraza Francisco Bermúdez, **Historia Eclesiástica, principios y progresos de la ciudad y reliquia católica de Granada**, primera parre, Granada, cap. XX, 1638,
14. Pulgar Fernando, **crónica de los Reyes católicos**, vol 2, Guerra de Granada, edic.yest, por Juan de Mata carriazo; Madrid, 1943
15. Delgado Cristóbal Torres, **Libración de cautivos del Reino de Granada, En La España Medieval III**, Estudios en memoria del Profesor D. Salvador de Moxè, Vol 3, Editorial de la Universidad De Granada, pp 639 - 651.
16. Diaz J. Fernando Tinco, **Among Christians and Muslims: An Approach to the captivity in the Frontier between the kingdom of Castille and the Emirate of Granada**, (XLV-XV centuries), Journal –estrategica, vol: 1, Barcelona, 2017
17. Enamorado Virgilio Martínez, La, **La Espada de protocolo Del sultán Nazari MUHAMMAD V**, Gladius XXI, 2005, p.p 285-309
18. Fabiè Antonio María. **Viajes Por España**, Libros de Antano., Madrid, 1879
19. Fábregas Adela, **Azúcar E Italianos en El Reino Nazari De Granada**, Del Éxito comercial, A l'intervencions Económica, Universidad de Granada, Cuadernos Del Cemyr, 22, 2014
20. Fernández Luis Suarez, **Las guerras de Granada (1246–1492) Transformación e incorporación de al-Ándalus**, Editorial Ariel, 1ª edición, Barcelona, 2017
21. Fontes Juan Torres, **Los Alfaqques castellons en la frontera de Granada**, Homenaje a Don Agustín Millares Carlo, caja Insular de Ahorros, canarias, 1975

22. Garrido Atienza Miguel, **Las capitulaciones para la entrega de Granada**. Granada: Estudios preliminar por José Enrique López. 1992
23. González Manuel Jiménez, **Algeciras en la Encrucijada de la Battala Del Estrecho (Siglos XIII y XIV)**, Boltin de la Real Academia Sevillana de Buenas Letras: Mineravae Baeticae, Vol: 40, Sevilla.
24. Gonzalez Raúl Arèvalo, **cautivario y esclavitud en el Reino de Granada, (Siglos XIII-XVI)**, Vínculos de Historia, VOL 3, Universidad de Granada, 2014
25. González Wenceslao Segura, **La batalla del Salado (ano 1340), Al Qantir, Monografías y Documentos sobre la Historia de Tarifa**, Numero: 3, Ano: 2005.
26. González Raúl Arèvalo, **La Costa del Reino de Granada en la Documentacion nàutica Italianan (Siglos XIV-XVI)**, En La España Medieval, Vol : 31, Universidad de Málaga, 2008
27. ILLuch Roser salicru, **La corona de Aragón y los nazaritas en El segundo Reinado de Muhamad El Pequeño (1427-1429)**, Institución Milá i fontanals.csc.Bareclona, p.p 199-211
28. Lasala Magdalena, **Boabdil (Tragedia Ultimo Rey De Granada)**, Ediciones Temas de Hoy, Madrid, 2004
29. Latorre Juan García, **La Inmigración Norte-sur y el *pecado Original De la Demografía Española**, La colección Mediterraneo Económico: precessos migración, Economía y personas, Vol 1, Cajamar
30. Moreno Manuel Gómez, **Guia de Granada, Imprenta de Indalecio Ventura**, Granada, 1892.
31. Münzer Jerónimo, **Viaje por España y Portugal Reino de Granada**, Ediciones Método, Granada, 2008.
32. Quesada Ladero, ***Datos demográficos sobre los musulmanes de Granada, en el siglo XV***, en Granada después de la Recoquista Repobladores y mudéjares, Granada, 1988
33. Rovira AntonioPalàez, **Balance historiográfico del emirato Nazari de Granada (Siglos XIII-XV) desde los estudios Sobre-al Ándalus:**

قائمة المصادر والمراجع

- institucionnes, Sociedad y economía**, Estratto da RetiMedievali Revista, IX, Firenze UniversityPress, 2008
34. Zúñiga Jerónimo, « **El principio de la Guerra y conquista del Reino de Granada y de la toma de Alhama** », Anales de la corona de Aragón, lib XX. Cap. XLII, Zaragoza, 1610

الكشافات والفهارس

كشاف البلدان	كشاف القبائل	كشاف الأعلام
الأندلس: 13، 14، 15، 16، 21، 22، 23، 24، 27، 28، 29، 31، 33، 38، 40، 41، 42، 45، 46، 47، 49، 50، 53، 56، 60، 65، 70، 73، 74، 82، 84، 85، 87، 89، 90، 91، 93، 94، 95، 96، 98، 99، 101، 105، 107، 108، 112، 113، 113، 123، 127، 129، 132، 134، 145، 146، 152، 153، 155، 161، 162، 168، 169، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 185، 203، 205، 206، 209، 210، 211، 212، 214، 215، 217، 218، 220، 222، 226، 227، 229، 230، 231، 232، 233، 234، 236، 237، 239، 247، 254، 255	التيجانية: 94، 235 الزناتيين: 24، 25، 34، 36، 41، 42، ، 125، 127 العرب: 94، 235 العجيسية: 94، 235 المرابطين: 24، 91 النصارى: 13، 14، 15، 16، 17، 20، 21، 22، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 95، 96، 97، 98، 102، 104، 106، 107، 109، 110، 112، 114، 115، 116، 117، 131، 134، 140، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 153، 155، 158، 169، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 180، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201، 203، 204، 205، 206، 210، 211، 212، 214، 215، 216، 219، 221، 222، 225، 228، 235، 238، 239، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250 المدجنيين: 172، 173، 176، 180،	الإفنت دون إنريك (ملك نافارا والأراغون): 69 البابا بانديكوس الحادي عشر: 42 البابا كليمنت: 181 البابا هونبروس إيل: 197 الحسن الشريف (قائد غرناطي): 104 الرشيد الموحيدي: 20، 173 الرئيس أبي عبد الله ابن الرئيس أبي سعيد (البرميخو): 56، 57، 172، 192، 199، 206، 230 السيد أبو زيد عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن يوسف بن عبد المؤمن: 14 الشاطي: 166، 197 الشريف العقيلي: 230 الطرطوشي: 20، 102، 164، 195، 207 العباس بن رحو بن عبد الله: 51 العباس بن حميد (قائد غرناطي): 104 العلجة (صاحبة المنظر): 50-194 المأمون أبو العلاء: 14 المرادي (قائد غرناطي): 116 المستنصر العباسي (صاحب بغداد): 14
البحيرة: 29 البرتغال: 40، 59، 234 البييرة: 65، 66، 68، 149، 203، 204، 205 البنول: 159 البيازين: 182، 183 الحجار: 22 الحررة: 22		

الكشافات والفهارس

الملمد (قائد قشتالي): 32، 33، 41، الونشريسي أبو العباس: 176، 186 ألفونسوا الرابع (ملك الأراغون): 114 ألفونسوا الخامس (ملك الأراغون): 112، 66، 64 ألفونسوا السادس: 137 ألفونسوا الحكيم (ملك قشتالة): 15، 17، 21، 23، 25، 26، 27، 30، 202، 208، 210، 213، 173 ألفونسوا العاشر (ملك قشتالة): 31، 32، 33، 46، 50، 100، 138، 173، 200، 212، 215، 224، 225، 228 ألفونسوا الحادي عشر: 40، 42، 114، 228، 235 أبا البقاء الرندي: 215، 216 أبا الحسن المريني (السلطان المريني): 39، 40، 228، 235 أبا الحسن علي بن سعد (مولاي حسن سلطان بني الأحمر): 70، 71، 72، 73، 74، 76، 110، 117، 121، 158، 167، 199، 207، 220، 235 أبا الحسن بن كُماشة: 132 أبا الربيع بن يوسف (سلطان بني مرين): 48، 49، 93 أبا الوليد إسماعيل بن فرج النصرى سلطان بني الأحمر): 38، 51، 52،	181، 190، 191 المصامدة: 29، 34، 35، 36 الموحدين: 13، 14، 16، 17، 24، 25، 91، 92، 167، 211 الموريسكيين: 166، 176، 177، 178 216، 182 أسرة الثغري: 178 أسرة بني سراج: 63، 71، 76، 174، 178، 220 أسرة بنيغاس: 178 أسرة نونيت مولاي: 178 أهل البيازين: 77 أولاد تاشفين: 95 أولاد محلي: 95 أولاد وسناف: 95 أولاد نزول: 95 أورية: 29 بنو الأحمر (بنو نصر): 16، 21، 43، 45، 47، 49، 52، 58، 59، 60، 63، 68، 69، 70، 72، 86، 90، 93، 94، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 105، 109، 111، 115، 118، 119، 120، 121، 123، 127، 132، 140، 145، 156، 158، 161، 175، 193، 203، 205، 211، 226، 228، 231، 234، 236، 238، 244، 245، 247، 248، 249، 251، 253، 254	الحامة: 75، 117، 124، 140، 159، 174، 199 الحمراء (غرناطة): 20، 64، 66، 68، 109، 110، 139، 155 الجدوى: 83 الجز: 23 الجزيرة الخضراء: 24، 27، 28، 29، 30، 32، 33، 34، 37، 40، 42، 44، 45، 47، 49، 50، 53، 55، 59، 94، 104، 114، 120، 132، 151، 194، 198، 226، 227 الخزانة: 23 الخزائن: 70 الشيظيل: 47 الصخوريات: 47 العلي: 23 القبذاق: 50 القلعة: 23، 27، 71، 195 القليلة: 23 القناطر: 31، 34 الربيط: 83 الرسين: 22 المُترايل: 156 المشرق: 81، 172، 176 المرية: 18، 21، 24، 38، 50، 51،
---	---	--

الكتشافات والفهارس

53، 113، 130، 147، 194، 199، 239، 206 أبا الورد بن قصجة: 97 أبا عبد الله سعد الأشعري المالقي: 94 أبا عبد الله بن الحكيم (كاتب السلطان أبا الجيوش): 47، 50، 226 أبا سالم بن يوسف المريني (سلطان بني مرين): 47، 56، 57، 95، 206، 230، أبا سعيد المريني (سلطان بني مرين): 38، 40، 41، 42، 47، 93، 246، 247 أبا سعيد فرج بن إسماعيل: 48، 101 أبا سلطان عبد العزيز الدايني (وزير السلطان محمد الفقيه): 45، 47، 102 أبا قاسم المليح (أحد أعيان البلاط الغرناطي): 81 أبا مالك بن عبد الحق (أمير مريني): 39، 40، 41، 103، 228، 232 أبا مروان الباجي: 18 إبراهيم الغني: 81 إبراهيم بن سهل الإشبيلي: 118، 223، 224 إبراهيم القيسي: 83 ابن الرميمي: 13، 18، 21، 23 ابن الأبار البلنسي: 213، 214،	بنو الأشقيلولة: 18، 25، 28، 45، 88، 90، 92، 94، 100، 101، 200، 204، 227، 235 بني حمامة: 94 بني جابر: 36 بني زيان (ملوك تلمسان): 28، 29، 38، 46، 94، 121، 231، 235 بنو صناديد: 94 بني مرين: 24، 25، 26، 28، 29، 30، 33، 35، 36، 37، 38، 39، 44، 45، 47، 50، 52، 57، 62، 91، 92، 93، 94، 95، 99، 100، 101، 102، 104، 118، 119، 121، 145، 205، 224، 225، 226، 228، 229، 232، 235، 237، 246، 255 بني مردنيش: 14 بني عسكر: 92 بنو هود: 13، 18، 19، 211 عرب بني حسين: 246 غزاة بني مرين (بنو العلاء): 27، 28، 29، 37، 39، 53، 55، 90، 92، 93، 94، 95، 100، 101، 104، 107، 114، 119، 120، 121، 124، 127، 128، 206، 231 غمارة: 29 ملوك الطوائف: 13، 16، 21، 211 مكناسة: 29	52، 54، 68، 80، 82، 83، 93، 95، 97، 117، 132، 154، 157، 158، 159، 160، 161، 174، 182، 184، 188، 196، 204، 216، 227، 254 المنظر: 50، 194 المنكب: 32، 50، 75، 77، 78، 80، 82، 84، 84، 104، 156، 158، 182، 204 المغرب (الأقصى): 19، 24، 25، 26، 29، 33، 39، 40، 45، 48، 55، 81، 86، 92، 93، 96، 99، 101، 107، 108، 110، 144، 145، 148، 155، 172، 174، 176، 179، 190، 196، 207، 221، 228، 230، 232، 246 اليسانة: 201 النجور: 47 الوادي الكبير: 36، 37، 76، 80 أبددة: 30، 33، 34، 58، 59، 99، 108، 210 أبدونة: 47 أبرونة: 68 أرشدونة: 32، 66، 70، 71، 72، 103 أركش: 23، 34، 69، 210 إستنجة: 14، 27، 30، 35، 36، 76، 147، 200، 208، 210
--	--	--

الكشافات والفهارس

<p>255، 223</p> <p>ابن الأزرق: 19، 168.</p> <p>أبو البقاء الرندي: 213، 214.</p> <p>ابن الخطيب لسان الدين (ذو الوزارتين): 17، 18، 19، 20، 42، 49، 52، 54، 86، 91، 93، 94، 96، 97، 99، 100، 102، 103، 104، 106، 108، 109، 110، 115، 116، 118، 120، 121، 123، 125، 127، 129، 130، 132، 134، 135، 137، 146، 151، 152، 153، 154، 156، 157، 164، 166، 167، 169، 172، 191، 193، 198، 202، 203، 204، 206، 207، 227، 228، 229، 230، 231، 232، 233، 235، 236، 238، 239، 252، 253، 254.</p> <p>ابن بطوطة الطنجي (الرحالة): 147</p> <p>ابن خلدون عبد الرحمن: 15، 18، 42، 43، 109، 113، 120، 121، 169، 171، 198، 202.</p> <p>ابن زائدة (قائد غرناطي): 84</p> <p>ابن زمرك: 61، 96، 102، 206، 235، 236، 242، 249، 250، 251، 252، 253، 255.</p> <p>ابن سراج (قاضي الجماعة بغرناطة): 186، 187، 197</p> <p>ابن فضل الله العمري: 114، 115، 121، 132</p> <p>ابن فركون: 96، 238، 241، 242.</p>	<p>إسطبة: 76</p> <p>أسطبونة: 47، 51، 152، 159.</p> <p>أشبونة: 59</p> <p>إشبيلية: 14، 15، 16، 18، 21، 22، 23، 25، 30، 31، 34، 35، 36، 39، 58، 59، 60، 63، 76، 126، 137، 173، 200، 210، 212، 214، 223، 224، 225، 228، 229، 230، 232، 233، 234، 235، 236، 238، 252، 253، 254.</p> <p>أشقر: 254</p> <p>أشونة: 60، 70، 200.</p> <p>أطبية: 200</p> <p>أغيلاس: 158</p> <p>إقليم البشرية: 83</p> <p>أقلوم: 83</p> <p>ألورا: 46</p> <p>أنتقيرة: 51، 57، 62، 68، 76، 103، 196، 200، 242.</p> <p>أندرش: 54، 82، 83، 155.</p> <p>أنيشة: 15</p> <p>أولبة: 67</p> <p>أوريولة: 15، 24، 64، 149، 193.</p> <p>إيطاليا: 155، 157.</p>
---	---

الكشافات والفهارس

<p>253، 244، 243</p> <p>ابن مهلهل (قائد مريني): 40، 41.</p> <p>ابن عاصم الغرناطي (وزير السلطان مُجَدُّ الأيسر): 70، 103، 132، 166، 185، 202، 206، 238.</p> <p>ابن عذارى المراكشي: 18، 25، 137</p> <p>ابن علاء (وزير السلطان يوسف الثالث): 104، 206</p> <p>ابن غازي (وزير مريني): 103</p> <p>ابن لب الغرناطي: 156، 167، 189، 198</p> <p>ابن هُذَيْل الأندلسي: 113، 134</p> <p>أبو الحجاج يوسف بن أبي الوليد إسماعيل بن فرج (سلطان بني الأحمر): 40، 41، 44، 55، 56، 60، 94، 99، 103، 115، 120، 124، 134، 136، 139، 146، 147، 149، 150، 151، 183، 190، 192، 199، 202، 203، 205، 227، 229، 231، 235، 239، 255.</p> <p>أبو الحجاج يوسف الثاني (ابن الأحمر): 60، 61، 62</p> <p>أبو الحجاج يوسف ابن المول: 65، 66</p> <p>أبو الحجاج يوسف ابن السلطان أبو الحسن: 74</p> <p>أبو الحسن ابن أشقيلولة: 46، 91، 100، 224، 225</p> <p>أبو الحسن الرعيني: 19</p>	<p>إبورا: 79</p> <p>باب البيرة: 137، 139</p> <p>باب الحمراء: 66</p> <p>باب الشريعة: 136</p> <p>باب غرناطة: 53</p> <p>باجة: 157</p> <p>بجاية: 41</p> <p>بُرج مشقريط: 36</p> <p>بُرج المرء: 136</p> <p>بُرج باب مُنتيا: 136</p> <p>بُرج مخدع الملكة: 136</p> <p>بُرج البيلا: 134</p> <p>بُرج الحكيم: 59</p> <p>بُرج الملاحة: 82، 108، 110</p> <p>بُرج الهمذان: 82، 110</p> <p>بُرج قُمارش: 136</p> <p>بُرجة: 83، 154</p> <p>بُرشانة: 82، 110</p> <p>برشلونة (برجلونة): 38، 150، 160</p> <p>بُرغة: 58، 130</p> <p>بركونة: 22، 32</p> <p>بسطة: 53، 67، 70، 76، 77، 79،</p>
--	---

الكشافات والفهارس

<p>أبو القاسم بن عبد الملك (أحد أعيان بلاط غرناطة): 84</p> <p>أبو القاسم الشريف: 230</p> <p>أبو العباس المريني (سلطان بني مرين): 61</p> <p>أبو إسحاق ابن أشقيلولة: 26، 31، 44، 46، 89</p> <p>أبو بكر بن عياش (شيخ مالقة): 20</p> <p>أبو بكر الكاتب: 19</p> <p>أبو بركات البلفيقي: 137، 231</p> <p>أبو حمو موسى الثاني (سلطان بني زيان): 231</p> <p>أبو جعفر التيزولي: 19، 20</p> <p>أبو رضوان النصري الحاجب: 40، 55، 56، 103، 108، 109، 124، 136، 137، 180، 199، 206.</p> <p>أبو سرور مفرج بن فتوح (قائد غرناطي): 70، 201.</p> <p>أبو عبد الله مُحَمَّد الصغير "بوعبدل" (سلطان بني الأحمر): 72، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 86، 107، 127، 138، 153، 168، 172، 178، 179، 182، 199، 200، 208، 220، 232.</p> <p>أبو عبد الله مُحَمَّد الزغل (أمير بني الأحمر): 72، 73، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 85، 113، 116، 117، 118، 153، 174، 208</p>	<p>80، 81، 82، 104، 109، 117، 131، 133، 153، 174، 203</p> <p>بشيش: 68</p> <p>بطرنة: 23</p> <p>بطلس: 70، 104</p> <p>بطليوس: 137، 173</p> <p>بلش: 80، 81، 118، 146، 153، 199، 200، 202، 206، 219</p> <p>بلش_مالقة: 80، 180، 181.</p> <p>بلنسية: 14، 15، 21، 41، 114، 150، 160، 172، 173، 208، 210، 212، 214، 222، 223، 224.</p> <p>بني موريل: 65، 104</p> <p>بني زلمة: 65</p> <p>بن سلمة: 104</p> <p>بوابة الرملة: 136</p> <p>بوابة إيرنان: 136</p> <p>بوابة البيرة: 136</p> <p>بونة (المغرب الأوسط): 41</p> <p>بيانة: 54</p> <p>بياسة: 33، 34، 210.</p> <p>بيرة: 115، 148، 153، 203</p> <p>بيزة: 118، 196</p>
---	--

الكتشافات والفهارس

<p>220، 218.</p> <p>أبو عبد الله اليحصبي: 239</p> <p>أبو عثمان سعد بن ليون : 220</p> <p>أبو عثمان سعيد المريني (سلطان بني مرين): 246</p> <p>أبو العلاء بن سماك العاملي: 247، 248.</p> <p>أبو علي الرنداحي: 130</p> <p>أبو علي حسن الغوّاف: 161</p> <p>أبو عنان فارس (سلطان بني مرين): 230، 229، 56.</p> <p>أبو فارس الحفصي (أمير بني الحفص): 66، 63</p> <p>أبو فارس عبد العزيز (سلطان بني مرين): 163، 108.</p> <p>أبو مروان عبد الملك بن يوسف بن صناديد(وزير مُحمّد الغالب بالله): 100</p> <p>أبو مُحمّد ابن أشقيلولة: 26، 31، 44، 47، 89، 98، 100، 224، 225.</p> <p>أبو مُحمّد البسطي: 19</p> <p>أبو مطرف بن عُميرة: 213، 214، 224</p> <p>أبو موسى هارون بن هارون: 214</p> <p>أبي قاسم المليح: 83</p> <p>أبي القاسم العزفي (صاحب سبتة): 26، 27، 29، 32، 34، 39،</p>	<p>بيغ: 22، 47</p> <p>تادلا (المغرب الأقصى): 36</p> <p>تازا (المغرب الأقصى): 48</p> <p>تامسنا (المغرب الأقصى): 45</p> <p>تطيلة: 210، 216</p> <p>تل ابن ثابت: 170</p> <p>تلمسان: 46، 54، 61، 110، 174</p> <p>تبول: 47</p> <p>تونس (إفريقية): 20، 41، 61، 63، 64، 113، 114، 166، 172، 175، 204</p> <p>ثغر وبرة: 55</p> <p>جبل البشرات: 85، 155، 175، 182، 179</p> <p>جبل الشارات: 80</p> <p>جبل الشرف: 31، 36</p> <p>جبال العشاق: 76</p> <p>جبل الفتح (جبل طارق): 24، 28، 38، 40، 44، 50، 51، 53، 56، 57، 59، 61، 66، 67، 70، 84، 98، 103، 104، 149، 182، 194، 203، 209، 219، 226، 228، 241، 247.</p> <p>جبل إبريز: 35</p> <p>جبل فارة: 131</p>
---	---

الكشافات والفهارس

أبي القاسم بنينغاس (قائد غرناطي): 80	جبل شلير: 85، 172.
أبي القاسم بن عبد الملك: 85	جبال سييرا: 80، 148
أبي الحجاج يوسف ابن كُماشة: 68	جبل وادراس: 92
أبي الحسن بن كُماشة: 48	جربة (إفريقية): 41
أبي العطية العباس (قائد مريني): 37	جزيرة شُقر: 15
أبي العباس السبتي: 233	جزيرة كنور: 36
أبي إسحاق إبراهيم بن عبد البر (وزير وقائد غرناطي): 66، 67، 68، 70، 102، 103، 104، 116، 201.	جنجاله: 68، 70.
أبي زكرياء يحيى بن مليلة: 48	جنوة: 153، 154
أبي زكرياء يحيى الحفصي (سلطان إفريقية): 17، 20، 213، 223.	جنة عصام: 169
أبي عبد الله مُحَمَّد بن يوسف بن هود: 13، 14، 15، 16، 17، 18، 20، 21، 89، 98، 201.	جيان: 14، 17، 20، 21، 32، 58، 61، 70، 94، 102، 108، 121، 173، 210.
أبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد الشديد المالقي: 236، 252	حرمي: 22
أبي عياد بن عبد الحق (قائد مريني): 45	حصن البيول: 133، 134
أبي عمر بن المرابط: 216، 227	حصن البريج: 104
أبي معروف بن عبد الحق (أمير مريني): 34	حصن الحويز: 59
أبي زبير طلحة بن يحيى بن محلى (قائد مريني): 36، 39	حصن الصخرة: 61، 75، 92، 245.
أبي مُحَمَّد بن المربع: 229	حصن السكة: 70
أديلانتادو دي كازولا (قائد قشتالي):	حصن الشياطين: 78
	حصن الفرج: 23
	حصن الطورون: 70
	حصن القشتور: 59
	حصن القصر: 22

الكشافات والفهارس

67		حصن القناطر: 34
إيزابيلا القشتالية ابنة هنري الرابع (ملكة قشتالة): 71، 74، 118، 134، 152، 175، 178، 218، 220.		حصن اللقون: 217
أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي (الدقون): 221		حصن اللوز: 65-79
بطره دو لارمه: 193، 195		حصن المدور: 47، 55، 103، 199، 210
بيدرو الأول (القاسي) ملك قشتالة: 52، 53، 57، 58، 59، 113		حصن الملكين: 78، 79، 131، 136، 204، 246
بيدرو الرابع (ملك الأراغون): 41، 42، 59، 194، 200.		حصن المره: 78
بون ناظ بشك: 150		حصن النجش: 70، 104
تاشفين بن يعقوب الوطاسي (قائد مريني): 48		حصن اليسانة: 70، 77
ثريا (إيزابيلا) زوجة مولاي الحسن: 72، 220.		حصن أستبة: 113
جعفر بن علي الخزاعي: 96		حصن آشر: 58، 108، 110، 123
حامد الثغري (قائد غرناطي): 81		حصن أشكر: 53، 130، 153
حسن بن حسن الجذامي: 148		حصن أطرية: 58، 108، 126، 129، 189
خايمي الأول (ملك الأراغون): 14، 16، 21، 50		حصن أغيلار: 70، 77
خايمي الثاني (ملك الأراغون): 98، 147، 161، 181، 195		حصن ألبرت: 34
خوان الأول: 195		حصن أرش: 104
خوان دي سافيدرا (عمدة قشتالة): 194		حصن أرنية: 97
		حصن أنتقيرة: 57، 62، 75، 101
		حصن أندرش: 83
		حصن أنجرون: 82
		حصن أنكيرة: 57

الكشافات والفهارس

<p>خوان الثاني (ملك قشالة): 60، 63، 64، 65، 67، 68، 69، 70، 74، 100، 113، 116، 195، 196.</p> <p>دون ألونصوا (صاحب أجيالار): 77</p> <p>دون بيدرو (عم ملك قشالة فرناندو الثالث): 39، 52</p> <p>دون خوان (قائد قشتالي): 39، 115</p> <p>دون جيفري تينوريو (قائد قشتالي): 40</p> <p>دون تالز (قائد قشتالي): 70</p> <p>دون روي بونس (قائد قشالي): 73</p> <p>دون نونيو دي لارا (قائد قشتالي): 30، 200، 226.</p> <p>رضوان بنيغاس (قائد غرناطي): 76</p> <p>رودريغو ألونسوا (قائد قشتالي): 22</p> <p>زيد بن فرحون (قائد بجاية): 41</p> <p>سانشو (شانجه ابن ألفونسوا العاشر): 33، 36، 37، 38، 45، 47، 49، 50، 98، 228</p> <p>سعد بن عبادة (سيد الخزرج): 17</p> <p>سعد بن إسماعيل: 68، 69، 70، 71.</p> <p>سلمون الكناي أبا محمد: 95</p> <p>سليمان الإسرائيلي: 195</p> <p>سليمان بن أبي الربيع: 95</p> <p>شيمون دي طبينه: 160</p>	<p>حصن أيامونتي: 60</p> <p>حصن إيورا: 78</p> <p>حصن باغة: 55، 62، 103، 199.</p> <p>حصن باقاروخير: 70</p> <p>حصن بريج: 70، 101</p> <p>حصن بشر: 68</p> <p>حصن بن بشير: 113</p> <p>حصن بليانة: 85</p> <p>حصن بلمة: 30</p> <p>حصن بيدمار: 62</p> <p>حصن تنكر: 23</p> <p>حصن ذكوين: 78</p> <p>حصن جورتون: 139</p> <p>حصن غاليرا: 67</p> <p>حصن ريانا: 139</p> <p>حصن روط: 52</p> <p>حصن زمرة: 59</p> <p>حصن سقوط: 35</p> <p>حصن شير: 70</p> <p>حصن طشكر: 52</p> <p>حصن طفير: 83</p> <p>حصن فريس: 23</p>
--	--

الكشافات والفهارس

<p>عائشة بنت أبي يحيى يعقوب: 43، 220</p> <p>عائشة الحرة (زوجة السلطان مولاي الحسن): 72، 179، 218، عامر بن إدريس (شيخ الغزاة): 26</p> <p>عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين الثقفي (طبيب غرناطي): 97</p> <p>عبد الله سعيد السلماني: 97</p> <p>عبد الله بن مُجَدِّ العبدوسي: 172</p> <p>عبد الله بن رضوان البخاري: 238، 255</p> <p>عبد المنعم بن سداري بن طفيل: 96</p> <p>عبد الرحمن بن أبي يفلوسن: 103، 205</p> <p>عبد العزيز أبي الحسن (سلطان بني مرين): 59، 102، 106</p> <p>عبد الكريم القيسي: 216، 219، 233</p> <p>عتبة بن يحيى المغيلي: 18</p> <p>عثمان بن أبي العلاء (شيخ الغزاة): 38، 39، 48، 50، 52، 53، 54، 55، 92، 95، 114، 201</p> <p>عسكر بن تاحضريت (قائد مريني): 44</p> <p>علي العطار (قائد غرناطي): 76، 77</p> <p>علي بن يوسف بن يزكاسن (قائد</p>	<p>حصن فوليه: 104</p> <p>حصن قبرة: 54، 77</p> <p>حصن قشرة: 54</p> <p>حصن قرطمة: 78</p> <p>حصن قُنيرة: 78، 203</p> <p>حصن قنيط: 69، 108، 123، 124، 200</p> <p>حصن قنبيل: 52، 79، 204</p> <p>حصن قوج: 70</p> <p>حصن قيشر: 96</p> <p>حصن ليط: 117</p> <p>حصن كرتش: 104</p> <p>حصن كيركول: 247</p> <p>حصن متماسن: 52</p> <p>حصن مشاقر: 79، 241</p> <p>حصن مُرشانة: 84</p> <p>حصن مُنتيل: 58، 59، 77</p> <p>حصن مُنتيميش: 80</p> <p>حصن موجر: 81</p> <p>حصن نايجي: 62</p> <p>حصن يبيح: 52</p> <p>حصن كيركول: 247</p> <p>دانية: 15، 21، 173</p>
--	---

الكشافات والفهارس

<p>مريني): 37</p> <p>علي بن إبراهيم بن قاسم: 150</p> <p>عيسى النجد (قائد غرناطي): 104</p> <p>عمر بن عفرون الكلبي: 119</p> <p>عمر بن رحو بن عبد الحق بن يعقوب:</p> <p style="text-align: center;">48</p> <p>عمر بن علي (قائد مريني): 32</p> <p>عمر بن يحيى بن محلي (قائد مريني):</p> <p style="text-align: center;">44</p> <p>عيسى بن عبد الواحد (حفيد عبد الحق بن يعقوب): 33</p> <p>غالب بن حسن بن غالب الخزاعي:</p> <p style="text-align: center;">97</p> <p>غالب بن أبي بكر الحضرمي: 101</p> <p>فاطمة بنت السلطان يحيى بن الحفص:</p> <p style="text-align: center;">43</p> <p>فرديناند صاحب أنتقيرة: 61، 62، 63</p> <p>فرناندو الأراغوني (فرناندو الخامس ملك الأراغون): 71، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 82، 85، 118، 134، 136، 146، 152، 172، 174، 175، 178، 179، 182، 191، 200، 212، 218، 220، 242.</p> <p>فرناندو الثالث (ملك قشتالة): 22، 23، 39، 51، 212، 216، 224</p> <p>فرناندو دي تافرا (قائد قشتالي): 179</p>	<p>دلالية: 83، 153، 154</p> <p>ربض البيازين: 80، 96، 110، 114، 137، 153، 180، 181، 183.</p> <p>ربض نجد: 180، 183</p> <p>رملة: 85</p> <p>رنيش: 47</p> <p>رُندة: 31، 49، 57، 58، 59، 61، 65، 74، 75، 77، 78، 98، 104، 115، 131، 149، 196، 204، 225.</p> <p>روطة: 23، 31، 34، 59</p> <p>سبتة (المغرب الأقصى): 26، 29، 32، 34، 41، 43، 44، 47، 48، 50، 92، 101، 224، 225.</p> <p>سرقسطة: 21، 70</p> <p>سماته: 51</p> <p>سهل بجانة: 40</p> <p>سُهيل: 158</p> <p>سور البيازين: 136، 137، 179، 180</p> <p>شاطبة: 15، 16، 21، 173.</p> <p>شُبالش: 153، 154.</p> <p>شدونة: 73، 212، 224.</p> <p>شعش : 22</p> <p>شريش: 17، 23، 26، 27، 29، 30، 34، 35، 36، 37، 38، 74، 76</p>
---	---

الكشافات والفهارس

كارلوس الثاني (ملك نافارا): 60	84، 173، 210، 212.
لويس سيكو دي لوثينا: 63، 167، 169، 170، 193.	شقورة: 242
لويس كاردياك: 176، 177	شلب: 23
ماريا دي مولينا (ابنة ملك الأراغون وزوجة سانشو ابن ألفونسوا): 50	شلوبانية: 45، 62، 84، 118، 146، 158
مسعود بن ماساي (وزير مريبي): 103	شلوقة: 24، 31، 35
مُجَّد الأول الغالب بالله (سلطان غرناطة ومؤسس مملكة بني الأحمر): 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 23، 25، 26، 27، 28، 29، 45، 49، 91، 92، 94، 100، 101، 104، 148، 212، 215، 223، 224، 225، 226	صاححة: 22، 79
مُجَّد الثاني أبو عبد الله الفقيه (سلطان بني الأحمر): 28، 30، 32، 33، 37، 45، 46، 47، 49، 50، 91، 93، 97، 100، 102، 104، 114، 146، 160، 180، 192، 193، 198، 205، 222، 224، 226	طفير: 85
مُجَّد الثالث أبو عبد الله المخلوع (سلطان بني الأحمر): 37، 39، 40، 47، 48، 49، 101، 109، 114، 192، 194، 202، 204، 226.	طرابلس (إفريقية): 41
مُجَّد نصر الرابع أبا الجيوش (سلطان بني الأحمر): 48، 50، 51، 102، 147، 192، 204.	طريف: 29، 30، 37، 41، 42، 44، 47، 53، 55، 104، 114، 194، 229، 235
مُجَّد الخامس بن يوسف بن فرج الغني بالله (الغني بالله) سلطان بني الأحمر: 56، 57، 58، 59، 60، 61، 92،	طليبة: 23
	طليطة: 34، 42، 52، 62، 134، 216
	طيطة: 47
	طنجة (المغرب الأقصى): 32، 47
	عذرة: 159
	غار أبي زيد: 70
	غاليرا: 68
	غرناطة: 13، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 25، 26، 27، 32، 39، 44، 46، 48، 49، 51، 52، 53، 54، 56، 57، 58، 60، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 74، 75، 76، 77، 78، 79

الكشافات والفهارس

<p>95، 98، 100، 102، 103، 105، 106، 108، 110، 114، 115، 116، 119، 120، 121، 126، 129، 134، 162، 168، 172، 192، 199، 202، 206، 207، 228، 229، 230، 243، 248</p> <p>مُجَّد السادس بن يوسف الثاني (المستعين بالله) سلطان بني الأحمر: 61، 62، 93، 96، 97، 100، 103، 104، 106، 107، 108، 112، 113، 117، 119، 124</p> <p>مُجَّد السابع "الأيسر" أبو عبد الله (سلطان بني الأحمر): 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 100، 103، 113، 116، 133، 163، 195، 199، 202، 206.</p> <p>مُجَّد التاسع الصغير (الزغبر) سلطان بني الأحمر: 63، 68، 111، 114، 195، 196.</p> <p>مُجَّد بن العباس بن تاحضرميت (قائد مريني): 44</p> <p>مُجَّد بن نصر الأحنف (سلطان بني الأحمر): 68، 69، 70، 111</p> <p>مُجَّد بن إسماعيل (صاحب الجزيرة): 53، 54</p> <p>مُجَّد بن عمران بن عيلة (قائد مريني): 44</p> <p>مُجَّد بن مُجَّد بن الشديد: 235</p> <p>مُجَّد بن إدريس بن عبد الحق: 26، 27، 93، 94.</p>	<p>80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 97، 100، 101، 102، 104، 105، 106، 108، 109، 111، 114، 116، 118، 121، 127، 131، 134، 136، 137، 138، 139، 140، 143، 144، 145، 146، 148، 150، 151، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 164، 165، 166، 167، 168، 169، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 181، 182، 183، 184، 191، 193، 195، 196، 197، 201، 204، 205، 206، 207، 208، 210، 211، 212، 216، 219، 220، 221، 222، 228، 229، 232، 233، 234، 236، 242، 246، 248</p> <p>غلبانه (جليانة): 22، 24، 31</p> <p>فاس (المغرب الأقصى): 39، 44، 56، 95، 176، 206، 226، 230.</p> <p>فحص غرناطة: 60، 65، 66، 103، 115، 144، 146، 201، 239</p> <p>فرنسا: 59، 157.</p> <p>فنيانة: 83</p> <p>فير: 81</p> <p>قابس (إفريقية): 41</p> <p>قادس: 173، 195.</p>
---	--

الكشافات والفهارس

<p>مُجَّد بن علي العزبي: 40</p> <p>مُجَّد بن جزّي الكلي: 96</p> <p>مُجَّد بن حزب الله: 95</p> <p>مُجَّد بن علي بن هاني اللخمي: 95</p> <p>مُجَّد بن يحيى العبدري (الصيرفي): 97</p> <p>مُجَّد بن قطبة الدوسي: 118</p> <p>مُجَّد بن زيد بن منجل الغافقي: 119</p> <p>مُجَّد بن منكلي: 104</p> <p>مُجَّد بن عبد الحق: 196</p> <p>منصور عبد الواحد: 34، 35</p> <p>موسى ابن مُجَّد الكواب: 151</p> <p>موسى بن إبراهيم البرناني (قائد مربي): 44</p> <p>موسى بن أبي الغسان (قائد غرناطي): 84، 85</p> <p>هنري الثاني (ملك قشتالة): 59</p> <p>هنري الثالث (ملك قشتالة): 60</p> <p>هنري الرابع (ملك قشتالة): 70، 72، 73، 74</p> <p>هنري دي تراستمارا: 59</p> <p>يحيى النجار (صاحب بسطة): 81، 82</p> <p>يحيى بن عبد الكريم الشنتوني: 95</p> <p>يعقوب بن عبد الحق المريني (سلطان بني مرين): 24، 26، 29، 31، 32،</p>	<p>قصبية الحمراء: 83، 137</p> <p>قصبية مالقة: 137</p> <p>قصر باديس: 19</p> <p>قصر كُتامة (المغرب الأقصى): 47، 99</p> <p>قصر الحمراء: 64</p> <p>قطيانية: 22</p> <p>قدولة: 47</p> <p>قرطبة: 14، 16، 17، 21، 31، 32، 33، 49، 77، 80، 94، 123، 137، 173، 197، 210، 216.</p> <p>قرمونة: 14، 24، 34، 35، 36، 59، 173.</p> <p>قرطاجنة: 15، 116، 159.</p> <p>قرية العطشا: 51</p> <p>قرية اللطاخ: 169</p> <p>قرية البذول: 82، 83</p> <p>قرية عتقه: 85</p> <p>قرية الفخار: 85، 182.</p> <p>قرية الهمذان: 81، 83، 108، 200،</p> <p>قرية وانجر: 84</p> <p>قسطلية: 67</p> <p>قشتالة: 15، 16، 21، 22، 27، 37، 38، 39، 40، 45، 47، 50، 53، 55، 57، 59، 64، 65، 67، 68،</p>
---	---

الكشافات والفهارس

<p>33، 35، 37، 39، 44، 46، 94، 95، 104، 145، 200، 205، 216، 222، 225، يغمراسن بن زيان (سلطان تلمسان): 26، 29، 32، 45، 224، 225.</p> <p>يوسف الثالث أبو الحجاج (سلطان بني الأحمر): 62، 63، 103، 219، 231، 233، 237، 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 251، 255.</p> <p>يوسف ابن المدجن: 65، 132</p> <p>يوسف ابن قيطون (قائد مريني): 36</p> <p>يوسف بن أحمد (ابن إسماعيل) خال السلطان الأيسر: 67، 68، 69، 70</p> <p>يوسف ابن تاشفين: 204، 208</p> <p>يوسف ابن سراج (قائد غرناطي): 63، 65، 66، 67، 68، 70، 102، 103، 113، 184، 185، 186، 195، 201.</p> <p>يوسف ابن كُماشنة (وزير السلطان أبو عبد الله الصغير): 76، 81، 83، 85، 104، 178، 179، 192.</p>	<p>69، 70، 71، 74، 78، 79، 81، 83، 85، 91، 100، 104، 110، 113، 114، 123، 145، 148، 149، 194، 212، 220، 225، 234.</p> <p>قلعة جابر: 22</p> <p>قلعة رباح: 21</p> <p>قلعة بني سعيد: 44</p> <p>قُمارش: 46، 47، 98، 104، 134، 197.</p> <p>قيجاطة: 49، 81، 147</p> <p>لبلة: 36، 67</p> <p>لقنت: 15، 131، 173.</p> <p>لوشة (لوجة): 65، 75، 77، 79، 106، 131، 139، 203، 204، 210.</p> <p>لورقة: 55، 64، 69، 103، 116، 117، 197، 199.</p> <p>ليون: 73، 114</p> <p>ماردة: 172، 210.</p> <p>مالقة: 13، 21، 24، 27، 32، 33، 44، 46، 51، 55، 57، 58، 70، 71، 73، 74، 75، 76، 77، 79، 80، 81، 89، 91، 100، 101، 102، 104، 109، 110، 116، 134، 135، 137، 139، 146، 154، 155، 157، 161، 165، 172، 174، 181، 184، 197.</p>
---	---

الكشافات والفهارس

		<p>201، 202، 204.</p> <p>مدينة الزهراء: 199</p> <p>مدينة شان تفي: 83</p> <p>مدينة فيرا: 63، 80</p> <p>مدينة الزهراء: 198</p> <p>مريلة: 51، 70، 104، 149، 158، 197.</p> <p>مرتانة: 104</p> <p>مرتش: 22، 53، 139، 147.</p> <p>مجلوش: 47</p> <p>مُرسية: 13، 14، 16، 26، 55، 60، 69، 100، 103، 114، 116، 117، 157، 160، 173، 181، 195، 197، 199.</p> <p>مُراكش (المغرب الأقصى): 33، 46، 233.</p> <p>مُرشانة: 35، 51، 60، 85</p> <p>مرشوشة: 23</p> <p>مُشافر: 77، 242.</p> <p>موني - فريو: 69</p> <p>مُنفريد: 80</p> <p>مبورقة: 42، 210</p> <p>نشيط: 47</p> <p>نبريشة: 212</p>
--	--	---

الكشافات والفهارس

		<p>نرجا: 155</p> <p>نهر حدره: 137</p> <p>نهر شنيل: 77 ، 137 .</p> <p>وادي آش: 24 ، 44 ، 46 ، 51 ، 56 ، 63 ، 66 ، 67 ، 70 ، 76 ، 79 ، 80 ، 82 ، 84 ، 91 ، 95 ، 103 ، 104 ، 108 ، 114 ، 117 ، 118 ، 139 ، 148 ، 158 ، 170 ، 174 ، 182 ، 184 ، 196 ، 219 ، 230 .</p> <p>وادي السقائين: 55</p> <p>وادي المنصورة: 70 ، 80 ، 104 ، 152 ، 182 .</p> <p>وادي فرتونة: 52 .</p> <p>وادي لك: 33</p> <p>وادي لُكرين: 182</p> <p>وادي نهر المنصورة: 182</p> <p>وهران (المغرب الأوسط): 64</p> <p>يعمور: 85</p>
--	--	--

الكشافات والفهارس

فهرس المحتويات

المقدمة:	أ
الفصل الأول: الصراع العسكري في مملكة بني الأحمر	1
أولاً- الصراع العسكري للظفر بغرناطة	5
1- التنافس بين ابن هود وابن الأحمر على غرناطة:	5
2- تغلب ابن الأحمر على غرناطة وبداية مرحلة التأسيس:	8
3- عقد الهدنة بين ابن الأحمر والنصارى "والخضوع لفريضة الجزية":	10
ثانياً: الصراع العسكري بين بني مرين والنصارى	13
1- أوضاع غرناطة قبيل جواز بني مرين:	14
2- الحروب بين المرينيين والنصارى:	17
3- احتدام الصراع بين بني الأحمر والمرينيين:	34
ثالثاً: الصراع العسكري بين بني الأحمر والنصارى ونهاية الوجود الإسلامي بالأندلس	38
1- حروب بني الأحمر وقشتالة والآراغون	39
2- الانقلابات العسكرية في أسرة بني الأحمر:	61
3- أثر الصراع في سقوط مملكة غرناطة:	67
الفصل الثاني: الجيش الغرناطي بين التعبئة العسكرية والتكتيك الحربي	77
أولاً: عناصر و فرق الجيش النصري وقيادته العسكرية	79
1- التركيبة البشرية:	79
2- فرق الجيش:	82
3- القيادة العسكرية للجيش النصري:	89
ثالثاً: التنظيمات التعبوية والإدارية للجيش النصري	95

الكشافات والفهارس

- 95 1- التنظيمات التَّعبويَّة:
- 108 2- التنظيمات الإداريَّة.
- 112 3- إستراتيجية الجيش النَّصري:
- 115 ثالثاً: عدَّة الجيش:
- 115 1- أسلحة الجيش الغرناطي:
- 124 2- العمارة الحربيَّة:
- 130 3- الرِّايات ولباس الجند:
- 133 الفصل الثالث: انعكاسات الحرب على المجتمع والإقتصاد النَّصري
- 135 أولاً: الحرب والأنشطة الإنتاجيَّة
- 135 1- الزراعة:
- 145 2- الصناعة:
- 150 3- التجارة:
- 157 ثانياً-انعكاسات الحرب على الاقتصاد النَّصري:
- 157 1- الضريبة المضافة في مملكة غرناطة:
- 159 2- تزييف العملة وغلاء الأسعار:
- 164 3- المجاعة والقحط:
- 165 ثالثاً: الانعكاسات الديموغرافيَّة والاجتماعيَّة:
- 165 1- الحرب والهجرة
- 171 2- تهجير المدجنين المفتعلين للفتن مع الإبقاء على فئة النبلاء(المتنصرين) والعمال والفلاحين:
- 172 3- دور الحرب في النمو السكاني:
- 177 2: الحرب والأسرة:
- 177 أ-قضايا الطلاق على الغائب:

الكشافات والفهارس

- ب- قضايا الأطفال اليتامى بمملكة غرناطة: 182
- 3- الأسر والقتل: 185
- أ- أسرى الحروب: 185
- 2- قتلى الحروب: 193
- رابعاً: انعكاسات الحرب على ذهنيات وسلوكيات النصرين: 195
- 1- الخوف من الموت: 195
- 2- هاجس الخوف يطارد السلاطين والنخبة أنفسهم: 198
- 3- نفسية الجندي الغرناطي: 199
- الفصل الرابع: أثر الحرب على المنتج الثقافي "الشعر" 202
- أولاً: رثاء المدن الضائعة 204
- ثانياً: الاستصراخ والاستنجد بالمسلمين: 210
- ثالثاً: شعر الحماسة والوصف: 222
- الخاتمة: 244
- الملاحق: 291
- قائمة المصادر والمراجع: 277
- الكشافات والفهارس: 322

ملخص البحث:

لازمت ظاهرة الحرب المجتمعات منذ القدم، فالطبيعة البشرية تفرض الصراع بين طبقتين متفاوتتين من حيث الضعف والقوة لتحقيق السطوة والظفر بالحاجة المتنازع عليها.

لا غرو أنّ جغرافية الأندلس المتميّزة وثرواتها المهمة جعلت منها بؤرة صراعٍ دائم؛ فلم تسلم مملكة من الممالك المتعاقبة على حكمها من بطش النصارى.

لم تدفع السياسة ولا إستراتيجية المنطقة لخلق قلاقل داخل أراضي الأندلس فقط، بل إنّ الصبغة الدينية والنزعة القومية راحت تتأسد وتتغلغل داخل ممالك النصارى؛ فالكنيسة ومباركة القساوسة الزامية إلى رفع الصليب وإرجاع إرث القوط المفقود كانت توّي أكلها في كل مرة تقوم فيها الحرب ضدّ المسلمين، ثمّ إنّ اتحاد قوى النصارى من ممالك قشتالة، الأراغون، والبرتغال، حقق في الأخير النصر المبتغى وأسقط آخر قلعة في الإسلام.

من جهة أخرى فإنّ الداعي لقيام مملكة تحت أنقاض بقايا ملوك الطوائف هو بمثابة فخر للإسلام، وإن كانت تصارع حتى الرّمق الأخير على وجودها؛ فقد استطاعت غرناطة الصمود زهاء ثلاثة قرون من الزمن، وهي فترة لا يُستهان بها استطاعت فيها تكوين جيشٍ منظمّ قاده فرسان ذاع صيتهم، وما زاد من قوتها وأثبط عزيمتها النصارى لفترات طويلة من عمرها، مساندة مملكة "بني مرين" لها، حيث أنها كانت في أيام عنفوانها وقوتها، وأبرزت للنصارى اتحاد قوى المسلمين لحمل راية الإسلام، وإن حدث الشقاق بين المرينيين والنصرين، فهذا لم يكن مانعاً من تحقيق هدف واحد وهو التصديّ لحملات الاسترداد التي طالت المدن الأندلسية، ثمّ إنّ منصب "شيخ الغزاة" المرينيين المستحدث في صفوف الجيش الغرناطيّ أسهم في تحقيق انتصارات في المعارك، لكنّ الفترّة الداخلية كانت تهب داخل البيت التصري، فلم تحنّ المعمورة بفترات سلام طويلة... بالرغم من عقود الصلح مع النصارى فقد كانت ظاهرة التنازع على العرش مستفحلة؛ حيث كثرت الدسائس والغلاغل، والنصارى يقارعون الفرصة كلما سنحت لهم للتدخل.

لم يسلم المجتمع الغرناطيّ من أثر الحروب والصراعات، فقد مست جميع الميادين: فاقتصادياً عانت البنية التحتية من تخريبٍ وتدمير، والأراضي الزراعية كانت مسرحاً للحروب؛ فدُمرت المحاصيل وأحرقت الغلات وهُبت المواشي، كما أدّت ظاهرة التزوح نحو غرناطة بعد سقوط المدن بيد النصارى إلى تقليص الأرض المزروعة؛ وبالتالي ضيق المعاش ودخول المملكة في مرحلة الجوع والقحط أمام الجموع الغفيرة من النازحين، والحال نفسه بالنسبة للنشاط الصناعي؛ حيث أنّ الصناعة الكمالية طغت على الصناعة الأساسية، فتقلصت نسبة المنتج وإن راجت بعض الصناعات، كالصناعة الحربية لتوفير السلاح بنوعيه الخفيف والثقيل، بالإضافة إلى رواج صناعة الخشب لتوفير المادة الخام لصناعة السفن، كما أنّ الأسواق أو (المحلات) المتنقلة أوقات الحصار جعلت التّجار والصّناع والزّراع يعرفون نوعاً من الاستقرار، وإن كانت ظاهرة تزييف العملة بعد ضعف المملكة

في سنواتها الأخيرة قد ضيّقت الحناق على التجار؛ وهذا ما يفسر كثرة المسائل الفقهية حول الموضوع. لم تناقش المسائل الفقهية ظاهرة الحرب وتأثيرها على الاقتصاد النصري فقط، بل تعددت بتعدد واقع الأزمات في غرناطة؛ حيث مست جميع الميادين وخاصة ما تعلق بموضوع الأسرة الذي كانت أكثر التساؤلات المطروحة فيه عن طلاق الغائب، والنفقة، وحكم الميراث، ووضع الأيتام، سواء تحت الوصاية أو بعد إعادة زواج الأم.

كما أننا ألمنا في دراستنا بموضوع الحرب والأسرى، ثم الحرب والقتلى؛ حيث أنّ ظاهرة الأسر كانت من أهم القضايا المطروحة بين النصاري والمسلمين في محاولة وجود حل لتحريرهم مقابل مال، أو تبادلهم في إطار الصلح المبرم، وقد صادفتنا رسائل توضح مدى أهمية الموضوع في العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين، كما أننا وضعنا جداول إحصائية تطرقتنا من خلالها إلى إحصاء عدد قتلى الطرفين والتعقيب على المعطيات.

- إنّ واقع الأزمات والحروب سيؤثر لا محالة على نفسية الإنسان الغرناطي، وستترسب في ذهنية المجتمع النصري حالتا الخوف والرعب باعتبار المنطقة بؤرة حرب، والتأهب لاشك سيكون لازماً وإن كانت المسؤولية الأكبر تقع على عاتق الجندي الغرناطي الذي يحمل على عاتقه واجب الجهاد وتحرير الوطن، فنفسيته لاشكّ أنّها ستتأزم خاصة من يملك أسرة، فالواقع أنّ ذلك لم يكن بالشيء الهين.

-تزامنا مع واقع الحرب والصراعات العسكرية كانت فئة الشعراء تلعب دورا مهماً داخل المجتمع؛ حيث أنّ الشعر كان بمثابة المتنفس والمحفز الرئيس لإيقاظ الهمم وبث الحماسة، فقد تأثر الشعراء بواقع الحروب، فراحوا يكتبون قصائد طوال يعبرون فيها عن حالة شعبهم تارة، وسقوط مدنهم تارة أخرى، كما أنهم وصفوا سلاطينهم وأسلحتهم وأساطيلهم، ثم حروبهم وانتصاراتهم بأسلوب جعلنا نعيش وقائع ما حدث في تلك الحقب، وهو ما أوضح لنا الصورة أكثر وقربنا من الوقائع، وفي هذا السياق وجب التنويه بأننا استندنا في دراستنا إلى مصادر إسبانية في محاولة لفكّ الغموض وإضافة وقائع جديدة بعد مقارنتها بالمصادر الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الأندلس؛ غرناطة؛ بني الأحمر؛ النصاري؛ بني مرين؛ الصراع العسكري؛ الآثار؛ المجتمع؛ الإقتصاد، الذهنيات؛ الشعر.

Abstract:

Since antiquity, war's experience has been a phenomenon of societies due to human nature's driving force of conflict between the two society's strata; vulnerable and strong to achieve power besides the need to come up with the disputed.

In fact, Andalusia's unique geography and its vital resources made it a focus of permanent conflict. Consequently, no Kingdom of successive kingdoms was spared from the Christians' tyranny.

Moreover, besides politics and the region's strategy of creating disorder within Andalusia, the religious and nationalist tone became increasingly embedded within Christians' monarchies. Accordingly, the Church and the priests' blessing, which aimed at lifting the cross and retrieving the missing Goth's legacy, always won their war against Muslims. Additionally, Christians' union of forces of Castile monarchies, Aragon and Portugal finally achieved the victorious and downed the last castle of Islam.

On the other hand, the call for a Kingdom over the ceased sects' monarchies is a pride for Islam. Although Granada was struggling to the very end; it could resist for nearly three centuries. Yet, it is a significant period in which it could form an organized army led by famously whistled knights. In addition, the support of Bani Marin's Kingdom in the days of its strength increased Granada's vigor and discouraged the Christians for long periods. Hence, the Union of Muslim forces to carry the banner of Islam was revealed to Christians. Besides, if the discord between Bani Marin and the Nasrid occurred, that was not a prohibitive to achieve the same goal of combating the recovery campaigns that have taken place in the Andalusian cities. Furthermore, the newly created position of the "Sheikh of Bani Marin's invaders" in the ranks of Granada's army had contributed in winning battles, however; internal strife had been blowing the Nasrid house. Thus, the world did not enjoy long periods of peace despite continuous reconciliation with Christians. This was due to raucous conflict over the throne, in which Christians' intrigues and interference were numerous whenever opportunities arose.

Granada's society was not spared the impact of war and conflict, and all fields were negatively affected. Economically, the infrastructure was destroyed, and agricultural land was the scene of war; in which crops were destroyed, yields were burned and livestock were looted. Likewise, the migration toward Granada after the cities fell under Christians reduced the land planted. Consequently, the income was limited and the Kingdom entered into starvation and aridity. In Industry as well, luxuries prevailed over basic industries leading to product ratio's reduction. This was despite some industries' contribution, such as the military industry that provided light and heavy weapons, the wood industry which supplied raw material for the shipbuilding. Additionally, the mobile markets or stores during sanctions' times provided a kind of stability for traders, manufacturers and farmers. The

phenomenon of currency counterfeiting after the Kingdom's weakness in its last years was suffocating traders; this may explain the various doctrinal issues on the topic.

The jurisprudential issues did not only discuss the war phenomenon and its impact on the Nasrid economy, nonetheless; the crises in Granada had varied and all fields were affected, especially family issues and most importantly; the absent's divorce, child maintenance, inheritance rule, and the status of orphaned children whether under guardianship or after the mother's remarriage.

This study totally explored the issue of war, prisoners, and war and deaths, since prisoners' problem was a key issue raised between Christians and Muslims. Thus, as an attempt to freeing these captives, an exchange using money or in the framework of the peace process could be made. Notably, implicit messages explaining this subject's significance in diplomatic relations between the two parties were inferred. Further, statistical tables were developed in which casualties in both sides were counted and data were discussed.

These crises and wars would inevitably affect the Granadian psyche; hence, the state of fear and terror would leak into the mentality of Nasrid society, be it a war center. Therefore, readiness would be necessary, although the greatest responsibility lied on the Granadian soldier whose duty was to fight and liberate the country. Nevertheless, these soldiers' psyche would undoubtedly be aggravated especially those who support a family; that fact was not a divine thing.

Along with war and military conflicts' realities, poets played a significant role within society. Thus, poetry was the outlet and chief motive for awakening and emboldening people. Further, poets were affected by the reality of wars, so long poems were written to express their people's living conditions sometimes, and their cities fall other times. Additionally, their monarchs, weapons, fleets wars, and triumphs were clearly and closely described in a way that made us live the proceedings of that era. In this context, it should be noted that this study was based on Spanish sources to demystify and add new facts compared to Islamic sources.

Keywords: Granada, *Bani al-Ahmar*, War, Bani Marin, Christians, Society, Economy, Mentalities, Poetry.